ديوان الرصافي

أتم شرحه وصححه

مصطفى السقا

الأستاذ المساعد بكلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الرابعة

بها قصائد لم تنشر من قبل

١٣٧٣ — ١٩٥٣

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

مطبعة الاعتماد بمصر

ديوان الرصافي

أتم شرحه وصححه

مصطفى السقا

الأستاذ المساعد بكلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الرابعة

بها قصائد لم تنشر من قبل

١٣٧٢ — ١٩٥٣

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

مطبعة الاعتماد بمصر



الشاعر معروف الرصافي في أُخريات حياته

١٨٧٥ — ١٩٤٥

أمثل الشاعر «المعروف» يبقى	رهين البيت في عيش كفاف
فقم واندب مآثره وارخ	بعدْمُ مات معروف الرصافي
١٣٦٥ هـ	١١٦ ٤٤١ ٣٩٦ ٤١٢

عبد الكريم العلاف

الجزء الأول

مقـــدمة الطبعة الثالثة

لديوان الرصافى

ظهرت الطبعة الأولى من ديوان شـاعر العراق الأكبر ، الأستاذ « معروف الرصافى البغدادى » سنة ١٩١٠ م ، نشرتهـا « المكتبة الأهلية ببيروت » فى جزء متوسط ، صفحاته ٢٣٢ ، وقد عنى بترتيبه وتبويبـه ، وتصحيحه وتقديمه ، الأستاذ « محيي الدين الخياط » ، وشرح بعض قصائده الشيخ « مصطفى الغلايينى » صاحب مجلة « النبراس » البيروتية ، لـكن المنية عاجلته قبل إتمام طبع الديوان ، فجاء بعض قصائده غفلا لم يشرح .

وقد رُتبت أشـعار الطبعة الأولى فى أربعة أبواب ، هى : الـكونيات ، والاجتماعيات ، والتاريخيات ، والوصفيات . وألحق بآخر الديوان فهرس لموضوعات القصائد ، ومطلع كل قصيدة .

وفى سنة ١٩٣٢ ، أى بعد اثنتين وعشرين سنة ، ظهرت الطبعة الثانية لديوان « الرصافى » ، أخرجتها « مطبعة دار المعرض ببيروت » فى مجلد واحد تبلغ صفحاته ٥٢٤ ، فهى تزيد على ضعف الطبعة الأولى عدد صفحات . وتمتاز بأنها أحسن من الطبعة الأولى تقسيما للأشعار ، فقد صارت أبواب الديوان فيها أحد عشر بابا ، هى : الـكونيات ، والاجتماعيات ، والفلسفيات ، والوصفيات ، والحريقيـات ، والمراثى ، والنسائيات ، والتاريخيات ، والسياسيات والحربيات ، والمقطعات .

وتمتاز كذلك بمقدمة تحليلية ونقدية لشعر الرصافى ، كتبها الأسـتاذ الـكبير « الشيخ عبد القادر المغربى » عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ، وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية الآن . هذا إلى مزايا أخرى فى الورق والطبع والتصحيح ، وكثير من الصور الفنية .

وقد ظهرت هاتان الطبعتان فى حياة الشاعر ، ولكنا لا ندرى مقدار مشاركته فى الإشراف على ترتيب ديوانه وتبويبه واعتماد أصوله ، ثم تصحيحه وطبعه .

وبعد نحو عشرين سنة أخرى ، تظهر هذه الطبعة الثالثة من ديوان «الرصافى» ولكنها تظهر بعد أن ودع الشاعر الحياة فى سنة ١٩٤٥ م ، وترك من شعره ثروة ضخمة لأبناء هذا الجيل والأجيال المقبلة ، من أبناء العروبة ومحبيها والدارسين لها ، وهي ، كما يراها القارىء ، جزءان فى مجلد واحد ، تبلغ صفحاتهما نحو ٥٨٨ صفحة ، تنشرها « المكتبة العصرية ببغداد » ، وتطبعها مطبعة « دار الكتاب العربى بالقاهرة » .

وقد رغب إلى حضرة الناشر « محمود حلمى صاحب المكتبة العصرية ببغداد » وحضرة صديقى الأستاذ سعيد جودة السحار،صاحب مطبعة «دار الكتاب العربى» أن أقوم بتصحيح هذه الطبعة ، وأن أشرح بعض الغريب من الألفاظ ، فأجبت رغبتهما ، وأخرجنا هذه الطبعة الثالثة ، التى يسرنا أن نهديها إلى قراء العربية .

***

تمتاز هذه الطبعة عن الطبعتين السابقتين بمزايا :

أولاها : غزارة مادة الشعر الذى تحويه ، فقد اشتملت على طائفة من الأشعار والمقطوعات التى لم تنشر قبل فى كلتا الطبعتين ، وقد اجتهد الناشر فى الحصول عليها فأضاف إلى الديوان حسنة جديدة ، وأتحف قراء العربية بطرائف لم تكن مجتمعة فى موضع واحد من شعر «الرصافى» ، وقد نشرت المجلات والجرائد بعض أشعار الرصافى ومقطوعاته هذه ، ولكن طائفة كبيرة منها بقيت مخبوءة ، وقد ظفر بها الناشر مكتوبة بخط الشاعر نفسه ، وتحتها إمضاؤه «الرصافى» .

وقد أوصينا حضرة الناشر بأن يحتفظ بهذه القصائد والمقطوعات التى عليها خط

الشاعر نفسه ، لما لها من قيمة أدبية وتاريخية،فهى وثائق شاهدة بالمعتمد من نصوص أشعاره ، قبل أن تمتد إليها أيدى التحريف والمسخ والتشويه . ذلك إلى أن فيها مجالا لدراسة خط الشاعر ، وتطور إنشائه للقصيدة ، ومبدأ تقييده للخواطر الأولى عند سنوحها بعقله ، ثم تصرفه فى المعانى بعد نقدها وتمحيصها وترتيبها . ومن حسن الحظ أن بعض هـذه القصائد التى بخط الشاعر مسودات لم تبيض ، ولا توجد منها نسخة أخرى غير التى كتبها الشاعر كتابة غير منظمة ، بل غير واضحة أحيانا ؛ ولـكنه على الرغم من ذلك اعتمدها ، ووضع اسمه «الرصافى» تحتها ، فلم يبق شك فى نسبتها إليه .

وقد التزمنا أن نلحق هذه الزيادات ، من القصائد والمقطوعات فى أواخر الأبواب ، ما عدا المقطوعات التى لا فن ولا غرض يجمعها ، فلم نلتزم فيها أواخر الأبواب ، بل وزعت فى مواضع متفرقة ، لأغراض مطبعية فنية .

وأشرنا فى فهرس الموضوعات إلى هذه الزيادات بهذه العلامة (*)

وتمتاز هذه الطبعة كذلك بشرح كثير من القصائد التى لم تشرح فى الطبعتين السابقتين . ولم نشأ أن نتوسع فى هذا الشرح ، بل قاربنا بينه و بين الشرح الذى وجدناه فى الطبعتين السابقتين : نشرح اللفظ الغريب المستغلق بإيجاز ، حتى ينكشف المعنى ؛ فإذا لم ينكشف بشرح الغريب ، أوضحناه بالعبـارة المطولة ، حتى يظهر مقصد الشاعر .

وفى شعر «الرصافى» قصائد كثيرة لا تحتاج إلى شرح ، لقربها من أفهام الشداة ، وهم متوسطو الثقافة من قراء العربية ، ولذلك لم نتكلف شرح هذا النوع . على أن ذيوع المعاجم فى عصرنا ، لا يجعل للقارىء عذرا فى ترك البحث عما يهمه من الألفاظ . بل إن القارىء لا يتقدم فى دراسته ومعرفته ، إلا إذا استقل بنفسه فى البحث عما يعنيه من الألفاظ والمعانى ، ولم يتكل على هذه الشروح والتعليقات الخفيفة ، التى يمده بها أصحاب الشروح ، ولعل كثيراً منها لا يشبع نهمته ، ولا يحقق غرضه .

ومن مزايا هــذه الطبعة ضبط المشكل المبهم من الألفاظ ، ولا أعنى الضبط الكامل ، فإنه غير ضرورى لأمثال قراء هذا الديوان . إنما الضبط الكامل لصغار تلاميذ المدارس ، ليحفظوا صيغ الكلمات صحيحة ، حين يكونون أكثر استعداداً للحفظ ، وأقبل لمـا يرد عليهم من صور الأشياء . وقد كادت الطبعتان السابقتان من هذا الديوان تكونان عاريتين عن الضبط ، إلا فى الأقل النادر ، أما هذه الطبعة فقد سلكنا فيها مسلكا وسطا بين الإفراط والتفريط .

وقد ألحقنا بالديوان فهرسين : أحدهما لموضوعات الأشعار ، والثانى للقوافى ، لتسهيل المراجعة والبحث فى الديوان .

* * *

هذا . وإن ما قرأناه من أشعار « الرصافى » فى هذه الطبعة ليدل دلالة واضحة على أنه كان من كبار شعراء هذا العصر ، ذوى الافتنان فى الشعر ؛ وقد ظهر فى شعره الكونى والفلسفى نزعات قوية دالة على عمق تفكيره . كما أبان شعره الوصفى عن دقة وقوة فى تصوير الأشياء ، لعلها لم تتح لكثير ممن زاولوا الوصف فى الشعر العربى . أما شعره الاجتماعى والسياسى ، فهما غنيان بالعواطف القوية الجياشة ، التى تدل على أنه كان سياسيا ووطنيا ، بل كان إنسانا من الطراز الأول فى جيـله ، يتمنى الخير لبلاده ولقومه ، بل للعرب جميعا ، وللشرق كله ، وتذوب نفسه حسرات عند ما يرى البؤس والضعف فى شتى مظاهره .

على أن للرصافى مزايا أخرى فى أسلوبه وتعبيره ، فالقارىء لشعره يحس كأن تياراً من التعبير الفخم الجزل ، واللفظ الموثق العـذب ، ينساب رنينه فى روحه ، فيملأ النفس قوة ونشوة ، لا يزال يتردد صداها فى أعماق قلبه ، وكل ذلك من صميم العربية ولبابها ، ومَعدِنها ونِجارها .

ما أجدر شباب العربيــة باستيعاب ديوان « الرصافى » قراءة ، والتوفر عليه

بحثاً ودراسة ، فقد أتيحت لهم المواد الأولى من شعر الشاعر مطبوعة قريبة من عقولهم وأيديهم .

لقد عالج بعض الكتاب دراسة شعر « الرصافى » ؛ ولكننا لا نقنع بكتاب أو كتابين عن شاعر كبير مثله ، أشقى نفسه نحو نصف قرن فى خدمة الأمة بعقله وشعره ، حتى خرج من هذه الدنيا لم يشيد دارا ، ولا بنى أسرة . فهو حقيق أن يشغل جيلا من الباحثين والدارسين ، يكتبون سيرته مفصلة ، ويحللون شعره . وإن فى كل باب من أبواب ديوانه لمجالا لبحث واسع ، تكتب فيه الرسائل القصيرة، بل الأسفار المطولة ، وتمنح عليه الجوائز ، بل الإجازات الدراسية العالية ؟

مصطفى السقا

القاهرة فى { ٦ من ذى القعدة سنة ١٣٦٨
٣٠ من أغسطس سنة ١٩٤٩ }

مقدمة الطبعة الثانية

بقلم العلامة الأستاذ عبد القادر المغربي

أهدىَ إلىَّ الجزء الأول من ديوان شاعرنا الرصافى سنة ١٩١٠ م ، فكان مما قلته فى تقريظه :

« إنا إذا التمسنا لشعراء العصر الماضى عذراً فى وقوف شعرهم عند الحد الذى رسمه لهم من سبقهم من الشعراء ، وانتحلنا من سنن العمران أسبابا لهذا الوقوف ، فلا ينبغى أن نعذر شعراءنا اليوم وقد تمهدت أمامهم العقاب ، وتيسرت الأسباب ، لزحزحة الشعر العربى عن موقفه القديم ، والسير به فى الطرق الجديدة التى سلكها شعراء الغرب ؛ فإن اللغة العربية نشطت من عقالها لهذه الآونة ، وألقت عنها أغلال الركاكة ، وأثقال الصنعة ، التى بهظتها قرونا طويلة ، فأصبحت تساعد أدباءنا على ما يبتغونه منها ، من حسن التعبير ، وجمال الأسلوب ، والافتنان فى الوصف .

هذا من جهة اللفظ . أما من جهة مقاصد الشعر التى تتطلبها حضارتنا الحديثة ، فإنها أيضاً تيسرت لنا ، بسبب اختلاطنا بأرباب هذه الحضارة ، ووقوفنا على شأنها ومقوماتها ، وتصفحنا أقوال كتابها وشعرائها ، فلا ينتظر منا بعد هذا إلا احتذاء مثالهم ، والنسج فى الشعر العصرى على منوالهم . وقد كان حظ الشعر العربى فى مختلف الأقطار العربية ، على قدر حظ هذه الأقطار ، من اقتباس تلك الحضارة ، وارتقاء ملكة اللغة العربية فى نفوس أهلها ، فكانت مصر فى طليعة تلك الأقطار ؛ ومن ثَم نبغ فيها شعراء أدركوا أن الشعر أرفع من أن يخدُم كيس الغنى ، وحسن الثغر ؛ وأن الشعراء فى الشعب بمنزلة الحداة فى الرَّكب : فهم يوجهون إلى الرقى تيار عزيمته ، ويذكون فى حب الإصلاح الاجتماعى نار حميته .

ولكن لم يكن يخطر ببالنا أن يقوم فى بلاد العراق على تأخرها ، بالنسبة إلى

مصر ، شاعر يبذّ النابغين ، ويتلقى راية الشعر الاجتماعي باليمين ، أريد به السيد معروفاً الرّصافي ؛ فقد تصفحت ديوانه تصفحاً يليق به ، وبمكانة صاحبه ، ثم لمــا أتيت على آخره ، لم أجد وصفاً ينطبق عليه ، أحسن مما قاله صاحبه فيه :

طابقتُ لفظي بالمعنى فطابقــه ... خلوا من الحشو مملوءا من الدُّرر

إني لأنتزع المعنى الصحيح على ... عُرْيٍ فأكسوه لفظاً قُدّ من دُرَرِ

هذا ما يقال في الديوان من حيث لفظه ومعانيه الجزئية ؛ أما مطالبه أو أغراضه الشعرية العليا ، فهي من أشرف الأغراض وأنبلها ، وأعلقها بمصلحة الأمة التي نشر هذا الديوان بين أبنائها ؛ فهو يصف الـكائنات وأسرار الخليقة وصف العارف بها ، الملم بما قاله علماء الطبيعة من أمرها ؛ وإذا تكلم عن مساوينا الاجتماعية ، نحا في القول مَنحي المصلحين ، المتفطنين لموضع الداء الدفين ؛ وهكذا إذا تكلم في نقد السياسة والأخلاق والآداب والعادات والتقاليد . وربما لم يقم إلى اليوم في بلادنا شاعر مثله ، أبدع القول في وصف حياتنا الحاضرة ومطالبها العليا إبداعه ، حتى صدق عليه ما قاله هو عن شعره :

وأجــود الشعر ما يكسوه قائلُهُ ... بوشي ذا العصر لا الخالي من العصر

على أنه إذا شاركه في هــذه الأغراض الشعرية الاجتماعية مشارك ، فإنه في وصف البؤس والبؤساء منقطع القرين ، وفي إثارة الشفقة عليهم لم يشبهه أحدٌ من الشعراء المعروفين » . اهـ

* * *

هذا ماقلته في وصف شاعرنا الرصافي وشعره منذ أكثر من عشرين سنة ، وأنا اليوم بعد ما اطلعت على ديوانه هذا ، ما زلت على رأيي أمس ، وإذا كان هناك شيء أقوله من جديد ، فهو أن ملـكة الشعر في الرصافي أراها قد بلغت حــدّها من النمو والنضج ، فلم يعد الشعر بالنسبة إليه صنعة يتكلف لها ، ويجهد قريحته سعياً وراء استرضائها ، بل أصبحت صناعة النظم طبعاً طيعاً ، لا يلبث إذا استوحى أن يتفجر بالبيان ، وينثر على سامعيه الياقوت والمرجان ، على حد قوله :

وأرسلته عفواً فكان كما ترى قوافى تجتاب البـلاد سراعا

ويشبه أن يكون شاعرنا ملّ الحياة الشعرية وتكاليفها المنصبة ، وسئم ممارسة النظم ، وأن يأبه لقول الشعر ؛ فلماذا التكلف له وهذه ملكته مؤاتية : إذا هتف بها لبت بما يراد منها ، وأوحت بمعجز من آياتها .

وليس هذا بدعا من حال الرصافى ؛ فإنه دأب الأفذاذ من عباقرة أهل الفن والأدب ، والمقدّمين فى صناعتى النظم والنثر ، فإنهم إذا امتد بهم الزمن فى ممارسة فنهم أو أدبهم ، سئموا التكلّف له ، والتأنق فيه ، فإذا قالوا قولا ، أو نظموا شعراً ، أرسلوا طبعهم على سجيته ، فجاء النثر أو الشعر عفواً لا عناء معه ، وسيلا لا وعورة فيه ، وجلياً لا غموض عليه .

ومما رواه صديقنا الأمير شكيب أرسلان عن أناطول فرانس ، أنه قال : « إننى فى أول نشأتى كنتُ أنضح عرقا حتى أبلغ الأسلوب العالى الفخم ؛ وأما الآن فإنى أفرّ منه فرارا» .

وهذا القول يذكرنا بالأمير شكيب نفسه ، إذ قد أصبح فى نفرته من التكلف للأسلوب الفخم ، وفراره منه ، كأناطول فرانس ، ولم يعد يعبأ من تزايين النثر إلا بالبيان ؛ وهكذا شاعرنا « الرصافى » فإنه لم يعد يعبأ من تزايين الشعر إلا بالبيان أيضاً . فمن ثمّ وجب أن يُلقب بأمير البيان فى الشعر ، كما لقب الأمير شكيب بأمير البيان فى النثر ؛ وكأنهما كليهما تواردا على العمل بوصية إمام نهضتنا الأدبيـة « الشيخ محمد عبده » رحمه الله ، فقد قال :

« إن الكتاب والشعراء هم حملة مصابيح الهداية بين يدى أممهم ، فإذا بعدوا عنها ، فلا حاجة لها بهم ولا بمصابيحهم» . وأراد بقوله : «بعدوا عنها» أن يكلموها بأسلوب غامض ، مثقل بأوقار الصنعة ، و بعيد الاستعارات والكنايات .

وكان رحمه الله يتأسف لكونه لا يقدر أن يكتب كتابة تتناولها جميع أفهام القرّاء ، وكان يعد ذلك عجزاً ، ويقول: إنه يشعر من نفسه بالقدرة على النفع بالتعليم ، أكثر من قدرته على النفع بالتأليف .

ولعل الذى حبب الرُّصافى وشعره إلى النشء العربى الجديد ، أنه يمشى بمصباح بيانه بين أيديهم ؛ فهو يقول ما يفهمون ، و يعبر بما يقول عما يحسون و يشعرون .

ونحن فى حالتنا الحاضرة المملوءة حيرة واضطرابا ، من الوجهتين السياسية والاجتماعية ، فى حاجة إلى زعماء يعرفون كيف يحدثون يقظة فى نفوس الجمهور ، و يتركون فيها من الاقتناع أثراً بيناً . فالزعماء إذا لم يكونوا أدباء فى بيانهم ، و بليغ خطابهم ، لا يمكنهم أن ينقذوا أممهم من حيرتها ، ولا أن يستوقدوا نار الحمية فى نفوس ناشئتها ، إذ لم يعد الأدب اليوم كما كان قديما : أدباً فياضاً بالصنعة ، برّاقاً بتزايين البديع ، مما لا يعجب إلا قائله ، ولا يطرب إلا صاحبه ، و إنما الأدب أصبح عاملا من عوامل تكوين الأمم ، و إبلاغها رشدها ، و إنالتها استقلالها .

والطريق الموصل إلى هذا الاستقلال — يقولون — هو السياسة . نعم ، ولكن هناك سياسة هى أتم وأكمل فى هذا الإيصال ، أعنى بها سياسة الأدب والثقافة ، وهى « السياسة العليا » كما سماها الأستاذ «مكرم عبيد» فى خطابه فى القدس . وهذه السياسة « سياسة الأدب » لا تفى بالغرض ، ولا تنقذ الأمة من ربقة الجهل والاستعباد ، ما لم تكن ذات لغة تجمع بين الصحة فى اللفظ والأسلوب ، و بين الوضوح فى المعنى والمقصود ، بحيث يتأثر بها جمهور أبناء الأمة ، فتجمع كلمتهم ، وتوحد ميولهم ، وتوجه إلى المثل الأعلى عزائمهم .

وهذا ما نكاد نلمسه لمساً فى كل جانب من شعر الرصافى ؛ ولا يحتاج القارىء إلا أن يتصفح ديوانه ، فيرى الشواهد الكثيرة عليه .

هذه مزية البيان فى شعر الرصافى ، من الوجهة القومية . أما مزيته من الوجهة التعليمية ، فهى أيضاً من أكبر المزايا التى تجعل شعره مدرسة ممتازة بطابعها ، يتخرج عليها طلابنا فى صناعة الشعر والأدب ، وتحصيل ملكتها . فشعر الرصافى صالح للحفظ والاستظهار ، وذلك لسهولته ، وحسن ديباجته ، وصفاء عبارته ؛ فإن الطالب لا يلبث إذا تلا شعره أن يستشف معانيه من وراء ألفاظه ، كما تستشفّ درر الحصباء

من خلال صفاء الماء ؛ ومثل هذا الشعر هو الذى يغرى الشداة بحفظه ، وتكرير تلاوته ، واحتذاء مثاله ؛ فلا تعتم ملكة الشعر أن تستحكم فى نفوسهم ، وتتبوأ المكان الأرفع من سلائقهم . وأنت حذّاق الأساتذة والمعلمين يعلمون ذلك ، فلا يُزَوِّدون تلاميذهم إلا ما كان من هذا القبيل ؛ أما حملهم على كدّ أذهانهم فى حفظ المعقد من الشعر ، والغث من القول ، فهو مفسد للملكة ، مشوِّه للسليقة ، مضعف للاستعداد والقابلية .

والرُّصافى فى مَزيتى السهولة ونمنمة الديباجة ، شبيه بالبحترى ، فالكلمات فى أبياتها مختارة منتقاة ، رُتبت بحسب ترتيب المعنى ، وفصلت على قدره ، فلا تقديم ولا تأخير ، ولا حشو ولا تعقيد ، ولا استعارات بعيدة ، ولا كنايات غامضة ؛ ولو عمدْت إلى كثير من قصائدها ، وحاولت تحويلها إلى مقال من النثر ، لأمكنتك ، وانقادت طائعة مختارة . وقد تتلى عليك القصيدة من شعر الرصافى ، فلا تدرى — وأنت تسمعها — إن كنت تسمع نظما منثوراً ، أو نثراً موزونا ، كما قال هو نفسه يصف شعره :

وأرسلته نظما يروق انسجامهُ ... فيحسبه المصغى لإنشاده نثرا

ومثله قوله :

فإنى ما أطلعتُ شمسَ حقيقةٍ ... لمستمع إلا لتغرُب فى السمعِ
ولست أبالى بعد إفهام سامعى ... أكان بخفضِ اللفظ ماقلت أم رافعِ

خذ مثالا على ذلك قصائده : « من أين من أين يا ابتدائى ؟ » ، و « الحياة الاجتماعية والتعاون » ، « والمدارس ونهجها » ، وغيرها . وكما أشبه الرصافىُّ البحترىَّ فى هذا ، فكانا شاعرَىْ ألفاظ ، وناشرىْ ديباج ، أشبه أبا الطيب المتنبى ، فكان معه شاعر معان ، وحكيم حجة وبرهان ؛ فهو فى كثير فى مواقفه يستخرج المعانى الدقيقة ، ويعبر عنها بألفاظ جزْلة ، وأساوب فخم ، ويضمن شعره الأمثال والحكم ،

والتلاميح إلى قضايا العلم والفلسفة والتاريخ . وكثيراً ما سلك طريق التهويل والغلوّ في الوصف ، حتى ليخيلُ إليك أنه المتنبىء ، لولا كلمات أو تعابير تجدها أحيانا في شعره ، تنبهك إلى أنك إنما تقرأ شعراً للمعاصرين ؛ وهذا كقوله :

لعمركَ إن الحرّ لايتقيـــدُ ألا فليقل ما شاء فيّ المفندُ
إذا أنا قصدت القصيد فليس لى به غير تبيان الحقيقة مقصدُ
نشدت بشعرى مَطلبا عزّ نيلهُ وإن هان عند الشعر ما كنتُ أنشدَ
فللنجم بعدٌ دون ما أنا ناشد وللدرّ قدْر دون ما أنا منشد
وكم جنبتنى عزة النفس مَنهلاً يطيب به لكن مع الذّل مَوْردُ
وما أنا إلا شاعرٌ ذو لبانة أنوح بها حينا وحينا أغرّدُ
ولى بين شدقىّ الهريتين صارمٌ يُسل على الأيام طوراً ويُغمد
ولا عجبٌ أن عابنى الشاعر الذى يقول سخيف الشعر وهو مقلد
فإنّ ابن بُرد وهو أكبر شاعر تنقصه فى الشعر حمادُ عَجردُ
تعوّدتُ تصريحى بكل حقيقة والمرء من دنياه ما يتعودُ

فقوله « تبيان الحقيقة» و « تصريحى بكل حقيقة » و « وهو مقلد » : تعابير لولاها لحسبنا قائل الشعر متنبىء القرن الرابع ، لا الرابع عشر .

وقد نظم الرصافى فى أغراض الشعر المختلفة : كالمدح ، والفخر ، والغزل ، والرثاء ، والهجاء ، والعتاب ؛ لكنه فى نظمه فيها كان يجرى على مثال سابق ، وبرنامج مقرر ، فلم يكن له فيها الفضل الذى له فى أغراض أخرى من الشعر لم يعرفها الأقدمون ، ولم يجوّد أو لم يكثر منها المعاصرون ؛ وهذا كشعره الذى ضمنه إشارات إلى ما تقرر فى العلوم الاجتماعية ، والعلوم العصرية ، والاختراعات الحديثة ، فقصائده «تجاه اللانهاية» ، و « من أين من أين» ، و «نحن على منطاد » ، و «الأرض» ، و « ألكنى يا ضياء » ، و «معترك الحياة » ، وغيرها ، ولو حولت إلى نثر لكانت من خير المقالات التى وصفت بها الكائنات وصفا منطبقا على آخر نظريات العلم

الحديث ؛ ففيها بيان أو شرح لوحدة المادة ، والجاذبية . والأثير ، والكهربية ، وأشعة رنتجن ، وآراء «دارون» فى النشوء ، ومذهب « ديكارت » فى التوصل إلى اليقين بالشك ، ومبادىء الاشتراكيين ؛ فى أن تكون للعامل حصة من إنتاجه .

تركوا السعى والتكسب فى الدنـيا وعاشوا على الرعية عاله
يأكلون اللباب من كدِّ قوم أعوزتهم سخينة من نخاله
يتجلى النعيم فيهم فتبكى أعين السعى من نعيم البطاله
ليس هذا فى مذهب الاشتراكية إلا من الأمور المحاله

وقصيدة « المطلقة » ليست سوى مقال فى الإصلاح الإسلامى ، فهو بعد أن وصفها وصفا حزينا ، عاد فاستبشع الطلاق عن غير قصد إيقاعه ، أو إيقاعه ثلاثاً بلفظ واحد ، وعاب الجمود فى الفقه ، وترجم على ابن القيم وشيخه ابن تيمية المصلحين العظيمين .

والشواهد على شعره الاجتماعى لا تكاد تحصر ، فمنها قوله :

لئن وأدوا البنات فقد قبرنا جميع نسائنا قبل الممات
وقوله : ولم يصلح فساد الناس إلا بمال من مكاسبهم مشاع
وقوله : فنحن أناس لم نزل فى بطالة كأنا يهود ، كل أيامنا سبت

وقوله فى الشرقيين ونسائهم :

ألم ترهم أمسوا عبيداً لأنهم على الذل شبوا فى حجور إماء
وهان عليهم حين هانت نساؤهم تحملُ جور الساسة الغرباء

ويصعب تتبع الشواهد لكثرتها ، وإنما نحيل القارىء على « الاجتماعيات والنسائيات » من الديوان ، ففيها بلاغ . فى كل هذه الفنون العصرية والاجتماعية نظم وأكثر وأبدع ، وقد وفق أحسن توفيق فى جمعه بين الأسلوبين ، وإجادته فى التعبيرين : التعبير اللغوى الفصيح ، والتعبير العلمى الصريح .

ومما امتاز به وصفه لما يقع تحت نظره من مشاهد الوجود ، على اختلاف أنواعها ،

فهو يتتبع جزئياتها ، ويستقصى دقائقها ، حتى تكاد تلمسها لمسا ، وتحسبها ماثلة أمامك عيانا وحسا ؛ من ذلك قصائده فى وصف «غروب الشمس» ، و «راقصة الملهى» ، و « القاطرة والقطار » ، و « كرة القدم » و « حرائق الآستانة » . أما قصيدته فى الأتوموبيل — وقد وضع له لفظ « تومبيل » — فلم تدلّ على دقة الوصف فقط ، بل تدل أيضا على تمكنه من اللغة العربية ، وحذقه فى استعمال فصحها وشواردها ، مما يذكرنا بأبى العلاء المعرىّ وحذقه فى ذلك ، على أن لقصيدة « التومبيل » دلالة ثانية على اتساع لغة العرب ، وصلاحية أساليبها وكلماتها لوصف المخترعات الحديثة ، وطواعيتها فى تقرير مسائل الفنون العصرية ، إذا أجيد استعمالها إجادة الأستاذ الرصافىّ لها .

ولم نذكر فى مزايا الرّصافى متانة قوافيه ، لظهور ذلك واشتهار أمره ، وأشد ما تتجلى براعته حينما تبنى القوافى على نوادر الصيغ والحروف ، أمثال « جلوازه ، وعكازة» و الفراديسا ، والطواويسا » ، و «المدملك ، والمترهوك» ، و « متلصص ، ويتبصبص » ، و « أبواز ، وهزهاز » ، و « ثلطوا ، ويسترط » ، و « مأزوزا ، وتهويزا » .

وقد استباح لنفسه أن يرى من الآراء ، ويصف فى شعره من الشئون والمنازع ؛ مالا تهواه السياسة ؛ أو لا يرضى رجال الدين عنه ؛ أو لم يعتد الناس سماع مثله ؛ ولم ينشر من هذا فى ديوانه شىء ؛ أو نشر النزرْ القليل منه ؛ وكان هو يتمنى لو ينشر كله ؛ ويحتجّ لنفسه فى نظمه ؛ ولزوم نشره ، بأنه أمر واقع ؛ وحقيقة ثابتة ، وهل السكوت عنه ؛ والاستحياء من ذكره ؛ إلاوهن فى النفس ؛ومخادعة للجمهور، وطمس للحقيقة ؟ وهذا ما عناه فى قصيدته التى عنوانها « حرية الفكر » :

وجرّدت شعرى من ثياب ريائه   فلم أكسه إلاّ معانيه الغرّا
أضمنه معنى الحقيقة عاريا   فيحسبه جهالها منطقا هجرا
ويحمله الغاوى على غير وجهه   فيوسعنى شتما ؛ وينظرنى شزرا

رُوَيْدَكَ ؛ إن الكفر ما أنت قائل ... وإن صريح العرف ما خلته نكرا
هل الكفرُ إلاّ أن ترى الحق ظاهراً ... فتضربَ للأنظار من دونه سِترا
إذا كان في عري الجسوم قباحةٌ ... فأحسن شيء في الحقيقة أن تَعرَى

غير أن له في الصفحة (١٨٧) قولا جزئيا لا نوافقه عليه ؛ وكنا نتمنى لو جرَّد ديوانه منه . وكما وجد مؤرخو الآداب العربية في شعر «أبي نواس» و «المعري» و «الخيام» ما يدعو إلى حسن الظن بهم ؛ فإني كذلك وجدت في شعر الرُّصافي ما يثلج له القلب ؛ ويخفف من حدة العتب ؛ من ذلك قوله في تنزيه الباريء :

وغايةُ جهدي أنني قد علمتُهُ ... حكيما تعالى عن ركوب المظالم

وقوله : لعمرك ما هذي الحياة وما الذي ... يراد بنا فيها من الخير والشر ؟
على أننا نمضي إلى أمر ربنا ... كما أننا آتون من ذلك الأمر

وقوله: إقرأ كتاب الكون تلق بمتنه ... آياتِ ربك فصلتْ تفصيلا
سبحان من جعل العوالم أنجما ... يَسبحْنَ عَرْضاً في الأثير وطولا !

وقوله: رماني القوم بالإلحاد جهلا ... وقالوا عنده شكٌّ مريبُ
فمنْ ذا منكمُ قد شقَّ قلبي ... وهل كشفتْ لكم فيَّ الغيوبُ
فعند الله لي معكم وقوف ... إذا بلغتْ حناجرَها القلوبُ
يقيني شرَّ فِريتكم يقيني ... بأن الله مطلعٌ رقيبُ

وفي قصيدة «حرية الفكر» و «سياسة لا حماسة» و «تنبيه النيام» و «إلى الأمة العربية» وغيرها نبرات حادة . ونعرات صاخبة . أثار فيها حفائظ شبان الوطن ، وشدَّد من عزائمهم في سبيل الذود عن حرية أوطانهم . وألا ينخدعوا بأحابيل السياسة التي تلقى أمامهم . ولا ببذور المواعيد التي تنثر حواليهم . وفي قصيدة «ما هكذا» و في «ليلة نابغية» نقد لاذع لمن اعتقد أنهم أساءوا إلى وطنهم . وقد قال في قصيدته التي جعل عنوانها «تنبيه النيام» :

عجبتُ لقوم يخضعون لدولةٍ ... يسوسهمُ بالموبقات عميدها

وأعجب من ذا أنهم يرهبونها وأموالها منهم ومنهم جنودها

ومعنى هذين البيتين مأخوذ من بيتين للسيد توفيق البكري.

وللرصافي عدة أبيات توارد فيها أو أخذ معانيها من غيره من الشعراء. والتوارد والأخذ فيها ظاهر، حتى كأنه اقتباس لا أخذ؛ من ذلك قوله:

فمتاع الحياة أصغر من أن يستفز القلوب بالأحقاد

وهذا من قول المتنبي:

ومراد النفوس أصغر من أن تتعادى فيه وأن تتفانى

ومثله قوله.

وهل أنا إلا من أولئك إن مشوا مشيت وإن يقعد أولئك أقعد

وهو من قول دريد بن الصمة.

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

ويشبه أن يكون شاعرنا «الرصافي» أحب أن يقتبس بيتي المتنبيء ودريد، ويدخلهما في شعره، فاقتبسهما على هذا الوجه، وهو ضرب من الاقتباس طريف.

ومن لطيف قول «معروف» ما خاطب به «صلاح الدين الأيوبي» يستنهضه من قبره، ليرى ما فعله الجنرال اللنبي في بيت المقدس:

حنانيك يا قبر ابن أيوب فانصدع لينهض ثاو في مطاويك مفضالُ

إليك صلاحَ الدين نشكو مصيبةً أصيب بها قلبُ العلى فهوَ مغتالُ

ويشبه هذا ما قال أديب الترك «نامق كمال» في بيتيه اللذين خاطب بهما قبر السلطان عثمان في «بروسه»، ثم نفي من أجلهما، وهما:

أويان أوتق اويان أي حضرت عثمان ذي همت

أويا اندر كورنه حاله كيردي تأسيس اتديككك دولت

يتش إمدادينه بى كس قالان أرباب إيمانك

يتش كه سرنكون أولدى لواى نصرت ملت،

ومهما تجنب الرُّصافي الصنعة البديعية ومحسناتهـا في شعره ، فقد وقع له منها الـكثير المستملح ، الذي جاء عفواً في غير تكلف ، وطوعا من دون استكراه .

من ذلك قوله :

ليوثٌ إذا ما عبست في ملمةٍ تبسمتِ الدنيـا تبسمَ ناصرِ

وقوله : ولم تأخذوا للأمر يوما عتاده فجاءت أمور ساء فيكم عتيدها

وقوله في فتك الأيام بالناس :

ولو لم تنوِ حربا ما تبدَّى بهـا شكل الأهلة خنجريا

وقوله : أيهـا المولمون في مصر مَهلاً إنَّ إيلامكم لنـــا إيلام

وقوله : يقيني شر فِريتـكم يقيني بأن اللهَ مطلع رقيب

وقوله من قصيدة في الحض على التبرع المصابين بإحدى حرائق الآستانة مقتبسا :

ياقومُ هذي سبيل العرف واضحةٌ فليمضِ فيها بكم وخدٌ وإرقال

ومن تلك الحال فيها لا تساعدهُ «فليسعد النطق إن لم تسعد الحال»

أما رأيه الخاص فهو تجنب أنواع البديع ما أمكن ، والعناية بأن يكون الشعر سلساً مفهوما ، ولذا تسمعه يقول :

لست بالشاعر الذي يرسل اللفـــظ جزافا لـكي يصيب جناسه

أنا لا أبتغي من اللفظ إلا ما جرى في سـهولة وسلاسه

إنمـا غايتي من الشعر مَعـنى واضحٌ يأمن اللبيبَ التباسـه

وله في خلال أبياته نكت منثورة ، وملح مأثورة ؛ من ذلك قوله :

أمَا واللهِ لو كنا قروداً لما رضيتْ بحالتنـــا القرود

وقوله : حتى رجال الصين تحترمُ النسا أفنحن نقص عن رجال الصين

وقوله : كم نَشربُ الظن فلا نرتوى ونأكل الحـدْس فلا نشبع

وقوله يخاطب الكائنات العلوية :

وقالوا الأرض بنتكِ غيرَ مَينٍ فهـل أبناء بنتك يَصدُقونا

وقوله : وكم مدعٍ فضل التمدن ما له من الفضل إلا أكله بالملاعق
وقوله : وتكره نفسي كل عبدٍ مذلل فقد كرهت حتى الطريق المعبدا

وقوله في أن شربه للتبغ ضارٌ كشرب الآخرين للخمر :

إني لأمتصُّ جمراً لفَّ في ورَقٍ إذ يشربون لهيبا مِلءَ كاساتِ
وقوله : أمرُّ فتنظر الأبصارُ شزْرا إليَّ كأنما قد مرَّ ذيب
وقوله : وأتركُ ماقد تشتهي النفسَ نيله لما تشتهيه قلّةٌ في دراهمي

وقوله في الذين ارتقوا في الحضارة ، وتركونا في الحضيض :

وعَلوا بحيثُ إذا شخصنا نحوهم من تحتهم ضحكوا علينا من عَلِ

وقوله في رهبة الناس من السلطة القاهرة :

تنحو بنا طرُق البوار تحيفا وتسومنا سوء العذاب الأهولِ
هذا ونحن مجدّلون تجاهها كالفأر مرتعدا تجاه الخيطل
وقوله : دَع الأناسيَّ وانسبني لغيرهم إن شئت للشاءِ أو إن شئت للبقرِ
فإن في البشر الراقي بخلقته من قد أنفت به أنيّ من البشر

وقوله في وصف أهل هذا الزمان :

لا يغضبون لأمر عم باطله كأنهم غير مخلوقين من عَصبِ
وليس تندى من النكراء أوجههم كأنما القوم منجورون من خَشبِ
وقوله : فأكثرُ القوم من ذُلٍّ ومسكنة تلقى الذبابَ على آنافهم يَنَمْ

وقوله في خوف اليونانيين من مصطفى كمال :

إذا ذكروا سماك ولو مناما تحامَوْا ذكره بسوى التهجيِّ

وسماك : أي اسمك :

أما استخراجه للمعاني الدقيقة ، والمعاني المبتكرة ، فقد فاز منها بسهم وافر ، وخرج من ميدانها بجدٍّ عاثر ، وقد أشار إلى ذلك بقوله :

لا يحسن الشعر إلا وهو مبتكر وأىُّ حسن لشعر غير مبتكر ؟

وبقوله يصف شاعريته :

على أن لى طبعاً لبيقاً بوشيه نَزوعا إلى أبكاره دون عونه

ويوشك أن تكون قصيدته «العالم شعر» بجملتها من قبيل الإبداع والابتكار ، لما تضمنته من جمال الأسلوب ، وحسن التنسيق ، والتفنن فى إيراد الأغراض .

ومعظم معانيه المبتكرة تجدها فى وصفه الحياة الكونية ، وكرورها عَودا على بدء : انتهاء ثم ابتداء ؛ اندثار ثم بناء ، وفى وصفه العوالم العلوية ، وهدوء الليل ، وراحة الموت ، والغرور والكبر ، والبؤس والشقاء ؛ واقرأ إذا شئت « المطلقة » و «أم اليتيم» ، و «اليتيم فى العيد» وغيرها ، تجد أمثلة لما ذكرنا . ويشبه أن يكون من معانيه المبتكرة ، قوله فى أن الموت شفاء من آلام الحياة :

إنما هذه الحياة جروحٌ أثخنتنا والموت مثل الضماد

وقوله : تنظمنا الأيام شعراً وإنما تَردُّ المنايا ما نظمن إلى نثر

وقوله : إن يكنْ أغمد الردَى منه فى القبـــر حساماً فذكره مسلول

وقوله : واللبيب الذى تعلم إتيـــا نَ المعالى من خسة الأوغاد

وقوله : خدودٌ جرى ماء الشبيبة فوقها ففيه عقول الناظرين من الغرَقَى

وقوله : قد يحسب الإنسان آمالهَ والموتُ مصغٍ نحوه يسمع

وهذا يذكر بقول الحماسى : « والموت خزيان ينظر » .

وقوله . ونحن كالماء جرى نابعا لكن علينا خفِى المنبعُ

وهذا يذكر بقول أحد شعراء الفرس : «العالم ككتاب مخروم الأول والآخر» .

وقوله : لعمركَ إن الدهر تغلى خطوبهُ وإن عويل الصارخين نشيش

وقوله : كم كذب الدهر فى فعائله وسوّدد الجاهلين من كذبه

وقوله فى مخادعة الدهر :

كأنَّ ليالى الدهر غضبى على الورَى فتنظرُ شَزْراً بالنجوم الشوارق

ولو لم يجئنا كل يوم موار با   لما كان فجرٌ كاذبٌ قبل صادق

وقوله : وهو من ملحه :

يا قومُ قد هـــرِم الزما   نُ من التمــادى فى انقلابه

فلذاك عنـــد الهاجرا   تِ يسيل شيءٌ من لعابه

وقوله : وحبَّ الذى عاداك إن رمتَ قتلهُ   فإنى رأيت الحبَّ أقتل للعدا

وقوله فى الفنون الجميلة و إسعادها الحياة :

إن الذى جعل الحياة رواعداً   جعل « الفنون » من الحياةِ بروقا

وقوله فى إسعاد العلم للبشر :

ألغزَ الدهرُ فى الحقائق لـكن   أفهم العلمُ أهـله ألغازه

وقوله فى رثاء شيخه الألوسى :

أما العراق فأمسى الرفدان به   سطرين للدمع فى خديه قد سالا

وقوله فى أنين « أمّ اليتيم » :

أرى لحمةَ الظلماء عند أنينها   فأعجبُ منها كيف لم تتضرّم

وقوله فى وصف سجن بغداد :

وقد عميت منه النوافذُ والـكوى   فلم تكتحل من ضوء شمس بمرود

وقوله : أرى أنف الحوادث مشمخرا   غدا يتشممَّ الحدثَ الجُرافا

ويوشك أن يُمزّق مَنخريه   عُطاسٌ يملأ الدنيـا رُعافا

وقوله : وإن فتى الدهر من يدّعى   فتـــأتى أعاديه بالشاهد

وقوله : وإنى لأبصر فى بيروت قائبةَ   للشرّ موشكة أن تخرج القوبا

وقوله يصف تراكم الـكروب عليه :

يقلّ كروباً بعضها فوق بعضها   إذا ما رَمى كربا رأى تحته كربا

وليس هذا فى الحسن بأدنى من قول أبى الطيب :

« فصرتُ إذا أصابتنى سِهامٌ   تكسرتِ النصال على النصالِ »

وقال في وصف الظلام وشدته :

تمطى على الآكام منه بغيهب   تكاثف حتى خلته قد تحجرا
وكاد دجاه يمكن الكف لمسه   فلو سار سار في دجاه تعثرا

وقوله في من يخالف قوله عمله ، يقول الحق ويفعل الباطل :

رجل قد تنكب الحق قوساً   ومن البطل ظل يرمي سهاما

وقوله في المتعلم الذي لا يختص به ، بل يشارك في كل علم :

هبه أبدى من العلوم نجوماً   في ليال من المشاكل دهم
أو ليس البدر التمام وإن كا   ن وحيداً يربو على ألف نجم

وقوله في امرأة مجلببة بالسواد حزنا :

«فكانت لها سود الجلابيب حلية   ولا عجب أن الدجى من حلى البدر
كأن تلاميح الأسى في جبينها   بقايا ظلام الليل في غرة الفجر

وللرصافي طائفة من القصائد ضمنها قصصاً ، يخيل إلى سامعها أنها واقعية لا خيالية ، كقصيدة « الفقر والسقام» ، و «المطلقة» ، و «اليتيم في العيد» ، وغيرها .

وأدباؤنا المولعون بالتجديد يترقبون إحداث « القصة » في النثر ، وهذا الرصافي قد سبق ، فأحدثها في الشعر منذ أكثر من عشرين سنة .

على أن قصص « الرصافي » هذه ليست مما ينطبق عليه اسم «الشعر القصصي» ، كإلياذة هوميروس ، وشاهنامة الفردوسي ، إذ أنهم اشترطوا فيه أن يكون قصيدة مقصدة ، لا تقل أبياتها عن بضعة آلاف بيت ؛ وأن يستقى فيها بسرد أساطير الأمة في فجر حياتها ، ووصف حروبها ، وبطولة أبطالها ، ممزوجاً كل ذلك بأخبار آلهتها . ويقال بالاختصار : إنهم اشترطوا أن يكون « الشعر القصصي » مضروباً على غرار إلياذة «هوميروس» المشهورة .

فاذا كان هذا الشرط صحيحاً ، فليس في شعر الرصافي ولا في شعر غيره من شعرائنا الأقدمين والمحدثين ، إلياذة ، أو «ملحمة» من هذا النوع .

وإذا كان شاعر مصر الكبير « أحمد شوقى بك » عمل على سدّ ثُلمة فى أدبنا القومىّ ، بوضعه الروايات الشعرية المسرحية ، فجدير بشاعر العراق الكبير «معروف الرّصافىّ» أن يسد ثلمةً أخرى ، فيضع مَلحمةً عربية فى عشرة آلاف بيت أو أكثر : يصف لنا فيها أساطير العرب ، وحروبهم ، وشجاعة أبطالهم ، وأخبار آلهتهم ، كاللاّت والعزَّى ، ومَناةً الثالثة الأخرى ، من أقدم تاريخهم الخرافى فى الجاهلية ، إلى صدر تاريخهم فى الإسلام .

وإن للرصافىّ من قصة « عنترة » ، و « بنى هلال » ، وفتوح الشام المنسوبة للواقدىّ ، وغيرها من القصص ، مادة غزيرة ، تساعده على عمله : إذ أن فيها أخيلة واسعة ، ومفاجآت مدهشة ، ومبالغات عجيبة . وإذا أراد جلالة «فيصل الأول» ملك العراق ، أن يجعل الرصافىّ يفرغ لهذا العمل ، ويكون لجلالته الفضل الأكبر فيه — إذا أراد جلالته ذلك فعل ، إن شاء الله .

ومما يساعد الرصافىّ على الإجادة فى إلياذة العرب الجديدة ، ما أوتى من سهولة شعر ، وانقياد طبع ، وسعة خيال ، ومواتاة قريحة فى نظم القصص ، وسلامة ذوق فى اختيار كلمات اللغة ، والتأليف بين ما كان منها متلائم الجرس ، متناسب «الموسيقية» .

وسهولة الألفاظ وموسيقيتها ، ينبغى أن تكونا أول ما يُشترط فى «الملحمة» ، لأنها يتغنى بها ، ويَنشدها للاطراب أبناء الشعب ، على اختلاف طبقاتهم .

ملحمة مثل هذه تكون من أكبر العوامل فى إنعاش ما خَمل من ذكر العرب ، وخمد من نار حميتهم ، ووهن من منة عزيمتهم ، وإن قصيدة «أبو دلامة والمستقبل» ربما كانت نموذجا حسنا لإجادة شاعرنا «معروف» فى ما نبتغيه منه ، ومن نظم إلياذة عربية . فليراجعها القارىء ص (٣٦٨) من هذا الديوان .

وقد رأينا للرصافىّ تعابير لم نسمعها لغيره ، من ذلك قوله . « وغى العيش » ، والوغى . جلبة الحرب ، فجعل للعيش والزحام على الحياة وغى ، يكثر فيها الصخب

والجلبة . وقوله «خنا الطبع» وأصل الخنا : الفحش في القول ، وخنا الدهر : نوائبه ، وذلك مذ قال :

وكم رام إسكاتي أناس أبى لهم خنا الطبع إلا أن يروا لي حسدا

وقوله : (هزة سرورية) وقوله (يقظة نهوضية) نسبة إلى النهوض ، مذ قال :

أرى بعد نوم طال في الشرق يقظة نهوضية فيها طموح إلى المجد

وله غير ذلك من التعابير المحدثة المقبولة . كما أن له تعابير أخرى فيها لين ، ومسحة من ابتذال ، بسبب ترددها على الأفواه ، ودورانها في لغة التخاطب ، وإن كانت في أصلها فصيحة لفظاً ومعنى . من ذلك قوله :

إلى كم نظل لأغراضنا نعارض من دون أدنى سبب

وقوله في أبيات أخرى «يستوجبون احتراما» و « استوجب العطف » «ناالخين في الشبابة «عيش بسيط» «جهولا يتعنفص» «ولو من أجلها ضربت عنقي ».

وقوله : لم أدر والآثار منه كثيرة في الغرب لم تزرت وقلت عندنا ؟

وقوله : أنا أبكي عليه من جهة العلم وأغضي عن خوضه في السياسة

قد أبت هذه السياسة إلا أن تكون الغشاشة الدساسة

ما تعاطى غير الخداع « غلادستون » فيها كلا ولا « دلكاسه »

لو أردنا إفاضة في هجاها لكتبنا لكم به كراسه

وقوله : قد بكته مدارس عامرات هو فيها المدرس المسئول

نمما قد ذكرت بعض مزايا ه وإلا فشرحهن يطول

وقوله : إذا ما ذممنا الدهر يوما وأهله فإنك من تلك المذمات مستثنى

ويوشك أن تكون قصيدة «يا محب الشرق» التي خاطب بها المستر (كراين) كلها من هذا القبيل ، في النعومة ولين الأسلوب .

أما مواضع المؤاخذة في شعر شاعرنا فقليلة جداً . ولقد كددت ذهني لأجمع منها شيئا ، فلم يقع لي إلا القليل .

فالغامض من أبيات شعره قد يكون بقدر الواضح فى شعر كثير من شعرائنا المشهورين .

وقد يكون الغموض فى شعره ناشئا من كلمة استعملها فى غير المألوف من معناها مثل قوله :

وقد يفترى المالُ الفضائلَ للورى ... وليس لهم مما افتراه نصيب

أى أن المال يحدث لبعض الناس فضائل ومناقب ، مع أنهم عُراة منها ، فأراد بيفترى : يحدث ويوجد . والمشهور فيه استعماله بمعنى الاختلاق والكذب فى القول .

ومثل ذلك أيضا قوله « فتاةٌ راع نَضرتَها الشحوبُ » أراد براع . شوّه ، والمشهور المتبادر من معنى (راع) غير هذا .

ومثله قوله .

جَلتِ الطبيعة فى رُباه بدائعا ... تكسو الكهولَ غَضاضة الشبان

أراد بالغضاضة . النضارة والطراوة ، يقال . نبات غضّ ، ولكن أكثر ما تستعمل كلمة « الغضاضة » فى معنى الذلة والمنقصة ، لحقته غضاضة ، وهذا الأمر عليه فيه غَضاضة .

ومثله قوله .

أيها الأرضُ سِرتِ سيركِ مَثنى ... ذا نتاجين فى زمانٍ أحادِ

إنما يكثر فى استعمال « مَثني ، وأحادِ » وأخواتها : أن يقال . جاءوا مثنى ، وأحاد أى اثنين اثنين ، وواحداً واحداً ، ويظهر أن كلمة «أحاد» غير موفقة فى شعر كبار شعرائنا ، أليس المتنبى يقول .

« أحادٌ أم سداسٌ فى أحادِ ... لُييلتنا المنوطةُ بالتنادِ »

ومن مواضع المراجعة فى شعر الرصافىّ قوله على لسان (فاطمة) لمن يحزّ أخاها الفقير ، فى قصيدة (الفقر والسقام) .

أيها الواقفون لا تُهملوهُ دونكم أدمعي بهـــا غسلوهُ
ثمَّ بالثوب ضافياً كفنوه وادفنوه لكن بقلبي ادفنوهُ
لا تواروا جبينه بالتراب

فقوله «ثم بالثوب» أليس صوابه «بالشعر» ، ونعني به شعرها .

وقوله في قصيدة «تنبيه النيام» :

إذا جاهل منكم مشى نحو سُبةٍ مشى غيركم من غير قصد يُريدها
كأنكم المعزى تهاوينَ عند ما نزَا فنزتْ فوق الجبال عتودها

أليست «الجبال» سبق قلم ، وصوابه « الدِّحال » جمع « دَحل » وهو كما قال الأصمعيّ . « هوَّة تكون في الأرض ، وفي أسافل الأودية فيها ضيق ثم يتسع » . فالعتود . أي الجدي إذا في الدَّحل تهاوتْ وراءه المعزى ، فهلكت . ويضرب الفرنسيون المثل بخروف «بانورج Panurge » ، وهو بطل إحدى روايات الكاتب الفرنسي «رابله» (Rabelais) ، فإن « بانورج » هذا كان في سفينة مع راعي غنم ، فلم يبعه خروفا إلا بثمن عظيم ، فاشتراه بعد مساومة عنيفة ، وأراد الانتقام منه ، فقذف خروفه الذي اشتراه من الراعي في البحر ، فتهاوت وراءه خرفان الراعي المسكين ، فهلكت كلها .

وهذه الكلمات وأمثالها في ديوان الرصافيّ من تحريف الطبع في غالب الظن ، كمثل قوله « نقاب الحسن » وهو يصف المطلقة الحزينة :

وقد خلب العقول لها جبينٌ تلوح على أسرته النكوب
ألا إن الجمال إذا علاه « نقاب الحسن » منظره عجيب

فإنها محرفة عن « نقاب الحزن » كما هي كذلك في الطبعة الأولى من الديوان .

ومع أن الرصافي لا يتحرج من استعمال الكلمات المولدة والمعربة ، فإنك تراها قليلة جداً في شعره ، من ذلك كلمة «احتار ، يحتار» فإنه استعملها ، وهي غير قاموسية ي لم تذكر في القواميس .

ومثلها كلمة « الفنان » بمعنى البارع فى أحد الفنون ، كالنحت والتصوير والتمثيل : وهى فى اللغة بمعنى حمار الوحش ، الذى يعدو فنونا ، أى ضروبا من العدو، واستعملها إخواننا المصريون فى معنى البارع فى الفن . وإن من يتسامح فى استعمال أمثال هذه الكلمات . يعيبه (المحافظون) . ويتهمونه بإفساد اللغة . وإحياء القبيح . وإماتة الفصيح .

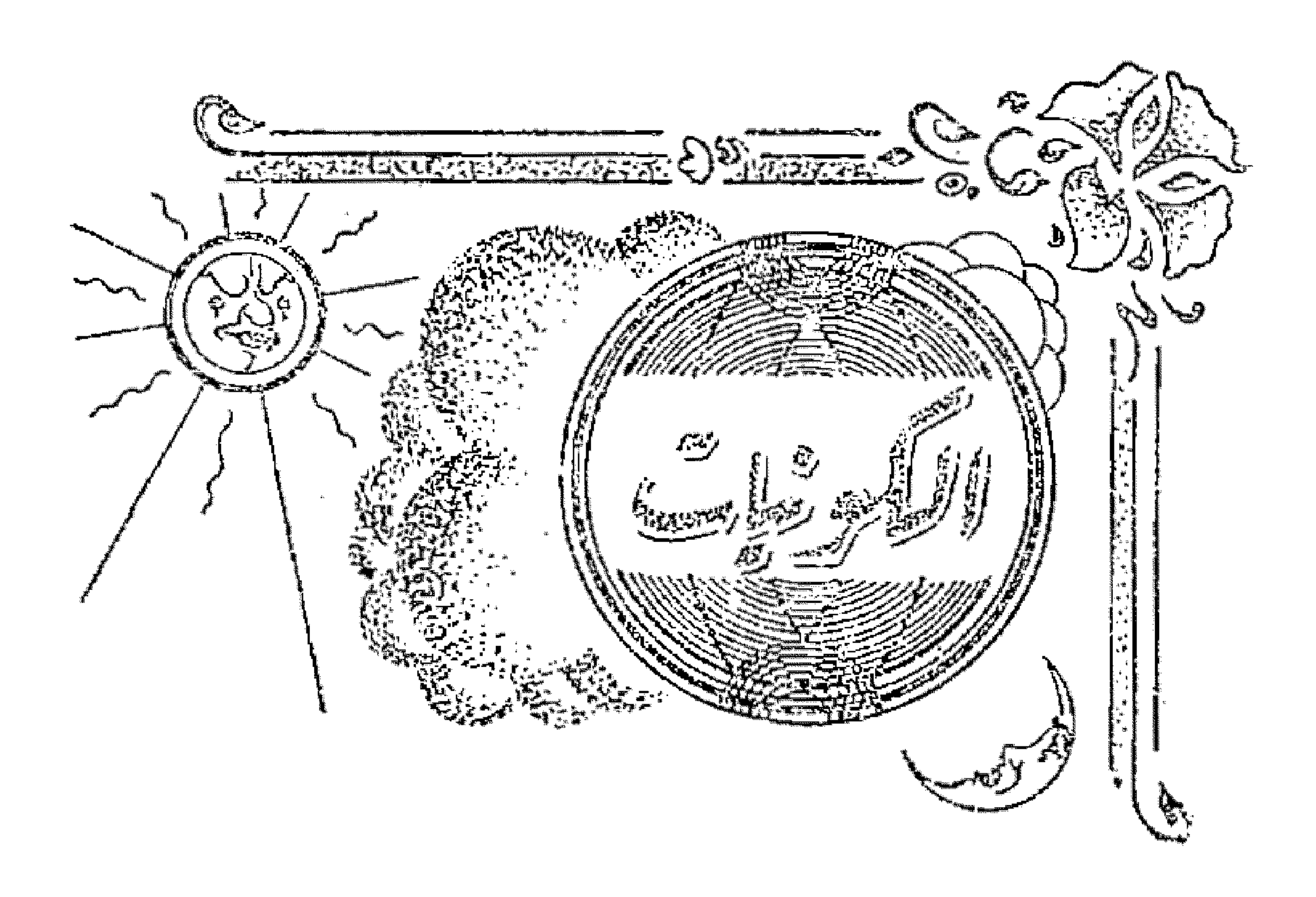
ولا يصح أن يُتهم الرُّصافىّ بمثل هذه التهمة . فإن الدخيل فى شعره قليل جداً كما ذكرنا . بينما الفصيح أو الغريب كثير .

من ذلك كلمات (مُسْكوئد) أى (أرعش) من الكبر . (الحشام) الأنف (آزمتا الذئب) . نابآه (تمزّع) . تسرع . (عجار) . المصارع الذى لا يُطاق . (شحا بفمه) . فتحه أشد فتح (الألال) . الباطل . (السعار) . شدة الجوع . (مخلبة الشرب) . ماء فيه حَمأة . وغير ذلك من فصيح اللغة . الذى تجد منه فى القصيدة الواحدة من قصائده كلمات قليلة . لا تتجاوز البضع . وقد لا تجد شيئاً منه أصلا . وفى استعمالها مع توطئة السياق لفهمها . نشرٌ للغة . وإحياء لغريبها . وهو طريق من طرق تنميتها . وتوسيع دائرة التخاطب بها .

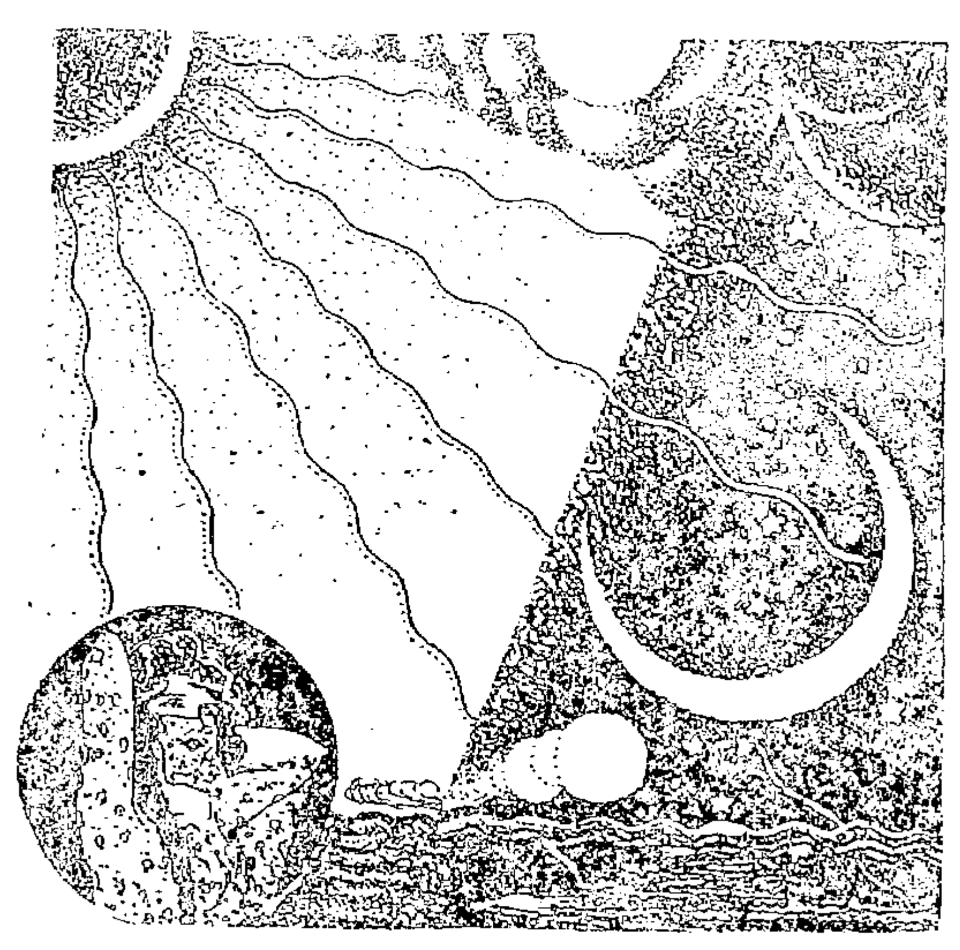
* * *

هذه كلمة فى الرَّصافىّ وشعره . أسوقها بين يَدَىْ ديوانه . وأنا خَجِل من تفاهتها . وقلة فائدتها .

الطغرلى


الكونيّات

في مشهد الكائنات



جمالك يا وجه الفضاء عجيب . . .

جمالُكَ يا وجهَ الفضاءِ عجيبُ وصدرُك يأبى الانتهاءَ رحيبُ

وعينُك في أمّ النجوم كبيرة تضيء على أنّ الضياء لهيب[1]

وما زلتَ تُغضيها فنُخطِىء قصدَنا وتفتحها برّاقةً فنُصيب[2]

فيحمرّ منها في الغَديّة مَطلَع ويصفر منها في العشيّ مَغيب

ويخلفها البدر المنير حفيدُها وعنها إذا جَنّ الظلامِ ينوب[3]

---

(١) لما أثبت للفضاء وجها وصدرا في البيت الأول ، ناسب أن يعبر عن الشمس التي في الفضاء بقوله : وعينك . العين لفظ مشترك بين الشمس والباصرة . أم النجوم : المجرة ، و«على» في البيت للمصاحبة بمعنى مع .

(٢) يقال أغضى الرجل عينه : أي طبق جفنيها . والضمير من تغضيها عائد إلى العين التي هي بمعنى الشمس في البيت المتقدم ، وأراد بإغضائها إخفاءها عند الغروب .

(٣) الحفيد : ولد الولد . وجعل البدر حفيدا للشمس ، لأنه منفصل من الأرض المنفصلة من الشمس ، فهو منها بمنزلة ولد الولد .

وليلٍ كأنّ البدر فيه مليحة ... أغازلها والنيّراتُ رقيب

سريتُ به والبحرُ رَهوٌ بجانبي ... وردْنُ النسيم الغضُّ رطيب [١]

فشاهدت فيه الحسن أزهرَ مشرقًا ... له في العُلى وجهٌ أغرّ مَهيب

ورحت وأهل الحيّ في قبضة الكرى ... وفي الليل صمتٌ بالسكون مَشوب [٢]

فكنت كأني أسمع الصمت ساريًا ... له بين أحشاء الفضاء دبيب [٣]

ولو أنّ صمت الليل لم يك مُطربًا ... لَما هزّ أعطافَ النسيم هبوب

* * *

ألا إنّ وجه البحر بالنُّور ضاحكٌ ... طليق وثغر الماء فيه شَنيب [٤]

ترقرق منسابًا به الماء والسنى ... فلم أدرِ أيّ اللّامعين يَسيب [٥]

وللبدر نورٌ يمنح البحرَ رونقًا ... فيبدو كأن الماء فيه ضريب [٦]

إذا جمّش البحرَ النسيمُ تهلّلت ... أساريرُ فيها للضياء وثوب [٧]

وقفتُ ولألاء السنى يستخفّني ... فتطرب نفسي والكريم طروب

* * *

أُردد بين البدر والبحر ناظري ... فيصعد طرفي مرة ويصوب

---

(١) سريت به : أى فيه . رهو : أى ساكن .

(٢) معنى أنهم فى قبضة الكرى : هو أن النوم مستولى عليهم أى هم نائمون . وأراد بالصمت عدم الصوت ، وبالسكون عدم الحركة . ومعنى كون الصمت مشوبا ، أى مخلوطا بالسكون ، أنه ليس هناك صوت ولا حركة .

(٣) أراد بقوله أسمع الصمت أى أدركه بواسطة السمع . وذلك أن المرء إذا أصاخ فى الليل فلم يسمع صوتا ولا حركة ، أدرك أن فى الليل صمتا ، ولا غرابة فى ذلك ، لأن الصمت ليس بعدم محض ، وإنما هو عدم الصوت أو الكلام ، فبهذا تبين لك معنى قوله أسمع الصمت .

(٤) يقال : ثغر شنيب ، أى فيه شنب ، وهو ماء ورقة فى الأسنان .

(٥) ترقرق . أى جرى جريا سهلا ، ومنسابا أى متدافعا فى جريه ، والسنى : النور . ويسيب : يجرى ذاهبا كل مذهب .

(٦) يمنح : يعطى . ورونقا أى حسنا وإشراقا . والضريب : الجليد والصقيع .

(٧) التجميش الملاعبة ، يقال جمش الجارية إذا لاعبها وداعبها بالقرص ونحوه . وتهللت : تلألأت . والأسارير : الخطوط التى تكون فى جبهة الانسان ، شبه خطوط الأمواج الصغيرة بخطوط الوجه ، أى بالأسارير ، وقال إنها تتلألأ بسبب ملاعبة النسيم للبحر . فتلوح أشعة النور متواثبة بين تلك الأسارير .

تأمّلت فى حسن العوالم مَوْهِنا ... فجاش بصدرى الشعرُ وهو نسيبُ (١)
كأنّى وعُلْوِىّ العوالم عاشق ... أطلّ من الأعلى عليه حبيب
فقام له مُستشرِفا ويمينه ... تشد ضلوعا تحتهنّ وَجيب (٢)
ولمّا رأيت الكون فى الأصل واحدًا ... عجبتُ لأنّ الخلق فيه ضروب
ألا إنّ بطنًا واحدًا أنتج الورى ... كثيرين فى أخلاقهم لرغيبُ (٣)
وإنّ فضاء شاسعًا قد تضاربت ... بأبعاده أيدى القُوَى لرَهيبُ
وإنّ اختلاف الآدميّين سِيرَةً ... وهم قد تساووا صُورةً لعجيب
وأعجب ما فى الكائنات ابن آدم ... فما غيره فى الكائنات مُريب
يذمّم فعل السوء وهو حليفه ... ويحمد قول الصدق وهو كذوب

* * *

رأيتُ الورى كلًّا يراقب غيرَه ... فكلٌّ عليه من سواه رقيب
ومن أجْل هذا قد ترى كلّ فاعل ... إلى الناس فى كلّ الفعال يُنيب (٤)
فكم حَمَلٍ فى مجمع القوم يتّقى ... به ثعلب عند الخَلاء وذيب (٥)
ولو باح كلٌّ بالذى هو كاتمٌ ... لما كان فى هذا الأنام أديب
وليس يجدّ المرء إلّا تكلّفا ... وذاك لأن الطبع فيه لَعوب
ويجتنب المرءُ العيوب لأنّها ... لدى عائبيه لا لديه عيوب
رياء قديم فى الورى شَقيت به ... قبائل منهم جمّة وشعوب

(١) الوهن : وقت الوهن من الليل ، ويكون نحو نصف الليل ، وهو فى البيت منصوب على الظرفية . وجاش : بمعنى هاج . والنسيب : هو الشعر الرقيق فى النساء .

(٢) مستشرفا : أى منتصبا رافعا بصره باسطا كفه فوق حاجبه كالمستظل ، وكذلك يفعل الناظر إذا نظر إلى شىء مرتفع أو بعيد . والوجيب : خفقان القلب واضطرابه .

(٣) رغيب : أى واسع ، يقال هو رغيب البطن ، أى واسع الجوف .

(٤) ينيب . يرجع أى لما كان كل من الناس رقيبا على غيره مترصدا لسواه ، صار كلّ واحد منهم ينيب فى أفعاله إلى الناس ، ليدفع عنه بذلك سوء ظنهم به ، ومن هنا نشأ فيهم الرياء والتمويه ، كما فسر ذلك فى البيت الذى يليه .

(٥) الباء فى قوله يتقى به : للسببية أو للتجريد ، مثلها فى قولك : لقيت بزيد أسدا .

وربّةَ أخلاقٍ يراها خبيثةً ... أناسٌ وعند الآخرين تطيب

وحِلم الفتى عند الضعيف فضيلة ... ولكنّه عند القويّ مَعيب

٭ ٭ ٭

وقد يَفترى المالُ الفضائل للورى ... وليس لهم ممّا افتراه نصيب[1]

وللفقر بين الناس وجهٌ تبيّنتْ ... به حسنات المرء وهى ذنوب

لقد أحجم المثرِى فسمّوه حازمًا ... وأحجم ذو فقرٍ فقيل هيوب

وإن يتواضع معدم فهو صاغر ... وإن يتواضع ذو الغنى فنجيب

وذو العُدم ثرثارٌ بكثر كلامه ... وذو الوُجد منطيق به ولبيب

وللناس عادات كثير تقودهم ... فكل امرىء منهم لهنّ جنيب

وهنّ إذا ما يأكلون أكيلُهم ... وهنّ إذا ما يشربون شَريب

أبوا أن يحيدوا ضَلّة عن طريقها ... وإن مسّهم من أجلهنّ لُغوب

هى الداء أعيا الأوّلين فهل له ... على عُقمه فى الآخرين طبيب ؟

---

(١) يفترى المالى الفضائل : أى يختلقها ، فكأنه جعل فضائل الأغنياء كذبا محضا تفتريه أموالهم . ومعنى قوله « وليس له مما افتراه نصيب » : أنهم براء من هذا الافتراء ، إذ ليس لهم نصيب من الفضائل .

العالم شـــعر *



وما المرء إلا بيت شعر . . .

قرأتُ وما غير الطبيعة من سِـفرٍ صحائفَ تحوى كل فن من الشـعرِ [١]

أرى غُرَرَ الأشـعار تبدو نضيدةً على صفحات الـكون سطراً على سطر [٢]

وما حادثات الدهر إلا قصائد يفوه بهـــــا للسامعين فم الدهر

وما المرء إلا بيت شعر عروضه مصائب لـكن ضربه حُفرة القبر [٣]

تنظمنا الأيام شـــعراً وإنما تردُّ المنايا ما نَظَمن إلى النثر [٤]

(*) من الديوان الأول . (١) السفر : الـكتاب . (٢) نضيدة : منسقة .

(٣) العروض فى علم الشعر . الجزء الأخير من الشطر الأول من البيت ؛ والضرب . الجزء الأخير من الشطر الثانى . ومعنى البيت أن الإنسان أوله المصائب وآخره الموت .

(٤) النثر : التفريق .

فمنّا طويل مُسهَبٌ بحر عمره ومنا قصير البحر مختصَر العمر (١)
وهــذا مديح صِيغ من أطيب الثنا وذاك هجاء صِيغ من مَنطق هُجر (٢)

* * *

ورُبَّ نيام فى المقابر زرتهم بمُنهلِّ دمع لا يُنَهْنَهُ بالزجر (٣)
وقفت على الأجداث وقفــة عاشق على الدار يدعو دارس الطلل القفر (٤)
فما سال فيض الدمع حتى قرنته إلى زفَرات قد تصاعدن من صدرى
أسكان بطن الأرضِ هلّا ذكرتم عهودًا مضت منكم وأنتم على الظهر
رضيتم بأكفان البِلى حُللًا لكم وكنتم أولى الديباج والحُلَل الحمر
وقد كنتُمُ تؤذِى الحشايا جنوبَكمْ فكيف رقدتم والجنوب على العَفْر (٥)
إلا يا قبورا زرتها غـير عارف بها ساكنَ الصحراء من ساكن القصر (٦)
لقد حار فكرى فى ذويكِ وإنه ليحتار فى مثوى ذويك أولو الفكر (٧)
فقلت وللأجداث كَفٌّ مشيرة ألا إن هذا الشعر من أفجع الشعر (٨)

* * *

وليلٍ غـــــدا فىَّ الجناحين بتُّه أسامر فى ظلمائه من واقع النسر (٩)
وأقلع من سفن الخيـــال مَراسيًا فتجرى من الظلماء لُجَج خُضْرِ (١٠)

---

(١) مسهب : طويل . (٢) الهجر : القبيح من الكلام .
(٣) انهل الدمع : سال . لاينهنه : لايكف .
(٤) الأجداث : القبور . درس المكان : امحى . والطلل : مابقى من آثار الديار .
(٥) الحشايا : جمع حشية وهى الفراش المحشو . العفر : التراب .
(٦) الصحراء : الأرض الفضاء لاشىء فيها .
(٧) المثوى : المقام . (٨) أفجع . أوجع .
(٩) غدا فى الجناحين : أسودها . نسبة إلى الغداف وهو الغراب . النسر : اسم لنجمين ، يقال له النسر الواقع ، والآخر يقال له النسر الطائر . وفى البيت تورية لاتخفى .
(١٠) لجج : جمع لجة ؛ وهى فى الأصل معظم الماء . خضر : سود ، يقال أخضر بمعنى أسود ، والخضرة والسواد يستعمل كل منها مكان الآخر .

أرى القبـــة الزرقاء فوقى كأنها ... رُواق من الديباج رُصّع بالدر [(١)]

ولولا خروق فى الدجى من نجومه ... قبضت على الظلماء بالأنمل العشر [(٢)]

خليلىَّ ما أبهى وأبهج فى الرُّؤى ... نجوما بأجواز الدجى لم تزل تسرى [(٣)]

إذا ما نجوم الغرب ليلا تغوَّرت ... بدت أنجم فى الشرق أخرى على الإثر [(٤)]

تحوَّلت من حسن الكواكب فى الدجى ... وقبح ظلام الليل فى العُرف والنُّكر [(٥)]

إلى أن رأيت الليل ولَّت جنوده ... على الدُّهم يقفو إثرها الصبح بالشُّقْر [(٦)]

فيالك من ليل، قرأت بوجهه ... نظيم البها فى نثر أنجمه الزهر

فقلت وطرفى شاخصٌ لنجومه ... ألا إن هذا الشعر من أحسن الشعر

* * *

ويومٍ به استيقظت من هجعة الكرى ... وقد قدَّ درعَ الليل صَمصامةُ الفجر [(٧)]

فأطربنى والديك مُشجٍ صياحه ... ترنمُ عصفور يزقزق فى وكر [(٨)]

ومما ازدهى نفسى وزاد ارتياحها ... هبوبُ نسيم سَجْسَج طيب النشر [(٩)]

فقمت وقام الناس كلٌّ لشأنه ... كأنا حجيج البيت فى ساعة النفْر [(١٠)]

وقد طلعت شمس النهار كأنها ... مليك من الأضواء فى عسكر مَجْر [(١١)]

---

(١) القبة الزرقاء : السماء . الرواق : سقف فى مقدم البيت . أو هو الخيمة .

(٢) الدجى : الليل . وأراد بالأنمل الأصابع ؛ وهى فى الأصل رءوسها .

(٣) الرؤى : النظر . أجواز الدجى أوساط الليل . (٤) تغورت : غابت .

(٥) تحولت : كذا بالجيم ؛ كما فى الأصل؛ ولم أجد هذه الصيغة فى مادة (جال) . ولو روى بالحاء المهملة لكان أحسن وأوفى بالمراد .

(٦) الدهم : جمع أدهم ؛ وهو الأسود من الخيل . يقفوا إثرها : يتبعها . الشقر : جمع أشقر . والشقرة فى الخيل : حمرة صافية يحمر معها العرف والذنب ؛ وأراد بالدهم : الظلمات ، وبالشقر . أشعة الشمس مجازا .

(٧) الهجعة : من الهجوع وهو النوم . الكرى : النعاس . قد : شق . والمراد بدرع الليل ظلمته . الصمصامة : السيف ، والمراد بصمصامة الفجر : شعاعة . (٨) مشج : مطرب .

(٩) ازدهى نفسى : استفزها . ريح سجسج : لينة الهواء، معتدلة النشر : الرائحة .

(١٠) الحجيج : الحجاج . والمراد بالبيت البيت الحرام فى مكة . النفر : مصدر نفر الحجيج إذا اندفعوا من منى إلى مكة . (١١) المجر : الجيش العظيم .

بدت من وراء الْأُفق ترفُل للعلى ... رويدًا رويدًا فى غلائلها الحمر (١)
غدت ترسل الأنوار حتى كأنها ... تُسيل على وجه الثرى ذائب التبر (٢)
إلى أن جلت فى نورها رونقَ الضحى ... صقيلا وفى بحر الفضاء غدت تجرى (٣)
وأهدت حياة فى الشعاع جديدة ... إلى حيوان الأرض والنبت والزهر
فقلت مشيرًا نحوها بحفـــاوةٍ ... ألا إن هذا الشعر من أبدع الشعر (٤)

* * *

وبيضة خِدْر إن دعت نازح الهوى ... أجاب ألا لبيكِ يا بيضة الخِدْر (٥)
من اللاء يملكن القلوب بكلمة ... ويحيين مَيْت الوجد بالنظر الشَّزْر (٦)
تهادت ترينى البدر محدقةً بها ... أوانسُ إحداقَ الكواكب بالبدر (٧)
فلله ما قد هِجْنَ لى من صبابة ... ألفتُ بها طىَّ الضلوع على الجمر (٨)
تصافح إحداهن فى المشى تِرْبها ... فنحرٌ إلى نحرٍ وخَصْرٌ إلى خَصْر (٩)
مررن وقد أقصرت خطوى تأدُّبًا ... وأجمعت أمرى فى محافظة الصبر
فطأطأن للتسليم منهنَّ أَرْؤُسًا ... عليها أكاليل ضُفِرْنَ من الشعر
فألقيت كفى فوق صدرى مُسَلِّمًا ... وأطرقت نحو الأرض منحنىَ الظهر
وأرسلت قلبى خلفهن مُشَيِّعًا ... فراح ولم يرجع إلى حيث لا أدرى
وقلت وكفى نحوهن مشيرة ... ألا إن هذا الشعر من أجمل الشعر

---

(١) ترفل : تجر ذيلها وتتبختر . غلائلها : أراد بها ثيابهـا ، مفردها غلالة ، وهى شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع .
(٢) الثرى : الأرض والتراب والندى .
(٣) رونق الضحى : إشراقه وحسنه . صقيلا : مجلوا .
(٤) الحفاوة : التلطف والمبالغة بالاكرام .
(٥) أراد ببيضة الخدر : الجارية الحسناء ، لأنها مكنونة فى خدرها . نازح الهوى : نائية وذاهبة
(٦) اللاء : اللاتى . الوجد : الحب . النظر الشزر : هو نظر فيه إعراض ، أو نظر الغضبان بمؤخر العين ، أوالنظر عن يمين وشمال ، وهذا التفسير أقرب لمعنى البيت.
(٧) أحدق بالشىء : أحاط به . (٨) هجن : هيجن . الطى : مصدر طوى.
(٩) يقال هذا ترب فلان ، وهذه ترب فلانة ، إذا كانت على سنها ، وأكثر ما يستعمل فى المؤنث . النحر : موضع القلادة من العنق.

ومائدةٍ نسجُ الدِّمقس غطاؤها   بمجلس شبانٍ هُمُ أنجمُ العصرِ (١)
رَقِى من أعاليها الفنغراف منبرا   محاطًا بأصحـــاب غطارفة غُرِ (٢)
وفى وسَط النـــادى سراج منوِّر   فتحسبه بدرًا وهم هالة البدرِ (٣)
فراح بإذن العـــلم يَنْطِق بقولا   عرفنا بهأن البيـــان من السحر
فطورًا خطيبًا يحزن القلب وعظه   وطورًا يَسُرُّ السمع بالعزف والزمرِ (٤)
يفوه فصيحًا باللُّغا وهو أبكَمٌ   ويسمع ألحان الغنا وهو ذو وَقْرِ (٥)
أمين أبى التدليس فى القول حاكيًا   فتسمعه يروى الحديث كما يجرى (٦)
تراه إذا لقنتـــه القـــول حافظًا   تمر الليـــالى وهو منه على ذُكرِ (٧)
فيالك من صـــنع به كل عاقل   أقر لأديسونَ بالفضل والفخرِ (٨)
فقلت وقـــد تمت شقاشق هدره   ألا إن هذا الشعر من أعجب الشعرِ (٩)

° ° °

وأصيدَ مأثورِ المكارم فى الورَى   يريك إذا يلقاك وجه فتى حُرِ (١٠)
يروح ويغـــدو فى طيالسة الغنى   ويقضى حقوق المجد من ماله الوَفْرِ (١١)
تخـــوَّنه ريب الزمان فأولِعَتْ   بإخـــلاقها ديباجتيهِ يدُ الفقرِ (١٢)

---

(١) الدمقس : الديباج والحرير الأبيض .   (٢) الغطارفة : السادة .

(٣) الهالة : دارة القمر ، كالطفاوة لدارة الشمس .

(٤) العزف : الضرب بالمعازف ، وهى آلات الطرب .

(٥) اللغا : اللغات ، وهى جمع لغة . الوقر : الصمم ، وهو ذهاب السمع .

(٦) التدليس فى الحديث : هو أن لايذكر المحدث فى حديثه من سمعه منه ، ويذكر من هو أعلى ممن حدثه ، يوهم أنه سمعه منه . والمدلس لا يقبل حديثه .

(٧) الذكر ، بضم الذال : التذكر .   (٨) أديسون : هو مخترع الصدى « الفنغراف »

(٩) تمت شقاشق هدره : سكت . والشقشقة فى الأصل : لهاة البعير ، وقيل شىء كالرئة يخرجه من فيه إذا هاج ، ويقال للفصيح : هدرت شقشقته .

(١٠) الأصيد : الرجل الذى لايلتفت من زهوه وخيلائه .

(١١) طيالسة : جمع طيلسان ، وهو نوع من الثياب يلبسه الخواص . الوفر : الكثير .

(١٢) أولع به بالبناء المجهول : علق به شديداً . الإخلاق : مصدر . أخلق الثوب : أبلاه . ديباجتيه : خديه . ومعنى البيت : خانه الزمان ، وعلقت به يد الفقر ، فوضعت من شرفه ، وذلت خديه بعد أن كانتا مصعرتين .

فأصبح في طُرْق التصعلك حائرًا ... يجول من الإملاق في سَمَلٍ طِمْرِ[١]

كأن لم يَرُحْ في موكب العز راكبًا ... عِتاق المَذاكي مالك النهى والأمرِ[٢]

ولم تزدحم صِيدُ الرجال ببابه ... ولم يَغْمُرِ العافين بالنائل الغَمْرِ[٣]

فظل كئيب النفس ينظر للغنى ... بعين مُقِلٍّ كان في عِيشة المُثْرى[٤]

إلى أن قضى في علة العُدم نَحْبه ... فجهّزَهُ من مالهم طالبو الأجرِ[٥]

فرُحتُ ولم يُحْفَل بتشييع نعشه ... أشيعه في حامليه إلى القبر

وقلت وأيدى الناس تحثو ترابه ... ألا إن هذا الشعر من أفجع الشعر[٦]

* * *

ونائحةٍ تبكى الغداة وحيدَها ... بشجو وقد نالته ظلمًا يد القهرِ[٧]

عزاه إلى إحدى الجنايات حاكم ... عليه قضى بُطْلًا بها وهو لا يدرى[٨]

فويل له من حاكم صُبَّ قلبه ... من الجوْر مطبوعًا على قالب الغدر

من الروم أما وجهه فمشوّه ... وَقاح وأما قلبه فمن الصخر[٩]

أضرّ بعفّ الذيل حتى أمضّه ... ولم يلتفت منه إلى واضح العذر[١٠]

تخطّفه في مِخلب الجور غِيلةً ... فزجَّ به من مظلم السجن في القعر

تنوء به الأقياد إن رام نهضة ... فيشكو الأذى والدمع من عينه يجرى[١١]

---

(١) التصعلك: الافتقار. الاملاق: الفقر. سمل طمر: ثوب بال.

(٢) المذاكى: الخيل التى تم سنها وكملت قوتها.

(٣) صيد: جمع أصيد وقد تقدم معناه. يغمر: يبالغ فى الاحسان. العافين: الفقراء. النائل الغمر: العطاء الكثير

(٤) المقل: ضيق ذات اليد. والمثرى: الغنى ، (٥) العدم: الفقر.

(٦) تحثو ترابه: تصبه. (٧) الشجو: الحزن.

(٨) عزاه: نسبه. (٩) وقاح بفتح الواو: ذو وقاحة ، يطلق على المذكرات والمؤنث،

(١٠) عف: عفيف.

(١١) المخلب: هو فى الأصل ظفر كل سبع من الماشى والطائر. غيلة ، يقال قتله غيلة: أى خدعة فذهب به إلى موضع فقتله. زج به: طرحه.

(١٢) تنوء به: تثقله. الأقياد: جمع قيد.

تناديه والسجانُ يكثر زجرها ... عجوز له من خلف عالية الْجُدْر [1]

بُنَيَّ أظنّ السجنَ مسَّكَ ضرُّه ... بُنَيَّ بنفسي حلَّ ما أصابك من ضُر

بُنَيَّ استعن بالصبر ما أنت جانياً ... وهل يخذل الله البرىء من الوزر [2]

فجئت أعاطيها العزاء وأدمعى ... كأدمعها تنهلّ منى على النحر

وقالت وقد جاشت غوارب عَبرتى ... ألا إن هذا الشعر من أقتل الشعر [3]

تجاه اللانهاية

أَبْعَدَ الدهر فى الفضاء مَكَرَّهْ ... عالقاً فى مكرّه بالمجرّهْ

إن أم النجوم بنت زمانٍ ... لم تزل حادثاته منتمرهْ

فى فضاء لو سافر البرق فيه ... أَلْفَ قرن لَمَا أتى مُستقرّهْ

ولو الشمس ضوعفت ألف ضعف ... لم تكن فى أثيره غير ذَرَّهْ

ولو الفكر غاص فيه مُغِذًّا ... لم يكن بالغًا يدَ الدهر قعرَهْ

سعة تحسب المجرّة فيها ... حلقةً أُلقيت بصحراء قفرَهْ

يقف الفكر دونها مُكوئِدًا ... مقشعرًا وتأخذ العقل حَيْرَهْ

لو أضفنا إلى الفضاء فضاء ... مثله لم تزد ولا قِيدَ شعره

إن تكن هذه المجرّة نهرًا ... مستفيضًا فشمسنا منه قطره

أو تكن أرضنا من الشمس جزءًا ... فهى سِقْطٌ من جمرة مستحره

إن تسائل عنا فنحن هباءٌ ... ذَرَّ من صنعة القوَى بمذرّه

صادفتنا أشعة من حياة ... فظهرنا وهل لأول مرّه

كل من جاوز الأشعة منا ... فهو هاوٍ فى ظلمة مكفهره

فعلام الحقود يضمر حقدًا ... وعلام الجهول يظهر كبره

---

(١) الجدر : جمع جدار . (٢) الوزر : الذنب .

(٣) جاشت : فاضت . غوارب الماء : أعالى موجه . العبرة : الدمعة .

من أين وإلى أين ؟

من أين من أين يا ابتدائى ... ثم إلى أين يا انتهائى ؟

أمن فنـاء إلى وجود ... ومن وجود إلى فنـاء ؟

أم من وجود له اختفاء ... إلى وجود بلا اختفاء ؟

خرجت من ظلمة لأخرى ... فمـا أمامى وما ورائى ؟

ما زلت من حيرة بأمرى ... معانق اليـأس والرجاء

إن طريق النجـاة وعر ... يكبو به الطِّرْف ذو النَّجاء [1]

يا قوم هل فى الزمان نَطْس ... يَهدى إلى ناجع الدواء [2]

لأيِّ أمر ذهِ الليـالى ... تأتى وتمضى على الولاء ؟ [3]

فتطلع الشمس فى صباح ... وتغرب الشمس فى مساء

أرى ضياء يروق عينى ... ولست أدرى كنه الضياء [4]

وما اهتزاز الأثير إلا ... عُلالة نزرة الجـلاء [5]

نحن على رغم ما علمنا ... نعيش فى غيهب العماء [6]

نشرب ماء الظنون عبًّا ... فلم نعد منـه بارتواء [7]

تأتى علينا مشـاهدات ... نروح منهنَّ فى مِراء [8]

---

(١) الطرف : الكريم من الخيل . النجاء : الاسراع والسبق .

(٢) النطس : الطبيب الحاذق .

(٣) ذه : اسم إشارة بمعنى هذه . على الولاء : متتابعة دون فصل .

(٤) كنهه : حقيقته . والشطر الثانى من البيت فيه استعمال فاعلن على وزن مفعولن وقد درج على ذلك بعض الشعراء فى مخلع البسيط ، غير أن علماء الفن لم يذكروا ذلك ، وفى هذه القصيدة عدة أبيات كذلك .

(٥) الأثير فى اصطلاح العلم : شىء ألطف من الهواء ، مملوء به الفضاء . العلالة : هى ما يتعلل به ويتلهى . نزرة الجلاء : قليلة الوضوح . يقولون إن الضياء حاصل من اهتزاز الأثير ، والشاعر يقول إن قولهم هذا قليل الوضوح ، فهم يتلهون بهذا التفسير ، لأنهم لم يدركوا الحقيقة .

(٦) الغيهب : الظلمة .

(٧) عب الماء عباً : شربه بلا تنفس . (٨) المراء : الخلاف والجدل .

وكم نرى فعل فاعلات … من القوى وهى فى الخفاء[١]

يا ويلة الحس إنه عن … حقيقة الأمر فى غطاء

فإن أجزاء كل جسم … مبتعدات بلا التقاء

وفى دُقاق الجماد عَرك … يتهم الحس بالخطاء[٢]

* * *

يا قوة الجذب أطلقينى … من ثِقلة أوجبت عنائى

لولاك لولاك يا شكالى … لطرت كالنور فى الفضاء[٣]

أنتِ عماد السماء لكن … خفيت عن عين كل راء

ربطتِ كل النجوم فيها … بعضًا ببعض ربط اعتناء

فدُرنَ فى الجوّ جاريات … كأنها السفن فوق ماء

نحن بنى الأرض قد علمنا … بأننا من بنى السماء

لو كنت فى المشترى لبانت … أرضى سماء بلا امتراء[٤]

فليس فوق وليس تحت … ولا اعتلاء لذى اعتلاء

وإنما نحن فوق نجم … نحيا محاطين بالهواء

فليت شعرى أىّ ارتقاء … للروح يبقى أىُّ ارتقاء

وأنت يا كهرباء سرٌّ … بدا وما زال فى غِشاء[٥]

عجائب الكون وهى شتّى … فيك انطوت أيّما انطواء[٦]

أضأت إن شئت كل داج … لنا وأدنيت كل ناء[٧]

فأنت للكائنات روح … إن كانت الروح للبقاء

---

(١) القوى : جمع قوة ، وأراد بها القوى الطبيعية .

(٢) أراد بدقاق الجماد : ذراته ، وذرات كل شىء ، على ما حققه العلم ، فى حراك مستمر ، مع أن الحس فى الظاهر يدركها ساكنة ، وهذا معنى قوله يتهم الحس بالخطاء .

(٣) الشكال : الوثاق يقيد به .

(٤) المشترى : أحد النجوم السيارة .

(٥) غشاء : غطاء .

(٦) شتى : متفرقة .

(٧) داج : مظلم . أدنيت : قربت . ناء : بعيد .

وكم تقاضاكِ فيلسوف ... حقيقةً صحيحة الأداء[١]
فقال والقول منه ظن ... ما تكون إلا بالكهرباء

٭ ٭ ٭

وليلةٍ بتُّها أنادى ... نجومها أبعد النداء
آخذ منهن بالتدانى ... فكرًا ويأخذنَ بالتنائى
فأنثنى باكيًا بشعرى ... ويطرب الليل من بكائى
وربما كرَّ بعد وهْن ... فكرى فألقى بعض الشفاء[٢]
فأرجع القهقرى أغنِّى ... وما سوى الشعر من غناء
أقول والنَّسر فوق رأسى ... وطالع النجم فى إزائى[٣]
يأيها الأنجم الزواهى ... لله ما فيكِ من بهاء
أما كفاكِ السنى جمالًا ... حتى تجللت بالسناء[٤]
يا أنجم النعش فاصدقينى ... أمات ذو النعش بانطفاء[٥]
إنى إذا كنت فى حداد ... إليك أهدى حسن العزاء
وأنتَ يا نسر من كلال ... وقعت أم طِلْبة الغذاء[٦]
أخوكَ هل طائر لوكر ... أم قاصد منتهى القضاء[٧]
كأن أم النجوم سيف ... سُلَّ على الليل ذو مَضاء[٨]
رُصِّع متناه بالدرارى ... فراق فى الحسن والرُّواء[٩]
كأن نجم السُّها أديب ... فى أرض بغداد ذو ثَواء[١٠]

---

(١) تقاضاك : طلبك . (٢) الوهن : الضعف .
(٣) النسر : اسم كوكب . النجم : الثريا . إزائى : مقابلى .
(٤) السنى : الضوء . السناء : الرفعة .
(٥) أنجم النعش : هى الأنجم التى تسمى بنات نعش : ذو النعش : هو الميت .
(٦) أراد بالنسر : الواقع ، وهو اسم نجم . الكلال : التعب .
(٧) أخوك : خطاب النسر الواقع ، وأخوه هو النجم المعروف بالنسر الطائر .
(٨) ذو مضاء : حاد قاطع . (٩) متناه : جانباه . الرواء : حسن المنظر
(١٠) السها : نجم خفى تمتحن الأبصار برؤيته . الثواء : الاقامة .

كأن خط الشهاب مُدلٍ لأسفل البئر بالرِّشاء (١)
كأنما أنجم الثريا فى شكلها الباهر الضياء
قفّاز كفٍّ به فصوص من حجر الماس ذى الصفاء (٢)

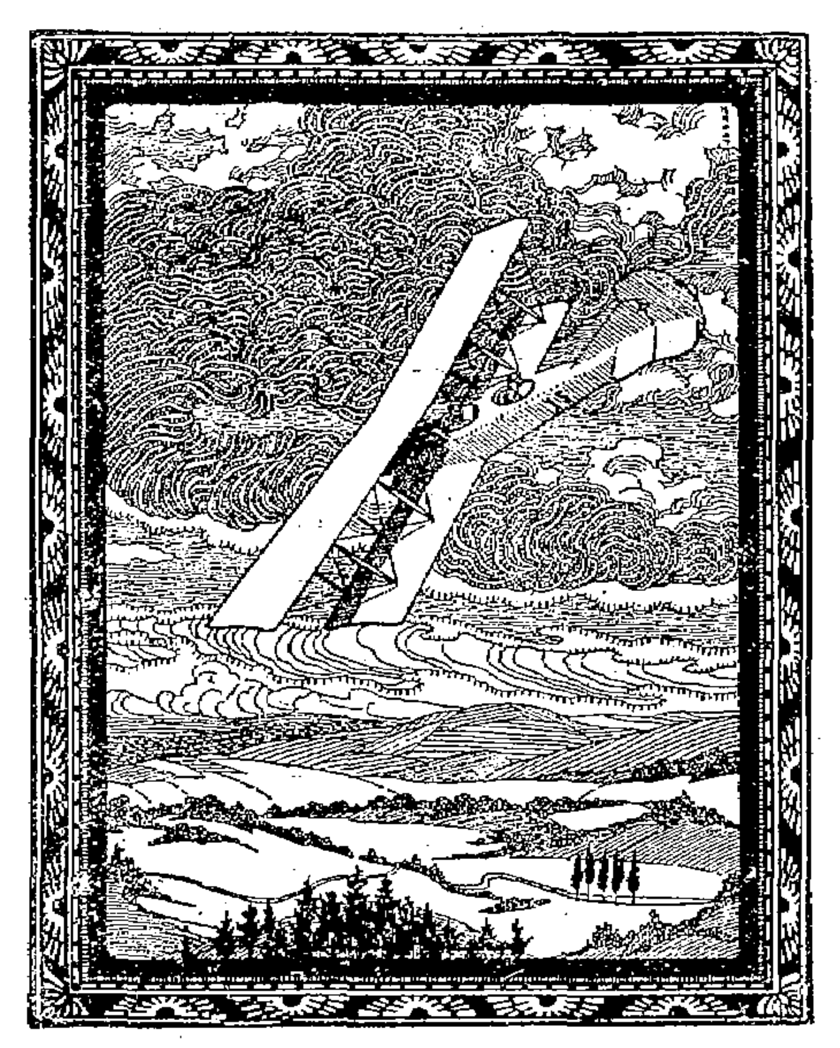
* * *

برئت للموت من حياة ما نُكِّبَت مَهيعَ الشقاء (٣)
لم يكفها أنها احتياج حتى غدت حَومة البلاء
يأيها المترف المهنّا يمرح فى ثوب كبرياء (٤)
مهلًا أخا الكبر بعضَ كبر ألست تَفْنَى بعض الحياء
أنت ابن فقر إلى أمور بهنَّ تُدعى يا بن الثراء (٥)

---

(١) مدل : من أدلى الدلو أو الحبل إذا أرسله فى البئر . الرشاء : الحبل .
(٢) القفاز : لباس اليد ، وهما قفازان . الفصوص : جمع ، فص بفتح الفاء وضمها وكسرها ، وهو مايركب فى الخاتم من المعادن كالياقوت والماس ونحوها .
(٣) نكبت : مجهول نكبه الطريق ، بمعنى نحاه وأبعده عنها . المهيع : الطريق .
(٤) المترف : المنعم . (٥) الثراء : الغنى .

نحن على منطاد



نحن من أرضنا على منطاد . . .

نحن من أرضنا على مُنْطادِ   جائل فى شواسع الأبعادِ[1]

طائرٍ فى الفضاء عرضًا وطولًا   بجَناحٍ من القوى غير بادِ[2]

أيها الأرض سرت سيرك مَثْنَى   ذا نِتاجين فى زمان أُحادِ[3]

فتقلّبت فى نهار وليـــل   ذا مُضِلٌّ وذاك للناس هادِ

---

(١) المنطاد : هو مايطار به فى الفضاء ، وهو مايسمونه « البالون » . جائل : اسم فاعل من الجولان . الشواسع : البعيدة ، من شسع المكان بمعنى بعد . الأبعاد : جمع بعد .

(٢) غير باد : غير ظاهر .

(٣) إنما كان سير الأرض مثنى ، لأن لها فى الزمان الواحد دورتين ، تنتجان نتاجين ، دورة ينتج عنها اختلاف الليل والنهار ، وهذه تتمها بأربع وعشرين ساعة ، ودورة ينتج عنها اختلاف الفصول ، وهذه تتمها فى سنة كاملة .

فى بلادٍ يكون سيرك تأويـــــبًا من أنه سُرًى فى بلاد[١]

فيك دفعٌ وفيك ياأرض جذب ... لكِ ذا سائق وذا لكِ حادى ؟[٢]

فلك دائر على الشمس طورًا ... فى اقتراب وتارةً فى ابتعاد

ليت شعرى وماحصلت من الآ ... راء إلا على خلاف السداد

لبقاء تُقِلّنا الأرض فى تســـيارها أم تقلنـا لنفـاد ؟[٣]

نحن فى عالمٍ تَقَصَّف فيه ... عارض النائبـــات بالإرعاد[٤]

شأننا العجز فيه نوجد أنَّى ... قذفتنا يد الخطوب الشداد

ضاع جَذر الحياة عنا فخِلنا ... أنها كالأصمِّ فى الأعداد[٥]

شغلتنا الدنيا بلهوٍ ولعِب ... فغفلنا والموت بالمرصاد

ضلَّ من رام راحةً فى حياة ... نحن منها فى معرك وجلاد[٦]

إنما هـــذه الحياة جروحٌ ... أثخنتنا والموت مثل الضِّماد[٧]

كلُّ أمر يهون إن أطلقت أر ... واحنا المُوثَقاتُ بالأجساد

لا تلمنى إذا جَزِعت فإنى ... ما ملكت الخيار فى إيجادى

طال عتبى على عِدات الليالى ... مذ ما طال مَطْلها بمرادى[٨]

كدّرت عيشىَ الحوادث حتى ... لا أرى الصفو غير وقت الرقاد[٩]

---

(١) التأويب : السير جميع النهـار . السرى : السير فى الليل . يقول : أيها الأرض إن سيرك النهارى فى بلاد هو فى الوقت نفسه سير ليلى فى بلاد أخرى ، وذلك لأن الكرة يكون نصفها مضيئا وهو مايقابل نور الشمس ، النصف الآخر يكون مظلما وهو مالا يقابلها . وبمقدار ماتبعد الشمس من الأرض ترسل الظلام على قسم آخر .

(٢) حادى : من حدا الناقة إذا غنى لها لتجود فى السير . (٣) تقلنا : تحملنا.

(٤) العارض فى الأصل : السحاب الذى يعترض فى الأفق . النائبات : المصائب.

(٥) خلنا : ظننا . الأصم فى اصطلاح الحسابيين : هو العدد الذى لايؤخذ جذره ، بمعنى أنه لا يكون حاصلا من ضربه بنفسه كالخمسة والثلاثة والأحد عشر وغيرها . معنى البيت : أننا جهلنا أصل الحياة ، فظنناها لا أصل لها ، كالعدد الأصم الذى لاجذر له .

(٦) الجلاد : مصدر جالدوا ، بمعنى تضاربوا بالسيوف .

(٧) أثخنتنا : أوهنتنا وأضعفتنا ، الضماد : العصابة التى يربط بها موضع الجروح.

(٨) عدات : جمع عدة ، بمعنى الوعد . (٩) الرقاد : بمعنى النوم .

صاحِ ما دلَّ فى الأمور على الأشـــــكال إلّا تفحُّص الأضداد

فاعتبر بالسفيه تُمسِ حليماً ... وتعرّف بالغيّ طرْق الرشاد

واللبيب الذى تعلم إتيا ... نَ المعالى فى خِسة الأوغاد[1]

أيها الغِرّ لا تغرّك دنيا ... كَ بكون مصيره لفساد

خفَّ من غاص فى الغرور كما فى ... لجّة المـاء خفَّ ثِقل الجماد[2]

يا خليليَّ والخليل المُواسى ... منكما من يقوم فى إسعادى[3]

خاب قومٌ أتوا وغَى العيش عُزّلا ... من سلاحى تعاون واتحاد[4]

قد جفتنا الدنيا فهلّا اعتصمنا ... من جفاء الدنيا بحبل وِداد

لو عقلنا لَمَا اختشى قطّ محسو ... دون وقع الأذاة من حُساد

فمتاع الحياة أحقر من أن ... يستفزّ القلوب بالأحقاد

أنا والله لا أُريد بأن أُو ... قِعَ شرًّا ولو على من يعادى

إنَّ لى إن سمعت أَنَّة محزو ... نٍ أنينًا مُرَجَّعًا فى فؤادى

إن نفسى عن همها ذات شغلٍ ... بهموم العبـاد كلَّ العباد

لا أحب النسيم إلا إذا هبَّ ... عـلى كل حاضر أو باد

* * *

أيها الناس إن ذا العصر عصر الـ ... علم والجدِّ فى العُلى والجهاد

عصر حكم البخار والـكهربائيـ ... ـة و « الماكنات » والمُنطاد

بُنيت فيه للعـلوم المبـانى ... وأُقيمت للبحث فيها النوادى

فاض فيض العلوم بالرغم ممن ... ضربوا دونهنّ بالأسداد[5]

إن للعلم فى الممالك سيرًا ... مثل سير الضياء فى الأبعاد

---

(١) الأوغاد : جمع وغد ، وهو اللئيم . (٢) خف : من خفة العقل

(٣) المواسى : المعين .

(٤) وغى العيش : شدته ، والوغى فى الأصل : أصوات المحاربين فى الحرب . عزلا : جمع أعزل ، وهو الذى لا سلاح معه . (٥) الأسداد : جمع سد .

أطلع الغربُ شمسه فحبا الشر ... قَ اقتباسًا من نورها الوقاد
إن للعلم دولةً خضعت دو ... نَ علاها عوالم الأضداد
ما استفاد الفتى وإن ملك الأر ... ضَ بأعلى من علمه المستفاد
لا تُسابق فى حَلبة العزّ ذا العلـــم فما للهجين شأْوُ الجواد[1]
إن أموات أمة العلم أحيا ... ء حياة الأرواح والأجساد
وكأيِّنْ فى الناس من ذي خمول ... صار بالعلم كعبة القصاد

✡ ✡ ✡

ربّ يوم وردت دجلةَ فيه ... موردًا خاليــًا عن الورّاد
حيث ينصبّ فى سكوتٍ عميق ... ماؤها لاثمًا ضفاف الوادى
وهبوب النسيم يكتب فى الما ... ء سطورًا مُهتزَّةً فى اطّراد
يَمّحى بعضها ويظهر بعضٌ ... فهى تنساب بين خافٍ وباد[2]
وتئنّ المياه لى بخريرٍ ... كأنين السقيم للعُوّاد[3]
قمت فى وجهها أردّد طرفى ... ساكتًا والضمير منّى ينادى
واقفًا تحت سَرْحةٍ ناح فيها ... طائر فوق غصنها الميّاد[4]
منشدًا فى النواح شعرًا غريزيّـــا حزينًا كأنه إنشادى
جاوبته أفنانهـــا بأنين ... من حفيف الأوراق والأعواد[5]
أيها الطائر المرجِّع فوق الـــغُصْن هل أنت نائح أم شاد
بين ماء جار ولحنٍ شجىٍّ ... منك يا طائرُ استطار فؤادى
يا مياهًا جرت بدجلةَ تجتا ... ز مرورًا بجانبىْ بغداد
إن نفسى إلى الحقيقة عَطْشَى ... أفتشفين غُلة من صاد[6]

(١) الهجين من الخيل : هو الذى ولدته برذونة من حصان عربى .
(٢) تنساب : تسرع . (٣) العواد : الزوار .
(٤) السرحة : الشجرة العظيمة . المياد : المتمايل .
(٥) أفنانها : أغصانها. الحفيف : صوت أوراق الشجر.
(٦) الغلة : العطش ، الصادى : العطشان .

كنتِ تجرين والرُّصافة والكر خ خَلاءٌ من رائحٍ أو غاد
أيها الماء أين تجرى ضَياعًا وحواليك قاحلات البوادى ؟[١]
فمتى تفطن النفوس فيحيا بك سقيًا موات هذى البلاد
لو زرعنا بك البقاع حبوبًا لحصدنا النُّضار يوم الحصاد[٢]
أفيدرى خليج فارسَ ماذا فيه منك بالع بازدراد
أنت والله عسجد ولُجين لو أتينا الأمور باستعداد[٣]
فاجرِ يا ماء إن جريت رويدًا بأناةٍ ومُهْلةٍ واتّآد[٤]
علّنا نستفيق من رقدة الفقر فنَغْنَى بفيضك المزداد
سلكتك السما ينابيعَ فى الأرض أمدّتك أيّما إمداد
فتفجّرتَ فى السفوح عيونًا نبعتِ من مخازن الأطواد[٥]
وإذا ما انتهيت فى جرَيانٍ عُدت للبدء فى مُتون الغوادى[٦]
هكذا دار دائر الكون من حيث انتهى عاد راجعًا للمبادى

كلمة معتبر

أقوى مَصيفُ القوم والمربعُ فالدار قفر بعدهم بلقعُ[٧]
سارت بنا الأرض إلى غاية لنا وللأرض هى المرجع
ونحن كالماء جرى نابعاً لكن علينا خفى المنبع

(١) أرض قاحلة : لانبات فيها .
(٢) النضار : الذهب . (٣) العسجد : الذهب . اللجين : الفضة.
(٤) الأناة والمهلة والاتآد : ألفاظ مترادفة بمعنى التأنى .
(٥) السفوح : جمع سفح ، وهو أسفل الجبل . الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل .
(٦) المتون : جمع متن ، وهوجانب الشيء . الغوادي : السحاب الذى يكون فيه المطر . يقول، إن الماء بعد ما ينتهى جريانه يرجع كما كان فى بادىء الأمر سحابا بواسطة التبخر ، ثم ينزل مطرا ، وهكذا قال أبو العلاء :

فيا جسد المرء ماذا دهاك وقد كنت من عنصر طيب
تعود طهوراً إذا ما رجعت إلى الأصل كالمطر الصيب

(٧) المصيف : مكان الإقامة صيفا ، والمربع : مكانها ربيعا . البلقع : الأرض الخالية من السكان.

يخون فيها القولُ منطيقه ... كما تخون البطلَ الأدرع[1]
ما أقدر الموتَ فمِن هوله ... لم ينج لا كسرى ولا تبَّع[2]
يا رافع البنيان كم للردى ... من سُلَّمٍ يدرك ما ترفع
ويا طبيب القوم لا تؤذهم ... إن دواء الموت لا ينجَع[3]
لا بدَّ للمغرور من مَنْـدَم ... بالعض تدمَى عنده الأصبع
وما عسى تغنِي وقد حشرجتْ ... ندامةٌ ليست إذَنْ تنفع[4]
يا برقع الخلقة واهًا لما ... فيك وآهًا منك يا برْقُع
قد زاغت الأبصار فيما ترى ... إذ فات عنها سرك المودَع
وليس فى الإمكان عند النهى ... أبدع ممـا خلق المبدِع

ألـكني يا ضياء

أَجَدَّكِ يا كواكب لا تُرينا ... بيانًا منك يُخبِرُنا اليقينا[5]
كأنَّ العالَم العُلْوِىَّ سِفْرٌ ... نطالعـهُ ولسنا مفصحينا
نحاول منـه إعراب المعانى ... بتأويل فنرجـع مُعْجمِينا[6]
كواكب فى المجرة عائمات ... حكت فى بحر فسحتها السفينا[7]
سرت زهر النجوم وما دراها ... فلاسـفة مضت ومنجمونا

(١) المنطيق : البليغ .

(٢) كسرى : اسم كل ملك كان يحكم الفرس . وتبع : اسم كل ملك كان يحكم اليمن ، كقيصر للروم . وخاقان للترك ، والنجاشى للحبشة ، وفرعون للقبط ، والعزيز لمصر .

(٣) لاينجع : لايؤثر .

(٤) حشرجت . الضمير راجع للروح . والحشرجة : الغرغرة عند الموت .

(٥) أجد : بفتح الجيم وكسرها ، والهمزة للاستفهام . وهذه من الكلمات التى لاتستعمل إلا مضافة . ومعناها أبجد منك هذا العمل . وقيل معناها بفتح الجيم استحلاف بالجد ، أى البخت والحظ ، وبكسرها معناها استحلاف بالجد . أى الحقيقة والاجتهاد . والجد الذى هو ضد الهزل .

(٦) الإعراب : الإظهار . معجمين : غير مفصحين .

(٧) المجرة : مجموعة نجوم كثيرة لاتدرك بمجرد البصر . وإنما ينتشر ضوءها كأنه بقعة بيضاء . حكت : أشبهت . السفين : جمع سفينة .

شموس فى السماء عَلَتْ وجلّتْ   فظنوا فى حقيقتها الظُّنونا
سوابحَ فى الفضاء لهـا شئُون   ولمـا يعلموا تلك الشئونا
وما ارتجفت بجُنح الليل إلّا   لتضحك فيه مما يزعمونا
لعلّ لها بهذا الجوّ شأناً   سِوَى ما نحن فيه مرجّمونا[١]
تلوح على الدجى متلألئات   فتبهج فى تلألُئِها العيونا
وأنى يدرك الرائى مداها   وإن ألقى لها نظراً شَفونا[٢]
تودّ الغانيـات إذا رأتهـا   لو انتظمت لها عِقْداً ثمينا
تَقَلَّدُه على اللَّبـات منهـا   وتطَّرح الدمالج والبُرينا[٣]

* * *

ألـكنى يا ضياء إلى الدرارى   رسالة مُسْهِرٍ فيها الجفونا[٤]
لعلك راجع منهـا جواباً   يزيل عمـايةَ المتحيرينا
فقل ، إنى تحير فيك فـكرى   كذاك تحـير المتفـكرونا
فيا أم النجوم وأنتِ أمٌّ   أيولد فيك كالأرض البنونا[٥]
وهل فيك الحياة لهـا وجود   فيمكن للردى بك أن يكونا
وهل بك مثـل هذى الأرض أرض
وفيها مثلنـا متخالفونا
وهل هم مثلُنا خُلقاً وَخَلْقـاً   هنـاك فيأكلون ويشربونا
وهل هم فى الديانة من خلاف   نصارى أو يهود ومسلمونا

---

(١) مرجمون : قائلون بما لا نعلم.

(٢) مداها : غايتها . شفن شفونا : رفع طرفه ناظرا للشىء كالمتعجب أو كالـكاره . فهو شافن وشفون . بفتح الشين .

(٣) تقلده : أى تتقلده بمعنى تلبسه كالقلادة . اللبات : جمع لبة وهى النحر ، الذى هو موضع القلادة من العنق . الدمالج : جمع دملج ، وهو حلى يلبس فى المعصم . البرين : نوع من الحلى ، وهو جمع برة (بضم الباء وفتح الراء) على غير قياس .

(٤) ألـكنى إلى فلان : أى كن رسولى إليه ، وتحمل رسالتى إليه . الدرارى : أراد بها النجوم الزواهر .

(٥) أم النجوم : هى المجرة .

وهل طابت حياة بنيك عيشاً ففوق الأرض نحن معذبونا

وهل حُسِبت بك الأيام حتى تألَّف من تعاقبها السنونا

وهل بالموت نحن إذا خرجنا عن الأجساد نحوك مرتقونا[١]

فتبقى عندك الأرواح منّا تُصان فلا ترى جَنَفا وهُونا[٢]

فأحببْ بالمنون إذنْ وأَحبِب بها إنْ كان سُلَّمك المنونا[٣]

° ° °

أبينى ما وراءكِ يا دراري فنحن نخاله بعدًا شَطونا[٤]

قد اتسع الفضاء لك اتساعًا فهل أبعاده بك يتتهينا

وصغّرك ابتعادك فيه حتى إليك استشرف المتشوّفونا[٥]

فهل كان ابتعادك من دلال علينا أم بعدت لتخدعينا

خوالد في قضاءك أنت ؟ أم قد يحل بك الفناء فتذهبينا

وقالوا ما لعدّتك انتهاء فهل صدقوا أو ارتكبوا المجونا[٦]

وقالوا الأرض بنتك غير مَيْنٍ فهل أبناء بنتك يصدقونا[٧]

وقالوا إن والدك المفدّى أثيرٌ في الفضاء أبى السكونا[٨]

ترصّدك الأنام وما أتانا بعلم كيانك المترصدونا[٩]

(فهرشل) ما شفى منّا غليلا ولا (غاليلُ) أنبأنا اليقينا[١٠]

و (كبلر) قد هدى أو كاد لمَّا أبانك يا نجوم تجاذبينا[١١]

---

(١) مرتقون : مرتفعون . (٢) تصان : تحفظ . جنفا : ظلما .

(٣) يقول : أيتها المجرة ، هل نحن نرتقى إليك إذا متنا ؟ فإن كان كذلك فما أحلى الموت إن كان سلما للوصول إليك .

(٤) بئر شطون : بعيدة القعر . وغزوة ونية شطون : بعيدة .

(٥) استشرف الشيء : رفع بصره ينظر إليه . تشوف إلى الشيء : تطلع إليه .

(٦) المجون : إرسال القول أو الفعل من غير مبالاة كالهزل .

(٧) المين : الكذب . (٨) الأثير : مادة منتشرة في كل خلاء ألطف من الهواء .

(٩) الكيان : الطبيعة . (١٠) هرشل وغاليل وكبلر : علماء فلكيون .

(١١) أبانك : أظهرك .

إلى كمْ نحن نَلْبس فيك لَبسًا ومن جَرَّاك ندَّرع الظنونا[١]
لعل النجم فى إحدى الليالى سيبعث للورى نورًا مبينا
تقوم له الهواتف قائلات خذوا عني النُّهَى ودعوا الجنونا

الأرض

خبَرٌ فى الأرض أوحتهُ السما لِأُولى العلم برُسْلِ الفِكَرِ
أنَّ هذى الأرض كانت أولا ما ترى بحرًا بها أو جبلا
أو سهولًا أو رُبًا أو سُبُلا أو رياضًا زهرها الغضُّ نَمَا[٢]
من سحابٍ جادها بالمطرِ
إنما كانت كتلك الأَخواتْ من نجوم سائرات دائراتْ
حول شمس هى إحدى النيِّراتْ كُنَّ من قبلُ عليها سُدُمًا[٣]
كتلةً واحدةً فى النظر
ثم بعدُ انفصلت من ذا السديمْ قِطَعٌ منها صغير وجسيمْ
ضمن أفلاكٍ بها الدَّوْرَ تُديمْ فاستقر الكل فيها أنجمًا
حول غير الشمس لم تستدرِ[٤]
أوَّلًا « نِبتُون » منه انفصلا ثم « أورانسُ » يهدى زُحَلا[٥]

---

(١) من جراك : من أجلك . (٢) الغض : الطرى .

(٣) السدم : جمع سديم ، وهو الضباب ، أى كانت النجوم التى هى فى العالم الشمسى حول الشمس بمنزلة الغيوم .

(٤) الأرض وأخواتها من النجوم السابحة التى يتألف منها النظام الشمسى ، كانت جميعها مع الشمس كتلة واحدة ، ثم انفصلت وصار كل نجم على حدة ، مرتبطا مع أخواته بنظام واحد . وإلى ذلك الإشارة فى قوله تعالى فى القرآن الكريم :

« أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما » .

(٥) نبتون : هو النجم السيار الذى لم يعرف فى القديم . أورانس : هو نجم سيار لم يكن معروفا من قبل ، وإنما عرف أخيراً ، ويسمى أيضا هرشيل باسم مكتشفه . وهذه النجوم التى ذكرها بعد أورانس هى السبعة السيارة الأصلية ، التى تخطر حول الشمس ، ولم يذكر القمر ، لأنه قد ثبت أنه يدور حول الأرض . وهى تدور حول الشمس .

ثم للمشـــــــترى مرِّيخ تلا ثم هذى الأرض فالزُّهرة ما

بعـــدها غير أَخيهـــا الأشهرِ (١)

وأخو الزُّهرة بالشمس اقتدى ولهـــا أقربَ ســـيَّارٍ غدا

وهى سارت خلفهُ طول المدى فأَمامَ الأرض ذانِ انتظما

خلفها المرِّيخ ثم المشـــــترى

أرضنا كانت لَظًى مشتعلهْ مذ من الشمس غدت منفصَلهْ

لم تزل فى دورها منتقلهْ كتلةً فيها اللهيب احتدما

وهى ترمِي فى الفضــــا بالشررِ

كان فيح النار منها مصعدا وهجًا فى الجوّ عنها مبعدا

حيث لا يمكن أن ينعقدا فوقها منـــهُ بخارٌ دِيَمـا (٢)

هاطلات بالحيــــــا المنهمرِ (٣)

بقيت حينًا وهـــذا أمرُها وهى بالإشعاع يخبو حرّها (٤)

وانثنى يبرد من ذا ظهرها فاكتست قشرًا يحاكى الأدَما (٥)

واستمرت بطنها فى سُـــــعُرِ (٦)

ثم قد صار على مرّ الزمانْ قشرها يغلظ آنًا بعد آنْ

بَيد أن النار عند الهيَجَانْ قد أعادت قشرها منخرمًا

بصـــــدوع مُدْهِشات البصرِ (٧)

---

(١) أراد بأخيها الأشهر : عطارد ؛ وهو أقرب سيار إلى الأرض ، وليس بين الزهرة والأرض سيار سواه .

(٢) الديم : جمع ديمة ، وهى مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق ، والمراد بها هنا المطر مطلقا.

(٣) الحيا : المطر . المنهمر : السائل ، أى أن شدة الحرارة المتصاعدة من الأرض كانت تمنع البخار من أن ينعقد سحابا ماطرا .

(٤) يخبو : يخمد ويسكن .

(٥) يحاكى : يشابه . الأدم : البشرة وهى ظاهر الجلد .

(٦) البطن : مذكر ، وتأنيثه لغة . وعليها مشى الشاعر ، ويجوز أن يكون الضمير فى استمرت عائداً إلى الأرض. فتكون جملة بطنها فى سعر ، فى موضع الحال من الضمير . السعر : الحر . وأراد به الاشتعال والهيجان . والسعر فى الأصل بتسكين العين ، وضم هنا للضرورة .

(٧) صدوع : شقوق .

شَخَصت أَطراف هاتيك الصدوعْ   بجبال شَمَخَت منها الفروعْ
وهْا فى العين أشكال تروعْ   تقذف الأَفواه منها حِمَمَا[١]
صار منهن رُكام الحَجَرِ[٢]

حصلت من قَذْف هاتيك المواد   حيث يجمدن جبال ووهاد[٣]
ورِكاز وصخور وجمـــاد   بعضها دَقّ وبعضٌ عَظُما[٤]
وهو صلب الجسم صعب المكسرِ

وهناك انعقدت فيها الغيومْ   من بخار كان فى الجو يعومْ
ردّه البردُ مياهاً فى التخومْ   فجرى السيل عليها مفعما[٥]
كلَّ غور فوقها منحدرِ[٦]

عمها السيل فغطى حين سالْ   سطحها مجترفاً منها الرمالْ
فطما المـاء ولكنَّ الجبالْ   شخصت فى الماء لما أن طَمَا[٧]
وعلت كالسُّفْن فوق الأبحرِ

غمر المـاء بهـا ما غمرا   ثم خلَّى بعضها منحسرا[٨]
محدثاً فى السطح منها جُزُرا   أنزل المـاء بها ما حطما[٩]
من طَفَـال وحُتات المدَرِ[١٠]

---

(١) تروع : تخفيف . الحمم : جمع حمة . وهى ماتقذفه البراكين عند ثورانها .

(٢) الركام : الشيء المتراكم بعضه فوق بعض . (٣) الوهاد : الأماكن المنخفضة .

(٤) الركاز : المعدن . دق : صغر . (٥) التخوم : الفواصل بين الأرضين . مفعما : مالئا .

(٦) الغور : هو ما انحدر من الأرض ، متى تسلطت حرارة الشمس على الأرض امتصت رطوبتها ، فتتصاعد تلك الرطوبة بخاراً فى الجو ، ومتى بلغ الطبقة الباردة من الهواء يتحلل ويتساقط مطراً ، وإلى ذلك الاشارة بقوله تعالى فى القرآن الكريم : « ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه . ثم يجعله ركاما ، فترى الودق يخرج من خلاله » . الودق : المطر .

(٧) طما : ارتفع . (٨) منحسرا : منكشفا .

(٩) الجزر : جمع جزيرة . على غير قياس ، والقياس : جزائر .

(١٠) الطفال : بفتح الطاء وضمها هو الطين اليابس . الحتات ، بضم الحاء : هو ما تناثر من كل شيء . المدر : التراب المتلبد .

بسيول الماء كم فيها ارتكمْ   من رمال رسبت فيها أكَمْ(١)
ولكم خدّت أخاديد وكَمْ   قد بَنت من طبقات علمَا(٢)
نَضَدَتْ فيه صفيح المَرْمَرِ(٣)

ثم صارت وهى من قبلُ مَواتْ   تَصْلُح الأقطارُ منها للحياةْ(٤)
فانبرت تُنْبت فى البدء النبات   ثم أبدت من قواها النسَما(٥)
وارتقت فيها لنوع البشرِ(٦)

فغدت إذ ذاك تزهو بالرّياضْ   وبها الأدواح تنمو فى الغياضْ(٧)
ثم ترميها أكف الانقراضْ   بالحطام حيث تمسي فَحما
حجـريّا بمـرور الأعصرِ

من حطام الخلق فى الأرض هضابْ   كوّنتهنّ أكفّ الانقلابْ(٨)
ما تراب الأرض والله ترابْ   إنما ذاك حُطامٌ قَدُما
من جسوم باليات الـكِسَرِ

كم على الأرض رُفاتٌ بالياتْ   من جسوم طحنتها الدائراتْ(٩)

(١) ارتكم الشىء : اجتمع مع ازدحام وكثرة . رسب الشىء فى الماء : وصل إلى أسفله . أكم : جمع أكمة . وهى التل .

(٢) خدت : شقت . الأخاديد : جمع أخدود ، وهو شق مستطيل فى الأرض . العلم : الجبل .

(٣) نضدت الشىء : بمعنى جعلت بعضه فوق بعض متسقا أو مركوما . صفيح المرمر : أراد به حجارته.

(٤) الأرض الموات : هى الخراب . أو التى لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد . الأقطار : النواحى والجهات ، مفردها قطر .

(٥) النسيم : جمع نسمة وهى نفس الروح ، وأراد بالنسم الأرواح أنفسها .

(٦) يظهر أن الشاعر يميل إلى مذهب النشوء والارتقاء كما يفهم من هذا المقطع . وقد اضطربت الآراء فى أن هذا المذهب يعارض نصوص الدين ؛ وعندى أنه لا يعارضها ، ولم يزل علماء الكون فى حيرة من تحقيق هذا المذهب .

(٧) الأدواح : الأشجار العظيمة .

(٨) الحطام : ما تكسر وتفتت من الأشياء اليابسة وحطام الخلق : ما تكسر من عظامها وتحطم . الهضاب : جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على وجه الأرض .

(٩) الرفات : الحطام . وهو مفرد مذكر ، أراد به الشاعر معنى الجمع ، فجمع صفته وأنثها .

فاحتفِر فى الأرض تلك الطبقات　　تجد الأنقاض فيها رمما[(١)]

هى للأَحيـاء أو للشجر

كل وجه الأرض للخلق قبورْ　　خفف الوطء على تلك الصدورْ

والعيونِ النجل منهم والثغورْ　　إنمـا أنت ستفنى مثلما[(٢)]

قد فَنَوا والموت دامى الظفُر

خلت الأرض على كرّ الدهورْ　　تُبحر الأجبل فيها والبحورْ[(٣)]

فوقها تُجْبَـلُ والمـاء يغور　　وعلى ذاك اسـتدلّ الحـكما

بجبال السَّـمَكِ المستحْجِرِ

علماء الأرض لم تبرح ترى　　حيوانَ البر لمـا دَثَرا[(٤)]

منـه فى الأبحر أبقى أثرا　　وكذا فى البر ألقى العلما

أثراً من حيـوان الأبحر

كل ما فى الأرض من قفرٍ وَبِيدْ　　وجبال شَهَقَت فوق الصعيدْ[(٥)]

عن زُهاء الربع منها لا يزيدْ　　وسوى ذلك منها انـكتما

تحت ماء البحـر لم ينحسر

فى صعيد الأبحر المنغمِس　　مثل ما يوجد فوق اليَبَسِ

من جبال ناتئات الأرؤس　　ووِهاد تستزِلَ القدما[(٦)]

وَرُباً مختلفـات القَـدَر[(٧)]

---

(١) الأنقاض : الأبنية المهدمة . الرمم : ما بلى من العظم ، مفردها رمة . وأراد بها الشاعر ما هو أعظم .　　(٢) النجل : العيون الواسعة الحسنة .

(٣) تبحر الأجبل : أى تصيرها بحرا . والأجبل : جمع جبل . تجبل : تصير جبالا — يعرض للأرض بسبب ما فى جوفها من القوى والفواعل المختلفة اضطرابات وانقلابات ، وقد تسبب هذه الفواعل تغوير الجبال الشاهقة ، فيغمرها الماء ، فتصير بحرا ، وقد تسبب ظهور جبال وجزائر فى البحر . وقد استدل علماء الكون على ذلك بما شاهدوه من الأسماك المتحجرة فى رؤوس الجبال ، ومن آثار الحيوانات البرية فى أغوار البحار .

(٤) دثر : بلى وامحى .

(٥) البيد : جمع بيداء ، وهى الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس . الصعيد : وجه الأرض .

(٦) ناتئات : مرتفعات . تستزل : تزلق . (٧) ربا : جمع ربوة ، وهى المرتفع من الأرض .

ما نرى اليوم من الماء الحميمْ   والبراكين التى تحكى الجحيمْ [(١)]
ومن الزلزال ذى الهول العظيمْ   دلّ أن الأرض فيما قدُما
ذات جِرْمٍ ذائب مستعرِ [(٢)]

كل ما كان بحال السَّيَلانْ   فهو يغدو كرة بالدَّوَران
وكذاك الأرض فى ماضى الزمانْ   كُرَوِيًّا قد غدا ملتئما
جِرمها من سَيَلان العُنْصُر

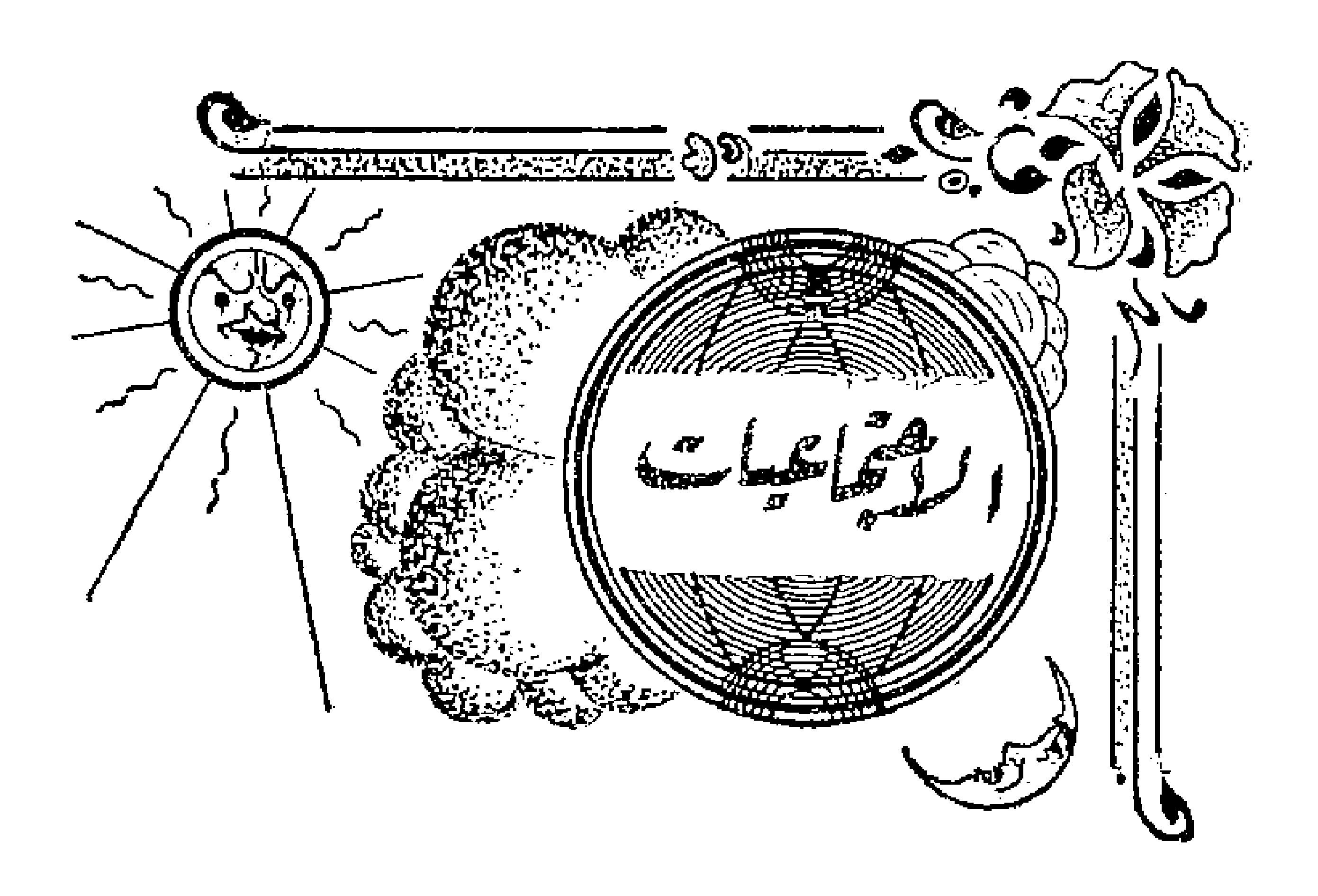
ثم إن الأرض من قبل الجمودْ   ولدت منها وليست بالْوَلودْ [(٣)]
قمراً دار عليها بسعودْ   وجلا فى الليل عنها الظلَما
فهى بنت الشمس أُمُّ القمَرِ [(٤)]

(١) الحميم : الساخن الحار . البراكين : جبال تقذف نارا ودخانا وماء ووحلا ومواد ذائبة ، فيبدو منها إذ ذاك مجموع حوادث تظهر فيها النار أعمالها الغريبة . وأسباب تلك الحوادث غير معروفة . وربما بقيت على الدوام إذ لاوسيلة إلى معرفتها . ومفردها بركان، وهو لفظ قد اصطلح عليه ، ولفظه العربى الصحيح فلقان : جمع فلق ، بفتح الفاء واللام ومعناه جهنم ،ثم استعمل لجبل النار .

(٢) مستعر : ملتهب .

(٣) الولود بفتح الواو : الكثيرة الأولاد . الأرض قبل أن تجمد بعد انفصالها عن الشمس انفصل عنها القمر .

(٤) هى ، أى الأرض بنت الشمس ، لأنها منفصلة عنها ، وهى أم القمر ، لأنه منفصل عنها .


الرباعیات

نحن والماضي

عهدتكَ شاعرَ العربِ المُجيدا   فما لك لا تُطارحُنا النَّشيدَا[1]

فنحن إليك بالأسماع نُصغِى   فهل لك أن تفيد فنستفيدَا

بشعر لا تَزال تَنوط منه   بجيد بدائع الدنيا عقودا[2]

إذا أنشدتَه الحسناء تاهتْ   كأنْ قرَّطتها دُرًّا فريدَا[3]

وأنت إذا قرعت به عَبيدًا   رددت إلى الحرار به العبيدَا[4]

ولو تستنهض الْجُبناء يوماً   به لتقحَّموا الهيجا أُسودَا

ولو كرَّرته للقوم أَلْفاً   لأَقسم سامعوه بأن تُعيدَا

وكم تهتز أعطافُ المعالى   إذا ما قلت قافية شَرودَا

فلو أنشدتنا فى الفخر شعراً   تذكَّرنا به العهد البعيدا

تذكَّرنا الأوائل كيف سادوا   وكيف تبوعوا الشرف المديدَا[5]

* * *

فقلت له وقد أبدى ارتياحا   إليَّ إذِ ارتجلت له القصيدَا

أَجَلْ إنَّ القبائل فى مَعَدٍّ   عَلَوْا فتسنموا المجد المجيدا[6]

وَإنَّ لهاشم فى الدهر مجداً   بناه لها الذى هَشَم الثريدا

---

(١) قوله « لا تطارحنا النشيد » : أى لا تجاوبنا منشدا ، يقال طارحه الكلام والشعر والغناء : إذا ناظره وجاوبه .

(٢) تنوط : تعلق . والجيد : العنق أو مقلده أو مقدمه .

(٣) تاهت : : كبرت . وقرطتها : أى ألبستها قرطا ، والقرط بالضم : هو الذى يعلق فى شحمة الأذن ء . درة أو نحوها .

(٤) قرعت : ضربت . والحرار بالفتح : العتق والحرية .

(٥) تبوعوا الشرف : امتدوا فيه وأدركوا غايته . والشرف المديد : أى الممدود الطويل .

(٦) أجل : حرف جواب بمعنى نعم . وتسنموا المجد : أى علوه . ومعد : هو معد بن عدنان، أبو العرب .

ومُذْ قام ابن عبد الله فيهم ... أقام لكل مَكْرمة عمودَا[1]
وأنهضهم إلى الشرف المُعَلَّى ... وكانوا قبلئذٍ عنه قعودا
فأصبح وارياً زَنْد المعالى ... وقبلًا كان مَقْدَحُه صَلُودَا
فهمْ فتحوا البلاد ودوَّخوها ... وقادوا فى معاركها الجنودا[2]
وهمْ كانوا أشد الناس بأْسًا ... وأمنع جانباً وأعمّ جودا
وأرجحهم لَدَى الجُلّى حلوماً ... وأصلبهم لَدَى الغَمَرَات عودَا[3]
ولكن أيُّهَا العربىّ إنِّى ... أراكَ لغير ما يُجْدِى مُرِيدَا
وما يُجْدِى افتخارك بالأوالى ... إذا لم تفتخر فخراً جديدَا

* * *

أرى مستقبل الأيام أولى ... بمطمح من يحاول أن يسودا
فما بلغ المقاصد غير ساعٍ ... يُرَدِّد فى غَدٍ نظراً سديدَا
فوجِّهْ وجهَ عزمك نحو آتٍ ... ولا تلفتْ إلى الماضين جِيدَا
وهل إن كان حاضرنا شقيًّا ... نسود بكون ماضينا سعيدا
تقدَّمْ أيُّهَا العربىّ شَوْطاً ... فإن أمامك العيش الرَّغيدا[4]
وأَسِّس فى بنائك كلَّ مجدٍ ... طريف واترُك المجد التليدا[5]
فشرّ العالمين ذوو خمولٍ ... إذا فاخرتَهم ذكروا الجدودا
وخير الناس ذو حسب قديم ... أقام لنفسه حسباً جديدا
تراه إذا ادَّعى فى الناس فخراً ... تقيم له مكارمه الشهودَا
فدعنى والفخارَ بمجد قوم ... مضى الزمن القديم بهم حميدا
قد ابتسمت وجوه الدهر بيضاً ... لهم ورأيننا فعبسنَ سودا

(١) ابن عبد الله : يعنى محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٢) دوخوها : أى قهروها واستولوا على أهلها .
(٣) الجلى : الخطب العظيم ، والأمر الشديد ، وهى مؤنث الأجل .
(٤) الشوط : الجرى مرة إلى الغاية .
(٥) المجد الطريف : الحديث المكتسب . والتليد : القديم الموروث .

وقد عهدوا لنا بتراث مُلْك ... أضعنا فى رعايته العهودا[١]
وعاشوا سادة فى كل أرض ... وعشنا فى مواطننا عبيدا
إذا ما الجهل خيّم فى بلاد ... رأيت أسودها مُسخت قرودا

معترك الحياة

هو الدهر لم يترك مَشَنَّ غِوارِهِ ... على سابق من ليله أو نهاره[٢]
يثير غبارَ الحادثات بكَرِّه ... وهل نحن إلّا من مُثار غباره
وكم عِبَر مطويّة فى صروفه ... فهل من مُجيل فيه طرف اعتباره
خليليّ إنّ الأرض غربال قدرة ... تجمّعت الأحياء بين إطاره[٣]
تميد به كفّ الزمان تحرّكًا ... لمحو ضعيفٍ أو لإثبات فاره[٤]
فيبقى به الأقوى قرينَ ارتقائه ... كما يسقط الأوهى رهينَ اندثاره[٥]
فلاعيش فى الدنيا لمن لم يكن بها ... قديراً على دفع الأذى والمكاره

* * *

لعمرك ما هذى الدنيا بملْبس ... لمن حِيك من عجز نَسيجُ شعاره
ولكن لمن أمسى بأيدٍ وقوّة ... يجرّ على الأيام فضل إزاره[٦]

---

(١) قوله بتراث ملك ، التراث : مايخلفه الرجل لورثته ، أى بتراث هوملك ، فالاضافة بيانية .

(٢) الغوار : كالاغارة ، مصدر غاور العدو إذا أغار عليهم . ومشن : مصدر ميمى بمعنى الشن . وشن الغارة تفريقها وصبها من كل جهة . يقول : إن الدهر لا يقعد عن شن الاغارة بحوادثه المتتالية ، وهو على جوادين سابقين ، هما الليل والنهار .

(٣) يشير بهذا والذى بعده إلى قانون الاصطفاء الطبيعى ، وهو قانون بقاء الأنسب ، فهو يعمل عمله فى الأرض الدائرة حول الشمس ، فيضمحل فى أثناء دورانها الضعيف من المخلوقات ، ويبقى بها القوى القادر على دفع كل ما يقاوم حياته فيها ، فهى فى ذلك بمنزلة الغربال الذى يسقط عند تحريكه كل دقيق صغير ، ويبقى فيه ماهو كبير . وإطار الغربال : اللوح المحيط به

(٤) تميد به : أى تدور به وتتحرك . والفاره : المليح النشيط ، والمراد به هنا : ما يقابل الضعيف ، وهو القوى .

(٥) الأوهى : الأضعف ، وهو مقابل للأقوى فى الشطر الأول .

(٦) بأيد : أى بقوة ، فعطف القوة عليه من قبيل عطف التفسير . والباء هنا للمصاحبة .

أرى الشمس تُخْفِى ضوءها كلّ بارقٍ ... وإن كان ينبو الطرف عن مُستناره
وما ذاك إلا أنّها فى تلهّبٍ ... يموج بنور ساطع وَقْدُ ناره
فلم يستطع نجم طلوعًا تجاهها ... إذا لم يعُد بالليل غبّ اعتكاره
كذاك ضعيف القوم إن كان جاره ... قويًّا يكن شِلوًا أكيلًا لجاره[1]
وما الليث لولا بأسه فى عرينه ... بأشرف من ضبّ الفلاة فى وِجاره
ومن غاور الأيام غير مدجّج ... فلا يطمعَنْ فى مغنم من مُغاره[2]
ومن لم يهن صَرْفَ الزمان برحلةٍ ... تُهِنه صروفُ الدهر فى عُقْر داره[3]
وما شرّف الدرّ الثمين فريدُه ... إذا هو لم يبرح بطون محاره[4]

* * *

أرى كلّ ذى فقر لدى كلّ ذى غنًى ... أجيرًا له مستخدمًا فى عماره[5]
ولم يعطه إلّا اليسير وإنما ... على كدّه قامت صروح يساره
ويلبس من تذليله العزّ ضافيًا ... وينظره شزرًا بعين احتقاره
يَشُدُّ الغِنَى أزرَ الفتى فى حياته ... وما الفقر إلّا مكسّر فى فَقاره
وليس الغنى إلّا غنى العلم إنّه ... لنور الفتى يجلو ظلام افتقاره[6]
ولا تحسبنّ العلم فى الناس منجيًا ... إذا نكّبت أخلاقهم عن مناره

= وقوله يجر على الأيام فضل إزاره : كناية عن القوة والقدرة ، لأن جر فضل الازار إنما هو فعل الجبابرة والأغنياء ، فكأنه يقول لمن أمسى قويا ذا قدرة وعظمة .

(١) ضرب فى الأبيات المتقدمة مثلا لتغلب القوى على الضعيف ، بما ذكر من الشمس التى لا تستطيع النجوم طلوعا تجاهها ، فلا تطلع إلا إذا غابت الشمس واعتكر الظلام . ثم قال : وكذلك ضعيف القوم إن جاور القوى كان مغلوبا له . والشلو : العضو من اللحم .

(٢) المدجج : اللابس السلاح .

(٣) عقر الدار : وسطها . أى من لم يرحل لدفع نوائب الدهر عنه ، نابته تلك النوائب وهو فى وسط داره .

(٤) المحار : الصدف الذى يكون فيه اللؤلؤ ، واحده محارة .

(٥) يقتصر بهذا البيت ومابعده لمذهب الاشتراكية ، حيث ذكر منزلة الفقير تجاه الغنى ، وعيش الثانى من كد الأول .

(٦) يشير بهذه الأبيات إلى أن الغنى الحقيقى هو غنى العلم لا المال ، وأن العلم لا يجدى نفعا إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة .

وما العلم إلّا النور يجلو دُجى العمى ... ولكن تَزيغُ العين عند انكساره[1]

فما فاسد الأخلاق بالعلم مفلحًا ... وإن كان بحرًا زاخرًا من بحاره

* * *

سل الفلك الدوّار عن حركاته ... فهل هو فيها دائر باختياره

وهل هو فى هذا الفضاء مسافر ... له غاية مقصودة من سفاره

وهبنا جهلنا بدأه من تقادمٍ ... فهل يدرك العقل انتهاء مداره

متى ينجلى ليل الشكوك عن النُهى ... وترفع كفُّ العلم مُرخَى ستاره

ألا وَرْىَ فى زند الزمان فنهتدى ... بسقط ضئيل من سقيط شراره

أرى الدهر ليلاً كله غير مبصر ... وإن كان فى رأد الضحى من نهاره

وأهليه ساروا خابطين ظلامه ... وإن ركبوا فى السير متن بخاره

* * *

لعمرك إن الدهر يجرى لغاية ... فإن شئت أن تحيا سعيدًا فجاره

وها هو ذا يعدو فيبتدر المدى ... وينهب أعمار الورى فى ابتداره

لقد فاز من بارَى جديديه جدَّةً ... وخاب الذى فى جدَّةٍ لم يُباره

وليست حياة الناس إلّا تجددًا ... مع الدهر فى إيباسه واخضراره

وما الناس إلّا الماء يُحييه جرْيُه ... ويُرديه مُكْثٌ دائم فى قراره

* * *

لك الخير هل للشرق يقظة ناهضٍ ... فقد طال نوم القوم بين دياره

ألم ترَ أن الغرب أصلت سيفه ... عليهم وهم لاهون تحت غِراره

وبادرهم كالسيل عند انحداره ... وهم فى مَهاوِى غفلة عن بداره

(١) العلم : يشبه بالنور من جهة أنه يجلو ظلام العمى ، أى الجهل . كما أن النور يجلو ظلام الليل ، وكذلك يشبه النور من جهة أنه إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة يؤدى بصاحبه إلى الزيغ عن الهدى . كما أن النور إذا انكسر شعاعه عند نفوذه فى الأجسام الشفافة كالهواء والماء . تزوغ عين الرائى . أى تنحرف بسبب انكساره عن رؤية المرئى كما هو فى نفس الأمر . وتحرير المعنى أن العلم إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة يكون كالنور المنكسر . الذى يزوغ به البصر عن إدراك حقيقة المرئى كما هى .

أما آن للساهين أن يأبَهُوا له وقد أصبحوا فى قبضةٍ من إساره(١)
تراهم جميعاً بين حيرانَ واجم وآخر يُطرِى ماضياً من فخاره(٢)

أم اليتيم(*)

رمتْ مِسْمَعى ليلًا بأنة مؤلِمٍ فألقت فؤادى بين أنياب ضَيْغَم(٣)
وباتت توالى فى الظلام أنينها وبت لهـــا مُرْتَى بنهشة أرقمِ(٤)
فيهفو بقلبى صوتها مثلما هفت بقلب فقـــير القوم رنة درهمِ(٥)
إذا بعثت لى أنةً عن توجعٍ بعثت إليهـــا أنةً عن ترحم
تقطع فى الليل الأنينَ كأنها تقطع أحشائى بسيفٍ مثلَّمِ(٦)
يهزُّ نياطَ القلب بالحزن صوتها إذا اهتزَّ فى جوف الظلام المخيِّم(٧)
تردده والصمت فى الليل سائدٌ بلحنٍ ضئيلٍ فى الدُّجُنَّة مُبْهَم(٨)
كأن نجوم الليل عند ارتجافها تُصيخ إلى ذاك الأنين المُجَمْجَم(٩)
فما خَفقان النجم إلَّا لأجلها وما الشهب إلَّا أدمع النجم ترتمى
لقد تركتنى مُوجَع القلب ساهرا أَخا مَدْمَع جارٍ ورأسٍ مُهوِّم(١٠)
أَرى فحمة الظلماء عند أنينها فأعجب منها كيف لم تتضرم(١١)
فأصبحت ظمآن الجفونَ إلى الكرى
وإن كنتُ ريَّان الحشا من تألمى(١٢)
وأصبح قلبى وهو كالشعر لم تدعْ له شعَراءُ القوم من متردَّم(١٣)

---

(١) أن يأبهوا له : أى أن يفطنوا له . (٢) واجم : أى ساكت لشدة حزن أو غم .
(*) من الديوان الأول .
(٣) الضيغم : الأسد . (٤) الأرقم : أخبث الحيات وأطلبها للناس .
(٥) يهفو : يخفق . (٦) مثلم : مفلل مكسر الحد .
(٧) النياط : عرق غليظ نيط به القلب إلى الوتين . والنياط فى الأصل : مايعلق عليه أى شىء .
(٨) الدجنة : الظلمة . (٩) تصيخ : تستمع . جمجم الكلام : أى لم يبينه .
(١٠) هوم الرجل تهويما وتهوم تهوما : أى هز رأسه من النعاس .
(١١) تتضرم : تشتعل . (١٢) الكرى : النعاس . (١٣) المتردم : المرقع الذى يرقع

وبيتٍ بكت فيه الحياة نحوسة ... ولاحت بوجه العابس المتجهِّم (١)

به ألقت الأيام أثقال بؤسها ... فهاجت به الأحزانُ فاغرةَ الفم (٢)

كأنى أرى البنيانَ فيه مهدَّمًا ... وما هو بالخاوى ولا المتهــــدِّم

ولكنَّ زلزالَ الخطوب هوى به ... إلى قعر مَهْواة الشقاء المجسَّم

دخلت به عند الصباح على التى ... سقانى بكاها فى الدُّجى كأس علقم (٣)

فألفيتُ وجهاً خدَّد الدمع خدَّه ... ومحمرَّ جفنٍ بالبكا متورِّم (٤)

وجسما نحيفاً أنهكته همومه ... فكادت تراه العينُ بعضَ توهم

لقد جثُمت فوق التراب وحولها ... صغيرٌ يرنو لها بعينى ميتَّم (٥)

تراه وما إن جاوز الخمسَ عمرُهُ ... يدير لحاظ اليـــافع المتفهِّم (٦)

بكى حولها جوعاً فغذته بالبكا ... وليس البكا إلا تعِلَّة مُعْدِم (٧)

وأكبر ما يدعو القلوب إلى الأسى ... بكاء يتيم جائع حول أيِّم (٨)

* * *

وقفت وقد شاهدت ذلك منهما ... لمريمَ أبكى رحمةً وابنِ مَرْيم

وقفت لديها والأسى فى عيونها ... يكلمنى عنهـــا ولم تتكلم

وساءلتها عنها وعنه فأجهشت ... بكاء وقالت أيها الدمع ترجم (٩)

ولما تناهت فى البكاء تضاحكت ... من اليأس ضِحْك الهازىء المتهكم

ولكن دموع العين أثناء ضِحكها ... هواطلُ مهما يسجُم الضحكُ تسجم (١٠)

فقد جمعت ثغراً من الضحك مُفعَماً ... إلى محجر باك من الدمع مُفعَم (١١)

فتُذْرى دموعاً كالجُمان تناثرت ... وتضحك عن مثل الجمان المنظَّم (١٢)

---

(١) المتجهم : هو الذى يستقبلك بوجه كريه . (٢) فاغرة : فاتحة .

(٣) الدجى : الليل . العلقم : الحنظل وكل شىء مر . (٤) خدد : شقق .

(٥) يرنو : يديم النظر . (٦) اليافع : الذى ترعرع وناهز البلوغ .

(٧) التعلة : هو الشرب بعد الشراب تباعا . والمراد هنا : أنه كان يبكى مرة بعد مرة ليعلل نفسه ، ويشغلها بذلك . المعدم : الفقير . (٨) الأيم التى فقدت زوجها .

(٩) أجهشت بالبكاء : أى همت به وتهيأت له . (١٠) سجم الدمع : سال .

(١١) مفعما : مملوءا . المحجر : مادار بالعين وبدا من البرقع . (١٢) الجمان : اللؤلؤ .

فلم أرَ عيناً قبلها سال دمعها … بكاءً وفيها نظرة المتبسّم
فقلت وفى قلبى من الوجد رَعشةٌ … أمجنونةٌ يا ربِّ فارحم وسلّم

* * *

ومذ عرضت للابن منها التفاتة … أشارتْ إليه بالمدامع أنْ قُم
فقام إليها خائر الجسم فانثنت … عليه فضمته بكفٍ ومِعصَم (١)
وظلت له ترنو بعينٍ تجودُه … بفذٍّ من الدمع الغزير وتوءَم (٢)
فقال لها لما رآنى واقفاً … أردّدُ فيه نظرة المتوسِّم (٣)
سلى ذا الفتى يا أمُّ أين مضى أبى … وهل هو يأتينا مساءً بمَطعَم
فقالت له والعين تجرى غُروبها … وأنفاسها يقذفن شُعْلةَ مُضْرَم (٤)
أبوك ترامت فيه سفرة راحل … إلى الموت لا يُرْجَى له يومُ مَقْدَم (٥)
مشى أرمنيًّا فى المعاهد فارتمت … به فى مهاوى الموت ضَربة مسلم
على حين ثارت للنوائب ثورةٌ … أتت عن حَزازاتٍ إلى الدِّين تنتمى (٦)
فقامت بها بين الديار مذابحٌ … تخوّض منها الأرمنيون بالدم
ولولاك لاخترت الحمام تخلصاً … بنفسىَ من أتعاب عيش مُذمَّم (٧)
فأنت الذى أخرت أمك مَرْيَمًا … عن الموت أن يُودِى بأمك مَرْيَم (٨)
أمَرْيَمُ مهلًا بعضَ ما تذكرينه … فإنك ترمين الفؤاد بأسهم
أمريمُ إن الله لا شكّ ناقمٌ … من القوم فى قتل النفوس المحرّم
أمريمُ فيا تحكمين تبصرى … فإن أنت أدركت الحقيقة فاحكمى
فليس بدينٍ كل ما يفعلونه … ولكنه جهلٌ وسوء تفهّم
لئن ملئُوا الأرض الفضاء جرائمًا … فهم أجرموا والدين ليس بمجرم

---

(١) المعصم : موضع السوار من الساعد . (٢) الفذ : الفرد . التوءم : المولود مع غيره فى بطن ، من الاثنين فصاعداً . (٣) المتوسم : المتفرس . (٤) غروبها : دموعها . (٥) ترامت به : أبعدته . (٦) يشير بذلك إلى فتنة أطنة التى ثارت بسبب حمق الأرمن وجهلاء المسلمين . (٧) الحمام : الموت . (٨) أودى به : أهلكه .

ولـكنهم فى جنح ليل من العمى تمشّوا بمطموس العلائم مُبهَمِ (١)

وقد سلـكوا تيهاء من أمر دينهم فـكم مُنجدٍ فى المُخزيات ومُتْهِمِ (٢)

ولمـا رأيت اللوم لوْمًا تجاهها سكتُّ فلم أنبس ولم أتبرّمِ (٣)

وأطرقت نحو الأرض أطلب عفوها ولا أنا بالجـانى ولا بالمتيّمِ (٤)

وظلْتُ لهـا أبكى بعينٍ قريحةٍ جرت من أماقيها عصارة عَندَمِ (٥)

بكيتُ وما أدرى أأبكى تضجرًا من القوم أم أبكى لِشقوة مَرْيَمَ

السجن فى بغداد (*)

سكنَّا ولم يسكن حَراكُ التبدُّدِ مواطنَ فيها اليومُ أيمن من غَدِ (٦)

عفا رسم مغنى العز منها كما عفت « لخولة أطلال ببرقة ثهمد » (٧)

بلادٌ أناخ الذلّ فيها بكلـكل على كل مفتول السِّبالين أصيد (٨)

معاهد عنها ضلَّ سابق عزها فهل هو من بعد الضلالة مهتدِ

أحاطت بها الأرزاء من كل جانب إلى أن محتها معهدا بعد معهد (٩)

---

(١) جنح الليل : طائفة منه . بمطموس : أى بطريق مطموس . والعلائم : جمع علامة ، وهى شىء منصوب فى الطريق يهتدى به .

(٢) التيهاء : الأرض التى يتوه بهـا الإنسان . المنجد : قاصد النجد ، أى المـكان المرتفع . والمتهم : قاصد تهامة أى المـكان المنخفض .

(٣) لم أنبس : لم أتـكلم . أتبرم : أتضجر .

(٤) الجانى : المجرم . المتيم : الذى تيمه العشق أى ذلله وعبده .

(٥) الأماقى : جمـع مؤق ، وهو طرف العين مما يلى الأنف . العندم : البقم ، وهو شجر له ساق أحمر يصبغ بطبيخه .

(*) من الديوان الأول. (٦) التبدد : التفرق . أيمن : أسعد .

(٧) عفا : امحى . الرسم : ما كان لاحقا بالأرض من آثار الديار . المغنى : المنزل الذى أقام به أهله ثم رحلوا . خولة : اسم امرأة . الأطلال : جمع طلل ، وهو البـاقى من آثار الديار . برقة ثهمد : اسم موضع .

(٧) أناخ بالمـكان : أقام به . الـكلـكل : الصدر . (٨) السبالين : تثنية سبال ، والسبال : جمع سبلة ، وهى شعر الشاربين . الأصيد : الذى يرفع رأسه زهوا وعجبا .

(٩) الأرزاء : المصائب .

وحلّق فى آفاقها الجور بازيًا ... مُطلًّا عليها صائتًا بالتهدّد [(١)]

وينقضّ أحيانًا عليها فتارة ... يروح وفى بعض الأحايين يغتدى

فيخطَف أشلاءً من القوم حيّةً ... ولم يَقْدِ المقتولَ منها ولم يَدِ [(٢)]

ويرمى بها فى قعر أظلمَ مُوحشٍ ... به أين تسقطْ جذوة الروحُ تَخْمُدُ [(٣)]

هو السجن ما أدراك ماالسجن إنه ... جِلاد البلايا فى مَضيق التجلد

بناء محيط بالتعاسة والشقا ... لظلم برىء أو عقوبة معتد

* * *

زُر السجن فى بغداد زَوْرة راحم ... لتشهد للأنكاد أفجع مَشْهد [(٤)]

محل به تهفو القلوب من الأسى ... فإن زرته فاربط على القلب باليد [(٥)]

مربَّعُ سورٍ قد أحاط بمثله ... محيطٍ بأعلى منه شِيدَ بقرمَد [(٦)]

وقد وصلوا ما بين ثان وثالث ... بمعقود سقف بالصخور مُشَيَّد

وفى ثالث الأسوار تشجيك ساحةٌ ... تمور بتيّار من الخسف مُزبد [(٧)]

ومن وَسَط السور الشّمالىّ تنتهى ... إليها بمسدود الرِّتاجين مُوصَد [(٨)]

هى الساحة النكْراء فيها تلاعبت ... مخاريق ضيم تخلط الجِدَّ بالدَّدِ [(٩)]

ثلاثون متراً فى جدار يحيطها ... بسمكٍ زُهاءَ العشر فى الجو مُصْعِدِ

---

(١) البازى : اسم فاعل من بزا عليه بمعنى تطاول ، وفيه تورية بالبازى ، وهو نوع من الطيور الجارحة ، التى تسمى الصقور . صائتا : مصوتا .

(٢) أشلاء الانسان : أعضاؤه . لم يقد المقتول : لم يقتل قاتله . لم يد : لم يعط الدية ، وهى مال يعطى لولى القتيل بدل النفس .

(٣) جذوة الروح : شعلتها .

(٤) الأنكاد : جمع نكد ، وهو الرجل المشئوم ذو العسر . (٥) تهفو : تضطرب .

(٦) أى هو مربع سور . يصف بهذا البيت ومابعده بناء السجن وشكله . أى هو سور مربع أحاط بسور آخر مثله ، وهذا أيضا أحاط بسور ثالث أعلى منه .

(٧) هو السور الذى تليه ساحة السجن . تشجيك : تحزنك . تمور : تضطرب . الخسف : الاهانة والذل . مزبد : هائج .

(٨) الضمير فى قوله إليها يعود إلى الساحة فى البيت السابق . الرتاج : الباب العظيم . موصد : مغلق .

(٩) المخاريق : مايلعب به الصبيان من الخرق المفتولة . الضيم : الذل . الدد : اللهو .

تواصلت الأحزان فى جنباتها　　بحيث متى يَبلَ الأسى يتجدَّدِ
تصعَّدَ من جوف المراحيض فوقها　　بخارٌ إذا تمرر به الريح تفسد
هناك يودُّ المرء لو قاء نفسَه　　وأطلقها من أمر عيش مُنكَّد(١)
فقف وسطها وانظر حواليك دائراً　　إلى حُجَرٍ قامت على كل مقعد
مقابر بالأحياء غَصَّت لحودها　　بخمس مئين أنفس أو بأزيد
وقد عميت منها النوافذ والكُوَى　　فلم تكتحل من ضوء شمس بمِرْوَد(٢)
تظن إذا صدرَ النهار دخلتها　　كأنك فى قِطْع من الليل أسود
فلو كان للعُبَّاد فيها إقامةٌ　　لصَلَّوا بها ظهراً صلاة التهجُّد(٣)
يزور هبوبُ الريح إلَّا فِناءها　　فلم تحظَ من وصل النسيم بموعد(٤)
تضيق بها الأنفاس حتى كأنما　　على كل حيزوم صفائح جلْمد(٥)
وحتى كأن القوم شُدَّت رقابهم　　بحبل اختناقٍ محكَم الفتل مُحصَد(٦)

* * *

بها كل مخطوم الخُشام مذَلَّل　　متى قِيد مجرورا إلى الضَّيم ينقد(٧)
يَبيت بها والهمُّ مِلْء إهابه　　بليلة منبول الحشا غير مُقصَدِ(٨)
يُميت بمكذوب العزاء نهارَه　　ويحيى الليالى غيرَ نوم مُشرَّد
ينوء بأعبــاء الهوان مقيَّدًا　　ويكفيه أن لو كان غير مُقَيد(٩)

(١) قاء نفسه : أى أخرج روحه من جسده كالقىء .

(٢) الكوى : جمع كوة ، وهى شىء فى الجدار أشبه بالنافذة إلا أنه لاينفذ . المرود : الميل الذى يكتحل به .

(٣) التهجد : الصلاة فى الليل .　　(٤) الفناء : الوصيد ، وهوساحة أمام البيت .

(٥) الحيزوم : وسط الصدر . الصفائح : الحجارة العراض . الجلمد : الصخر .

(٦) محصد : محكم الفتل .

(٧) الخشام : الأنف العظيم ، ومخطوم الأنف : أى جعل فى أنفه خطام . والمعنى ظاهر . قيد : سحب .

(٨) الإهاب : الجلد . منبول : مصاب بالنبل . والحشا : ما انضمت عليه الضلوع . مقصد : اسم مفعول من أقصده السهم ، أى أصابه فقتله .

(٩) ينوء بأعباء الهوان : تثقله أحماله .

وتقذفهم تلك القبور بضغطها ... عليهم لحرّ الساحة المتوقد

فيرجع بعضٌ من حصير ظلالةً ... ويجلس فيها جِلسة المتعبد

وليست تقيه الحر إلا تعلةً ... لنفسٍ خلت من صبرها المتبدد[1]

وبالثوب بعض يستظل وبعضهم

بنسج لعاب الشمس فى القيظ يرتدى[2]

فمن كان منهم بالحصير مظلَّلًا ... يعدّونه ربّ الطّراف الممدَّد[3]

تراهم نهار الصيف سُفعاً كأنهم ... أثافيُّ أصلاها الطُّهاة بموقَدِ[4]

وجوهٌ عليها للشحوب ملامح ... « تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد »[5]

وقد عمَّهم قيد التعاسة موثقاً ... فلم يتميز مطلق عن مقيد

فسيدهم فى عيشه مثل خادم ... وخادمهم فى ذلِّه مثل سيد

يخوضون فى مستنقع من روائح ... خبائث مهما يزدد الحر تزددِ

تدور رءوس القوم من شمِّ نتْنها ... فمن يك منهم عادم الشم يُحسَد

تراهم سُكارى فى العذاب وما هم ... سُكارى ولكن من عذاب مشدَّدِ

وتحسبهم دوداً يعيش بحمأة ... وما هو من دودٍ بها متولِّدِ[6]

⁂

ألا ربَّ حرٍّ شاهد الحكم جائراً ... يقود بنا قَوْدَ الذَّلول المعبَّد[7]

---

(١) التعلة : ما يتعلل به ، أى يتلهى .

(٢) القيظ : شدة الحر . ومعنى قوله « بنسج لعاب الشمس يرتدى » أنه عارى الجسم لا ثوب له .

(٣) الطراف : بيت يصنع من الأدم ، أى الجلد ، للملوك والرؤساء خاصة .

(٤) سفعا : وجوههم متغيرة مسودة . الأثافى : أحجار يوضع عليها القدر ، مفردها أثفية . أصلاها : أحرقها . الطهاة : جمع طاه ، وهو الطباخ .

(٥) الشحوب : تغير اللون . الوشم : هو أن تغرز الإبرة فى الجلد ، ثم تذر عليه مادة خاصة معروفة .

(٦) الحمأة : الطين الأسود المنتن ، أى هم يشبهون الدود الذى تولد فى غير الحمأة ، ثم ألقى فى الحمأة ، فإنه يموت فيها ، بخلاف الدود المتولد فى الحمأة ، فإنه يعيش فيها ولا يموت .

(٧) الذلول : البعير السهل القيادة . المعبد : المذلل .

فقال ولم يجهرَ ونحن بمنتدًى ... به غيرُ مأمون الوشاية ينتدى[1]

على أى حكم أم لأية حكمة ... ببغداد ضاع الحق من غير مَنشد[2]

فأدنيت للنجوى فمى نحو سمعه ... وقلت لأنّ العدل لم يتبغدد[3]

رعى الله حيًّا مستباحًا كأنه ... من الذعر أسراب النعام المطرد[4]

وما صاحب البيت الحقير بناؤه ... بأفزع من رب البلاط الممرَّد[5]

وما ذاك إلا أنهم قد تخاذلوا ... ولم ينهضوا للخصم نهضة مُلبد[6]

فناموا عن الجُلَّى ونمتُ كنومهم ... سوى نَوْحَةٍ منى بشعر مغرِّد[7]

وهل أنا إلا من أولئك إن مشوا ... مشيت وإن يقعد أولئك أقعد

وكم رمت إيقاظًا فأعيا هبوبهم ... وكيف وعزم القوم شارب مُرقِد[8]

نهوضًا نهوضًا أيها القوم للعُلَى ... لتبنوا لكم بنيانَ مجدٍ موطَّد

تقدَّمَنا قوم فأبعــد شوطهمْ ... وقد كان عنا شوطهم غير مُبعد

وسدَّ علينا الاعتساف طريقنا ... فأجحف بالغَوْرِيِّ والمتنجِّد[9]

أَفى كل يوم يزحف الدهر نحونا ... بجند من الخطب الجليــل مجنَّد

فيارُبَّ نفسٍ من كروب عظيمة ... ويارُبَّ خفف من عذاب مشدَّد

---

(١) ينتدى : يجتمع فى النادى . والمعنى : قال ذلك القول ونحن فى ناد يجتمع فيه من لم نكن نأمن من تجسسه ووشايته .

(٢) منشد : مصدر ميمى من نشد الضالة : أى نادى وسأل عنه .

(٣) النجوى : حديث السر . لم يتبغدد : لم ينتسب لبغداد . ومعنى الأبيات الأربعة : أن ذلك الحر جهر فى ذلك النادى الذى يجتمع فيه غير الأمناء ، قائلا : لم يضيع الحق فى بغداد من غير أن نطالبه ونسأل عنه ؟ فقلت له سراً : ذلك لأن العدل غير بغدادى .

(٤) الذعر : الخوف . الأسراب : جمع سرب ، وهو القطيع من النعام والنساء وغيرها .

(٥) الممرد : المملس المنظم . (٦) الملبد : من أسماء الأسد . (٧) الجلى : الأمر العظيم .

(٨) أعيا : يريد أعيانى ، أى أتعبنى . هبوبهم : استيقاظهم من الخمول ، وإسراعهم إلى المعالى . المرقد : دواء يرقد شاربه أى ينيمه كالأفيون . يقول ، كيف يهبون إلى المجد وهم شاربون من الخمول والاستبداد ما أفقدهم السداد .

(٩) الاعتساف : الظلم . أجحف به كلفه ما لا يطيق . الغورى : قاصد الغور ، وهو المطمئن من الأرض . المتنجد : قاصد النجد ، وهو المرتفع منها .

الدهـــر والحقيقة

أرى الدهر لا يألو بستر الحقائق ... إذا افتر عن صبح تلاه بغاسق [١]

يجر ذيول الخطْب فوق طريقها ... ليعفوَ منـــه ما به من سلائق [٢]

ولو لم يجئنا كل يوم مواربًا ... لما كان فجر كاذب قبل صادق

كأن ليالى الدهر غضبى على الورى ... فتنظر شزرا بالنجوم الشوارق [٣]

وما طلعت كى تهدىَ القوم شمسُه ... ولـكن لتصليهم جحيم الودائق [٤]

وقد تُنْطق الأيامُ بالحق أعجما ... وتسكِت عن تِبيانه كل ناطق

وكم مدَّع فضل التمدّن ما له ... من الفضل إلا أكله بالملاعق

وكم عاقل قد عده الناس أحمقًا ... وما هو لو يُبْلَى سوى متحامِق [٥]

وربَّ ذكىٍّ لم يكن من ذكائه ... سوى ما رووه من ذكاء اللقالق [٦]

وقد تُعْرِض الأسماع عن ذى فصاحة ... وتُصغِى إلى ذى الُّلـكنة المتشادق [٧]

ومن شيم الأيام فى الناس أنها ... تجـوز عليهم باقتطاع العلائق

وألطف جور الدهر جورٌ نرى به ... تدلُّل معشـــوق وذلة عاشق

وما كان كذب القوم فى القول وحده ... ولـكنَّه فى كتبهم والمهارق [٨]

وأقبح مين فى الزمان خُرافـةٌ ... تَخُط بهـا طِرسًا يراعة نامق

---

(١) غاسق : ظلام دامس . (٢) سلائق جمع سليقة ، وهى الطبيعة .

(٣) النظر الشزر ، ما كان بمؤخر الطرف ، وهو نظر احتقار وكبر . وذر : أضاء أو طلع .
والشارق : الطالع .

(٤) الودائق : جمع وديقة ، وهى حر نصف النهار .

(٥) المتحامق : المتشبه بالحمقى فى أفعاله وليس بأحمق .

(٦) اللقالق : جمع لقلق ، وهو ضرب من الطير طويل العنق والمنقار ، يأكل الحيات .

(٧) اللـكنة : الحبسة فى اللسان . المتشادق : المتفاصح .

(٨) المهارق : الصحف تتخذ من حرير أبيض مصمغ مصقول ، يكتب عليها الـكتب المخلدة ،
كالمعاهدات ونحوها .

ضلالٌ على مر الجديدين لم تزل | مغاربنا من أمره كالمشـــارق
فعدِّ عن الأيام إذ لم تجد بها | سوى لَغَطٍ يُزْرِى بفضل المَنطق
نفضت من الدنيا يدىَّ لأننى | تعرفت منها ما بها من خلائق
فما أنا وقاف بها عنـــد منزل | ولا أنا باكٍ من حَبيب مفارق
ولا عذبتنى فى العُذَيب صبابة | ولا شاقنى برقٌ لربع ببارق
تعشّقت فيها حسن كل حقيقة | وأعرضت عن حسن الحسان الغَرانق[(١)]
ولى عنـد إخوان الصفا أريحيَّة | إلى كل خِلٍّ فى الزمان موافق[(٢)]
إذا ما عقدنا مجلس الأنس بالطلا | فبينى وبين السكر خمس دقائق[(٣)]
أقوم إلى كبرى الزجاجات مُدهِقاً | بمستقطَرٍ من خالص التمر رائق
فأقرع بالكأس الروية جبهتى | بشرب كما عبَّ القطا متلاحق[(٤)]
أسابق ندمانى إلى السكر طائرا | بجنح من الأنس المضاعف خافق
فما هى إلا بعد شرب سويعة | وقد دب من رأسى الطّلا فى المفارق
فنادمت أصحابى على غير حشمة | وقلت لهم ما قلت غير منافق
وأغنيتهم عن نُقْلِهم فى شرابهم | بِمُزَّ طرىٍّ من نُقول الحقائق
ولم يبد فىَّ السكر عند اشتـداده | سوى شكر خلى أو سوى حمد خالق
تعودت سبقى فى الفخار فلم أرد | من السكْر أن أحظى به غير سابق
كما اعتاد سبقاً فى المكارم خَزْعلٌ | بلا سابق فيها عليـــه ولاحق
أمير نمتـه للمـكارم والعلى | جحاجحُ من كعب كرام المعارق[(٥)]

---

(١) الغرانق : جمع غرنوقة ، وهى الشابة الممتلئة .

(٢) أريحية : ارتياح . (٣) الطلا : الخمر .

(٤) الروية : المملوءة .

(٥) نمته : نسبته . والجحاجح : جمع جحجاح ، وهو السيد الـكريم . والمعارق : جمع معرق وهو الأصل والحسب .

كذلك أعلى الله فى الناس كعبه | بحظٍ من المجد المؤثل فائق [1]
إذا سار سار المجد فى طيِّ بُرده | يرافقه أكرِمْ به من مرافق
فيرحل من أنسابه فى مواكب | و ينزل من أحسابه فى سرادق
و إن جاء أغضى من رآه تهيباً | سوى نظر منهم بعينى مُسارِق

ومنها :

أبا الأمراء الصِّيد جئتك شاكيا | إليك جنايات الزمان المماذِق
أجرنى رعاك الله منها فإنها | رمت كل عظمٍ فىَّ منها بعارق [2]
أترضى و إنى صقر بغداد أننى | تقدَّمنى فيها فِراخ العقاعق [3]
لئن أنكروا حقى فسوف تحقه | شواهد أقلام بكفِّى نوامق
أصوغ بها حُرَّ الكلام لجزعل | مديحاً كعقد اللؤلؤ المتناسق

---

(١) المؤثل : الثابت القديم .

(٢) عرق العظم يعرقه فهو عارق : أكل ما عليه من اللحم .

(٣) العقاعق : جمع عقعق ، وهو طائر صغير ذو لونين : أبيض وأسود ، طويل الذنب ، وصوته العقعقة ، قيل : وهو نوع من الغربان .

فى سبيل حرية الفكر

أنشدت فى حفلة منتدى التهذيب السنوية
ببغداد بتاريخ ٢ أيار سنة ١٩٢٦ م



كتبت لنفسى عهد تحريرها شعرا ‏ ‏ ‏ وأشهدت فيما قد كتبت لها الدهرا

ومن بعد إتمامى كتابة عهدها ‏ ‏ ‏ جعلت الثُّرَيَّا فوق عُنوانه طُغْرا [1]

---

(١) الثريا نجم مؤلف من عدة أنجم صغيرة . والطغراء ، ويزال لها الطرة : هى علامة توضع فى كتب الملوك شعاراً لهم ، والنقش يجعل فى حاشية الثوب .

وعلّقته كى لا تنـــاولَه يد ... بمنبعث الأنوار من ذِروة الشِّعْرَى[1]
لذاك جعلت الحقّ نُصْبَ مقاصدى ... وصيّرت سرّ الرأى فى أمر جهرا
وجرّدت شعرى من ثياب ريائه ... فلم أكسه إلا معانيَه الغُرّا
وأرسلته نظماً يروق انسجامُه ... فيحسبه المصغى لإنشاده نثرا
فجـاء مضيئاً ليـلُه كنهاره ... وإن كان بعض القوم يزعمه كفرا
أضمّنه معنى الحقيقة عارياً ... فيحسبه جهّالُهُ مَنطقاً هُجرا[2]
ويحمله الغاوى على غير وجهه ... فيُوسعنى شتماً وينظرنى شَزْرا[3]
رُوَيْدَكَ إن الـكفر ما أنت قائل ... وإن صريح العُرف ماخلته نُـكرا[4]
هل الـكفر إلا أن ترى الحق ظاهرا ... فتضرب للأنظار من دونه سِترا
وأن تبصر الأشياء بِيضاً نواصعا ... فتظهرها للناس قانيــة حُمرا
إذا كان فى عُرى الجسوم قباحةٌ ... فأحسن شىء فى الحقيقة أن تَعْرى
فَيَلْمُسُها من مارست عينُه عمى ... ويبصرها من كابدت أذنه وَقْرا[5]
أحب الفتى أن يستقل بنفسه ... فيصبح فى أفـكاره مطلقاً حرا
وأكره منــه أن يكون مقلّدًا ... فيحشر فى الدنيا أسيراً مع الأسرى
وما هـذه الأوطان إلا حدائق ... بها تنبت الأفكار من أهلها زَهرا
وما حبها إلا لأجل تحرُّرٍ ... يكون إلى العلياء بالناس مُنجَرّا
وما حسنها إلا بأن سماءها ... تضاحك من أحرارها أنجماً زُهرا
إذا كان فى الأوطان للناس غاية ... فحرية الأفـكار غايتها الـكبرى
فأوطانـكم لن تستقل سـياسةً ... إذا أنتم لم تستقلوا بهـا فـكرا

---

(١) ذروة الشىء : أعلاه . والشعرى : كوكب نير . يطلع فى شدة الحر .

(٢) الهجر : الفحش فى الكلام .

(٣) الغاوى : الضال أو الجاهل . ويوسعنى شتما : يبالغ فى شتمى . وينظرنى شزرا : ير مقنى باحتقار بمؤخر عينه .

(٤) رويدك : تمهل ولا تعجل . والنكر : المنكر ، ضد المعروف .

(٥) الوقر : ثقل السمع .

إذا السيفُ لم يَعضُده رأى محرر ... فلا تأملنْ من حدِّه ضربة بِكرا[١]

سواء على الإنسان بعد جموده ... أحلّ بقفر الأرض أم سكن المصرا

إذا لم يعش حرًّا بموطنه الفتى ... فَسَمِّ الفتى مَيتًا وموطنه قبرا

أحرّيتى إنى اتخذتك قِبلةً ... أوجه وجهى كل يوم لها عشرا

وأمسك منها الركن مستلمًا له ... وفى ركنها استبدلت بالحَجَر الحِجْرا[٢]

إذا كنتُ فى قفرٍ تخذتك مؤنساً ... وإن كنت فى ليل جعلتك لى بدرا

وإن نابنى خطب ضممتك لاثماً ... فقبلت منك الصدور والنحر والثغرا

وإن لامنى قوم عليك فإننى ... لملتمس للقوم من جهلهم عذرا

إلى أبناء المدارس

كفى بالعلم فى الظلمات نورا ... يبيّن فى الحياة لنا الأمورا

فكم وجد الذليل به اعتزازاً ... وكم لبس الحزين به سرورا

تزيد به العقول هُدًى ورشداً ... وتستعلى النفوس به شعورا

* * *

إذا ما عقّ موطنهم أناسٌ ... ولم يبنوا به للعلم دُورا[٣]

فإن ثيابهم أكفان موتَى ... وليس بيوتهم إلا قبورا

وحُقّ لمثلهم فى العيش ضنك ... وإن يدْعوا بدنياهم ثُبورا[٤]

* * *

---

(١) لم يعضده : لم يؤازره . والضربة البكر : التى لم يضربه قبلها مثلها .

(٢) الحجر ، بتحريك الجيم : هو الحجر الأسود الذى فى ركن من أركان الكعبة . والحجر ، بكسر الحاء وتسكين الجيم ، مكان بجانب الكعبة . وفى اللفظ تورية ، لأنه يطلق أيضا على العقل وهو المراد به فى البيت .

(٣) عقه يعقه عقوقا : لم يوف له بعهده وحقه .

(٤) حق لهم كذا : استحقوه . والضنك : الضيق والذل . أن يدعوا ثبورا : أن يطلبوا الهلاك فى الدنيا . يريد أن من قصر فى حق العلم استهدف الهلاك .

أرى لُبّ العلى أدباً وعلماً ... بغيرهما العُلَى أمست قشورا

* * *

أأبناء المدارس إن نفسى ... تؤمّل فيكمُ الأمل الكبيرا

فسقياً للمدارس من رياض ... لنا قد أنبتت منكم زهورا

ستكتسب البلاد بكم عُلوًّا ... إذا وجدت لها منكم نصيرا

فإن دَجَت الخطوب بجانبيها ... طلعتم فى دُجنَّتها بدورا(١)

وأصبحتم بها للعزّ حصناً ... وكنتم حولها للمجد سورا

* * *

إذا ارتوت البلاد بفيض علم ... فعاجز أهلها يمسى قديرا

ويقوى من يكون بها ضعيفاً ... ويغنَى من يعيش بها فقيرا

ولكن ليس منتفعاً بعلم ... فتى لم يحرز الخُلُق النَّضيرا

فإن عماد بيت المجد خلق ... حكى فى أنف ناشقه العبيرا

فلا تستنفعوا التعليم إلا ... إذا هذبتم الطبع الشريرا

إذا ما العلم لابس حسنَ خُلُقٍ ... فرجّ لأهله خيرًا كثيرا

وما إن فاز أغزرنا علومًا ... ولكن فاز أسلمنا ضميرا

* * *

أأبناء المدارس هل مُصيخٌ ... إلى من تسألون به خَبيرا(٢)

ألا هل تسمعون فإن عندى ... حديثًا عن مواطنكم خطيرا

ورأيًا فى تعاونكم صوابًا ... وقلبًا من تخاذلكم كسيرا

قد انقلب الزمان بنا فأمست ... بَغاثُ القوم تحتقر النسورا(٣)

---

(١) دجت الخطوب : أظلمت الحوادث واشتدت . والدجنة : الظلمة .

(٢) مصيخ : مستمع .

(٣) البغاث ، مثلث الباء : صغار الطير وضعافها .

وساء تقلّب الأيام حتى حمدنا من زعازعها الدَّبورا[١]
وكم من فأرة عمياء أمست تسمَّى عندنا أسداً هصورا[٢]
فكيف نروم فى الأوطان عزّا وقد ساءت بساكنها مصيرا
ولم يك بعضنا فيها لبعض على ما ناب من خطب ظهيرا[٣]
ألسنا الناظمين عقود مجد نزين من العصور بها النحورا
إذا لُجَجُ الخطوب طمت بَنَينا عليها من عزائمنا جسورا
لنبتدر العُبور إلى المعالى بحيث نطاول الشعرَى العَبورا[٤]

* * *

ألا يا ابن العراق إليك أشكو وفيك أمارس الدهر المَكُورا[٥]
تنفَّضْ من غبار الجهل واهرعْ إلى تلك المدارس مستجيرا[٦]
فهنَّ أمانٌ من خشى الليالى وهن ضمان من طلب الظهورا

المطلقـــة (*)

بدت كالشمس يحضنها الغروبُ فتاةٌ راع نَضرتها الشحوبُ[٧]
منزَّهة عن الفحشاء خَوْد من الخفِرات آنسة عَروب[٨]

(١) الزعازع : جمع زعزع ، وهى الريح الشديدة . والدبور : هى الريح التى تأتى من الجنوب ، وهى مكروهة عند العرب .
(٢) الهصور : الشديد الافتراس .
(٣) ظهيرا : وعونا ومساعدا .
(٤) الشعرى : كوكب مضىء يطلع فى الحر ، وهما شعريان : العبور والغميصاء .
(٥) المكور : الشديد المكر .
(٦) أهرع : أسرع .
(٧) راع : شوه ، وراع فى الأصل : بمعنى أفزع وأخاف . نضرتها : رونقها وحسنها .
(٨) الخود : المرأة الشابة . الخفرات : جمع خفرة ، وهى المرأة التى تستحى أشد الحياء . الآنسة : التى يؤنس بحديثها . العروب : المرأة المتحببة إلى زوجها .

(*) من الديوان الأول .

نوارُ تستنجدُ بها المعالى وتبلى دون عفّتها العيوب[1]
صفا ماء الشباب بوجنتيها فحامتْ حول رونقه القلوب
ولكنّ الشوائب أدركته فعاد وصفوه كدر مشوب[2]
ذوى منها الجمال الغض وجداً وكاد يجف ناضره الرطيب[3]
أصابت من شبيبتها الليالى ولم يُدرك ذوائبها المشيب[4]
وقد خلب العقولَ لها جبين تلوح على أسرّته النُّكوب[5]
ألا إن الجمال إذا علاه نقاب الحسن منظره عجيب

* * *

حليلة طيّب الأعراق زالت به عنها وعنه بها الكروب
رعى ورعت فلم ترَ قطّ منه ولم يرَ قطّ منها ما يَريب
توثّق حبل ودّهما حضوراً ولم ينكث توثّقه المغيب[6]
فغاضب زوجها الخلطاء يوماً بأمر للخلاف به نشوب[7]
فأقسم بالطلاق لهم يميناً وتلك أليّةٌ خَطَأٌ وحُوب[8]
وطلّقها على جهلٍ ثلاثاً كذلك يجهل الرجل الغضوب[9]
وأفتى بالطلاق طلاق بتٍّ ذوو فُتيا يعصبهم عصيب[10]

---

(١) النوار : المرأة النفور من الريبة . ونوار اسم امرأة كانت زوجا للفرزدق ، فطلقها ثم ندم ، وفى البيت إشارة إلى ذلك .

(٢) الشوائب : الأمور التى تغير الشىء . مشوب : مخلوط .

(٣) ذوى : ذبل . (٤) الذؤابة : الناصية وهى مقدم الرأس ، أو هى الطرة .

(٥) الأسرة : هى خطوط فى الجبهة والكف ، وفى كل شىء ، والغالب استعمالها لخطوط الجبهة . النكوب : جمع نكب ، وهى المصيبة .

(٦) توثق : تقوى . ينكث : ينقض . (٧) النشوب : نشب الشىء نشوبا : بمعنى علق .

(٨) ألية : قسم . الحوب : الذنب . الحلف بالطلاق حرام ، لذلك كان الحالف به مذنبا .

(٩) عصيب : شديد .

(١٠) بانت : بعدت ، بسبب هذه الفتيا الباطلة الخاطئة . الذام : العيب — جهل الناس الحكمة من مشروعية الطلاق ، وعبد من يسمون بالعلماء ألفاظ الكتب التى درسوها ، فأفتوا بغير علم صحيح فضلوا وأضلوا ، وأوقعوا الناس فى حرج عظيم .

فبانت عنه لم تأتِ الدنايا   ولم يعلق بها الذام المعيب
فظلّت وهى باكية تنادى   بصوتٍ منه ترتجف القلوب

* * *

لماذ يا نجيب صرمت حبلى   وهل أذنبت عندك يا نجيب[١]
ومالك قد جفوت جفاء قالٍ   وصرتَ إذا دعوتُكَ لا تجيب[٢]
أبِنْ ذنبى إلىّ فدتك نفسى   فإنى عنه بعدئذٍ أتوب
أما عاهدتنى بالله أن لا   يفرّق بيننا إلا شعوب[٣]
لئن فارقتنى وصددت عنى   فقلبى لا يفارقه الوجيب[٤]
وما أَدماء ترتع حول روضٍ   ويرتع خلفها رشأ رَبيب[٥]
فما لفتت إليه الجيد حتى   تخطّفه بأزمتيه ذيب[٦]
فراحت من تحرقها عليه   بداء ما لها فيه طبيب
تَشَمّ الأرض تطلب منه ريحاً   وتنحب والبُغام هو النحيب[٧]
وتمزَع فى الفلاة لغير وجهٍ   وآونةً لمصرعه تئوب[٨]
بأجزعَ من فؤادىَ يوم قالوا   برغمٍ منكِ فارقك الحبيب[٩]

* * *

---

(١) صرمت : قطعت .   (٢) قال : مبغض .
(٣) شعوب : اسم للموت .   (٤) الوجيب : الخفقان .
(٥) الأدماء : الظبية المشرب لونها بياضا . الرشأ : ولد الظبية الذى قد تحرك ومشى . ربيب : ملازم لها .
(٦) الجيد : العنق . الأزمتان : النابان .
(٧) تنحب : تبكى وبكاؤها أشبه بالسعال . البغام : صياح الظبية إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها .
(٨) تمزع : تسرع . لمصرعه : لمكان هلاكه . تئوب : ترجع .
(٩) بأجزع : الجار والمجرور خبر لقوله وما أدماء فى بيت سابق . يقول عن لسان المطلقة : إن هذه الظبية التى صفتها كيت وكيت ليست بأشد جزعا واضطرابا منى حين بلغنى أنك طلقتنى . فليتبصر بمثل هذا القول المتسرعون بإيقاع الطلاق ، وحل عقدة النكاح الموثقة .

فأطرق رأسه خَجَلًا وأغضى ... وقال ودمع عينيه سَكوب
نجيبـةُ أقصرى عنى فإنى ... كفانى من لَظَى النَدم اللهيب
وما والله هجرك باختيارى ... ولكن هكذا جرتِ الخطوب
فليس يزول حبك من فؤادى ... وليس العيش دونك لى يطيب
ولا أسلو هواك وكيف أسلو ... هوًى كالروح فىّ له دبيب
سلى عنى الكواكب وهى تسرى ... بجُنح الليل تطلع أو تغيب
فكم غالبتها بهواك سهداً ... ونجم القطب مطّلع رقيب
خذى من نور رَنْتَجْنٍ شُعاعاً ... به للعين تنكشف الغيوب(1)
وألقيهِ بصدرىَ وانظرينى ... ترَىْ قلبى الجريح به ندوب(2)
وما المكبول أُلْقِى فى خِضَمٍ ... به الأمواج تصعد أو تصوب(3)
فراح يغطُّه التيّار غطّاً ... إلى أن تمَّ فيه له الرسوب(4)
بأهلك يابنة الأمجاد مَتى ... إذا أنا لم يعدْ بك لى نصيب

☆ ☆ ☆

ألا قل فى الطلاق لِموُقعيه ... بما فى الشرع ليس له وجوب
غلوتم فى ديانتكم غُلوًّا ... يضيق ببعضه الشرحُ الرحيب
أراد الله تيسيراً وأنتم ... من التعسير عندكم ضروب
وقد حَلَّت بأمتكم كروب ... لكم فيهنَّ لا لهم الذنوب
وَهَى حبلُ الزواج ورقَّ حتى ... يكاد إذا نفختَ له يذوب
كخيطٍ من لُعاب الشمس أَدْلَتْ ... به فى الجوّ هاجرةٌ حَلُوب(5)
يمزّقه من الأفواه نفْثٌ ... ويقطعه من النسَم الهُبوب

---

(1) رنتجن : هو مخترع الأشعة المعروفة باسمه . (2) الندوب : آثار الجروح .
(3) المكبول : المقيد . الخضم : البحر . تصوب : تنخفض .
(4) الرسوب : الغرق إلى القعر .
(5) لعاب الشمس: شىء كأنه ينحدر من السماء وقت شدة الحر ؛ تراه مثل نسج العنكبوت .
أدلت : أرسلت : الهاجرة : شدة الحر ، والهاجرة الحلوب : هى التى تجلب العرق لشدة حرارتها .

فدى ابنَ القيم الفقهاءُ كم قد دعاهم للصواب فلم يجيبوا[١]
ففي « إعلامه » للناس رشدٌ ومزدَجرٌ لمن هو مستريب[٢]
نحا فيما أتاه طريق علم نحاها شيخه الحبر الأريب[٣]
وبيَّن حكم دين الله لكن من الغالين لم تعِه القلوب[٤]
لعلَّ الله يُحدِث بعدُ أمراً لنا فيجيبَ منهم من يجيب

اليتيم في العيد(*)

أطلَّ صباح العيد في الشرق يسمعُ ضجيجاً به الأفراح تمضي وترجعُ
صباحٌ به تُبدي المسرةَ شمسها وليس لها إلا التوهمَ مطلعُ
صباح به يختال بالوشي ذو الغنى ويُعوِزُ ذا الإعدام طِمرٌ مرقَّع[٥]
صباح به يكسو الغنيُّ وليدَه ثيابا لها يبكي اليتيم المضيَّعُ
صباح به تغدو الحلائل بالحُلَى وترفَضُّ من عين الأرامل أدمع[٦]
ألا ليت يوم العيد لا كان إنه يجدد للمحزون حزنا فيجزع
يُرينا سرورا بين حزنٍ وإنما به الحزن جِدٌّ والسرور تصنُّعَ
فمن بؤساء الناس في يوم عيدهم نحوسٌ بها وجه المسرة أسفع[٧]

---

(١) ابن القيم : هو العلامه المحدث الفقيه المشهور .

(٢) يشير إلى كتاب « إعلام الموقعين » لابن القيم المذكور ؛ وهو من أنفس الكتب التي ألفها . ومزدجر : مصدر ميمي من ازدجر ؛ بمعنى زجره ومنعه . مستريب : شاك .

(٣) أراد بشيخه الامام أحمد بن تيمية رحمه الله .

(٤) الغالين : هم المتشددون في الدين حتى تجاوزوا الحد ؛ قال تعالى « لاتغلوا في دينكم » ؛ لم تعه : لم تحفظه ؛ ولم تتدبر معناه .

(*) من الديوان الأول .

(٥) الوشي : نوع من الثياب الموشية الحسنة . أعوزه الشيء : احتاج إليه فلم يقدر عليه . الإعدام : الفقر . الطمر : الثوب البالي .

(٦) الحلائل : النساء ذوات الأزواج . (٧) أسفع : أسود

قد ابيضَّ وجهُ العيد لـكنَّ بؤمهم رمى نُـكَتا سوداً به فهو أبقع[1]

٭ ٭ ٭

خرجتُ بغد النحر صبحا فلاح لى مسارحُ للأَضـداد فيهنَّ مرتع

خرجت وقرص الشمس قد ذرّ شارقا

ترى النور سيالا به يتـــدفع

هى الشمس خَوْدٌ قد أطلّت مصيخةً

على الأرض من أفق العُلَى تتطلع[2]

كأن تفاريق الأشعة حولها على الأفق مُرْخاةً ذوائبُ أربع[3]

ولما بدت حمراء أيقنت أنها بها خجل مما تراه وتسمع

فرحت وراحت ترفل النور ساطعًا

وسرت وسارت فى العُـــلَى تترفَّع

بحيث يسير الناس كل لوجهة فهذا على رِسْلٍ وذاك مسرع[4]

وبعضٌ له أَنفٌ أَشمُّ من الغنى وبعض له أنف من الفقر أجدع[5]

وفى الحىّ مِزْمار اِمشُّجِى نعيره غدا الطبلُ فى دَرْدَابه يتقعقع[6]

فجئت وجوف الطبل يرغو وحوله شباب وولدان عليه تجمعوا[7]

لقد وقفوا والطبل يهتزُّ صوته فتهتز بالأبدان سوقٌ وأكْرُع[8]

ترى مَيْعة الإطراب والطبل هادرٌ تفيض وفى أصابعهم تتميَّع[9]

---

(١) نـكتا : نقطا سودا . أبقع : مختلف اللون .

(٢) الخود : المرأة الشابة . مصيخة : مستمعة .

(٣) الذوائب : الضفائر .

(٤) على رسل : أى على مهل .

(٥) أنف أشم : مرتفع كبرا . أجدع : مقطوع . وهو كناية عن الذل .

(٦) نعيره : صوته . الدرداب : صوت الطبل .

(٧) يرغو : يضج ويصوت .

(٨) سوق : جمع ساق . وأكراع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق .

(٩) ميعة : كل شىء أوله . تتميع : تتسيل .

فقــد كانت الأفراح تفتح بابها لمن كان حول الطبل والطبل يُقْرَع

* * *

وقفت أُجيل الطَّرْف فيهم فراعني هنــــاك صبيٌّ بينهم مترعرع
صبيٌّ صبيح الوجه أسمر شاحب نحيف المباني أدعج العين أنزع (١)
يَزين حِجاجيهِ اتساعُ جبينهِ وفي عينه برق الفطانة يلمع (٢)
عليه دَريسٌ يَعصِر اليتمُ رُدْنَه فيقطرُ فقر من حواشيه مُدْقِع (٣)
يُلِيح بوجـــهٍ للكآبة فوقهُ غُبارٌ به هبَّت من اليتم زَعْزع (٤)
على كُثْرِ قَرْعِ الطبل تلقاه واجمًا كأن لم يكن للطبل ثَمَّــة مَقْرع (٥)
كأن هدير الطبل يقرع سمعه فلم يُلفِ رجعًا للجواب فيرجع
يرد ابتسام الواقفـــين بحسرة تـكاد لها أحشاؤه تتقطع
ويرسل من عينيهِ نظرةَ مُجْهِشٍ وما هو بالباكي ولا العين تدمع (٦)
له رجفـــة تنتابهُ وهْو واقفٌ على جانب والجوُّ بالبرد يلسع (٧)
يرى حوله الـكاسين من حيث لم يجد
على البَرْد من بُرْدٍ به يتلفَّع (٨)
فكان ابتسام القوم كالثلج قارسًا لدى حسراتٍ منه كالجمر تلذع

* * *

فلمـــــا شجاني حاله وأفزَّني وقفت وكلِّي مَجْزَع وتوجع (٩)

---

(١) شاحب: أي متغير اللون. أدعج العين: أسودها مع سعة فيها. الأنزع: المنحسر الشعر عن جانبي جبهته.
(٢) حجاجيه حاجبيه، وأصل الحجاج العظم المحيط بالعين.
(٣) الدريس: الثوب البالي. الردن: أصل الكم. فقر مدقع: شديد كأنه يلصق صاحبه بالدقعاء؛ وهي التراب.
(٥) واجما: ساكتا عاجزا عن التكلم من كثرة الغم أو الخوف. ثمة: هناك.
(٦) المجهش: الهام بالبكاء المتهيء له؛ وماضيه أجهش.
(٧) تنتابه: تصيبه. (٨) البرد: الثوب المخطط. تلفع بالثوب: تلفف به.
(٩) شجاني: حزنني.

ورحت أعاطيه الحَنان بنظرةٍ　　كما راح يرنو العابد المتخشع
وأفتح طرفى مُشْبَعاً بتعطُّفٍ　　فيرتد طرفى وهو بالحزن مُشْبَع
هنالك على مهل تقدمت نحوه　　وقلت بلطف قول من يتضرع
أيابن أخى من أنت ما اسمك ما الذى　　عراك فلم تفرحْ فهل أنت مُوجع ؟[١]
فهبَّ أمامى من رقاد وُجومه　　كما هبَّ مرعوبُ الجنان المهجَّع
وأعرض عنى بعد نظرة يائسٍ　　وراح ولم ينبِسْ إلى حيثُ يُهْرَع[٢]
فعقَّبتهُ مستطلعاً طِلعَ أمره　　على البعد أقفوا الأَثْر منه وأتبع[٣]
وبيناهُ ماشٍ حيث رُحت خلفهُ　　أدِبُّ دبيب الشيخ طوراً وأسرع[٤]
لمحت على بعد إشارة صاحب　　ينادى أنِ ارْجع وهو بالثوب مُلمِع
فأومأت أن ذكرتهُ مُوعداً لنا　　وقلت له اذهب وانتظر فسأرجع
وعدتُ فأبصرت الصبىّ معرّجا　　ليدخل داراً بابها متضعضع[٥]
فلما أتيت الدار بعد دخوله　　وقفت حيالَ الباب والباب مُرجَع[٦]
دنوت إلى باب الدُّوَيرة مطرقاً　　وأصغيت لا عن رِيبة أتسمَّع[٧]
سمعت بكاء ذا نشيج مردَّدٍ　　تكاد له صمُّ الصفا تتصدّع[٨]
فخِرْت وعينى ترمق الباب خِلسة　　وللنفس فى كشف الحقيقة مَطمَع
أأرجع أدراجى ولم أكُ عارفاً　　جلية هذا الأمر أم كيف أصنع ؟

☆ ☆ ☆

فمرّت عجوز فى الطريق وخلفها　　فتاة يغشّيها إزار وبُرْقُع[٩]

---

(١) عراك : أصابك .　　(٢) لم ينبس : لم يتكلم .
(٣) أقفو الأثر منه : أى أتبع أثره .
(٤) الشيخ : هو الذى انتهى شبابه ؟ وقيل هو من بلغ الأربعين ؟ وقيل الخمسين .
(٥) عرج : مال من جانب إلى آخر .
(٦) حيال الباب : قبالته .　　(٧) الدويرة : تصغير دار . أطرق : سكت ولم يتكلم
(٨) النشيج : الغصة بالبكاء من غير انتحاب .　　(٩) يغشيها : يغطيها .

تعرضتها مستوقفاً وسألتها ... عن الاسم ، قالت إننى أنا بوزع
فأدنيتها منى وقلت لها اسمعى ... حنانيك ما هذا الحنين الموجّع
فقالت وأنّت أنّة عن تنهد ... وفى الوجه منها للتعجب موضع
أيا بنىّ ما يعنيك من نوح أيّم ... لها من رزايا الدهر قلب مفجّع (١)
فقلت لها إنى امرؤ لا يهمنى ... سوى من له قلب كقلبى مروّع (٢)
وإنى وإن جارت علىّ مواطنى ... فؤادى على قطّانهن موزّع (٣)
أبوزعُ منّى عمركِ اللهَ بالذى ... سألت فقد كادت حشاىَ تمزّع
فقالت أعن هذى التى طال نحبُها ... سألت فعندى شرح ما تتوقع
ألا إنها سلْمى تعيسةُ معشرٍ ... من الصِّيد أقوت دارهم فهى بلقع (٤)
وصارعهم بالموت حتى أبادهم ... من الدهر عجّارٌ شديد مصرّع (٥)
فلم يبق إلا زوجها وشقيقها ... خليلٌ وأما الآخرون فودّعوا
ولم يلبث المقدور أن غال زوجها ... سعيداً فأودى وهى إذ ذاك مُرْضِع (٦)
فربّى ابنها سعداً وقام بأمره ... أخوها إلى أن كاد يقوى ويضلع (٧)
فأذهب عنه الخالَ دهرٌ غشمشمٌ ... بما يوجع الأيتام مُغْرًى ومُولَع (٨)
جرت هَنَةٌ منها على خاله انطوى ... بقلب رئيس الشرطة الحقدُ أجمع (٩)
فزجّ به فى السجن بعد تجرُّم ... عليه بجُرمٍ ما له فيه مَصنع (١٠)

---

(١) الأيم : هى من فقدت زوجها . مفجع : موجع .
(٢) مروع : أصابه الروع وهو الخوف . (٣) قطانهم : سكانهم .
(٤) الصيد جمع أصيد ؛ وهو الرجل الذى لايلتفت من كبره ؛ وأراد بالصيد : أولى النعمة . بلقع : خالية من السكان .
(٥) العجار : المصارع ؛ الذى لايطاق جنبه فى الصراع .
(٦) غال : أهلك . أودى : أهلك . (٧) يضلع : يقوى وتشتد أضلاعه .
(٨) الغشمشم : هو من يركب رأسه فلا يثنيه عن مراده شىء ؛ وقيل هو الكثير الظلم .
(٩) هنة : أى شىء ما وهى مؤنث الهن ؛ وكلاهما يكون كناية عن كل اسم جنس ؛ ومعناها شىء . الشرطة : رجال البوليس والضابطة .
(١٠) تجرم عليه : أى أدعى عليه بجرم لم يفعله .

عزاه إلى إيقـــــــــاعه مُوقِعًا به ... وما هو يا ابن القوم للجرم موقع[١]

ولـكن غدر الحاقدين رمى به ... إلى السجن فهو اليوم فى السجن مودع

فَحقّ لسـلمى أن تنوح فإنهـا ... من العيش سمًّا ناقعاً تتجرّع[٢]

فلا غَروَ مِنْ أُمّ اليتيم إذا غدت ... ضحى العيد يبكيها اليتيم المضيَّع

* * *

فَعُدْتُ وقلبى جازع متوجع ... وقلت وعينى ثَرَّة الدمع تهمع[٣]

ألا ليت يوم العيد لا كان إنهُ ... يجدد للمحزون حزناً فيجزع

وجئت إلى معيادنا عند صاحبى ... وقد ضمه والصحبَ نادٍ ومجمع

فأطلعتهم طِلْعَ اليتيم فأفَّفوا ... وخبَّرتهمْ حال السجين فرجّعوا[٤]

فقلت دعوا التأفيف فالعار لاصق ... بكم واتركوا الترجيع فالأمر أفظع

ألسنا الأُلى كانت قديماً بلادُنا ... بأرجائها نور العدالة يسطع[٥]

فمـا بالنا نستقبل الضيم بالرضا ... ونعنو لحـكم الجائرين ونخضع[٦]

شربنا حميم الذلّ مِلْء بطوننا ... ولا نحن نَشْكُوه ولا نحن نَيْجَع[٧]

فلو أن غير الحىّ يشرب مثلَنا ... هواناً لأمسى قالسا يتهوّع[٨]

نهوضاً إلى العز الصُّراح بعزمة ... تخِرُّ لمرماها الطُّغاة وتركع

ألا فاكتبوا صَـكَّ النهوض إلى العـلى ... فإنِّى على مـــــــوتى به لموقِّع[٩]

(١) موقعا : منزلا به ما يسوءه . (٢) السم الناقع : البالغ القاتل .

(٣) الثرة ، من العيون والسحاب : الغزيرة . تهمع : تدمع .

(٤) رجعوا : أى قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون . (٥) الأرجاء : الأطراف .

(٦) الهوان . نعنوا : نخضع. (٧) الحميم : أصل معناه الماء الحار .

(٨) العير : الحمار . قلس خرج من بطنه طعام أو شراب إلى الفم ، سواء ألقاه أم أعاده إلى بطنه ، فإن غلب فهو القىء والتهوع .

(٩) الصك : هو ما يكتب عليه الاقرار بالمال وغيره . موقع : كاتب التوقيع .

سياسة لا حماسة (*)

الشعر مفتقر منّى لمبتكرٍ ... ولست للشعر فى حالٍ بمفتقرِ
دعوت غُرَّ القوافى وهى شاردة ... فأقبلت تتمشى مشى معتذرِ
وسَامتنىَ عن طوع مَقادتها ... فرحت فيهنَّ أجرى جرىَ مقتدرِ
إذا أقمت أقامت وهى من خدمى ... وأينما سرت سارت تقتفى أثرى
صرّفت فيهن أقلامى ورحت بها ... أعرّف الناس سحرالسمع والبصر
ملكن من رقةٍ رِقَّ النفوس هوًى ... من حيث أطربن حتى قاسىَ الحجر
سقيتهنَّ المعانى فارتوين بها ... وكنَّ فيها مكان الماء فى الثمر
كم تشرئب لها الأسماع مصغيةً ... إذا تُنُوشدن بين البدو والحضَرِ
طابقت لفظىَ بالمعنى فطابقــــه ... خِلْوًا من الحشو مملوءًا من العِبر
إنى لأنتزع المعنى الصحيح على ... عُرْىٍ فأكسوه لفظاً قُدَّ من دُرَرِ
سل المنازل عنى إذ نزلت بهــا ... بيتاً من الشِّعْر لا بيتاً من الشَّعَر
وأجود الشــــعر ما يكسوه قائله ... بوشْىِ ذا العصر لا الخالى من العُصُرِ
لا يحسن الشِّعْرُ إلّا وهو مبتـكَر ... وأىُّ حسن لشعر غير مبتـكر
ومن يكن قال شعراً عن مفاخرة ... فلست والله فى شـعرٍ بمفتخر
وإنمـا هى أنفاس مُصَعَّدة ... ترمى بها حسراتى طائرَ الشرر
وهنَّ إن شئت منِّى أدمع غُزُر ... أبكى بهن على أيامنا الغُرَر
أبكى على أمة دار الزمان لهـا ... قَبْـلًا ودار عليها بعدُ بالغِيَرِ (1)
كم خلَّدَ الدهر من أيامهم خبرًا ... زان الطروس وليس الْخُبْرُ كالْخَبَرِ
ولست أذَّكر الماضين مفتخرًا ... لـكن أقيم بهم ذِكْرَى لمدَّكِرِ (2)

(*) من الديوان الأول . (1) الغير : الحوادث . (2) أدكر : أذكر .

وكيف يفتخر الباقون فى عَمَهٍ … بدارسٍ من هُدَى الماضين مندثر (١)

لهفي على العُرب أمست من جمودهم … حتى الجمادات تشكو وهى فى ضَجَر

أين الجَحاجِح ممن ينتمون إلى … ذؤابة الشرف الوضّاح من مُضَر (٢)

قوم هم الشمس كانوا والورى قمر … ولا كرامة لولا الشمسُ للقمر (٣)

راحوا وقد أعقبوا من بعدهم عَقِباً … ناموا عن الأمر تفويضاً إلى القدر

أقول والبرق يسرى فى مراقدهم … «ياساهر البرق أيقظ راقد السمُر» (٤)

يأيها العُرب هبُّوا من رقادكُم … فقد بدا الصبح وانجابت دُجى الخَطَر (٥)

كيف النجاح وأنتم لا اتفاق لكم … والعود ليس له صوت بلا وتر

مالى أراكم أقلَّ الناس مقدرةً … يا أكثر الناس عدًّا غير منحصر

إلى الشبان (*)

أدبُ العـــلم وعلم الأدبِ … شرف النفس ونفس الشرفِ

بهما يَبْلــغ أعلى الرّتبِ … كلُّ رامٍ منهما فى هدفِ

* * *

أيهــا السابح فى بحر الفنونْ … غائصاً فى لُجِّهــا الملتطمِ

أنت والله على رغم المنونْ … ذو وجــودٍ قاتلٍ للعَدَمِ

قَرنك الحاضر من أرقى القرونْ … خضع السيف به للقـــــلمِ

فإذا شئت بلوغ الأربِ … فاغترف من بحره وارتشفِ

فالمعالى أُودعت فى الــكتبِ … كاللآلى أُودعت فى الصدفِ

(١) العمه : الضلال . الدارس : المنمحى . مندثر : بال دارس .

(٢) الجحاجح: السادة. الذؤابة : فى الأصل معناها: الضفيرة فوق الناصية ، وذؤابة الشرف: أعلاه.

(٣) ذلك لأن نور القمر مقتبس من نور الشمس ، فلا كرامة له لولاها .

(٤) المراقد : جمع مرقد ، وهو مكان النوم . السمر : القوم يجتمعون المسامرة .

(٥) انجابت : انكشفت .

(*) هذه القصيدة أنشدت يوم افتتاح المنتدى الأدبى الذى أسسه شبان العرب فى الآستانة ، وقد طلبوا إلى الرصافى أن ينظم لهم قصيدة تنشد فى يوم الافتتاح المذكور ، فنظم لهم هذه القصيدة .

أنت يا جاهل من قبل المماتْ ميّت يمرح ما بين البيوتْ[1]
أوَ ما تعلم فى هـذه الحياةْ أن رب العلم حى لا يموتْ
إذ قضى للعلم رب الـكائناتْ بالعُلَى فهو زمام الملـكوتْ
وعلى الجهل قضى بالعَطَبِ فهو فى الناس دليل التلفِ
فافتـكر إن شئت علم السببِ هل يكون النور مثل السَدَفِ[2]

* * *

يارعى الله زماناً لو يدومْ كان للدهر كأيام الصِّبا
أشرقت فيه من العـلم النجومْ ظن كل الناس أن لن تغرُبا
زمن قد ضحكتْ فيه العلومْ ونراها اليـوم تبكى العَرَبا
حيث منهمْ فقدت خير أب واغتدت من يتْمها فى شَظَفِ[3]
يا عهود العلم ما شئت اندبى يا عيون المجـد ما شئت اذرُفِى

* * *

هل أتاكَ الدهر فيما قد أتى بحديث العُرْبِ فى الأندلس
حيث بالعزم أماطوا العنَتا وبنور العـــلم ليلَ الهوَسِ[4]
فاسألنَّ الغرب عمـــا ثبتا فى رُبوع خلَّفوها دُرُسِ
هل ترى ثَمَّـة من لم يجب عن معاليهم ولم يعترفِ
آه لو يرجع ماضى الحِقَبِ آه لو عاد زمان الشرفِ

* * *

(١) يمرح : يتبختر ويختال فرحا ونشاطا . والجملة صفة لميت . والغرض من وصفه بها بيان الفرق بينه وبين الميت الحقيق ، كما يدل عليه قوله من قبل الممات ، أى أنت ميت مجازا قبل أن تموت حقيقة .

(٢) السدف : بفتحتين الظلمة ، ويجوز أن يكون بضم ففتح ؛ على أن يكون جمع سدفة كظلمة ؛ وزنا ومعنى .

(٣) الشظف : بالتحريك : ضيق العيش ويبسه وشدته .

(٤) العنت : مصدر عنت إذا فسدت ، أو وقع فى أمر شاق ، أو لقى الشدة وهلك . والهوس : بفتحتين : طرف من الجنون وخفة العقل .

سلْ رُبا بغداد عما قد مضى   لبنى العباس فى تلك الديارْ

واسألنَّ الشام عما قد أضا   العلويين فيها من فخارْ

كم ترى للمجد سيفا منتضى   كم ترى للعلم فيها من منارْ

عجبى يا قوم كل العجب   هذه الآثارَ لِمْ لا نقتفى

آه من رقدتنا واحَرَبى   آه من غفلتنا وا أَسفى (١)

* * *

يا أُباة الضيم من عُلْيا نزارْ   أينَ منكم ذهبتْ تلك الطباعْ

كنتم كالسيف مشحوذ الغِرارْ   والذى حل حماكم لن يراعْ (٢)

كم إلى العلم أقمتم من منارْ   بعقول هى أسنى من شعاعْ

قطَعتْ أبواعكم عن كَثَبِ   كلَّ مجد شاهق المقتَطَفِ (٣)

تلك والله مزايا العربِ   أورثوها خَلَفًا عن سلفِ

* * *

أنت يا شمسُ على كر السنينْ   قد تقلَّبت طلوعاً فى الورَى

حدثينا بحديث الأوَّلينْ   فلقد شاهدتِ تلك الأعصرا

أفكانوا مثلنا مختلفينْ   لا يُغيثون إذا خطب عرَا (٤)

إننا يا شمس فى مُضطرَبِ   قد ألفناه فلم نأتلفِ

إن بقينا هكذا فاحتجبى   عن بنى الغبراء أو فانكسفى

* * *

يا بنى يعرُب ما هذا المنامْ   أَوَ ما أسفر صبح النُّوَّم

---

(١) واحربى : وا : حرف ندبة للتوجع أو التفجع . والحرب بفتحتين : الهلاك ، يقال واحربا وواحربى توجعا أو تأسفا وكذلك وا أسفى ووأسفا .

(٢) الغرار : بالكسر حد السيف ، ومشحوذ الغرار : أى ماضى الحد .

(٣) الكثب : بفتحتين : القرب ، يقال رماه من كثب ، وعن كثب : أى من قرب وتمكن

(٤) عرا يعرو : أى عرض وألم . والخطب هنا : الأمر المكروه .

أينَ من كان بكم يرعى الذمامْ ... ويلبى دعـــوة المهتضَم[1]
أفلا يانِدعكم منى المــلامْ ... فلقد ألفظ جمراً من فمى
خارجاً عن نَفَسى كاللهبِ ... محرقاً مهجـــة قلبى الدنفِ
أنا لولا فيض دمعى السكبِ ... لتحرقتُ بنار الأسفِ

* * *

يا شباب القوم لولاكُمْ لما ... ساغ لى العذب وما إن لذ لى
إننى أبصر منكم أنجـــما ... لامعات فى ظلام الأمـــل
فاصبروا اليوم على حر الظما ... كى تنالوا الرى فى المستقبل
واتعبوا اليوم فعُقبى التعبِ ... راحـــة مُشْبَعة بالترفِ
لتقونا أســـوأ المنقلبِ ... إذ بناء القوم هارى الجُرُفِ

* * *

يا شباب القوم هُبُّوا للبِراز ... فبكم يبسم ثغر الوطنِ
وارفلوا إما بثوب الإعتزازْ ... أو بثوب هو ثوب الـكفنِ
وأعدوا العلم لا السيفَ الجُرازْ ... إنه عُدة هذا الزمنِ[2]
بسواه العز لم يُكْتسبِ ... وهُوَ المُنصِف للمنتصفِ
إنه والله لا عن كذبِ ... شرف النفس ونفس الشرفِ

الدهـــر(*)

هل الدهرُ إلّا أعجمىّ أخاطبهْ ... فما لى إلى فهم الحديث أجاذبهْ
أيثنى إلى وجـه اللئيم بوجهه ... ويرتد مُزْوَرّاً عن الحر جانبه[3]

(١) المهتضم : بصيغة المفعول : المظلوم .

(٢) الجراز بالضم : صفة للسيف ، ومعناه القاطع .

(*) هذه القصيدة لم تنشر هنا بكاملها بل حذف منها زهاء أحد عشر بيتا .

(٣) يثنى : يعطف . والباء فى بوجهه زائدة فى المفعول ؟ ومزورا : منحرفا .

أراه إذا طارحته الجد لاعبا ... وما أنا ممن يا أميم يلاعبه [١]

ويضرب أطناب المنى لىَ هازلًا ... وما أنا مخدوع بما هو ضاربه

وبيناه يُبدى لى ابتسامة خادعٍ ... يقطِّب حتى لا تَبِين حواجبه [٢]

لقد أضحكت غير الحليم شئونه ... وأبكت سوى عين السفيه نوائبه

فيا أدباء القوم هل تنقضى لكم ... شكاية دهر حاربتكم مصائبه

يشدّ عليكم بالسيوف نكايةً ... وأقلامكم وهو الأصمّ تعاتبه [٣]

* * *

هو الدهر لم يسلم من الغىّ أهله ... كما الليل لم يأمن من الشر حاطبُه [٤]

إذا آنسوا نور الحقيقة رابهم ... فتجثو على الأبصار منهم غياهبه [٥]

تضاربت الأهواء فيهم فناكب ... عن الشر يُقصيه وآخر جالبه

طبائعهم شتى على أنّ بينهم ... كريما تواليه ووَغْدا تجانبه

لعمرك حتى البرق خالف بعضه ... فقد خولفت بالموجبات سوالبه [٦]

أبتْ حركات الكون إلا تباينا ... دوافعه فعّالة وجواذبه

ولولا اختلاف شاءهُ الله فى القوَى ... لما دار فى هذا الفضاء كواكبه

* * *

---

(١) يقال طارحه الكلام والشعر وغير ذلك : إذا ناظره وجاوبه .

(٢) بيناه : الألف كافة لبين أو هى مختصرة من ما الكافة ؛ والأصل بينما ؛ فحذفت الميم من ما .
وكذلك القول فى الضمير المتصل بها أنه مختصر من هو ؛ والأصل بينا هو ؛ فالضمير ضمير رفع .
وقوله يقطب : أى يزوى ما بين عينيه .

(٣) أى هو يحمل عليكم بالسيوف قهراً بالقتل والجرح ، وأنتم تقابلونه بالأقلام عتابا ، وهو مع ذلك أصم غير سامع للعتاب . والبيت تمثيل لحالة الأدباء مع الدهر .

(٤) حاطب ليل : مثل عندهم فى التخليط ، ومنه قولهم : المكثار حاطب ليل ؛ أى يجمع بين الجيد والردىء : أو أن الحاطب فى الليل لا يأمن الشر إذ ربما جمع الأفاعى فى الحطب الذى احتطبه وهو لايدرى . ففى البيت تشبيه الدهر بالليل ، وأهليه بالحاطب فيه ، فهم لايسلمون من الوقوع فى الباطل كما أن حاطب الليل لا يأمن من الوقوع فى الشر ، وكما فى البيت : مثلها فى قول الشاعر :

كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

(٥) آنسوا : أبصروا . رابهم : أوقعهم فى الريب . وضمير الفاعل فى رابهم يعود إلى الدهر .

(٦) يريد بهذا البيت وما بعده : أنه لاعجب فى اختلاف طبائع الناس ، وكونهم شتى بين كريم ولئيم ، إذ هذا التخالف جار فى جميع ما فى الكون فالبرق ومنه موجب ومنه سالب ، ولولا اختلاف القوتين الجاذبة والدافعة لما تم نظام هذا العالم ، ولا دارت فى هذا الفضاء كواكبه .

سبرتُ زمانى بالنُّهى ومَخَضته ... بتجربتى حتى تجلَّت عواقبه
لم أستشرْ فى الناس إلّا تجاربى ... وهل يصدق الإنسانَ إلا تجاربه
فلا ترتكب قرب اللئام فإنهم ... لكالبحر محمول على الهول راكبه
وما عجبى فى الدهر إلا لواحد ... وإن كثرت فى كل يوم عجائبه
وذلك أنّ العيش فيه مطيّب ... لمن خبثت بالمخزيات مكاسبه
ولو كان فى أعماله الدهر عاقلًا ... لما كان مثلى فى الورى من يحاسبه
ولو لم يكن فى كل ما فيه خادعا ... لما أمّ فيه صادقَ الفجر كاذبه(١)

* * *

ألا رب شيطان من الإنس قدغدا ... يخاتلنى خَلْسا وعينى تراقبه(٢)
فقلت له اخسأ إنما أنت خائب ... وقبلك أعيا الجنّ ما أنت طالبه(٣)
فولّى على الأعقاب يحبو وقد درى ... ولله درّى إنى أنا غالبه(٤)
فأتبعه منّى شهاب تسامح ... يشق ظلام الجهل بالحلم ثاقبه(٥)
ولو شئت أرسلت الخديعة خلفه ... تطارده حتى تضيق مذاهبه
ولكن أبى منّى الخداعَ مهذّبٌ ... تعوّد فعل الخير مذ طُرَّ شاربه

* * *

وذى سَفَهٍ أغضيت عنه تكرّما ... فدبَّت على رجلىَّ غدراً عقاربُهُ
فقمت له بالنعل ضربا فلم تزل ... يداىَ بِهِ حتى اطمأنت غواربه(٦)

---

(١) أم فلان القوم : إذا تقدمهم . وصادق الفجر : مفعول مقدم . وكاذبه : فاعل مؤخر . والمعنى أن كل مافى الدهر خادع ، فلذلك ترى الفجر الصادق يتقدمه الفجر الكاذب .

(٢) يخاتلنى : أى يخدعنى عن غفلة . والخلس : مصدر خلس الشىء إذا أخذ . فى مخاتلة ، وهو فى البيت مفعول لأجله ، أو هو مفعول مطلق ، لأنه بمعنى المخاتلة .

(٣) أخسأ : أى ابعد وانزجر ، وهى كلمة زجر وطرد للكلب .

(٤) المعنى المراد من قوله « فولى على الأعقاب يحبو » : أنه ذهب كالكلب يمشى على أربع ،

(٥) أتبعه : بمعنى تبعه أى لحقه . وشهاب تسامح : أى شهاب صفح وعفو عنه .

(٦) فلم تزل يداى به حتى اطمأنت : أى لم تزل يداى تمارسه أو موقعة به . تقول العرب : مازلت وزيدا حتى فعل : أى مازلت أحاوله .

وجنَّبته السيف الْجُرازَ لأنه تعالت عن الكلب العقور مضاربه
لقــد عابنى جهلًا ولم يدر أنه أقلّ فداء الذى هو عائبه
له نسبة مجهولة غير أنه مَغامزه معــلومة ومعايبه(۱)

إلى أبناء الوطن

أنشدها فى حفلة أقيمت له بعد رجوعه إلى بغداد سنة ۱۹۲۳

سِرْ فى حياتك سَيرَ نابهْ ولُمِ الزمان ولا تحابِه(۲)
وإذا حللتَ بموطنٍ فاجعل محلك فى هِضابه(۳)
واختر لنفسـك منزلًا تهفو النجوم على قبابه(٤)
ورُم ِ العلاء مخاطرا فيما تحاول من لُبابه
والمجـــدُ ليس ينالهُ إلا المخاطر فى طِلابه
وإذا يخاطبــك اللئــيم فصمَّ سمعك عن خطابه
وإذا انبرى لك شاتما فاربأ بنفسك عن جوابه(٥)
فالروض ليس يضــيره ما قد يُطَنْطِن من ذُبابه(٦)
ولرُبَّ ذئب قد أتا ك من ابن آدَمَ فى إهابه(۷)
ما امتاز قطُّ عن ابن آ وى شخصه بسوى ثيابه
وإذا ظفرت بذى الوفا ء فحطَّ رحلك فى رحابه(۸)
فأخوك مَن إن غاب عنـ ـك رعى ودادك فى غيابه
وإذا أصابك ما يسو ء رأى مُصابك من مُصابه

(۱) المغامز : جمع مغمز ، وهو المطمن ، فهى كالمعايب معنى .
(۲) النابه : المشهور ، ضد الخامل .
(۳) هضابه : جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على الأرض . والمراد : المنازل المرتفعة .
(٤) تهفو : تسرع . يقال هفت نفسه إلى الشىء : إذا أسرعت إليه .
(٥) انبرى له : عارض وصنع مثل صنعه . اربأ بنفسك : ارفع نفسك .
(٦) يضيره : يؤذيه . يطنطن : يصوت ويحدث طنينا .
(۷) أصل الإهاب : الجلد قبل أن يدبغ . والمراد : الجلد مطلقا .
(۸) حط رحلك فى رحابه : أى انزل عنده فى أرضه . والمراد تمسك بإخائه ولاتتحول عنه

وتره يَيْجع إن شكو ت كأن ما بك بعض ما به[١]

* * *

يا قوم قد هرم الزما ن من التمادى فى انقلابه

فإذاك عند الهاجرا ت يسيل شىءٌ من لعابه

ما زال من خَرَفٍ به للناس يهذِر فى كِذابه[٢]

يأتى بكل عجيبةٍ تدعو اللبيب إلى ارتيابه

والناس فى عطش تسير إلى ارتواء من سَرابه

فمتى يجود لنا الزما ن ولو بمَذْق من وِطابه[٣]

وإلى متى هو ساتر وجه الحقيقة فى ضَبابه[٤]

يتلو بصرف الحادثا ت لنا فصولا من كتابه

كم يدَّعى وطنيَّةً من لم تكن مرت ببابه

فتراه ينفح لاغيا فيها وينفخ فى جرابه

ليكون مكتسبا بها مالًا تهالك فى اكتسابه

فكأنما هو صائد وكأنما هى من كلابه

وتراه يرمى المخلصـ ين بكل سهم من جِعابه

ويعيب قوما بالخيا نة والخيانة بعض عابه[٥]

* * *

لا بدَّ للوطنِ العزيز من المسكنِ لاضطرابه

من مجلسٍ للشعب ينظر بالتأمُّلِ فى مآبه

وينوبُ عن أبنائِه إن صادقوه على منابه

---

(١) يقال : وجع فى الماضى ، ويوجع وييجع وياجع فى المضارع . يريد أنه يتوجع لما ينوبك .

(٢) الخرف : الهذيان والهذر مثل كلام المحموم والمجنون ، والمراد أنه يخلط فيما يأتى به من الحوادث ولا يستقم له قصد .

(٣) المذق : اللبن الممزوج بالماء ، يريد غير الخالص . والوطاب جمع وطب ، وهو سقاء يوضع فيه اللبن .

(٤) يريد أن وجه الحقيقة ليس ظاهرا ، وإنما يخفيه الضباب ، يعنى ما يأتى به الدهر من الخير والشر ليس واضحاً .

(٥) عابه : عيبه .

حتى نرى أمر البلاد ... به يعود إلى نصابه
أبهت حكومتنا له ... والشعب ليس له بآبه
أترى الحكومة تبتغيه ... ونحن نعرض عن طلابه
هذا لعمر أبيك ما ... يدعو الحليم إلى انتحابه
هلا يقوم القاعدون ... مسارعين إلى انتخابه
كى ينقذ الوطن الذى ... صرف الزمان له بنابه
وغدا يهدد بالبوار ... بنيه بور فى ترابه
إن لم تكونوا مدركيه ... فلا محالة من خرابه

* * *

آب المسافر للديار ... على اضطرار فى إيابه
لو كان يجنح للإيا ... ب لما تعجّل فى ذهابه
قد كان يمرح فى الثغر ... ب بالحفاوة من صحابه
لا تعجبنّ لخامل ... لبس النباهة فى اغترابه
فالسيف أحسن مايكو ... ن إذا تجرد من قرابه
أما العراق فإن لى ... كلّ الرجاء بأسد غابه
ينجاب يأسى بالرجا ... ء إذا نظرت إلى شبابه
من كل ما هو فى ظلا ... م الليل أضوأ من شهابه
لمع الذكاء بوجهه ... كالبرق يلمع فى سحابه
يا من زكت أحسابهم ... فأتوا بأخلاق نوابه (١)
ووجوههم بالنيرا ... ت من النجوم لها مشابه
إنى لأشكر فضلكم ... شكر المثاب على ثوابه
كالروض يشكر وابلا ... حيّا الأزاهر بانسكابه

---

(١) زكت أحسابهم : برئت أصولهم من الدنس . نوابه : جمع نابه ؛ أى شريف عال

في المعهـــد العلمي

لعمرك إنَّ الحر لا يتقيَّدُ ... إلا فليقل ما شاء فيَّ المفنِّدُ(١)
إذا أنا قصّدتُ القصيد فليس لى ... به غير تبيان الحقيقة مَقْصِد
نشدت بشعرى مَطلبا عزَّ نيله ... وإن هان عند الشعر ما كنت أنشُدُ
فللنجم بعدٌ دون ما أنا ناشد ... وللدرّ قدرٌ دون ما أنا مُنشِد
وكم جنّبتني عزة النفس مَنهلًا ... يطيب به لسكن من الذل مورد
وما أنا إلّا شاعر ذو لبانة ... أنوح بها حينا وحينا أغرّد
ولى بين شدقى الهَرِيتين صارمٌ ... يُسلُّ على الأيام طورا ويُغمد(٢)
ولا عجبٌ إن عابنى الشاعر الذى ... يقول سخيفَ الشعر وهو مقلِّد
فإنَّ ابن بُردٍ وهو أكبر شاعر ... تنقَّصه فى الشعر حمَّاد عجرَدُ(٣)
تعوّدت تصريحى بكل حقيقة ... والمرء من دنياه ما يتعود
إذا رمت نصحا جئت بالنصح واضحا ... وما كان من شأنى الكلام المعقَّد
وقد أبصر الداء الدفين الذى بنا ... كما أبصر الأمواه فى الترب هُدهد(٤)
يقولون لى استنهض إلى العلم قومنا ... بشعر معانيه تقيم وتقعِــــد
أما علموا أن الحياة بعصرنا ... مدارس فى كل البلاد تُشيَّد
وما ينفع القول الذى أنت قائل ... إذا لم يكن بالفعل منك يُؤيَّد
فيا قومنا إن العلوم تجدّدت ... فإن كنتم تهوَوْنها فتجدّدوا

---

(١) المفند : اللائم العائب .

(٢) الشدق الهريت : الواسع ، وأصله من صفات الأسد ، وصارم : لسان حاد مثل السيف . يغمد : أى يوضع فى غمده وهو قرابه .

(٣) ابن برد : هو الشاعر بشار بن برد ، شاعر فارسى ، وحماد عجرد شاعر أيضا فى عصر بشار كان مولعا بهجائه ، وكلاهما عاش فى صدر الدولة العباسية .

(٤) يعنى الشاعر أنه لطول تجربته وممارسته شئون الحياة يستطيع أن يميز الصحيح من الفاسد مالا يستطيعه غيره ، وشبه نفسه بالهدهد الذى يرى الماء الغائر فى الأرض لبعد نظره .

وخافوا جمود العقل فى أمر دينكم ... فإن جمود العقل للدين مفسد

وإن شئتم فى العيش عزًّا فأقدموا ... فكم نيلَ بالأقدام عزّ وسؤدد

وأمضوا سديد الرأى دون تردد ... فما يبلغ الغاياتِ من يتردَّد

ولا تقبلوا قيدا بقولٍ مجرَّدٍ ... فما قيَّد الأحرارَ قولٌ مجرَّد

وأطلالِ علم لا تزال شواخصا ... تذكِّر بالعهد القديم وتشهد

أراها فأبكى وهى رهنُ يد البِلَى ... بدمع كما ارفضَّ الجمان المنضَّد

وما أنا سالٍ عهدها حين لم تسِل ... دموعى ولكنى امرؤ متجلِّد

فإن تُكبِروا تسديد دمعى لأجلها ... فإن دمى من أجلها سيبدَّد

ومعهدِ علم أسّسته عصابة ... من القوم تسعى للنجاح وتجهد

شباب مَشَوا للمكرُمات بعزمة ... تقاعس عنها الكوكبُ المتوقد

سأستودع الأيّام كل قصيدة ... يطيب لهم فيها الثناء المخلَّد

أقول لهم قولا به أستزيدهم ... وأشكرهم شكرا جزيلًا وأحمد

أما وخلال فيكم عربية ... وذا قسَمٌ لو تعلمون مؤكَّد

يسرّ العلى أن ينهض القوم للعلى ... وأن يجمع الشبانَ للعلم معهد

في منتدى التهذيب

أنشدها في حفلة افتتاح منتدى التهذيب في بغداد

تريد لي الأيام أن أتقيّدا ... وأطلب فيها أن أكون المجدّدا

وتقعد بي دون المدى في خطوبها ... وغاية همّ النفس أن أبلغ المدى

كفى لصريح العقل قيداً لمطلق ... من الناس يبغي أن يكون مقيدا

لعمر الهدى إنّ النُهى ليس من صُوًى ... سواها لمن ضلّوا الطريق إلى الهدى[1]

فما بال هذا العقل أمسى معطّلا ... لدينا كأن الله أوجده سُدى[2]

أيَخلِقنا كرّ الجديدين ضلّةً ... ولم نتقمّص فيهما ما تجددا[3]

فيا منجدي فيما أريد من العلى ... ولولا العلى لم أطلب الدهر منجدا

أعِنّي على ما لو تحقق كونه ... لما كان لي بل للأناسيّ مُسعدا

تجهّز من الحسنى بما أنت قادر ... عليه ولا تقبل سوى العقل مرشدا

وأحسن إلى من قد أساء تكرّما ... وإن زاد بالإحسان منك تمردا

وحِبّ الذي عاداك إن رمت قتله ... فإني رأيت الحب أقتل للعدا

فليس مضرّا في العلى بالذي أرى ... على كل حال أن تحب من اعتدى

إذا دُفع الشر القبيح بمثله ... تحصّل شرٌّ ثالث وتولّدا

وأمست دواعي الشر ذات تسلسل ... مديد وصار الشر في الناس سرمدا

فما الرأي عندي إن تمخّضت الوغى ... سوى أن يظلّ السيف في الغِمد مغمدا

---

(١) النهى العقل وأصله جمع نهية ، وهي ما ينهى المرء عن القبيح . والصوى : جمع صوة ، وهي العلامة تنصب في الطريق ليهتدي بها السائرون في الصحارى ونحوها . يريد أن العقل من معدن الهداية .

(٢) سدى ضياعا ، بلا فائدة .

(٣) يخلقنا يبلينا . ويقال ، فلان يفعل كذا ضلة ، إذا لم يوفق للرشاد ، وكأنه منصوب على الحال ، أي ضالا . وتقمص الشيء : كالقميص .

وأن تجمع الدنيا على ردّ طامع أشار إلى أسيافه متهدّدا

فإن كان هذا فى العصور التى خلت عسيرا ففى هذا الزمان تمهّدا

فإن جميع الأرض أمست كبلدة بها كل جمع عُدّ فى الحكم مفردا

ولى خلقٌ يأبى علىّ انطباعه على الخير تسليمى إلى الشر مِقودا

وأضرِب عن جهل الجهول ولم أكُنْ

لِأَضْربَ فى الأيام للغدر موعدا

إذا أَيقظَتْنى للعداء اعتداءةٌ شربت لها من خالص العفو مرقدا

وتكره نفسى كل عبد مُذلَّلٍ فقد كرهت حتى الطريق المعبّدا

إذا ما اتقت نفسٌ رداها بذلة فعندى نفس تتقى الذلّ بالردَى

ولو طلبت نفسى الغنى بامتهانها لأصبحتُ فى المثرين أطولهم يدا

ولكننى آليت ألّا أذيقها من العيش إلّا ما استُطيبَ وحُمِّدا

سجيّة نفس لم أَحُل عن عهودها وإن لا منى الأعمى عليها وفنّدا

وما ضرّنى إذ عضّنى متشادقٌ شحا بفم قد كان فى العضّ أَدْردا(١)

ولى وطنٌ أفنيت عمرى بحبه وشتتُّ شملى فى هواه مبدّدا

ولم أرَ لى شيئا عليه وإنما علىّ له فى الحبّ أن أتشددا

تعلقته منذ الصبا مغرما كما تعلّق ليلَى العامرىُّ مُعمّدا

وسيّرت فيه الشعر فخرا فطالما شدوت به فى مَحفِل القوم منشدا

وكم رام إسكاتى أناسٌ أبى لهم خنا الطبع إلّا أن يرَوْا لى حُسَّدا

ومن عجب أن يعشق الروضَ بلبلٌ ويمنعه ذِبّانُه أن يغرّدا

وما الناس إلا اثنان فى الشرق كله جهول تلهّى أو حليم تبلدا

---

(١) المتشادق : يريد به المتشدق ، وهو المتفاصح الذى يملأ شدقيه بالكلام ، وقيل هو المستهزىء بالناس ، يلوى شدقه بهم وعليهم . وتشدق فى كلامه : فتح فمه واتسع . شحا الرجل فاه فتحه ، وشحا فوه انفتح ، متعد لازم . والباء زائدة أو على تضمينه معنى نطق بفم . والأدرد ، صفة من الدرد ، وهو سقوط مقدم الأسنان .

ولم أرَ مثل الفضل فى الشرق مخفقا ... ولا مثل جَدّ المرء للمرء مُسعدا

تأمل قليلا فى بنيه مفكّرا ... لتشهد منهم للعجائب مشهدا

فتبصرَ أيقاظا يُطيعون هُجَّدا ... وتبصر أحرارا يخافون أعبدا

وكم فأرة فى الشرق تحسب هرّةً ... وكم عَقْعَقٍ فى الشرق سُمِّى هُدْهُدا

ألا رُبَّ شاكٍ قال لى وهو آسف ... أما آن للتهذيب أن يتبغدا[1]

فقلت له أَبشر بخير فإنه ... ببغداد للتهذيب أُسِّس مُنتدَى

فى رحـــلة

قالها سنة ١٩٢٣ أنشدها فى حفلة أقيمت له ولأريحانى فى زحلة

حَبَبْتُ العلى منذ الصِّبا حبّ شاعر ... وقمت إليها ساعيا سعى قادر

أأقدر فيها أن أصيخ اللائم ... وقد ملكت منى جميع المشاعر[2]

تقول ابنة الأقوام وهى تلومنى ... وأدمعها رقراقة فى المحاجر[3]

إلى كَمْ تُجِدّ البينَ عنى مسافرا ... أما تستلذّ العيش غير مسافر[4]

وأسكتها عنى نشيجٌ فلم تزل ... تردّده منها بأقصى الحناجر

إلى أن تفانى الصبر فافتر مدمعى ... كمدمعها عن لؤلؤٍ متناثر

ولا غروَ أن أبكى أسًى من بكائها ... فأعظم ما يشجى بكاء الحرائر

وقلت لها إنّى امرؤٌ لى لبانة ... منوطٌ مَداها بالنجوم الزواهر

تعوّدت أن لا أستنيم إلى المنى ... وألّا أُرَى إلّا بهيئة ثائر

وأن أمْضِىَ الهم الذى هو مُقلقى ... بطىّ الفيافى أو بخوض الدياجر[5]

(١) تبغدد : أى يصير ويتحول إلى بغداد .

(٢) أصاخ له : استمع وأنصت .

(٣) رقراقة : جائلة متحركة . والمحاجر : جمع محجر ، وهو ما دار بالعين من العظم .

(٤) تجد البين تجدد سفرا بعد سفر .

(٥) أمضى همه : نفذ ما عزم عليه وهم به . وطى الفيافى : قطع الصحارى . والفيافى : جمع فيفاة ، والدياجر : جمع ديجور ؛ وهو الظلمة ، وأصله الدياجير .

أما تَرَينَّ الوجــهَ منى شاحبا لــكثرة ما عرّضته للهواجر[1]
ولست أبالى أننى عادم الغنى إذا كان جدّى فى العلى غير عاثر
ذرينى أزرْ فى هَضْب لبنان أربعًا تعالت بحيث العز مُرخَى الضفائر
بحيث أرى تلك الليوث خوادرا تسارق ألحاظا عيون الجآذر
ليوث إذا ما عبَّست فى مُلِمَّةٍ تبسمت الدنيـــا تبسم ناصر
وألقت جيوش الفاخرين سلاحَها إذا خفقت راياتها بالمفاخر
فأكرم بلبنانٍ مَقرًّا لنابهٍ ومأوًى لمنــكودٍ ومهدًى لحائر
ألا إنما لبنان فى الأرض عاهلٌ تبوَّأ عرشا من جليل المــآثر
وزَحْـلةُ فى لبنان تاجٌ لرأسه قد ازدان من أبنائها بالجواهر
وما هى إلّا روضةٌ أنبتت له أزاهيرَ من تلك الحسان الغرائر[2]
أزحلةُ إنّى تاركٌ فيك مُهْجتى تعاطيك من بَعْدى محبةَ شاكر
فتشكُرُكِ الشكر الذى أنت أهله طَوال الليالى خالدا فى الدفاتر
وفاء امرىءٍ ما عوّد الغدرَ نفسَه ولا وُدَّ إلّا مُخْلَصا فى الضمائر
ومن عجب أن الشويعر لامنى ببيروتَ لوم الشــاتم المتجاسر
ومن كان مثلى شاعرا لا تسوءه مقاذعة جاءته من متشاعر[3]
على أننى من عاذريه و إن يكن لى الحق فى عذرى له غير عاذر
وكم فى رُبَا لبنان من ذى فصاحة مُجيدٍ بيوم الحفل قَرْعَ المنابر
ومن أهل آداب كشارقة الضحى ومن أهل علم كالبحار الزواخر

---

(١) الشحوب : الصفرة والتغير . والهواجر : جمع هاجرة ، وهى شدة الحر وسط النهار .
(٢) الغرائر : جمع غريرة ، وهى التى لم تجرب شئون الحياة لنعمتها وحداثتها .
(٣) مقاذعة : مهاجاة ومسابة .

الفنون الجميلة



تأتيك ريشته بشعر صامت . . .

إن رُمتَ عيشا ناعما ورقيقاً   فاسلك إليه من الفنون طريقاً

واجعل حياتك غَضّة بالشعر والتّـــــمثيل   والتصوير والموسيقَى

تلك الفنون المشتهاة هى التى   غصنُ الحياة بها يكون وريقاً

وهى التى تجلو النفوس فتمتلى   منها الوجوه تلألؤًا وبريقا

وهى التى بمذاقها ومشاقها   يمسى الغليظ من الطباع رقيقا

تمضى الحياة طرية فى ظلها　　والعيش أخضر والزمان أنيقا
إن الذى جعل الحياة رواعدا　　جعل الفنون من الحياة بُرُوقا
وأدرّها غيثَ اللذاذة منبتا　　زهر المسرة سوسنا وشقيقا
وأقام منها للنفوس حوافزا　　تدع الأسير من القلوب طليقا
فتحلّ عقـــدة من تراه معقّدا　　وتفك رِبْقة من تراه رَبيقا
تلك الفنون فطر إلى سعة بها　　إن كنت تشكو فى الحياة الضيقا
وإذا أردت من الزمان مضاحِكا　　فتحسّ منها قرقفا ورحيقا
ما فاز قط بوصلها من عاشق　　إلّا وكان لعــارفيه عشيقا
فهى ابتسامات الدُّنَى وبغيرها　　ما كان وجه الحادثات طليقا

✲ ✲ ✲

رطّب حياتك بالغناء إذا عرا　　همٌّ يجفِّف فى الحلوق الريقا
إن الغناء لمحدث لك نشوةً　　فى النفس تطفىء فى حشاك حريقا
واترك مجادلة الذين توهموا　　هَزَج الغناء خلاعةً وفسوقا
أفأنتَ أغلظُ مهجةً من نوقِهم　　فقد استحثُّوا بالحداء النّوقا
أرقى الشعوب تمدنا وحضارةً　　من كان منهم فى الفنون عريقا
وأحطُّهم من إن سمعت غناءهم　　فمن الضفادع قد سمعت نقيقا
فالفن مقياس الحضارة عند من　　حازوا الرقىّ ، وناطحوا العيُّوقا

✲ ✲ ✲

الشعر فن لا تزال ضروبه　　تتلو الشعور بألسن الموسيقى
ويجيد تقطير العواطف للورى　　فتخاله لقــــلوبهم أنبيقا

✲ ✲ ✲

ومسارح التمثيل أصغر فضلها　　جعل الكليل من الشعور ذليقا[1]
وإذا رأى فيها الوقائع غافلٌ　　من نوم غفلته يكون مفيقا

(١) الكليل من السلاح : الذى لا يقطع . والذليق : الماضى الحاد .

تنمى الحميد من الخصال وتنتقى ... ما كان منها بالفخار خليقا
وتجىء من عبر الزمان بمشهد ... يُلقى خشوعا فى النفوس عميقا
ويكون منظره الرهيب ممِّهداً ... لمشاهديه إلى الصلاح طريقا

* * *

أمّا المصوّر فهو فنّانٌ يرى ... ما كان من صور الحياة دقيقا
تأتيك ريشته بشعر صامت ... ولقد يفوق الشاعرَ المِنطيقا[1]
وبدائع التصوير من حسناتها ... أن يستفيد بها الشعور سموقا[2]
فهى الجديرة أن تكون ثمينةً ... وتكون أنفق من سواها سوقا[3]
إن الحياة على الكدورة لم تجد ... مثل الفنون لنفسها راووقا[4]

الحياة الاجتماعية والتعاون

أنشدت فى حفلة تأسيس جمعية حماية الأطفال فى بغداد سنة ١٩٢٨

يعيش الناس فى حال اجتماع ... فتحدث بينهم طرق انتفاعِ
وتكثر للتعاون والتفادى ... على الأيام بينهم الدواعى
ولو ساروا على طرق انفراد ... لما كانوا سوى هَمَجٍ رَعاعِ[5]
رأيت الناس كالبنيان يسمو ... بأحجار تُسيَّع بالسِّياع[6]
فيمسك بعضه بعضا فيقوى ... ويمنع جانبيه من التداعى
كذاك الناس من عَجَم وعُرْب ... جميعا بين مرعىّ وراعِ
قد اشتبكت مصالحهم فكلٌّ ... لكلٍّ فى مجال العيش ساع
ولولا سعى بعضهم لبعض ... لعاشوا عيش عادية السباع[7]

---

(١) المنطيق : الفصيح .
(٢) السموق : الارتفاع .
(٣) أنفق : أروج .
(٤) الراووق : المصفاة .
(٥) الهمج والرعاع : السفلة من الناس . وأصل الهمج : صغار البعوض .
(٦) تسيع بالسياع : أى تطلى بما يطلى به البناء بعد بنائه ، ليجمل شكله ومنظره .
(٧) عادية : أى مفترسة .

إذا ربُّ الحسام ثناه عجزٌ ... تدارك عجزه ربُّ اليراع

وإن قلم الأديب عراه زيغ ... تلافى زيغه سيف الشجاع

وإن صَفِرت يدٌ من رَيْع زرع ... أعيد ثراؤها بيد صَناعِ[1]

بذاك قضى اجتماع الناس لمَّا ... أن اعتصموا بحبل الإجتماع

يساند بعضهم فى العيش بعضا ... مساندة ارتفاق وانتفاع

فتعلو فى ديارهم المبانى ... وتخصب فى بلادهم المراعى

وتستعلى الحياة بهم فتمسى ... من العيش الرغيد على يَفاع[2]

وما مدنيّة الأقوام إلّا ... تعاونهم على غُرّ المساعى

ولم يصلَح فساد الناس إلّا ... بمالٍ من مكاسبهم مُشاع

تشاد به الملاجىء لليتامى ... وتُمتار المطاعم للجياع

وتُبنى للعلوم به مبانٍ ... تفيض العلم مؤتلق الشعاع

وإلّا فالشقاء لهم حليف ... وما حمل الشقاء بمستطاع

وممّا سرّنى أنى أناجى ... رجالًا فى الفخار ذوى ابتداع

سعوا لحماية الأطفال منَّا ... بما أوتوه من كرم الطباع

فقاموا بالذى يُعلِى ويُسلِى ... يصونون الضعاف من الضياع

وما هذى الحياة سوى صِراع ... يتم يفوز مفتول الذراع

وما سادت شعوب الخلق إلّا ... بتهيئة البنين لذا الصراع

إذا لم يُعنَ بالأطفال قوم ... فهضْبة مجدهم رهن انصداع[3]

ولا تزكو المَناشىء فى أناس ... يرون الطفل من سَقَط المتاع[4]

وما هاج العواطف فى فؤاد ... كحال الطفل فى زمن الرضاع

فشكراً للكرام وكل شكر ... لمن عضدوا الكرام بمدّ باع[5]

---

(١) صفرت: أى صارت صفرا خالية. وريع الزرع: يريد ثمرته وفائدته التى تجنى منه. واليد الصناع: الماهرة، وهى ضد اليد الخرقاء، وهى التى لا تحسن عملا.

(٢) اليفاع: المرتفع. (٣) انصداع: تشقق وتكسر.

(٤) سقط المتاع: أردأ وأرخص ما فى البيت من متاع وأدوات كالمكنسة والكوز ونحوها.

(٥) عضده يعضده، بضم الضاد فى المضارع: قوى عضده وشد أزره يريد عاونوا بمد أيديهم بالمال

فى سبيل الوطنية

كتب إليه صديقه فخرى البارودى وهو إذ ذاك ببيروت ، يخبره بأنه ألف فى دمشق شركة المنسوجات الوطنية ، ويطلب إليه أن يكتب فيها قصيدة يدعو بها القوم إلى مؤازرتها والانضمام إليها ، فكتب القصيدة الآتية وأنفذها إليه فى دمشق

من كان فى المجد المؤثَّل راغبا ... فَلْيطَّلِبْه بهمَّة البارودى
فخرى الذى ابتكر المفاخر واغتدى ... منهنَّ مفخراً بكل جديد
وأبى سوى غُرِّ المساعى إذ سعى ... متشبِّثا منها بكل مفيد[1]
وبنى له بدمشق مجداً طارفا ... من بعد مجد فى دمشق تليد[2]
إن كان محمود الفعال فإنه ... ورث المكارم عن أبٍ محمود
نفع البلاد بماله وبسعيه ... وبحسن رأى فى الأمور سديد
ورأى الشَّتات بها فقام موحداً ... فيها المساعىَ أيّما توحيد
ودعا الرجال بها فألَّف شِرْكةً ... ترمى إلى غرض أغرَّ حميد[3]
تغْنِى البلاد بسعيها عن غيرها ... وتعيد عهد ثرائها المفقود
وتقوم بالعمل المفيد لأهلها ... من نسج أردية لهم وبُرود
حتى تكون عن الأجانب فى غِنًى ... وتعيش غير أسيرة التقليد
أوَ ما ترى أهل البلاد تقيَّدوا ... للغرب من حاجاتهم بقيود
الغربُ يكسوهم ملابس هم بها ... يَعْرَوْن من مال لهم ونقود
وتراه يَسلَخهم بمصنوعاته ... سلخ الشياه فهم بغير جلود
هذى سفائنهم تروح وتغتدى ... ببضائعٍ لم تحصَ بالتعديد
فكأنما هى لامتصاص دمائنا ... بعض المحاجم أو كبعض الدود[4]

---

(١) غر المساعى : جمع أغر ، وهو الذى فى وجهه بياض .
(٢) الطارف والطريف : المكتسب الحديث . والتالد والتليد : الموروث القديم .
(٣) الشتات : التفرق .
(٤) المحاجم : جمع محجم ، وهو كأس صغير يسحب به الدم من الانسان . والدود : هو العلق الأسود ، يستعمل كالمحجم لامتصاص بعض الدم من الجسم .

حتى متى نشقى ليسعد غيرنا ... ونذلل القربى لعزّ بعيد
ونجانب الوطنىّ من أشيائنا ... ولو أنه من أحسن الموجود
إن البلاد لتشتكى من أهلها ... وتقول بئس قول الرازح المجهود[1]
يا سادة الأوطان لستم سادةً ... ما عشتم من فقركم كعبيد
أفسيدٌ من عاش وهو لغيره ... فى حاجة بل ذاك عيش مَسود
إن السيادة تستدير مع الغنى ... فى حالتى عَدَم له ووجود[2]
لا يستقلّ بسيفه الشعبُ الذى ... لا يستقلّ بنقده المنقود[3]
من كان محلول العُرى فى ماله ... وجب انحلال لوائه المعقود
يا قومنا أنتم كغارس كَرْمةٍ ... وسواه منها قاطف العنقود
كم تزرعون بأرضكم ولغيركم ... ممّا زرعتم حَبُّ كل حَصيد
فتبصّروا يا قوم فى أحوالكم ... وتنبّهوا من غفلةٍ ورقود
من شاء منكم أن يُعزّ بلادهُ ... فليسعَ سعى مُعزِّها البارودى

فى المدرسة : دار التفيض

نعمت الدار للتفيض دارا ... قد أقيمت للطالبين منارا
هى دار ينتابها وُلد قوم ... جعلوا العلم للحياة مدارا
نحن قوم نرى المفاخر إلا ... من طريق العلوم ثوبا معارا
ما قصدنا بسلّنا السيف إلَّا ... ردَّ ليل الجهل المميت نهارا
هل شددنا الرحال فى الأرض للأسـ ... ـفار إلَّا لنكتب الأسفارا[4]

---

(١) الرازح المجهود : هو الذى خفه الاعياء من حمل ثقيل .

(٢) يريد أن المرء لا يوصف بأنه سيد إلا إذا استغنى عن غيره ، فأما إذا احتاج إلى غيره فهو عبد له . وقد قيل : «استغن عمن شئت تكن أميره ، واحتاج إلى من شئت تكن أسيره» .

(٣) يريد أن الاستقلال الاقتصادى للبلاد ينبغى أن يقدم على الاستقلال السياسى .

(٤) الأسفار الأولى : جمع سفر ، بفتح الفاء ، والثانية : جمع سفر ؛ بكسر السين وسكون الفاء ، وهو الكتاب .

كم طوينا من قبلُ فى طلب العلـ ... ـم فِجاجا وكم شققنا بحارا

واقتحمنا لأجله كل هولٍ ... وركبنا لأجله الأخطارا

ولقد هانت النوائب فيه ... إذ لبِسنا الصبر الجميل شِعارا

إنما تصغر الخطوب لدى القو ... م إذا كانت النفوس كبارا

سَلْ بنا العلم والفنون جميعا ... هل ملكنا بغيرها الأقطارا[1]

سل بنا العدل فى جميع الرعايا ... هل عَمرنا بغيره الأمصارا

سل بنا الغُرَّ من كبار المساعى ... هل طلبنا بغيرهنَّ فخارا

سل بنا هذه الدماء الدوامى ... هل غسلنا بغيرهنَّ العارا

سل بنا هذه النجوم الدرارى ... هل رضينا تحت النجوم قرارا

كم رفعنا للعلم فى الأرض بُرجًا ... وبنينا له كغُمدان دارا

لا يكن منك فى الذى قلت شكٌّ ... وإذا شئت فانظر الآثارا

يعلم الله ذو الجلالة أنَّا ... لسوى الله ما رجونا وقارا

إنما هذه المدارس رَوض ... يُنبت المجد والعلى والفخارا

تتغذى بها النفوس غذاءً ... هو يُنمى العقول والأفكارا

جلَّ فعلا إكسيرها المتعالى ... كيف يجلو القلوب والأبصارا

يدخل الناشئون فيها من النا ... س نُحاسا ويخرجون نضارا

رب نفس كدرهم قد جلاها الـ ... ـعلم حتى أعادها دينارا

نضرت هذه المدارس روضا ... من بنى القوم مُنبتا أزهارا

تمنح العاجز الضعيف اقتدارا ... مُوشِكا أن يغالب الأقدارا

كانت الناس فى القديم عبيدا ... وبها اليوم أصبحوا أحرارا

فعليكم فيها بتحصيل علم ... يُرغِد العيش ، يُسعِد الأعمارا

---

(١) سل بنا : سل عنا . وفى الكتاب العزيز : « فاسأل به خبيراً » .

المدارس ونهجها

أنشدت في حفلة وضع الحجر الأساسي لبناية مدرسة التفيض الأهلية التي أقيمت عصر ١٨ كانون الثاني سنة ١٩٣٩ .

أبنوا المدارس واستقصوا بها الأملا ... حتى نُطاولَ في بنيانها زُحَلا

جودوا عليها بما درّت مكاسبُكم ... وقابلوا باحتقار كل من بخِلا

إن كان للجهل في أحوالنا عِلَلٌ ... فالعلم كالطب يشفي تلكمُ العِلَلا

سيروا إلى العلم فيها سير معتزمٍ ... ثم اركبوا الليل في تحصيله جَمَلا

لا تجعلوا العلم فيها كل غايتكم ... بل علّموا النشء علما يُنتج العمَلا[1]

هذى مدارسكم شَرْوَى مزارعكم ... فأنبتوا في ثراها ما علا وغلا[2]

لا تتركوا الشوك ينمو في منابتها ... أعني بذلكمُ الأهواء والنِّحَلا

وأسّسُوها على الأعمال قائمة ... ممهدين إلى المحيا بها سُبُلا

يلقَى بها النشْء للأعمال مختبَرا ... وللطباع من الأدران مُغْتَسلا

وأمطروا روضها علما ومقدرة ... حتى تفتح من أزهارها الأملا

فتنبت العـالم الفنّان مخترعا ... وتنبت الفارس المِغوار والبَطَلا

وتنبت الحارث الفلّاح مزدرعا ... وتنبت المِدرهَ المِنْطيق مرتجلا

واسقوا التلامذ فيها خمر مكرمةٍ ... عن خمرة الكَرْم تمسي عنده بدلا

حتى إذا ما غدا خِرّيجُها طَرِبا ... من عزّة النفس خِيلَ الشاربَ الثَّمِلا

ربُّوا البنين مع التعليم تربيةً ... يمسي بها ناطق الأخلاق مكتملا

وثقفوهم بتدريبٍ وتبصرةٍ ... ثقافة تجعل المعوجَّ معتدلا

---

(١) يريد : لاتوجهوا كل اهتمامكم إلى التعليم القولي النظري ، بل وجهوا عنايتكم الى الشئون العملية ، كالعلوم التطبيقيةالتي تفيد في ترقية الزراعة والصناعة والتجارة وما إليها .

(٢) شروى : مثل .

وجنبوهم على فصـــل معاقبة ... إنّ العقاب إذا كررته قتلا

إن العقاب يزيد النفس شرتها ... وليس ينكر هذا غير من جهلا

بل أنشئوا ناشىء الأحداث وهو على ... حبّ الفضيلة فى محياه قد جبلا

بحيث يمسى إذا شانته شائنة ... من فعله احمرّ منها وجهه خجلا

من يترك الشرّ خوفا من معاقبة ... فليس يُحْسَبُ ذا فضل و إن فضلا

فجيشوا جيش علم من شبيبتنا ... عرمرما تضرب الدنيا به المثلا

إن قام للحرث ردّ الأرض مُمرعة ... أو قام للحرب دكّ السهلَ والجبلا

وإن غزا مستظلًّا ظل رايته ... هزّ البلاد وأحيا الأعصر الأولا

إنّا لمن أمة فى عهـد نهضتها ... بالعلم والسيف قبلا أنشأت دُوَلا

هذا هو العـلم لا ما تدأبون له ... ممّا تـكون به عُقباكمُ الفشلا

ماذا تقولون فى نقدى مذاهبـكم ... وقد كفيتكم التفصيل والجمـلا

وأى نفع لمن يأتى مدارسكم ... إن كان يخرج منها مثلما دخلا !

فأجمعوا الرأىَ فيما تعملون به ... ثم اعملوا بنشاط ينكر المللا

ثم انهجوا فى بلاد العُرب أجمعها ... نَهْجا على وحدة التعليم مشتملا

حتى إذا ما انتدبنا العُربَ قاطبة ... كنا كأنا انتدبنا واحدا رجلا

العلم والإجازة(*) فيه

إن من حاز فى العلوم إجازهْ ... لجدير برتبـــــة ممتازهْ

وخليق بعيشـــة مرتضاةٍ ... وافتخار بفضل ما قد حازهْ

(*) الاجازة : هى الشهادة تمنحها المدارس والمعاهد الطلاب الذين أتموا دراستهم كلها أو بعضها وسميت بذلك لأن شيوخ العلم من سلف المسلمين كانوا يجيزون المتمهرين من الطلاب برواية مروياتهم وقراءة مؤلفاتهم ، لأنهم أصبحوا أهلا لذلك ، وكان الطلاب يعتزون بشهادة أستاذيهم لهم ، ويذكرونها فى تراجمهم وتواريخ حياتهم .

إنما هذه الأجازة صَك بيد المرء ضامنٌ إعزازه
وهى تعويذة له من عيون بالمساوى همّازة غمّازه
فهنيئا لمن أجيز وشكراً للذى فى علومه قد أجازه

✡ ✡ ✡

معهدُ العلم وهو حِرْزٌ يفوق ال أبلقَ الفردَ مَنعةً وحَرازه[1]
تلجأ الناس فى الحياة إليه هَرَبا من جهالةٍ وَخَّازه
حبذا العلمُ يَكسبُ المرءَ عِزًّا ويقيه فى عيشه إعوازه
فى نفوس الذين لم يُرزَقوه حسَراتٌ وفى القلوب حَزازه
إنما العلم من معاجز عيسى كم جهول أحياه وهو جنازه
صاحب العلم يركب المجد طِرفا جاعلًا غاية العُلى مِهمازه[2]
ويهزّ الدنيا رجاء وخوفا بيدٍ من درايةٍ هزّازه
نحن سَفْرٌ وما الرواحل والزا دُ سوى العلم والحياة مَفازه[3]
كل من لم يُعِدّه لاجتياز لم تيسِّر يد النجاح إجتيازه
إن عقل الفتى ليصبح بالعلم رزينا بكف من قد رازه[4]
والطباع العرجاء فى كل شخص تقتضى من ثقافة عُكازه
ألغز الدهر فى الحقائق لكن أفهم العلم أهله ألغازهْ
وإذا الأمر قد غشته الغواشى ضمن العلم للورى إبرازه

✡ ✡ ✡

كان للعلم فى القديم طريق غير رحب يشُقُّ أن نجتازه

---

(١) الأبلق الفرد : حصن معروف للسوءل بن عادياء اليهودى بأرض تيماء من بلاد العُرب ، قال فيه الشاعر :

هو الأبلق الفرد الذى سار ذكره يعز على من رامه ويطول

(٢) الطرف : الحصان الكريم ، والمهماز ما يحث به الفرس على السير .

(٣) مفازة : صحراء يهلك فيها السائر الذى لم يستعد لها .

(٤) رازه : اختبره بيده ليعرف ثقله .

فجرى اليوم فى طريق جـديد جُعِل الشك واليقينُ طِرازَه

هو صيدٌ ولم يَعُد يجعل المصـــــطادُ منـه غير التجاريب بازَه[١]

قد عرفنا حقيقة القول فيــه وتركنا للغافلين مجـازه[٢]

وبحثنا عن جوهر الحق فيه فبلغنا دفينـــــه ورِكازه[٣]

بَلْهَ إطنابَ شرحه بقياس إنّ فى تجرباته إيجـــازه[٤]

هو فى الناس قدره متعالٍ لم يَطُل صَرْحُ إيفلٍ أنشـازَه[٥]

وإذا الملك لم يؤيده عـلمٌ فارتقب سلبه ورجّ ابتزازه[٦]

وإذا العلم فاه يوما بوعد ذهب اليأس آملا إنجـازه[٧]

وإذا أَنشطَ الجبان لحرب صال يرغو حماسةً وحمـازه

قلم المرء فى بلوغ المعالى فائق فى وغى الحروب جُرازه[٨]

صاحب العلم فى الأمور أمير قد غـدا كل حادث جِلوازه[٩]

يبصر الخطب من هواديه حتى ينتهى فيـه مبصراً أعجازه[١٠]

فلهـذا ، نعم لهـذا أهنّى كل من حاز فى العلوم إجازه

---

(١) شبه العلم بصيد ، وجعل التجربة كالبازى ، وهو الصقر الذى يستعان به على الصيد .

(٢) يقول : استعنا فى عصرنا على تحقيق العلم بالتجربة الموجزة ، واستغنينا بهـا عن الشرح الطويل ، والقياس المنطقى النظرى .

(٣) الركاز : المعادن المدفونة فى الأرض .

(٤) يقول : فى عصرنا على تحقيق العلم بالتجربة .

(٥) صرح إيفل ، أو برج إيفل : بناء عال جداً فى فرنسا ، والأنشاز جمع نشز ، وهو كل شىء مرتفع ، يقول : إن قدر العلم وشرفه عال جداً لايساميه برج إيفل علواً .

(٦) يقول : إن الملك الذى لايقوم على دعائم العلم لايلبث أن يضيع ويسلب .

(٧) إذا وعد العلم بتحقيق غرض ، فلابد أن يناله ، وإن ظنه الناس مستحيلا أو بعيداً .

(٨) الجراز : السيف . (٩) الحلواز : يعنى الشرطى .

(١٠) هواديه : أوائله ومقدماته

العلم

إلى شبان الكلية الانكليزية فى القدس

لا يبلغ المرء منتهى أربه ... إلا بعلم يَجِدّ فى طلبه
فأوِ إلى ظلّه تعش رغِداً ... عيشاً أميناً من سوء منقلَبه
واتعب له تسترح به أبداً ... فراحة المرء من جَنَى تعبه
ولذة العلم من تذوّقها ... أضرب عن شَهْده وعن ضَرَبه
وإن للعلْم فى العلى فلكاً ... كل المعالى تدور فى قُطُبه
فاسعَ إليه بعزم ذى جلدٍ ... مصمِّم الرأى غير مضطربه
وأبذل له ما ملكت من نشَب ... فالعِلْم أبقى للمرء من نشبه
لا تتكل بعده على نسب ... فالعِلْمُ يغنى النسيب عن نسبه
واطّرح المجد غير طارفه ... واجتنب الفخر غير مكتَسِبه
ما أبعد الخير عن فتى كسل ... يسرح فى لهوه وفى لعبه
كم رفع العلم بيت ذى ضَعةٍ ... فقصّر الناس عن مدى حسبه
حتّى تمنَّى أعلى الكواكب لو ... يحلّ بيتا يكون فى صَقَبه
وودّت الشمس فى أشعتها ... لو كنّ يُحسبن من قوى طُنُبه[1]
وإن يسُد جاهل فسؤدُدُه ... بعد قليل يفضى إلى عطبه
يرى امرؤ مجدَ جاهل عجبا ... لو صحّ عقلا لكفّ عن عجبه
كم كذب الدهر فى فعائله ... وسؤدد الجاهلين من كذبه
العلم فيض تحيا القلوب به ... فامتح بسَجل الحياة من قُلُبه[2]
كل فخار أسبابه انقطعت ... إلا فخاراً يكون من سببه
للعلْم وجهٌ بالحسن منتقِب ... وسافرٌ منه مثل متقبه

(١) الطنب : حبل تشد به الخيمة .
(٢) السجل : الدلو . والقلب : جمع قليب ، وهى البئر .

ما حسن وجه الفتى بمفخرة ... إن لم يؤيَّد بالحسن من أدبه

ما أقدر العلمْ إن صيحته ... يمعن منها الخميس فى هربه[١]

من تخذ العلم عُــدة لوغًى ... أغناه عن درعه وعن يَلَبه[٢]

فانتدب العلمْ للخطوب فما ... خاب لعمرى رجاء منتدبه

العــــلم كالنور بل أفضِّله ... ما أفقر النور أن يشــبَّه به

سقيًا ورعيًا لروض معهده ... وطالبيه وقارئى كتبه

ما النــاس إلا رُوَّاد نجْعته ... وناشروه وكاشفو حُجُبه

ومن غدا هاديًا بعلمه ... وراح يشفى الجهول من وَصَبه

ومعهد أسست قواعده ... فى بلد شــــغَّنى هوى عربه

شيده للعلوم مدرّســه ... من كان نشر العلوم من دأبه

قد غرَّد المجد فى جوانبه ... فاهتزَّ عِطف الفخار من طربه[٣]

وأصبح العلم فيــه مزدهرًا ... بكل ذاكى الذكاء ملتهبه

بمثله فى البلاد قاطبــةً ... يشفى عَقور الزمان من كَلَبه[٤]

أضحت فلسطين منه مُمْرعة ... مذ جادها بالغزير من سُحُبه[٥]

تاهت به إيليــاء فاخرةً ... على دمشق الشآم أو حَلَبه

شــكرا لبانيه ما أقام به ... شبانه القاطنون فى قُبَبه

---

(١) الخميس : الجيش ، لأنه خمس فرق : قلب ، وجناحان ، ومقدمة ، ومؤخرة . يمعن : يبالغ .

(٢) عدة الحرب أداتها ، واليلب : الترسة أو الدروع من الجلود ، أو جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرءوس خاصة .

(٣) العطف : الجانب .

(٤) شبه الزمان بالكلب العقور ، وهو المصاب بالكلب ، فإذا عض إنسانا عقره أى أهلكه .

(٥) الممرع : المخصب . جادها : أنزل بها المطر الجود الغزير .

دار الأيتام

أو مدرسة شنلّر في القدس

لدار شنلّر في القدس فضلٌ به تَنْسى تَيتُّمها اليتامَى
ويحمده من الفقراء طفلٌ يذمّ لفقد والده الحِماما
بها يجد اليتيم له مُقامًا إذا ما الدهر أفقده المقاما
يرى عن أمّه أمًّا عطوفا عليه وعن أبيه أبًا هماما
تميت نهارها فيه ليحيا وتحيي الليل فيه لكي يناما
فتُشْرِب نفسه حبَّ المعالى وتطعم جسمه منها الطعاما
وترأم كل من فُجعوا بيُتم صغاراً قبل ما بلغوا الفطاما[1]
ويدخلها يتيم القوم طفلًا فتخرجه لهم يَفَعا غلاما
عليمًا بالحياة يسير فيها على علم فيخترق الزحاما
وقد لبس الفضيلة وارتداها وشد عليه من حَزْم حِزاما

* * *

وقفت بها أعاطيها التحايا وأستسقى لساكنها الغَماما
وأشكر فضلها والشكر عجز إذا هو لم يكن إلا كلاما
أدار شنلّر لا زلت مأوًى لأبناء الآرامل والأيامَى
أثابكِ مالك الملكوت عنهم مثُوبة كل من صلّى وصاما
ضَمِنتِ لهم رغيد العيش حتى أخذتِ على الزمان لهم ذماما
وجار الدهر معتديا عليهم فكنت لهم مِن الدهر انتقاما
إذا ما أبكت الدنيا يتيما أعدتِ بكاءه منه ابتساما
لقد هوّنت رزء اليتم حتى غفرنا للزمان بك الأثاما

---

(١) رئمت الأم ولدها : شمته وعطفت عليه .

وكاد إذا رأى مَغْنـــاك راءٍ يودّ بأن يكون من اليتامى
ليمكث فيك مغتبطا سعيدا ويكسب عندك الشرف الُجساما[1]
ويعلم كيف يدَّرع المعـــالى ويعرف كيف يبتدر المراما
وما فقــد المسيحَ الناسُ لمَّا أعدتِ لهم خلائقه الكراما
فنُبتِ عن المسيحَ وقمت حتى لقد شكر المسيح لك القياما
ولا عجب فقد جدَّدتِ منــه عواطف كان عم بها الأناما
شمخت على رُبَا القدس اعتلاءً فكنت لهن من شرف وِساما
ولحت بأفقها بدراً منيراً جلا من ليل أبؤسها الظلاما
ألا إن النجوم بشعريبها لَتحسُد من مَرابعك الرَّغاما[2]
هززتِ الطور فهو يكاد يمشي إليك على تقدّسه احتراما
وجاذبت الكرامة خير قبر به دفن المسـيح ومنــه قاما
تُباهِي القدس مكة فيك حتَّى تفاخر فيك مَشعرها الحراما
فلا برحت رُبوعُك عامراتٍ نَسلٌ على الشقاء بها حُساما

الفقر والسقام(*)

أيّ مضنى يمدّها باكتئاب أنَّةً تترك الحشا فى التهاب
يتشكّى والليل وحف الإهاب ضمن بيت جثا على الأعقاب[3]
صَفَعتْه فـال كفُّ الخرابِ[4]

تسمع الأُذْن منه صوتا حزينا راجعا فى حشا الظلام كمينا

---

(١) الشرف الجسام : الجسيم .

(٢) الشعريان : الشعرى العبور ، والغميصاء : كوكبان مضيئان ، والرغام : التراب .

(*) من الجزء الأول .

(٣) الوحف : الشعر الكثير الأسود . لإهاب : الجلد . يصف شدة ظلام الليل . جثا على الأعقاب : يريد أنه قارب أن يتهدم . (٤) كف : فاعل صفعت .

يملأ الليل بالدعاء أنينا رب كن لى على الحياة معينا

رب إن الحياة أصل عذابى

وجع فى مفاصلى دق عظمى ودهانى ولم يرق لعُدمى[١]

عاقنى عن تكسُّبى قوتَ يومى ربِّ فارحم فقرى بصحة جسمى

إن فقرى أشد من أوصابى[٢]

يا طبيبا وأين منّى الطبيبُ حال دون الطبيب فقر عصيب[٣]

لا أصاب الفقيرَ داءٌ مصيب إن سقم الفقير شىءٌ عجيب

بطلت فيه حكمة الأسباب

* * *

رجلٌ معسر يسمَّى بشيرا كان يسعى طول النهار أجيرا

كاسباً قوته زهيداً يسيراً مالكاً فى المعاش قلباً شكورا

راجياً فى المعاد حسن المآب[٤]

عالَ أختاً حكتهُ خلْقاً نزيها عانساً جاوز الزواجُ سنيها[٥]

لزمت بيت أمها وأبيها معْ أخيها تعيش عند أخيها

مثله فى الطعام أو فى الشراب

كلَّ يوم له ذهاب ومأتَى فى معاش من كدّه يتأتى[٦]

هكذا دأبه مَصيفاً ومشتى فاعتراه داء المفاصل حتى

عاقه عن تعيُّشٍ واكتساب

بينما كان فى قواه صحيحَا ساعياً فى ارتزاقه مستميحَا[٧]

---

(١) العدم : الفقر .

(٢) الأوصاب : الأمراض . (٣) عصيب : شديد .

(٤) أى أن ذلك المضنى الذى مر ذكره فى أول القصيدة هو رجل معسر الخ .

(٥) عال أختا : كفلها وكفاها معاشها . العانس : هى التى طال مكثها فى بيت أهلها بعد إدراكها ولم تتزوج .

(٦) يتأتى : يتهيأ . (٧) مستميحاً : طالبا .

إذ عراه الضَّنَى فعاد طليحا ورمته يد السقام طريحا[١]

جسمه من سقامه فى اضطراب

بات يبكى إذا له الليل آوى بعيون من السهاد نَشَاوى[٢]

فترى وهو بالبكاء يتداوى قطراتٍ من عينه تتهاوى

كشهاب ينقضُّ إثر شهاب[٣]

إن سقماً به وعُقماً ألمَّا تركاه يذوب يوماً فيوما

فهو حيناً يشكو إلى السقم عُدْما وهو يشكو حينا إلى العدم سقما

باكيًا من كليهما بانتحاب

ظل يشكو للأخت ضعفاً وعجزا إذ تعزِّيه وهو لا يتعزى

أيها الأخت عزَّ صبرىَ عزَّا إن للداء فى المفاصل وخزا[٤]

مثل طعن القنا ووخز الحراب[٥]

قد تمادى به السقام وطالا وترآى له الشفاء محالا

إذ قُلاباً به السقام استحالا كان هيِّنا فصار داءً عضالا[٦]

ناشبا فى الفؤاد كالنُّشاب[٧]

* * *

ظلَّ ملقًى وأعوزته المطاعم موثقا من سقامهِ بالأداهم[٨]

منفقا عند ذاك بعض دراهم ربحتها من غزلها الأخت فاطم

قبل أن يبتلى بهذا المصاب

---

(١) الطليح : المهزول . (٢) نشاوى : سكارى ، جمع نشوان .

(٣) الشهاب : هو ما يرى كأنه كوكب قد سقط .

(٤) الوخز : الطعن غير النافذ برمح أو إبرة أو غير ذلك .

(٥) القنا : جمع قناة ، وهى الرمح .

(٦) القلاب : داء القلب . داء عضال : شديد متعب غالب .

(٧) ناشبا عالقا .

(٨) أعوزته المطاعم : احتاج إليها فلم يقدر عليها . موثقا : مقيدا . الأداهم : القيود .

قال والأخت أخبرته بأن قدْ كَرَبت عنـدها الدراهم تنفَدْ[١]

أخبرى السقم عله يتبعـــــد أيها السُّقم خلِّ عيشى المنكَّد

لا تعقنى فى عيشتى عن طلابى

مرّضينى شـقيقتى مرّضينى وعلى الـكسب فى غدٍ حرضينى

وإذا مسّك الطَّوَى فارفضينى أو على الناس للمبيع اعرضينى[٢]

علّهم يشـــــترونى ممَّـا بى

رام خبزا والجوع أذكى الأُوارا فى حشاه فعلّلَتْهُ انتظارا

ثم جاءت بالمـاء تُبدى اعتذارا وهل المـاء وهو يطفىء نارا

يطفىء الجوع ذاكيا فى التهاب

خرجتْ فاطمٌ إلى جارتيها وهى تذْرِى الدموع من مقلتيها

فأبانت برقَّةٍ حالتيهـــــــا من سَقام ومن سُعار لديها[٣]

وشكت بعدَ ذا خلو الوِطاب[٤]

فانثنت وهى بين ذل وعزّ تحمل التمر فى يد فوق خبز[٥]

وبأخرى سمناً وبعض أرُزٍّ منحوها به وذو العرش يجزى

من أعان الفقير حسن الثواب

* * *

ليـلةٌ تنشر العواصفُ ذُعرا فى دجاها حيث السحاب اكفهرا[٦]

ذا هزيمٍ يمجُّ فى الأذن وَقْرا حين تبدى صوالج البرق تترى[٧]

كهرَبائيةً سرت فى السحاب.

---

(١) كربت : كادت . (٢) الطوى : الجوع . (٣) السعار : بضم السين : شدة الجوع .

(٤) الوطاب : جمع وطب ، وهوسقاء اللبن من الجلد ، وخلوالوطاب كناية عن الفقر والحاجة

(٥) انثنت : رجعت (٦) ذعرا : خوفا . اكفهر : تراكم واشتدت ظلمته .

(٧) الهزيم : الرعد وصوته . يمج : يلقى . الوقر : الصمم . صوالج : صولجان وهو ماتضرب به الأكرة . وصوالج البرق : هى الرياح التى تسوق السحب بشدة ، فيحصل منها الاحتكاك الذى يولد البرق ، فان كان الاحتكاك اعظم حصل مع البرق صوت الرعد .

مدَّ فيها ذاك المريض الأكفا في فِراش به على الموت أوفى[١]
طرفها كالسُّها يَبين ويَخفى حيث يُغضِى طرفًا ويفتح طرفا[٢]
عاجـزاً عن تـكلم وخطاب

فدعته والعين تُذْرِى الدموعا أخته وهى قلبها قد ريعا
يا أخى أنت ساكن أفَجوعا ساكتٌ أنت يا أخى أم هُجُوعا[٣]
فاشفنى يا أخى برجع الجواب

فرأت منـــــه أنه لا يجيب فتدانت والدمع منها صبيب
ثم أصغت وفى الفؤاد وجيبُ ثم هابت والموت شيء مَهيبُ[٤]
ثم قامت بخشـــــية وارتياب

خرجت فاطمٌ من البيت ليلا حيث أرخى الظلام سِدلًا فسِدْلا[٥]
وهى تبكى والغيث يهطُل هَطْلا مثل دمع من مقلتيها استهلا
أو كماء جرى من الميزاب

ربِّ أدرك باللطف منك شقيقى وامنع الغيث ربِّ عن تعويقى
ومُرِ البرق أن يضىء طريقى ببريق يبـــديه إثرَ بريق
فعسى أهتـدى به فى ذهابى

قرعت فى الظلام باب الجارِ وهى تبكى الأسى بدمع جار
ثم نادت برقة وانـكسار أمَّ سلمى ألا يحق الجوار
فافتحى إننى أنا فى الباب

فأتتها سُعْدى وقد عرفتها وعن الخطب فى الدجى سألتها[٦]

(١) أوفى : أشرف .
(٢) السها : نجم خفى تمتحن الأبصار برؤيته . يغضى : يغمض .
(٣) الهمزة للاستفهام ، والفاء عاطفة ، وجوعا : مصدر منصوب على أنه مفعول لأجله من ساكت . وأصل العبارة : أفأنت ساكت جوعا أم ساكت هجوعا ، أى نوما .
(٤) الوجيب : الخفقان والرجفان . (٥) السدل : الستر .
(٦) الخطب : الأمر .

ثم سارت من بعد ما أَعلمتها تقتفيها وبنتها تبعتهــا

فتخطَّين فى الدجى بانسياب[١]

جئن والسُّحْب أقامت عن حياها وَكذاك الرعود قلَّ رُغاها[٢]

حيث يأتى شبهَ الأنين صداها غير أن البروق كان ضياها

مُومِضاً فى السماء بين الرَّباب[٣]

فدخلن المحـلَّ وهو مخيف حيث إن السُكوت فيه كثيف[٤]

وضياء السراج نزر ضعيف وبه فى الفراش شخص نحيف

دب منـه الحِمام فى الأعصاب[٥]

قالت الأخت أمَّ سلمى انظريه ثـكِلت روح أمه وأبيه[٦]

فرأت منه إذ دنت نحو فيـه نفَساً مبطئَ التردد فيه

ثم قد غاله الردَى باقتضاب[٧]

وجَمَت حيرة وبعد قليل رمقت فاطماً بطرف كليل[٨]

فيه حَمْلٌ على العزاء الجميل فعلا صـــوت فاطم بالعويل

وبكت طول ليلهـا بانتحاب

فاستمرت حتى الصباح تُوالى زفراتٍ بنارهـا القلبُ صالِ[٩]

فأتاهـا ودمعها فى انهمال بعضُ جاراتها وبعض رجال

من صعاليك أهل ذاك الجَناب[١٠]

وقفوا موقفاً به الفقر ألقى منه ثِقْلاً به المعيشـة تشقى

---

(١) الانسياب : الاسراع فى المشى . (٢) الحيا : المطر . الرغاء : صوت الرعد .

(٣) الرباب بفتح الراء : السحاب الأبيض الذى أراق ماءه .

(٤) شبه كثرة السكوت بجيش كثيف أى عظيم .

(٥) الحِمام : الموت . (٦) ثـكلته أمه : فقدته .

(٧) غاله : أهلكه . الاقتضاب . الاقتطاع والانتزاع .

(٨) وجمت : سكتت من كثرة الغم والحزن . (٩) صال : محترق .

(١٠) الصعاليك : الفقراء . مفردها : صعلوك . الجناب : هو المكان القريب من محلة القوم .

فرأوا دمع فاطم ليس يرقا وأخوها ميْت على الأرض مُلقى[١]
مُـدرَجٌ في رثائث الأثواب[٢]

فغـــدت فاطم ترَنّ رَنينا ببكاء أبكت به الواقفينا
ثم قالت لهم مقالًا حزينا أيهـا الواقفون هل ترحمونا
من مُصاب دها وأيّ مصاب

أيها الواقفون لا تهمــلوه دونـكم أدمعى بهــا فاغسلوه
ثم بالثوب ضافياً كفنوه وادفنوه لـكن بقلبى ادفنوه
لا تواروا جبينـــه بالتراب

بعد أن ظلّ لافتقاد المــال وهو مُلقًى إلى أوان الزوال
جاد شخص عليه بعد سؤال بريالٍ وزاد نصفَ ريال
رجـلٌ حاضر من الأنجاب[٣]

كفّنوه من بعد ما تمّ غُسْلا وتمشّوا به إلى القبر حَملا
فترى نعشهُ غــداة استقلّا نعش من كان فى الحياة مُقِلّا[٤]
دون سِـــتر مكسّر الأجناب

ناحت الأخت حين سار وصاحت أختك اليوم لو قضت لاستراحت
ثم سارت مدهوشةً ثم طاحت ثم قامت ترنو له ثم راحت[٥]
تسكب الدمع أيما تسكاب

أيها الحاملوه لا مشىَ رَكْضِ إن هـذا يوم الفراق المحضِ[٦]
فاسألوه عن قصده أين يمضى إنه قد قضى ولم يكُ يقضى
واجبات الصبا وشَرْخ الشباب[٧]

---

(١) ليس يرقا : لا يجف . وأصله : يرقأ بالهمز ، تخفف .
(٢) مدرج : مكفن . رثائث الاثواب : البالى منها .
(٣) الأنجاب : جمع نجب ، وهو السخى الـكريم .
( ) استقل : ارتفع مقلا : فقيرا .
(٥) طاحت : سقطت .
(٦) المض : الموجع المؤلم .
(٧) شرخ الشباب : أوله .

إن قلبى على كريم السجايا طاح والله من أساه شظايا[1]
قاتل الله يا بن أمى المنايا أنا من قبلُ مذ حسبت الرزايا
لم يكن رزء موتكم فى حسابى
إن ليلى وليس من راقديه كلما جاءنى وذكّرنيه[2]
قلت والدمع قائلٌ لى إيه يا فقيدا أعاتب الموت فيه[3]
ببكائى وهل يفيد عتابى

* * *

رحت يوماً وقد مضت سنتان أتمشّى « بشارع الميْدان »
مشىَ حيرانَ خطوه متدانِ أثقلتهُ الحيــاة بالأحزان[4]
وسقته كأساً كطعم الصاب[5]
بينما كنت هكذا أتمشى عرضتْ نظرةٌ فأبصرت نعشا
بادياً للعيون غــير مغشّى نَقَش الفقر فيه للحزن نقْشا
فبدا لوح أبؤسٍ واكتئاب
قلت سرًّا والنعش يقرب منى أيها النعش أنت أنعشت حزنى
للأسى فيك حالة ناسبتنى إن بدا اليوم فيك حزن فإنى
أنا للحزن دائما ذو انتساب
رحت أسعى وراءه مذ تعدّى مسرعاً فى خطاىَ لم آل جهدا[6]
مع رجال كأنجم النعش عدا هم به سائرون سيرا مُجدا[7]
فتراه يمر مرّ السحاب

---

(١) طاح : معناها هنا ذهب . من أساه : من حزنه . شظايا : قطعا ، وهى جمع شظية ، وتطلق على كل فلقة من شىء .
(٢) راقديه . النائمين فيه .
(٣) إيه . كلمة يطلب بها استزادة الحديث .
(٤) متدان : متقارب .
(٥) الصاب : شجر مر .
(٦) تعدى : تجاوز
(٧) أى عدد حاملى النعش كعدد أنجم بنات نعش ، وهى سبعة.

مذ لحدنا ذاك الدفين وعدنا   قلت والدمع بلَّ مِنّى رُدْنا[١]
إن هذا هو الذى قد وعدنا   فأبينوا من الذى قد لحدنا
فتصدَّى منهم فتى لجوابى

قال إن الدفين أخت بشير   أخت ذاك المسكين ذاك الفقير
بقيت بعــدهُ بعيشٍ عسير   و بطرفٍ باكٍ وقلبٍ كسير
وقضت مثــله بداء القُلاب

قلت أَقصِر عن الــكلام فحسبي   منك هـــــذا فقد تزلزل قلبي
ثم ناجيت والضراعة ثوبى   ربِّ رحماك ربِّ رحماك ربى[٢]
ربِّ رشداً إلى طريق الصواب

ربِّ إن العباد أضعف أن لا   يجدوا منك ربِّ عفوًا وفضلا
فاعفُ عن أخذهم و إن كان عدلا   أنت يا ربِّ أنت بالعفو أولى
منك بالأخذ والجزا والعقاب

قد وردنا والأرض للعيش حوض   واحدٌ كلنا لنــا فيه خوض
فلمـــــاذا به مشوبٌ ومحض   عظمت حكمة الإله فبعض[٣]
فى نعيم و بعضنا فى عــذاب

أيها الأغنياء كم قـــــد ظلمتم   نِعم الله حيث ما إن رحمتم
سهر البائسون جـــوعاً ونمتم   بهناء من بعـــــد ما قد طعمتم
من طعـــام منوَّع وشراب

كم بذلتم أموالــكم فى الملاهى   وركبتم بهـــا متون السفاه
وبخلتم منهـــا بحق الإلهِ   أيها الموسرون بعضَ انتبـــاه
أفتدرون أنــكم فى تَباب[٤]

(١) الردن بضم الراء : أصل الــكم .
(٢) الضراعة ثوبى : أى وأنا لابس ثوب الضراعة .
(٣) مشوب : مخلوط . محض : خالص من الــكدورة .
(٤) التباب : الخسران .

تنبيه النيام (*)

أما آن أن يغشى البلاد سعودها ... ويذهب هذى النيام هجودُها

متى يتأتّى فى القلوب انتباهها ... فينجابَ عنها رَيْنُها وجمودُها (١)

أما أسدٌ يحمى البلادَ غضنفرٌ ... فقد عاث فيهـا بالمظالم سِيدُها (٢)

برئت إلى الأحرار من شرِّ أمّة ... أسـيرة حكّام ثقال قيودها

سقى الله أرضاً أمحلت من أمانها ... وقد كان رُوّاد الأمان ترودها (٣)

جرى الجور منها فى بلاد وسيعةٍ ... فضاقت على الأحرار ذرعًا حدودها

* * *

عجبتُ لقوم يخضعون لدولةٍ ... يسوسهمُ بالموبقات عميدُها

وأعجب من ذا أنهم يرهبونهـا ... وأموالها منهم ومنهم جنودها

إذا وُلّيتْ أمرَ العبـاد طغاتها ... وساد على القوم السراة مَسودُها

وأصبح حرُّ النفس فى كل وجهة ... يُردُّ مهاناً عن سبيلٍ يريدها

وصارت لئـام الناس تعلو كرامها ... وعاب لبيداً فى النشيد بليدها (٤)

فما أنت إلا أيهـا الموت نعمةٌ ... يعزّ على أهل الحفاظ جحودها (٥)

* * *

ألا إنمـا حرية العيش غادة ... مُنى كل نفس وصلها ووفودها

(*) من الجزء الأول .

(١) الرين : ماغطى على القلب بحيث يحجبه عن رؤية الحقيقة .

(٢) عاث فيها : أفسدها . السيد : الذئب .

(٣) الرواد : جمع رائد ، وهو الرسول الذى يرسله القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه . يقال منه راد المكان يروده ، وارتاده يرتاده ، بمعنى طلبه .

(٤) لبيد : علم الشاعر المشهور .

(٥) أهل الحفاظ المحامون عن عوراتهم ، والمدافعون دون أن يصل إليهم الضيم .

يضيء دجنّاتِ الحياة جبينها ... وتبدو المعالى حيث أتلع جيدها[١]
لقد واصلت قوماً وخلّت وراءها ... أناساً تمنّى الموت لولا وعودها
وقد مرضت أرواحنا فى انتظارها ... فما ضرّها والهفتا لو تعودها[٢]

* * *

بني وطنى مالى أراكم صبرتمُ ... على نُوَبٍ أعيا الحُصاةَ عديدُها
أما آدكم حمل الهوان فإنه ... إذا حُمِّلته الراسياتُ يئودها[٣]
قعدتم عن السعى المؤدى إلى العلى ... على حين يُزرى بالرجال قعودها
ولم تأخذوا للأمر يوماً عتاده ... فجاءت أمور ساء فيكم عتيدها[٤]
ألم تروا الأقوام بالسعى خلّدت ... مآثر يستقصى الزمانَ خلودها
وساروا كراماً رافلين إلى العلى ... بأثواب عزٍّ ليس يبلى جديدها

* * *

قد استحوذتْ يا للخسار عليكم ... شياطينُ إنس صال منكم مَريدها[٥]
وما اتّقدت نار الحمية منكمُ ... لفقد اتحادٍ فاستطال خمودها[٦]
ولولا اتحاد العنصرين لما غدا ... من النار يذكو لو علمتم وَقودها
إذا جاهل منكم مشى نحو سُبّة ... مشى جمعكم من غير قصد يريدها[٧]

---

(١) أتلع عنقه : مده متطاولا .   (٢) تعودها : تزورها : من عيادة المريض .

(٣) آدكم : أثقلكم . يئودها : يثقلها .

(٤) العتاد : العدة لأمر ماتهيؤه وما أعد من سلاح ودواب وآلة حرب . العتيد : الحاضر المهيأ . يقول لم تستعدوا للرقى فيما مضى ، فجاء كم يوم ساءكم فيه حاضركم ، ويعنى بالحاضر ما كانت تقاسيه الأمة من جور الحكام واستبداد الطغاة ، وهو يصلح لحالتنا الحاضرة أيضاً ، ويكون حاضرنا السابق ماضيا ، وحريتنا الآن حاضر لنا ، فانها جاءتنا على غير استعداد منا لها بما أفسده الظالمون من نفوسنا فأسأنا استعمالها ولم نحسن فهمها بسبب مايوحيه المتقهقرون إلى زعانف القوم وما يبثونه فى نفوسهم من الشرور : تارة باسم الوطنية . أصلح الله الأحوال وجعل كيد الرجعيين فى ضلال .

(٥) المريد : الخبيث المتمرد الشرير .

(٦) أى أن نار حميتكم لم تتقد لأنكم لم تتحدوا ، فان اشتعال النار لا يكون إلا باتحاد العنصرين : الأكسجين والكربون .

(٧) السبة : العار .

كأنكم المِعْزَى تهاوَيْنَ عند ما ... نزا فنزتْ فوق الجبال عتودها[١]

وما ثَلّةٌ قــــد أهمتها رُعاتها ... بمأسدةٍ جاءت لعشرٍ أسودها[٢]

فباتتْ ولا راعٍ يحامى مراحها ... فرائسَ بين الضاريات تُبيدها

بأضيعَ منكم حيث لا ذو شهامة ... يذبّ الرزايا عنكم ويذودها[٣]

* * *

أتطمع هذى الناس أن تبلغ المنى ... ولم تُورِ فى يوم الصدام زنودها[٤]

فهل لمعتْ فى الجوّ شعلة بارقٍ ... وما ارتجست بين الغيوم رعودها[٥]

وأدخنــة النيران لولا اشتعالها ... لما تمَّ فى هذا الفضاء صعودها

وإن مياه الأرض تعذب ما جرت ... ويفسدها فوق الصعيد ركودها

ومن رام فى سوق المعــالى تجارة ... فليس سوى بيض المساعى نقودها

سوء المنقلب(*)

بغـــــدادُ حسبكِ رقدة وسُباتُ ... أوَ ما تُمِضّك هــذه النكباتُ[٦]

وَلعت بكِ الأحداث حتى أصبحت ... أدواءُ خطبكِ ما لهنَّ أساة[٧]

قلَب الزمان إليك ظهرَ مجنّه ... أفكان عندك للزمان تِرات[٨]

---

(١) نزا : وثب . العتود : الجدى الذى استكرش ؛ أوهو مارعى وقوى وأتى عليه حول ، يريد بذلك أنه إذا قام قائم منا بأمر تابعه عليه من غير أن تعلم ماهو ولا أن ندرى أ كانت عاقبته شراً أو خيراً .

(٢) الثلة بفتح الثاء : الجماعة الكثيرة من الغنم . وأما الثلة بضم الثاء : فهى الجماعة من الناس. المأسدة : المكان الذى تكثر أو تربى فيه الأسود .

(٣) يذب : يدفع ومثله يذود .

(٤) أورى الزند : أخرج ناره . والزند : العود الذى يقتدح به النار والأسفل يقال له زنده .

(٥) ارتجست السماء : رعدت ، وارتجس البناء : رجف وتحرك حركة سمع لها صوت .

(*) من الجزء الأول .

(٦) السبات : النوم . تمضك : توجعك .

(٧) الأحداث : النوازل . أدواء : جمع داء . أساة : أطباء .

(٨) المجن : الترس ؛ وقلب له ظهر المجن : أى صارحه بالعداوة . ترات : عداوات ، وهى جمع ترة .

ومن العجائب أن يمسك ضره ... من حيث ينقع لو رعتك رُعاة[1]

إذ من دجلةَ وفرات ودجلة ... أمست تحلّ بأهلك الكربات

إن الحياة لفى ثلاثة أنهرٍ ... تجرى وأرضك حولهنّ مَوات

قد ضلّ أهلك رشدهم وهل اهتدى ... قومٌ أجاهلُهم هم السَّرَوات[2]

قوم أضاعوا مجدهم وتفرّقوا ... فتراهم جمعاً وهم أشـــتات

لقد استهانوا العيش حتى أهملوا ... سعياً مغبة تركه الإعنات[3]

يا صابرين على الأمور تسومهم ... خسفاً على حين الرجالُ أباةُ[4]

لا تهملوا الضرر اليسير فإنه ... إن دام ضاقت دونه الفلوات[5]

فالنار تلهب من سقوط شرارةٍ ... والماء تجمع سيله القطرات

لا تستنيموا للزمان توكلاً ... فالدهر نزّاء له وَثَبات[6]

فإلى متى تستهلكون حياتكم ... فوضى وفيكم غفـــلةٌ وأناة[7]

تالله إن فعالكم بخلافه ... نزل الكتاب وجاءت الآيات[8]

أفتزعمون بأن ترك السعى فى ... هذى الحياة توكلٌ وتُقاة[9]

إن صحّ نقلكم بذاك فبيّنوا ... أو قام عندكم الدليل فهاتوا

لم تلقَ عندكم الحياةُ كرامةً ... فى حالةٍ فكأنكم أموات

شقيت بكم لمّا شقيتم أرضُكم ... فلها بكم ولكم بها غمرات[10]

وجهلتم النهج السوىّ إلى العلى ... فترادفت منكم بها العثرات

---

(١) رعاة : جمع راع .

(٢) السروات : السادة والرؤساء .

(٣) المغبة : العاقبة . الاعنات : الاذلال والايقاع فى الشدة وفى أمر يخاف منه .

(٤) سامه الخسف : أذله وأهانه . أباة : لايرضون الضيم والاهانة .

(٥) الفلوات : الأراضى المتسعة . (٦) نزاء : وثاب .

(٧) الأناة : الحلم . (٨) الفعال بفتح الفاء : بمعنى الفعل .

(٩) التقاة : التقوى .

(١٠) الغمرات : الشدائد .

بالعلم تنتظم البـــلاد فإنه لرقيّ كل مدينـــة مرقاةُ
إن البلاد إذا تخاذل أهلهـا كانت منافعها هى الآفات
تلك الرُّصافة والمياه تحفها والـكرخ قد ماجت به الأزمات (١)
سالت ميـاه الواديين جوارفا فطفحن والأسداد مؤتـكلات (٢)
فتهاجم الماءان من ضَفَتَيْهِما فتناطحا وتوالت الهجمات (٣)
حتى إذا اتصل الفرات بدجلة وتساوت الوَهَدات والرَبوات (٤)
زحفت جيوش السيل حتى أصبحت بالـكرخ نازلة لها ضوضاة (٥)
فسقت بيوت الـكرخ شر مُقيِّءٍ منها فقاءت أهلها الأبياتُ (٦)
واستنقعت فيها الميـاه فطحلبت بالمـكث ترغو تحتها الحمآت (٧)
حتى استحال الـكرخ مشهد أبؤُسٍ تبكى به الفتيان والفتيات
طرقاته مســـدودة ودياره مهدومة وعِراصه قذرات (٨)
يا كرخُ عزَّ على المروءة أنه لجج المياه عليك مزدحمات
فلئن أماتتك السيول فإنما أمواجهن عليـك ملتطمات (٩)

* * *

(١) الأزمات : الشدائد .
(٢) الأسداد : جمع سد . مؤتـكلا : آكل بعضها بعضا .
(٣) ضفتيهما : جانبيهما . والضفة بتشديد الفاء وخففها الشاعر للضرورة وكان له مخلص من هذه الضروره وذلك بأن يقول من ضفويهما لأن الضفوين مثنى ضفا . والضفة والضفة بمعنى واحد .
(٤) الوهدات : جمع وهدة وهى المنخفض من الأرض ؛ والربوات جمع ربوة وهى المرتفع منها .
(٥) الضوضاء : الجلبة وأصوات الناس .
(٦) شبه الماء الداخل إلى البيوت بما يشربه الانسان من المقيئات ؛ فـكما يخرج الانسان ما فى جوفه بعد شرب المقيء ؛ فـكذلك البيوت أخرجت ما فيها من السكان بعد دخول الماء .
(٧) طحلبت : علاها الطحلب وهى خضرة تعلو الماء المزمن . الحمـآت : جمع حمأة وهى الطين الأسود ؛ أراد بها جثث الذين لم يستطيعوا الخروج من البيوت .
(٨) العراص : جمع عرصة ؛ ساحة الدار . وهى البقعة الواسعة بين الدور التى ليس فيها بناء .
(٩) يقول : إذا كانت السيول سبب موتك فان أمواجها تلتطم حزنا عليك .

من مبلغٌ المنصورِ عن بغداده خبراً تَفيض لمثله العبرات(١)
أمست تناديه وتندب أربُعاً طمست رسومَ جمالها الهَبَوات(٢)
وتقول : يالأبي الخلائف لو ترى أركان مجدى وهى متهدمات(٣)
لغدوت تنكرنى وتبرح قائلا بتعجب ما هذه الخَرِبات
أين البروج بنيتهنَّ مَشيدة أين القصور علت بها الشرُفات
أين الجنان بحيث تجرى تحتها الْ أنهار يانعة بها الثمرات
أترى أبو الأمناء يعلم بعده بغداد كيف تروعها النكبات
لا دجلةٌ يا للرزية دجلةٌ بعد الرشيد ولا الفرات فرات
كان الفرات يمد دجلةَ ماؤُه بجداولٍ تُسْقَى بها الجنات(٤)
إذ بين دجلة والفرات مصانع تفترّ عن شَنَب بها السنوات(٥)
يا نهر عيسى أين منك موارد عذبت وأين رياضك الخَضِلات(٦)
ما ذا دهى نهر الرُّفيل من البلى حيث الجارى منه مندرسات(٧)
إذ قصر عيسى كان عند مصبهِ وعليه منه أطلَّت الغُرُفات(٨)
أم أين بركة زُلزُل وزلالها السلطان تسرح حوله الظَبَيات(٩)

---

(١) المنصور : هو المنصور بالله العباسى أبو جعفر ثانى خلفاء بنى العباس ؛ وهو أول من مصر بغداد وجعلها مدينة .

(٢) أربع جمع ربع وهو الدار . الرسوم : جمع رسم ؛ وهو ما لصق بالأرض من آثار الديار . الهبوات : جمع هبوة وهى الغبرة .

(٣) يالأبى الخلائف : هو ندا : استغاثة .

(٤) الجداول : الأنهار الصغيرة .

(٥) المراد بالشنب هنا : الخصب . والرى والشنب فى الأصل : هو الماء والرقة والبرد والعذوبة فى الأسنان . ويقال افتر المحبوب بمعنى ضحك وافتر عن أسنان كالبرد .

(٦) الخضلات : المرتوية . (٧) الرفيل : نهر يصب فى دجلة بغداد .

(٨) قصر عيسى : هو قصر عظيم فى بغداد وكان مبنياً على شاطىء نهر الرفيل عند مصبه فى دجلة وهو ينسب إلى عيسى بن على بن عبد الله بن عباس وهو أول قصر بناه الهاشميون فى أيام المنصور فى بغداد وإلى عيسى هذا ينسب نهر عيسى فى بغداد .

(٩) بركة زلزل : بركة فى بغداد كان قد بناها رجل يقال له زلزل وكان مشهوراً بضرب العود حتى ضرب به المثل ؛ وكان فى أيام المهدى والهادى والرشيد .

يا نهرَ طابَقَ لا عدمتك منهلًا ... أين الصَّراة تحفُّها الروضات[1]

أم أين كرخايا تمدّ مياهه ... نهر الدجاج فتكثر الغلات[2]

أم أين نهر الملك حين تسلسلت ... فيــه المياه وهنَّ مطّردات[3]

قد كان تزدرع الحبوب بأرضه ... فتسحّ فيه بفيضها البركات[4]

أم أين نهر بطاطيا تأتيه من ... نهر الدجيل مياهه الجراة[5]

وله فروع أصلهنّ لشارع الْ ... كَبْش الجارى منه منتهيات

تنمو الزروع بسقيه فغــلاله ... كل العراق ببعضها يقتات

لهفى على نهر المُعــلَّى إذ غدت ... لا تستبين جنانُه النضرات[6]

نهر هو الفردوس تدخل منه فى ... قصر الخلافة شعبة وقنــاة

كالسيف منصلتاً تضاحك وجهه الْ ... أنوار وهى عليه ملتمعات[7]

إذ نهر بينٍ عند كَلْواذَى به ... مُلد الغصون تهزّها النسمات[8]

ويقربه من نهر بُوقٍ دارة ... تنفى الهموم مروجها الخضرات[9]

يا قصر باب التبر كنت مقرَّنا ... والنفى يصدر منك والإثبات[10]

---

(١) نهر طابق : فى بغداد يصب فى نهر عيسى . الصراة : نهر على فرسخ من بغداد يأخذ من نهر عيسى .

(٢) كرخايا : نهر كان ببغداد يأخذ من نهر عيسى . نهر الدجاج : نهر ببغداد كان يأخذ من كرخايا قرب الكرخ من الجانب الغربى .

(٣) نهر الملك : هو نهر ببغداد بعد نهر عيسى . (٤) تسح : تسيل .

(٥) نهر بطاطيا : نهر يحمل من دجيل ؛ ودجيل نهر يخرج من أعلى بغداد ؛ أو هو شعبة من دجلة .

(٦) نهر المعلى : نهر فى بغداد ينسب إلى المعلى بن طريف مولى المهدى ؛ وكان من كبار قواد الرشيد وقد جمع له من الأعمال مالم يجمع لكبير وقد ولى المعلى البصرة وفارس والأهواز اليمامة والبحرين . ويسمى هذا النهر أيضاً نهر الفردوس ؛ وكان يجرى تحت الأرض حتى يدخل دار الخلافة العباسية .

(٧) منصلتا : مجردا .

(٨) نهر بين : نهر بالعراق . كلواذى : قرية قرب بغداد . ملد : جمع أملد وغصن أملد : ناعم

(٩) نهر بوق : نهر فى سواد بغداد .

(١٠) لعله باب التبن بالنون : وهى محلة كبيرة كانت ببغداد على الخندق .

أيام تطلعك العدلة شمسها وتَرِفّ فوقك للهدى رايات
أيام تبصرك الحضارة فى العلى بدرا عليك من الثنا هالات[١]
أيام تنشدك العلوم نشيدها فتعود منك على العلوم صِلات[٢]
أيام تقصدك الأفاضل بالرجا فتقبض منك لهم جدا وهِبات[٣]
أيام يأتيك الشكىّ بأمره فيروح عنك وما لديه شكاة
تمضى الشهور عليك وهى أنيسة وتمرّ باسمة بك الساعات
ماذا دهاك من الهوان فأصبحت آثار عزك وهى منطمسات
قد ضيّعت بغداد سابق عزّها وغدت تجيش بصدرها الحسرات[٤]
كم قد سقاها السيل من أنهارها ضرًّا وهنّ منافع وحياة
واليوم قلت بجانبيها أرخوا دفق السيول فماجت الأزمات

العادات قاهرات(*)

كلُّ ابن آدم مقهورٌ بعادات لهنّ ينقاد فى كل الإرادات
يجرى عليهنّ فيما يبتغيه ولا ينفكُّ عنهنّ حتى فى الملذات
قد يستلذ الفتى ما اعتاد من ضرر حتى يرى فى تعاطيه المسرات
عادات كل امرئ تأبى عليه بأن تكون حاجاته إلا كثيرات
أنى لفى أسر حاجاتى ومن عجب تعوّدى ما به تزداد حاجاتى
كل الحياة افتقار لا يفارقها حتى تنال غناها بالمنيات[٥]
لو لم تكن هذه العادات قاهرة لما أسيغتْ بحال بنت حانات[٦]

---

(١) هالات : جمع هالة ، وهى الدارة التى تحيط بالقمر .
(٢) صلات : عطايا . (٣) تجيش : تغلى .
(٤) الجدا : العطية .
(*) من الجزء الأول .
(٥) المنيات : جمع منية وهى الموت . (٦) بنت الحان : هى الخمر .

ولا رأيت سكارات يدخنها ... قوم بوقت انفرادٍ واجتماعات

إن الدخان لثان فى البلاء إذا ... ما عُدّت الخمر أولى فى البليات

* * *

وربَّ بيضاء قيدِ الأصبع احترقت ... فى الكف وهى احتراق فى الحُشاشات[1]

إن مرَّ بين شِفاه القوم أسوَدُ أَلْـ ... ـقَى اصفراراً على بيض الثنيّات[2]

وليتها كان هذا الحظ شاربها ... بل قد تفت بكفيه المرارات

عوائدٌ عمت الدنيا مصائبُها ... وإنما أنا فى تلك المصيبات

إن كلَّفَتنى السكارى شرب خمرتهم ... شربت لكن دخانا من سكاراتى

واخترت أهون شر بالدخان وإن ... أحرقت ثوبى منه بالشرارات

وقلت يا قوم تكفيكم مشاركتى ... إياكم فى التذاذٍ بالمُضرّات

إنى لأمتصُّ جمرا لفَّ فى وَرَق ... إذ تشربون لهيبا ملءَ كاسات

كلاهما حُمُق يفترّ عن ضرر ... يَسُمُّ من دمنا تلك الكريات

حسبى من الحُمُق المعتاد أهونُه ... إن كان لابد من هذى الحماقات

يا من يدخن مثلى كل آونة ... لمنى أَلُمكَ ولا ترض اعتذاراتى

إن العوائد كالأغلال تجمعنا ... على قلوبٍ لنا منهنَّ أشتات

مقيَّدين بها نمشى على حذرٍ ... من العيون فتأتى بالمداجاة[3]

قد نُنكر الفعل لم تألفهُ عادتنا ... وإن علمنا° من بعض المباحات

وربَّ شنعاء من عاداتنا حسُنت ... فى زعمها وهى من أجل الشناعات

° ° °

(١) أراد بالبيضاء : اللفافة من التبغ . وقيد الاصبع أى مقداره . الحشاشات : جمع حشاشة وهى بقية الروح فى المريض والجريح ، أوهى رمق من حياة النفس .

(٢) الشفاه : جمع شفة . الثنيات والثنايا : هى أربع أسنان فى مقدم الفم اثنتان من فوق واثنتان من أسفل ، ومفردها ثنية .

(٣) المداجاة : المخادعة والرياء .

عناكبُ الجهل كم ألقتْ بأدمغةٍ ... من الأنام نسيجًا من خرافات[١]

فحرّموا وأحلّوا حسب عادتهم ... وشوّهوا وجه أحكام الديانات

حتى تراهم يرون العلم منقصةً ... عند النساء وإن كنّ العفيفات

وحجّبوهنّ خوف العار ليتهمُ ... خافوا عليهنّ من عار الجهالات

لم تحصِ سيئةَ العادات مقدرتى ... مهما تفننتُ منها فى عباراتى

فكم لها بدَعٌ سودٌ قد اصطدَمتْ ... فى الناس منهن آفات بآفات

لو لم يكُ الدهرُ سُوقًا راج باطلها ... ماراجت الخمر فى سوق التجارات

ولا استمرّ دخان التّبغ منتشراً ... بين الورى وهو مطلوب كأقوات

لو استطعتُ جعلتُ التبغ محتكَراً ... فوق احتقارٍ له أضعافَ مرات

وزدتُ أضعافَ أضعافٍ ضريبته ... حتى يبيعوه قيراطا ببدرات[٢]

فيستريح فقير القوم منه ولا ... يبلى به غيرُ مثرٍ ذى سفاهات

٭ ٭ ٭

الُحرُّ مَن خرق العادات منتهجاً ... نهج الصواب ولو ضدّ الجماعات

ومن إذا خذل الناسُ الحقيقة عن ... جهلٍ أقام لها فى الناس رايات

ولم يخفْ فى اتباع الحق لائمة ... ولو أتتهُ بحدّ المشرفيّات[٣]

وعاملَ الناس بالأنصاف مدرعاً ... ثوب الأخوّة من نسج المساواة

أغنى البرية أرفاهم لعادته ... وأعقل الناس خُرّاق لعادات[٤]

---

(١) العناكب : جمع عنكبوت ، وهى دودية تنسج من لعابها خيوط فى الهواء وعلى رأس البئر تصيد بها طعامها وتبنى لنفسها بيتا محكما فى الأرض وتعرف بالرتيلا وهى نوعها منها وهى مؤنثة وذكرها يقال له العنكب ويجمع العنكب على عناكب وعناكيب وتجمع العنكبوت على عناكب وعنكبوتات .

(٢) البدرات : جمع بدرة ، وهى عشرة آلاف درهم .

(٣) المشرفيات : السيوف .

(٤) أغبى : اسم تفضيل من الغباوة . أرفاهم : اسم تفضيل من قولهم رفأ الثوب : أى أصلح خروقه وضمها إلى بعضها . يقول إن أجهل الناس من يدفع من عاداته التى اعتادها ولو كانت فاسدة وأعقلهم من لايعبأ بالعادات ، بل يعمل على إزالتها وتنفير الناس من شرورها .

بعد الدستور (*)

سقوط كامل باشا

سقتنا المعالى من سُلافتها صِرفا ... وغنَّتْ لنا الدنيا تُهنئنا عَزْفا (١)

وزفَّت لنا الدستور أحرارُ جيشنا ... فأهلاً بما زفَّت وشكرًا لمن زفَّا

فأصبح هذا الشعب للسيف شاكرًا ... وقد كان قبل اليوم لا يشكر السيفا

ورحنا نَشاوَى العز يهتف بعضنا ... ببعض هتافاً يُصعق الظلم والحيفا (٢)

ولاحت لنا حُرِّيَّةُ العيش عندما ... أماطت لنا الأحرار عن وجهها السَّجْفا (٣)

أتت عاطلا لا يعرف الحَلى جيدُها ... ولا كحلت عيناً ولا خضبت كفًّا (٤)

فجاءت بمطبوعٍ من الحسن قد قضى ... على الشعر أن لا يستطيع له وصفا

فلم نرضَ غير العلم تاجًا لرأسها ... ولا غير شَنْفِ العدل في أذنها شنفا (٥)

ولم نكسُها إلا من العُرف حُلَّةً ... وهل يكتسى الديباجَ من يكتسى العُرفا (٦)

نشرنا لها منَّا لفيف اشتياقنا ... ونحن أناس نحسن النشر واللَّفَّا (٧)

حللنا الحُبَا لمَّا أتتنا كرامةً ... وقفنا على الأقدام صفا لها صفًّا (٨)

(*) من الجزء الأول .

(١) السلافة : أفضل الخمر ، وهو ماتحلب وسال قبل العصر .

(٢) نشاوى : سكارى . يصعق : يهلك . الحيف : الظلم .

(٣) أماطت : أزالت . السجف : الستر .

(٤) عاطلا : أى لم يكن عليها حلى . جيدها : عنقها .

(٥) الشنف : هو مايعلق فى الأذن من الحلى .

(٦) العرف : المعروف . الديباج : الثوب الذى سداه ولحمته حرير .

(٧) اللفيف : المجموع ؛ ويطلق على ما اجتمع من الناس من قبائل شتى ، واللف والنشر معروفان وفيهما تورية باللف والنشر عند علماء البلاغة .

(٨) الحبا : جمع حبوة . وهى مايحتبى به الرجل من عمامة أو ثوب .

عقدنا لها عقد اللواء تعشقاً ... فكنّا لها إلفاً وكانت لنا إلفا

رفعنا لواء النصر يهفو أمامها ... ورحنا على صَرْف الزمان لها حِلفا [1]

فلم ترَ غير الرفق فينا سجيةً ... وإن كان بعضُ القوم أبدى لها عنفا

٭ ٭ ٭

تحمَّل أعباء الصدارة كامل ... فناء به ما لم يخفّ وما خفّا [2]

طوى كشحه منها على غير لطفها ... وأظهر من وجه الخِداع بها اللطفا [3]

نحا أن يتم الدست فيها لحزبه ... علينا وظنّ الأمرَ فيما نحا يخفى [4]

وقد فاتهُ أنّا أولو ألمعيــة ... بها نخطَف الأسرار من قلبه خطفا [5]

وأنّا نرى من قد تأبط شره ... بعينٍ تقُدُّ الإبْط أو تخلع الكتفا [6]

لنا فطنةٌ ترمى الزمان بنورها ... فيبدو حجاب الغيث منه وقد شفّا [7]

رمانا بشزْر اللحظ مزورُّ طرْفِه ... فضحنا بهِ أن غُضّ يا كامل الطّرْفا [8]

فما نحن بعد اليوم مهما تنوّعت ... عناصرنا من أمة تحمل الخسفا

مددنا إلى كفّ الأخاء أكفنا ... نصافحهُ شوقاً فمدّ لنا الكفّا

فطاب لنا منـــه العِناق وضمنا ... إليهِ فقبّلناه من عينهِ أنفا

أذُلّا وهــذا العزُّ صرّح سابغاً ... علينا إذن فالعزّ أن ندرك الحتفا [9]

إذا نحن قمنـــا مُحنَقين رأيتنا ... ندكّ جبال الظلم ننسفها نسفا

ونحن إذا ما الحرب أفنت جيادَنا ... قتالًا ركبنا الموت في حربنا طِرْفا [10]

٭ ٭ ٭

---

(١) يهفو: يخفق . الحلف: الصديق يحلف لصاحبه أنه لا يغدر به .

(٢) ناء به: أثقله . (٣) طوى كشحه عنها: أى أعرض عنها

(٤) الدست: الحيلة والخديعة . ويطلق على ما يكون فيه الغلب فى الشطرنج .

(٥) أولو ألمعيه: أصحاب ذكاء وفطنة .

(٦) تأبط شره: جعل الشر تحت أبطه . تقد: تشق .

(٧) شف الثوب: لم يحجب ما تحته .

(٨) النظر الشزر: هو نظر الغضبان بمؤخر العين . المزور: المنحرف المعرض .

(٩) سابغاً: تاما . الحتف: الموت . (١٠) الطرف: الكريم من الخيل .

تربّعَ في صدر الوزارة كاملٌ فخطَّ من النُقصان في وجهها حرفا

وأنحى عليها بالجفاءِ مشتتاً نجاحاً بركنيها الركينين ملتفّا

لقد أغضب الدستور فعلًا ونيّةً ومن أعلنوا الدستورَ والشعبَ والصحفا

قد استوضحوه الأمرَ والأمر واضح فأعياه إيضاح الحقيقة فاستعفى

ولم يطلب الإمهال إلا لأنهُ رأى عذره أن لم يُطِلْ سَبْكه زيفا [1]

كذلك من صاغ الكلام ملفقاً تمهل حيناً يكثر الخطَّ والحذْفا

ومن قال حقًّا قاله عن بديهة ويحتاج للتفكير من موّه الخلفا [2]

فيأيها « الصدر » الجديد اتّعظْ به فإياك أن تطغى وأن يثنىَ العِطفا [3]

ويا مجلس النواب سِرْ غير عاثر إلى المجد لا تلقَى كلالًا ولا ضعفا

ودعْ عنك مذموم التجافى فإنما لغير التجافى اختارك الشعب واستصفى

ألم ترَ أرجاء البلاد محولةً من العلم فاستمطر لها الدّيمَ الوُطفا [4]

بلاد جفاها الأمن فهى مريضة فحقق لها من طبّ رأيك أن تشفى

فإن لأهليها عليك لذمّةً ومثلك من راعى الذمام ومن وفَّى

وما أنت إلا أمة قد تقدمت أماماً وقد خلت تقهقرها خلفا

ولا تنسَ مغبرَّ العراق وأهله فإنَّ البلاءَ الجمَّ من حوله احتفّا

---

(١) الزيف : المردود غير المقبول . فى البيت إشارة إلى طلب مجلس الأمة الايضاحات من كامل باشا عن أعماله ، فطلب الامهال ريثما يتمكن من ذلك ، فلم يمكنوه . فاستعفى .

(٢) الخلف : هو أن تعد عدة ولا تنجزها .

(٣) أراد بالصدر الجديد : حسين حلمى باشا . العطف : الجانب . وثنى العطف : كناية عن الاعراض والجفاء .

(٤) محولة : مجذوبة لامرعى فيها ولا كلأ . الديم : جمع ديمة ، وهى مطر يدوم فى سكون ، بلا رعد ولا برق . الوطف : جمع وطفاء ، وهى السحابة المسترخية لكثرة مائها .

فدجلةَ أمست كالدُّجيل شحيحةً فلا أنبتت زرعا ولا أشبعت ظلفا(١)
وإن «الفرات» العذب أمسى مرنَّقاً به الماء يجفو أو به الماء قد جفا(٢)
سلِ «الحِلَّة» الفيحاء عنه فإنها حكَتْ شهداء الطَّفِّ إذ نزلوا الطفا(٣)
فياويلَ قوم في العراق قد انطوَوْا على الذلّ إذ أمستْ قلوبهمُ غُلْفا(٤)
ولم يذكروا مجداً لهم كان ضاربا رُواقا على هام الكواكب قد أوفى(٥)
وكانوا به شُمّ العرانينِ فاغتدَوا يقاسون أهوالا به تجدع الأنفا(٦)
يرجُّون من أهل القبور رجاءهم ومن يحمل الدبوس أو يضرب الدُّفا(٧)

أيقاظ الرقود(*)

إلى كم أنتَ تهتف بالنشيدِ وقد أعياك إيقاظ الرُّقودِ(٨)
فلستَ وإن شددت عُرا القصيد بمُجْدٍ في نشيدك أو مفيدِ
لأنَّ القوم في غيٍّ بعيدِ
إذا أيقظتهم زادوا رقادا وإنْ أنهضتهم قعدوا وِثادا

(١) الدجيل : شعبة من نهر دجلة . الظلف : المراد به ما كان له ظلف من الحيوانات كالبقرة والشاة والظبي ، والظلف لكل حيوان يجتر بمنزلة القدم أو الظفر للانسان ، وكالحافر للفرس ، وكالخف للبعير ، وقد يستعار الظلف للفرس وغيره ، كما استعمله الشاعر هنا .

(٢) مرنقا : مكدرا غير صاف .

(٣) الحلة : قرية في طرف دجيل بغداد ، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ . الطف : أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية ، وفيها قتل الحسين بن علي عليه السلام .

(٤) قلب أغلف : أي لا يعي ، كأنه حجب عن الفهم بغلاف ، وقلوب غلف .

(٥) الرواق : سقف في مقدم البيت . أوفى : أشرف .

(٦) العرانين : جمع عرنين ، وهو الأنف ، يقال : فلان أشم الأنف : إذا كان ذا أنفة وكبر . تجدع : تقطع .

(٧) يشير بهذا البيت إلى قوم تركوا النصوص الشرعية القاضية بالسعي والاعتماد على النفس ، ولجئوا في طلب الخير والنصر إلى الأموات أو الدجالين الذين يحملون الدبابيس ، ويضربون الدفوف والمزاهر ، ادعاء أنهم من أهل البيت وخيرة رجاله ، وما هم إلا أهل لهو وبطالة .

(*) من الجزء الأول .

(٨) الرقود : النائمون .

فسبحان الذى خلق العبادا كأن القوم قد خُلقوا جَمادا
وهل يخلو الجمـــاد عن الجمود

أطلْت وكاد يعيينى الـكلام مَلاماً دون وقعته الحسام
فما انتبهوا ولا نفع الملام كأنّ القومَ أطفالٌ نيام
تهزّ من الجهـــالة فى مهود

إليكِ إليكِ يا بغدادُ عنّى فإنى لستُ منكِ ولَستِ منّى
ولـكنى وإن كَبُر التَّجَنِّى يعزّ علىّ يا بغـــــدادُ أنّى (١)
أراكِ على شَفا هول شديدِ (٢)

تتابعتِ الخطوبُ عليكِ تَتَرى وبُدِّل منكِ حُلوُ العيش مُرّا (٢)
فهلاَّ تُنْجبين فتًى أغرّا أراكِ عَقَمْتِ لا تلدين حُرّا (٣)
وكنتِ لمثـــــله أزكى وَلودِ

أقام الجهلُ فيكِ له شهودَا وسامكِ بالهوان له السجودَا (٤)
متى تُبْدِين منـك له جحودَا فهلّا عُدتِ ذاكرةً عُهودَا
بهن رَشَـدْتِ أيام الرشيدِ

زمانَ نفوذ حكمك مُستمرٌّ زمانَ سحابُ فيضكِ مُستدرٌّ (٥)
زمانَ العـلمُ أنتِ له مَقرٌّ زمانَ بناء عزّك مُشمخرٌّ (٦)
وبدرُ علاكِ فى سعدِ السُّعودِ

بَرِحتِ الأوجَ ميلًا للحضيض وضِقتِ وكنتِ ذاتَ عُلًى عريض (٧)
وقد أصبحتِ فى جسم مريضٍ وكنتِ بأوجهٍ للعزّ بيضٍ
فصرتِ بأوجهٍ للذلّ سُودِ

---

(١) التجنى : الادعاء على شخص بذنب لم يفعله . (٢) الشفا : طرف كل شىء .
(٣) تنجبين فتى : تلدينه نجيبا . الأغر : الـكريم الافعال الواضحها . وقوله وكنت لمثله أزكى ولود : يشير به لمـا كانت عليه بغداد أيام عزها فى أوائل أيام بنى العباس .
(٤) سامك السجود : أجبرك عليه . (٥) مستدر : كثير هاطل .
(٦) مشمخر : مرتفع عال . (٧) الحضيض : أسفل الجبل .

ترقى العالَمونَ وقد هَبطْنا وفى دَرَكِ الهوانِ قد انحططنا
وعن سَنَنِ الحضارة قد شَحَطْنا فقَطْنا يا بنى بغداد قَطْنَا (١)
إلى كم نحنُ فى عيش القُرودِ

أمْ تكُ قبلنا الأجدادُ تبنى بناءً للعلوم بكل فنٍّ
لماذا نحن . يا أسرى التأنّى أخذنا بالتقهقرِ والتدنى (٢)
وصرنا عاجزين عن الصعودِ

كأنْ زُحَلٌ يشاهدُ ما لدينا لذاك أحمرَّ من حَنَقٍ علينا
فقال موجِّهاً لوماً إلينا لو أنِّى مثلُكم أمسيتُ هَيْنَا (٣)
إذن لنضوتُ جلبابَ الوجود (٤)

رَكَدْتُمْ فى الجهالة وهى تُعشِى وعِشْتُمْ كالوحوش أخسَّ عَيْشِ (٥)
أما فيكم فتًى للعزِّ يَمْشِى تبارَكَ من أدار بناتِ نَعْشِ (٦)
وصفّدكُمْ بأصفادِ الرُّكودِ (٧)

حَكَيْتُمْ فى توقّفكم جُدَيًّا فصرتم كالسُّها شَعباً خَفِيًّا (٨)
ألا تجْرون فى مَجْرَى الثُّريّا توُمُّ بدورها فَلَكاً قَصِيًّا (٩)
فتبرزَ منه فى وضعٍ جديدِ

* * *

حكومة شعبنا جارتْ وصارتْ علينا تستبدُّ بما أشارتْ

---

(١) شحطنا : بعدنا . قطنا : حسبنا وكافينا .

(٢) أسرى : جمع أسير . (٣) هينا : ذليلا ضعيفا .

(٤) نضوت : نزعت .

(٥) ركد الماء : سكن . تعشى : تسيء البصر وإراداتها تعمى القلب .

(٦) بنات نعش قسمان : كبرى وصغرى ، وكل منهما سبعة كواكب ، أربعة نعش ، وثلاثة بنات .

(٧) صفدكم : قيدكم . الأصفاد : القيود .

(٨) الجدى : أحد البروج الاثنى عشر . وأصله غير مصغر . السها : نجم خفى تمتحن الأبصار برؤيته .

(٩) قصيا : بعيداً .

فلا أحَدا دعته ولا استشارتْ وكل حكومة ظلمتْ وجارتْ
فبشّرها بتمزيق الُلُحدودِ

حكومتنا تميـلِ لباخسيهاَ مُجانبةً طريقَ مؤسِّسيهاَ[1]
فلا يغرُرْكَ لينُ مُلابسيهاَ فهمْ كالنار تُحرِقِ لامسيهاَ
وتَحْسُنُ للنواظر من بعيـدِ

لقد غَصَّ « القَصيمُ » بكل نَذْلِ وأمسَى من تخاصُمِهِمْ بشُغْلِ[2]
فَريقا خُطَّتَيْ غيّ وجهلِ كلا الخصمين ليس له بأهلِ
ولـكنْ مَنْ لتنـكيل المَريدِ[3]

إليهم أرسلتْ بغدادُ جُندَا لِيَهْلِكَ فيه من عَبَثٍ ويُفْدَى
لقصدِ ابن الرشيدِ أضاع قصدَا فلا يابن الرشيدِ بلغتَ رُشْدا
ولا بلغ السعودَ ابنُ السعودِ[4]

مَشَوا يتحركون بعزمٍ ساكنْ ورثّةُ حالهم تُبكى الأماكنْ
وقد تركوا الحلائلَ فى المساكنْ جنودٌ أُرسلت للموت لـكنْ[5]
بفتك الجوع لا فتك الحـديدِ

قد التفعُوا بأسمال بوال مُشاةً فى السُّهول وفى الجبالِ[6]
يُجِدُّون المسيرَ بلا نِعالِ بحالٍ للنواظر غير حالِ[7]
وزِيّ غـيرِ مازىِّ الجنودِ

---

(١) أراد بالباخسين : الذين يخدعونها ويغشونها لمآربهم وملء جيوبهم .

(٢) القصيم : اسم محل . (٣) المريد . بفتح الميم : هو الخبيث المتمرد الشرير .

(٤) ابن الرشيد وابن السعود : أميرا نجد . وقد أشار بذلك الى استنصار ابن الرشيد الدولة على ابن سعود . وتلبية الدولة فى أيام السلطان عبدالحميد المخلوع . طلبه بتجهيز حملة من عساكرها تحت إدارة ابن الرشيد .

(٥) الحلائل : جمع حليلة . وهى الزوجة والحليلة أيضا الجارة . ومن تقيم معك فى دار واحدة .

(٦) التفعوا : التحفوا . الأسمال : الثياب البالية .

(٧) غير حال : غير معجب ولا مرض .

مشَوا فى مَنْهج جهلوه نَهْجاً   يجوبون الفَلا فَجًّا فَفَجًّا[١]
إلى حيثُ السلامةُ لا تُرَجَّى   فيالَهْفِى على الشبان تزْجَى[٢]
على عَبثٍ إلى الموت المُبيدِ[٣]

وكلٌّ مُذْ غَدَوا للبيت أمَّا   فودَّع أهـــله زوجا وأمَّا[٤]
وضمَّ وَليدَه بيدٍ وشَمَّا   بكى الوَلَدُ الوحيدُ عليه لمَّا
غدا يبكى على الولدِ الوحيـــدِ

تقول له الحليلةُ وهو ماشِ   رُوَيداً لا برحت أخا انتعاشِ
فبعدَك من يحصِّل لى معاشى   فقال ودمعه بادى الرَّشاشِ
وَكَلْتُكمُ إلى الرَّبِّ الْوَدُودِ

عساكر قد قضَوْا عُرْيًا وجُوعاَ   بحيثُ الأرضُ تبتلع الْجُمُوعاَ[٥]
إلى أن صار أغناهم رُبُوعاَ   لِفَرْط الْجُوع مرتضياً قنُوعاَ
بقِدٍّ لو أصاب من الجلودِ[٦]

هناك قضَوْا وما فتحوا بلادا   هناك بأسرهِمْ نَفِدُوا نفَادَا
هناك بِحَيْرَةٍ عدِموا الرشادا   هناك لِرَوْعِهم فقدُوا الرُّقادَا
هناكَ عَرُوا هناكَ من البرُودِ

أناديهمْ ولى شجَنٌ مَهيجُ   وأذكرهمْ فينبعثُ النشيجُ[٧]
ودمعٌ محاجرى بدمٍ مَزيجُ   ألا ياهالكين لكمْ أجيجُ[٨]
ذكا بحشايَ محتـــدمَ الوقودِ[٩]

(١) فجا ففجا : أى طريقا فطريقا . وأصل الفج : الطريق الواسع بين جبلين .
(٢) تزجى : تدفع   (٣) المبيد : المهلك .
(٤) أم : قصد .   (٥) قضوا : ماتوا .
(٦) القد ، بكسر القاف : هو القطعة من الجلد غير المدبوغ والنعل الذى لم يجرد من الشعر .
(٧) الشجن : الهم والحزن . النشيج : مصدر نشج الباكى ، بمعنى غص بالبكاء فى حلقه ، من غير انتحاب .
(٨) الأجيج : الالتهاب   (٩) ذكا : اتقد . محتدم : مشتعل .

سكنّا من جهالتنا بقاعا ... يجور بها المؤمَّر ما استطاعا

فكدنا أن تموتَ بها ارتياعا ... وهَبْنا أمةً هلكت ضَياعا

تولَّى أمرَها عبدُ الحميــــــد

أيا حرّيةَ الصُّحُف ارحمينا ... فإنا لم نزل لكِ عاشقينا

متى تَصِلين كيما تُطْلِقينا ... عِدينا في وصالكِ وامطُلينا

فإنّا منكِ نقنعُ بالوُعُودِ

فأنتِ الروحُ تَشْفِينَ الجُروحا ... يُحَرِّجُ[1] فقدكِ البلدَ الفسيحا

وليس لبلدة لم تحوِ رُوحا ... وإن حوتِ القصور أو الصروحا

حياةٌ[2] تستفاد لمستفيـــد

أقول وليس بعضُ القول جِدّا ... لسلطانٍ تجبّر واستبدّا

تعدّى في الأمور وما استعدّا ... ألا يأيها الملكُ المفدّى

ومن لولاهُ لم تكُ في الوجودِ

أنمْ عن أن تسوس الملك طَرْفا ... أقِمْ ما تشتهي زَمْرا وعزْفا

أطِلْ نُكْرَ الرعيةِ خَلِّ عُرفا ... سِمِ البُلدان مهما شئتَ خَسْفا

وأرسلْ من تشاء إلى اللحودِ

فدَتْك الناس من مَلِك مُطاعِ ... أبِنْ ما شئت من طُرُق ابتداعِ

ولا تخشَ الإلهَ ولا تُراعِ ... فهلْ هذي البلادُ سوى ضِياعِ

ملكتَ أو العبادُ سوى عبيدِ

تنعَّمْ في قصورك غيرَ دارِ[3] ... أعاش الناسُ أمْ هم في بَوارِ

فإنك لن تُطالَب باعتذارِ ... وهب أنَّ الممالكَ في دَمارِ

أليس بناء «يَلْدِزَ» بالمَشيدِ

---

(١) يحرج : يضيق

(٢) حياة : مرفوع بليس ، لأنه اسمها ، وخبرها الجار والمجرور «لبلدة» .

(٣) غير دار : غير عالم ، وهو مشتق من الدراية . البوار والدمار : بمعنى الاهلاك .

جميع ملوك هذى الأرض فُلْكُ ... وأنت البحر فيك ندًى وهُلْكُ
فأنّى يبلغونَ وذاك إفكُ ... لئن وهبوا النقودَ فأنت مَلْكُ [١]
وَهُوبٌ للبــــلادِ وللنُّقودِ

الصديق المضاع (*)

علامَ حُرِمْنا منذُ حينٍ تلاقيا ... أفى سفرٍ قد كنتَ أمْ كنتَ لاهيا
عهدناك لا تلهو عن الخِلِّ ساعةً ... فكيف علينا قد أطلتَ التجافيا
ومالى أراكَ اليوم وحدك جالساً ... بعيداً عن الخُلَّان تأبَى التدانيا
أنابك خطبٌ أم عراك تعشُّقٌ ... فإنى أرى حُزْنا بوجهك باديا
وما بالُ عينيكَ اللّتين أراهما ... تُديران لحظاً يحمل الحزنَ وانيا [٢]
وأىُّ جوًى قد عُدْت أصفر فاقعاً ... به بعد أن قد كنتَ أحمر قانيا
تكلّمْ فما هذا الوجومُ فإننى ... عهدتكَ غِرّيدًا بشعرك شاديا [٣]
تجلّدْ تجلّدْ يا (سليمُ) ولا تكنْ ... بما ناب من صَرْف الزمانِ مباليا
ولا تبتئسْ بالدهر إنَّ خُطوبَه ... سحابة صيفٍ لا تدوم ثوانيا

* * *

فقالَ ولم يملك بوادرَ أدمُعٍ ... تناثرنَ حتى خِلْتُهنّ لآليا
لقد عِجتنى يا أحمدُ اليومَ بالأسى ... وذكّرتنى ما كنت بالأمس ناسيا
أتعجب من حزنى وتعلمَ أننى ... قريعُ تباريحٍ تُشيب النواصيا [٤]
لقد عشتُ فى الدنيا أسيفا وليتنى ... ترحّلت عنها لا علىَّ ولا ليا [٥]

---

(١) الافك : الكذب .

(*) من الجزء الأول

(٢) وانيا : فاترا ضعيفا .

(٣) الوجوم : السكوت على غيظ ، أو عن عجز عن الكلام .

(٤) القريع : الغالب فى المقارعة . التباريح : كلف المعيشة بمشقة ، وهو من الجموع التى لا واحد لها

(٥) أسيفا : حزينا .

وقد كنت أشكو الكاشحين من العِدى
فأصبحت من جَور الأخلاء شاكياً(١)

وما رحتُ أستشفي القلوبَ مُداوياً ... من الحِقد إلا عُدْتُ عنها كما هياَ
وداريتُ حتى قيلَ لي مُتملِّقٌ ... وما كان من داءِ التملُّق دائياَ
وحتى دعاني الحزمُ أنْ خَلِّ عنهمُ ... فإنَّ صريح الرأي ألَّا تُداريَا
ورُبَّ أخٍ أوقرتُ قلبي بحبِّه ... فكنتُ على قلبي بحبِّيه جانياَ(٢)
أراد انقيادي للهوان وما درَى ... بأنِّيَ حرُّ النفس صَعْبٌ قيادياَ
إذا ما سمائي جادَ بالذلّ غيثُهاَ ... أبَيْتُ عليها أن تكون سمائياَ
ألا فابكِ لي ياأحمدُ اليومَ رحمةً ... ودَعْني وشأني والأَسى وفؤادياَ
فإنَّ أحق الناس بالرحمة امرؤ ... أضاع وِداداً عند من ليس واقياَ
وما كان حظّي وهو في الشعر ضاحكٌ ... ليظهرَ إلا في سوى الشعر باكياَ
ركبتُ بحورَ الشعر رَهْواً ومائجاً ... وأقحمتُ منها كلَّ هول يَراعياَ(٣)
وسيَّرت سُفْني في طلاب فُنونه ... وألقيتُ في غير المديح المَراسياَ

وقلتُ أُعصِني يا شعرُ في المدح إنني
أرى الناس مَوْتَى تستحق المراثيا

ولو رضِيتْ نفسي بأمرٍ يَشينها ... لمَاَ نطقت بالشعر إلا أهاجياَ
وكم قام ينعَى حين أنشدت مادحا ... إليَّ النَّدَى ناعٍ فأنشدتُ راثياَ(٤)
وكم بشَّرتْني بالوفاءِ مقالةً ... فلما انتهت للفعل كانت مَناعياَ(٥)

* * *

(١) الكاشح : العدو الباطن العداوة .
(٢) أوقرت : أثقلت .
(٣) الرهو : السير السهل . أقحمت يراعي : قذفته وأدخلته بشدة .
(٤) الناعي : من يعلن بوفاة الميت . والندى : الكرم . يقول : إذا أنشدت مادحا قام الناعي ينعى إلى الكرم ، أي يخبرني بموته ، فأبدلت مدحي بالرثاء .
(٥) المناعي : أخبار الموت ، مفردها منعى ومنعاة .

فلما بكى أمسكتُ فضلَ ردائه ... وكفكفتُ دمعا فوق خدّيه جاريا [١]

وقلتُ له هوّن عليك فإنما ... تنوبُ دواهى الدهر مَنْ كان داهيا [٢]

وما ضرّ إن أصفيتَ وُدّك معشرا ... من الناس لم يجنوا لك الوُدّ صافيا

كفى مفخراً أنْ قد وفيتَ ولم يفُوا

فكنتَ الفتى الأعلى وكانوا الأدانيا

لعلّ الذى أشجاك يُعقِب راحة ... فقد يشكُر الإنسان ما كان شاكيا [٣]

ألا رُبّ شرٍّ جرّ خيراً وربّما ... يجرُّ تجافينا إلينا التصافيا

فلو أن ماء البحر لم يك مالحا ... لرُحنا من الطوفان نشكُو الغواديا [٤]

ولولا اختلاف الجذب والدفع لم تكنْ ... نجومٌ بأفلاكٍ لهنّ جواريا [٥]

وكيف نرى للكهرباء ظواهراً ... إذا هى فى الإثبات لم تلقَ نافيا [٦]

تموت القُوَى إن لم تكن فى تباينٍ ... ويحيَيْنَ ما دام التباين باقيا [٧]

فلا تعجبَنْ من أننا فى تنافرٍ ... ألم ترَ فى الكون التنافر ساريا

وهبْهم جفَوْك اليوم بخلا بودّهم ... ألم تغْنَ عنهم أنْ ملكتَ القوافيا [٨]

---

(١) الفضل : الزيادة . وفضل الرداء : يريد به طرفه . كفكفت : مسحت .

(٢) تنوب : تصيب . الداهى : العاقل ، وصاحب الرأى الجيد . يقول : إن المصائب لاتصيب إلا العقلاء .

(٣) أشجاك : أحزنك .

(٤) الغوادى : السحب الممطرة . وأصل معناه السحب التى تنشأ غدوة . يقول : إن الشر ربما جلب خيرا ، فان ماء البحر مالح ، ولو كان حلوا لكثرة تبخره ، فكان من ذلك كثرة الأمطار التى تسبب الطوفان ، غير أن الجواهر المليحة التى فيه تعين تبخره .

(٥) يقول : إن الاختلاف شر ، ولكنه قد يجلب خيرا ، كالاختلاف فى الجذب والدفع المتعلقين بالنجوم ، فانه سبب لربطها بنظام مخصوص .

(٦) الكهربا : قسمان : راتنجية وزجاجية ، وتسمى الأولى موجبة ، والثانية سالبة أو نافية . ولاتظهر فواعليها إلا إذا لقيت السالبة الموجبة . فهو يقول : بالاختلاف تظهر الفائدة .

(٧) القوى الطبيعية إن اتحدت فلا فائدة منها ، فكأنها غير موجودة .

فى تباينها . أى اختلافها .

(٨) ألم تغن : ألم تستغن .

فطِرْ في سماوات القريض مُرَفْرِفاً   وأَطْلِـع لنا فيها النجومَ الدَّراريا
فأنت امرؤٌ تُعطى القوافى حقَّها   فتبدو وإن أرخصتَهنّ غواليا
تُجيبك عَفْواً إن أمرتَ شَرُودُها   وتأتيك طوعاً إن دعوتَ العواصيا [1]

* * *

فقال وقد ألقى على الصـدر كفَّهُ   فَشَدَّ بها قلباً من الوجد هافيا [2]
لقد جئتنى بالقول رَطْبا ويابساً   فَداويت سُقما وهيَّجتَ ثانيا
فإنى وإن أبدى لى القوم جَفْوةً   أمنِّى لهم مما أحبّ الأمانيا [3]
وما أنا عن قومى غنياً وإن أكن   أطاولُ فى العزّ الجبالَ الرواسيا
إذا ناب قومى حادثُ الدهر نابنى   وإن كنت عنهم نازحَ الدار نائيا [4]
وما ينفعُ الشعرُ الذى أنا قائل   إذا لم أكن للقوم فى النفع ساعيا
ولستُ على شعرى أروم مَثُوبة   ولـكنّ نُصحَ القومِ جُلُّ مَراميا
وما الشعرُ إلا أن يكون نصيحة   تُنشِّطُ كسلاناً وتُنهض ثاويا
وليس سَرِىَّ القوم من كان شاعراً   ولـكن سرىُّ القوم من كان هاديا
فعلَّمهم كيف التقدمُ فى العُلَى   ومن أىِّ طُرْقٍ يبتغون المعاليا
وأبلى جديدَ الغىِّ منهم بُرشده   وجدّد رشدا عندهم كان باليَا
وسافر عنهم رائداً خصْب نفعهم   يشُقُّ الطوامى أو يجوب الموَاميا [5]
وإن أفسدتهم خِطَّةٌ قام مصلحاً   وإن لدغتهم فِتْنـةٌ قام راقيا [6]

---

(١) الثانية الشرود : السائرة فى البلاد .   (٢) الوجد : الغضب . هافيا : مضطربا .
(٣) أمنى : مضارع منَّاه ، بمعنى جعل له أمنية ، والأمنية هى الصورة الحاصلة فى النفس من تمنى الشىء ، وجمعها الأمانى .
(٤) نازح الدار بعيدها .
(٥) رائدا : طالبا . الطوامى : أراد بها البحار . وأصلها : من طما الماء والبحر ، أى امتلأ .
يجوب : يقطع . الموامى : جمع موماة ، وهى الفلاة التى لا ماء فيها ولا أنيس .
(٦) لدغتهم : لسعتهم . والراقى : هو الذى يقرأ وينفث ، دفعا لأذية اللدغ .

بعد البين (*)

لقد طوّحتني في البلاد مُضاعَا طوائحُ جاءت بالخطوب تِباعَا (١)

فبارحتُ أرضاً ما ملأت حقائبي سِوَى حبها عند البَراح مَتاعا (٢)

عَتبتُ على بغدادَ عتبَ مُودِّع أمَضَّته فيها الحادثات قِراعا (٣)

أضاعتنيَ الأيام فيها ولو دَرَتْ لعزَّ عليها أن أكون مُضاعا

لقد أرضعتني كلَّ خَسْفٍ وإنني لأشكرها أنْ لَمْ تُتمَّ رَضاعا

وما أنا بالجاني عليها وإنما نهضتُ خِصامًا دونها ودِفاعا

وأعملتُ أقلامي بها عَربيةً فلم تُبدِ إصغاءً لها وسماعا

ولو كنت أدري أنها أعجميَّةٌ تخذتُ بها السيف الجُرازَ يَراعا (٥)

ولو شئت كايلتُ الذين انطوَوْا بها على الحقد صاعاً بالعداء فصاعا

ولكنْ هيَ النفس التي قد أبتْ لها طباعَ المعالي أن تسوءَ طِباعا

أبَيتُ عليهم أن أكون بذلَّةٍ وتأبى الضواري أن تكون ضباعا

على أنني داريتُ ماشاء حقدَهم فلم يُجدِ نفعاً ما أتيتُ وَضاعا

وأشقَى الورى نفساً وأضيعهم نُهًى لبيبٌ بداري في نُهاه رَعاعا (٦)

تركت من الشعر المديحَ لأهله ونزّهت شعري أن يكون قذاعا (٧)

وأنشدته يجلو الحقيقة بالنُّهى ويكشف عن وجه الصواب قناعا

(*) من الجزء الأول .

(١) طوحتني الطوائح : قذفتني القواذف .

(٢) الحقائب : جمع حقيبة ، وهى خريطة يحملها المسافر للزاد ونحوه ، وهى تصلح أن تطلق على ماتسميه العامة اليوم : « شنطة » .

(٣) أمضته : أوجعته . القراع : مصدر قارع فلان فلانا : إذا تضاربا بالسيوف .

(٤) الخسف : الذل والهوان . (٥) الجراز : القاطع .

(٦) النهى : العقل . الرعاع : سقط الناس وسفلتهم وغوغاؤهم ، مفردها رعاعة .

(٧) قذاعا : سفاها ومشاتمة .

وأرسلته عفواً فجاء كما ترى ... قوافىَ تجتاب البلاد سِراعاً[1]

* * *

وقفتُ غداة البَيْن فى الكَرْخ وقفةً ... لها كَرَبَتْ نفسى تَطير شَعاعاً[2]

أُودِّع أصحابى وهم مُحْدِقون بى ... وقد ضِقت بالبين المُشتِّ ذراعاً[3]

أُودِّعهم فى الكَرْخ والطَّرْفُ مُرسِلٌ ... إلى الجانب الشرقىّ منــه شُعَاعاً[4]

وأُدعَمُ رأسى بالأصابع مُطرِقاً ... كأنّ برأسى يا أُمَيْمَ صُداعاً[5]

وكنت أظن البين سَهلًا فمذْ أتى ... شَرَى البينُ منى ما أراد وباعاً

وإنى جَبانٌ فى فِراق أحبَّتى ... وإن كنت فى غير الفراق شجاعاً

كأنى وقد جدَّ الفِراق سفينة ... أشالتْ على الريح الهَجُوم شِراعاً[6]

فمالتْ بها الأرواح والبحرُ مائج ... وقد أوشكتْ ألواحها تتداعى[7]

فتحسبنى من هِزَّة فىَّ أفدعا ... ترَقَّى هِضابا زُلْزِلت وتلاعاً[8]

فما أنا إلا قَوْمةٌ وانحناءةٌ ... وسرٌّ أذاعته الدموعُ فذاعاً[9]

رَعَى الله قومًا بالرُّصافة كلَّما ... تذكرتُهم زاد الفؤاد نِزَاعاً[10]

أبيتُ وما أقوى الهموم بمضجعى ... تصارعنى فيــه الهُموم صِراعاً

وألهو بذكراهم على السير كلما ... هبطتُ وِهادا أو علوت يَفاعاً[11]

---

(١) تجتاب : تقطع .

(٢) كربت : كادت . تطير شعاعا : تتبدد وتتفرق من الحزن أوالخوف ونحوهما .

(٣) البين المشت : البعد المفرق . ضاق بالأمر ذرعا وذراعا : أى ضعفت طاقته ، ولم يجد من مكروهه مخلصا .

(٤) شعاعا : مفعول مرسل .

(٥) أدعم : أسند . أميم : أصلها أميمة ، وهى تصغير أم ، وحذفت تاؤها لأنها منادى مرخم .

(٦) أشالت : رفعت .

(٧) الأرواح : جمع ريح . تتداعى : تتساقط .

(٨) الأفدع : المعوج المفاصل كأنها قد زالت عن مواضعها ؛ وهذا أقرب معانيه إلى مقصد الشاعر . الهضاب : أعالى الجبال . التلاع : جمع تلعة ، وهى القلعة المرتفعة من الأرض .

(٩) القومة والانحناء : المرة من القيام والانحناء . أذاعته : أفشته .

(١٠) الرصافة : محلة فى بغداد ، ينسب إليها صاحب الديوان .

(١١) الوهاد : الأماكن المنخفضة . اليفاع : المرتفع من الأرض .

همُ القومُ أمّا الصبر عنهم فقدعَصَى ... وأما اشتياقى نحوَهم فأطاعا
لقد حكّمونى فى الأمور فلم أكن ... لأنطِقَ إلا آمراً ومُطاعا
فلستُ أبالى بعد أن جدَّ بينُهُمْ ... زجرتُ كلابا أم قَحَمت سِباعاً[١]
سلامٌ على وادى السلام وإننى ... لأجعل تسليمى عليه وَداعاً
له الله من وادٍ تكاسل أهله ... فباتوا عِطاشا حوله وجِياعاً
رآهمْ عبيداً فاستبدَّ بمائه ... ولم يجر بين المُجدِبات مُشاعاً[٢]
جرى شاكراً صُنعَ الطبيعة إنها ... أبانت يداً فى جانبيه صَناعاً[٣]
وما أنسَ لا أنسَ المياهَ بدَجلةٍ ... وإن هى تجرى فى العراق ضَياعاً
ولو أنها تسقى العراق لما رَمَتْ ... به الشمسُ إلا فى الجنان شُعاعاً
وما وَجدَتْ ريحٌ وإن قد تناوحت ... مَهَبًّا به إلا قُرًى وضِياعاً[٤]
سأجْرِى عليها الدّمعَ غيرَ مضيّعٍ ... وأندُب قاعا من هُناك فقاعاً
وأذكر هاتيكَ الرِّباعَ بحسنها ... فنعمتْ على شَحْطِ المَزارِ رِباعاً[٥]

يقولون !

يقولون فى الإسلام ظُلْماً بأنّهُ ... يصدّ ذَويه عن طريق التقدمِ
فإن كان ذا حقّاً فكَيْفَ تقدمتْ ... أوائلُه فى عهدها المتقدمِ
وإن كان ذنبَ المسلمِ اليومَ جهلُه ... فماذا على الإسلام من جهل مُسلمِ
هل العلم فى الإسلام إلّا فريضة ... وهل أمّة سادت بغير التعلّمِ[٦]

(١) بينهم : بعدهم . قحم المفازة : دخلها وطواها غير مبال بها .
(٢) المجدبات : الأراضى المقحطة . مشاعا . مشتركا فيه غير مقسوم .
(٣) يد صناع : ماهرة فى الصنعة ، ورجل صناع اليدين حاذق فى الصنعة .
(٤) تناوحت الرياح : هبت مرة صبا ومرة شمالا ومرة جنوبا . مهبا : منصوب على التمييز لنسبة التناوح . قرى : مفعول وجدت .
(٥) الرباع : جمع ربع ، وهى الدار . شحط : بعد .
(٦) يقول : إن ذنب المسلم اليوم هو الجهل ، فالذنب ذنبه لاذنب الاسلام ، لأن تعلم =

لقد أيقظ الإسلامُ للمجد والعُلى ... بصائرَ أقوام عن المجد نُوَّم

وحَلَّتْ له الأيام عند قيامه ... حُبَاها وأبدتْ منظرَ المتبسِّم (١)

فأشرق نور العلم من حَجَراته ... على وجه عصرٍ بالجهالة مظلم (٢)

ودكَّ حصون الجاهلية بالهُدَى ... وقوّض أطناب الضلال المخيِّم

وأنشط بالعلم العزائم وابتنى ... لأهليه مجداً ليس بالمتهدِّم

وأطلق أذهان الوَرَى من قيودها ... فطارت بأفكارٍ على المجد حُوَّم (٣)

وفكَّ إسار القوم حتى تحفَّزوا ... نهوضا إلى العلياء من كل مجثم (٤)

فخلَّوا طريقاً للبداوة مجْهَلا ... وساروا بنَهج للحضارة مَعْلَم (٥)

فدوّتْ بمستنّ العُلَى نهضاتهمْ ... كزعزع ريح أو كتيَّار عَيلم (٦)

وعماَّ قليل طبَّق الأرض حكْمُهم ... بأسرعَ من رفع اليدين إلى الفم (٧)

وقدحاكتِ الأفكارُ عندَ اصطدامها ... تلألؤَ برْق العارض المتهزِّم

ولاحت تباشير الحقائق فانجلتْ ... بها عن بَنى الدنيا شكوكُ التوهُّم (٨)

= العلم، الاسلام فرض والأمم لاتسود إلا بتعلم العلم . وحاصل المعنى تأكيد تبرئة الاسلام مما عليه المسلمون اليوم من الجهل .

(١) قوله حباها : جمع حبوة ، وهى مايحتبى به الرجل من عمامة أو ثوب ؛ وكانت العرب إذا قعدت فى مجالسها تحتبى بثيابها ، وذلك بأن يجمع الواحد منهم بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ليستند ، إذا لم يكن للعرب فى البوادى جدران تستند إليها فى مجالسها . وحل الحبا : كناية عن القيام ، يقال حل الرجل حبوته إذا قام ، كمايقال عقد حبوته إذا قعد ؛ فمعنى البيت هنا : أن الاسلام لما قام حلت له الأيام حباها ، أى قامت له تعظيما .

(٢) قوله من حجراته بفتحتين : أى من نواحيه ، جمع حجرة ، وهى الناحية .

(٣) قوله حوم : أى دائرات . وهو جمع حائم : من حام الطائرة على الماء ، إذا دار به .

(٤) قوله تحفزوا : أى استوفزوا وتهيئوا للقيام . والمجثم : محل الجثوم أى اللصوق بالأرض عند القعود .

(٥) طريق مجهل بفتح الميم : لايهتدى فيه . ونهج معلم : فيه علامة يستدل بها .

(٦) دوت : سمع لها دوى ، أى صوت . ومستن العلى : طريقها الواضح . وقوله كزعزع ريح : أى كريح شديد الهبوب تزعزع الأشياء . والتيار : الموج . والعيلم : البحر .

(٧) طبق الأرض : أى غشاها وعمها بتطبيق أسرع من رفع اليد إلى الفم : أى فى مدة يسيرة .

(٨) التباشير : أوائل الصبح التى نبشر به ، وقد استعارها هنا للحقائق ، فى الكلام استعارة بالكناية ، حيث شبه الحقائق بالصبح ، وحذف المشبه به ، وذكر المشبه ، وأثبت له مايلائم المشبه به ، على طريق الاستعارة التخييلية .

وما تركُ الإســلامُ للمرء مِيزةً ... على مثله ممن لآدم يَنْتمى

فليس لمثرٍ نقصُه حقَّ مُعْدِمٍ ... ولا عَرَبِىّ بخسُهُ فضلَ أعجمِ[1]

ولا فخرَ للإنسان إلّا بسعيه ... ولا فضل إلا بالتُّقَى والتـكرّمِ

وليس التقى فى الدين مقصورةً على ... صلاة مُصلّ أو على صوم صُيَّمِ[2]

ولـكنّها تركُ القبيح وفعل ما ... يؤدّى من الحسنَى إلى نيل مَغنمِ

فتقوى الفتى مسعاه فى طلب العُلَى ... وما خُصَّت التقوى بترك المحرَّمِ

فهل مثل هذا الأمر يالأُولى النُّهى ... يكون عثاراً فى طريق التقدُّمِ[3]

وإن لم يكن هذا إلى المجد سُلَّمًا ... فأىّ ارتقاء بعــدُ أم أىّ سُــلَّمِ

ألا قُلْ لمن جاروا علينا بحكمهمْ ... رُوَيداً فقد قارفْتُمُ كل مأْتَمِ

فلا تنـكِروا شمس الحقيقة إنَّها ... لأظهر من هذا الحديث المرجَّمِ

عَلَوْنا وكنتم سافلين فلم نـكن ... لِنبدى إليكم جفْوةَ المتهكّمِ

ولم نترك الحسنى أوانَ جِدالـكمْ ... وتلك لعمرى شِيمةُ المتحلّمِ

فلما استدار الدهر بالأمر نحوكمْ ... كشفتم لنا عن منظر متجهِّمِ

فلا تأمَنوا الأيام إنَّ صروفها ... كما هى إذ أودتْ بعادٍ وجُرْهمِ

---

(١) لمثر : خبر ليس مقدم . ونقصه اسمها مؤخر . وهو مصدر مضاف إلى الضمير . من إضافة المصدر إلى فاعله . وحق معدم : مفعوله . وكذا القول فى قوله : ولا عربى بخسه فضل أعجم .

(٢) التقى : جمع تقاة بمعنى التقوى . أراد بهذا البيت والبيتين اللذين بعده أن يبين أن التقوى لاتنحصر بمثل الصلاة والصوم من الأفعال التعبدية . كما أنها لاتنحصر بترك المحرمات فى الدين . فيكون معناها سلبيا . بل هى تعم فعل كل حسن . وترك كل قبيح .

(٣) اللام فى قوله يا لأولى النهى : مفتوحة ، وهى لام الاستغاثة ، داخلة على المستغاث به ، والمستغاث لأجله محذوف ، أى لهذا الأمر .

فى سبيل الوطن

إلى إخواننـــــــا المسيحيين

أما آنَ أن تُنسَى من القوم أضغانُ ... فيُبنَى على أسّ المؤاخاة بُنيانُ

أما آنَ أن يُرمَى التخاذل جانباً ... فتكْسِبَ عزّاً بالتناصر أوطانُ

عَلامَ التعادى لاختلاف ديانةٍ ... وإنّ التعادى فى الديانة عدْوانُ

وما ضرّ لو كان التعاون ديننا ... فتعمرَ بُلْدانٌ وتأمن قُطّانُ

إذا جمعتنا وحدةٌ وطنيـــــة ... فماذا علينا أن تعدّد أديان

إذا القومُ عمّتهم أمورٌ ثلاثة ... لسانٌ وأوطانٌ وبالله إيمان

فأىّ اعتقاد مانع من أُخوّة ... بها قال إنجيلٌ كما قال قرآن

كتابان لم ينزلهما الله ربُّنا ... على رسله إلّا ليسعد إنسان

فمن قام باسم الدين يدعو مفرّقاً ... فدعواه فى أصل الدّيانة بهتانُ

أنشقَى بأمر الدين وهو سعادة ... إذن فاتّباع الدين يا قومُ خُسران

ولـكنّ جهلَ الجاهلين طحا بهم ... إلى كل قول لم يؤيده بُرهان (١)

فهاموا بتَيهاء الأباطيل كالذى ... تخبّطَهُ من شدّة المسّ شيطان (٢)

* * *

مَواطنكم يا قومُ أمٌّ كريمة ... تَدُرّ لـكم منها مدى العمر ألبانُ (٣)

ففى حِضنها مَهدٌ لـكم ومَباءةٌ ... وفى قلبها عطف عليكم وتحنانُ (٤)

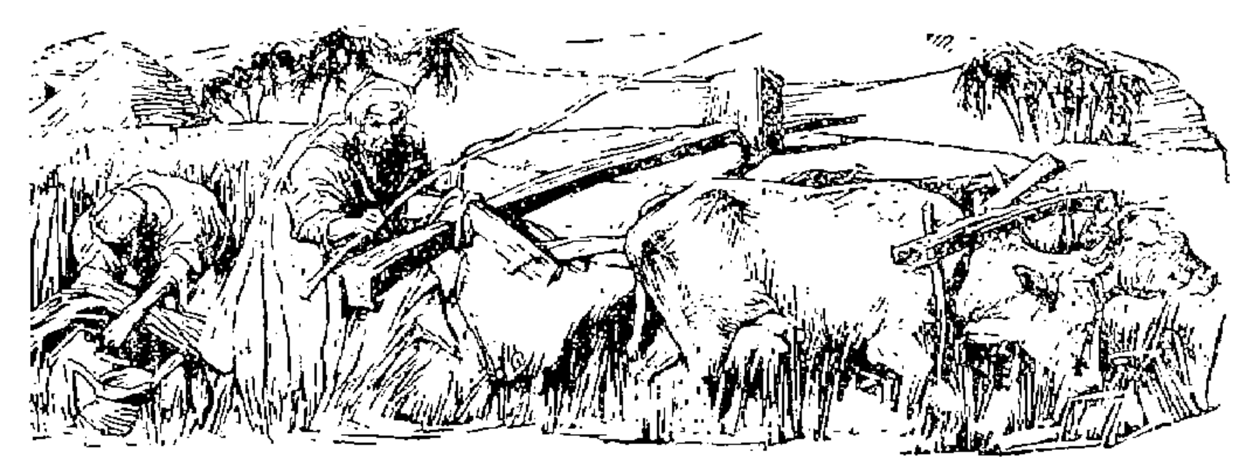
---

(١) طحا بهم : ذهب بهم ودفعهم .

(٢) أرض تيهاء : أى مضلة يضل فيها الطريق ، والإضافة فى قوله بتيهاء الأباطيل ، بيانية أى بتيهاء من الأباطيل ، أو هى الأباطيل .

(٣) تدر لـكم : يقال در اللبن إذا غزر وكثر . ومدى العمر بفتح الميم : منتهاه وغايته ، وهو ظرف متعلق بتدر .

(٤) المهد : هو الموضع يهيأ للصبى ويوطأ . والمباءة : المنزل .



فما بالكمْ لا تُحسنون وواجبٌ ... على الابن للأمّ الكريمة إحسانُ[1]

أصبراً وقد أمسى العدوّ يُهينها ... أما فيكمُ شهمٌ على الأمّ غيرانُ

أَجَلْ إنكم تأبى الحياةَ نفوسكم ... إذا لم يكن فيها على المجد عُنوانُ

ألستم من القوم الذين علاؤهم ... تقاعَسَ عنه الدهرُ وانحطّ كيْوان[2]

نمتكمْ إلى المجد المؤثّل تغلبٌ ... كما قد نمتكم للمكارم غسّان[3]

فلا تُنكِرا عهد الإخاء وقد أتتْ ... تصافحكم فيه نزار وعدْنانُ

أَجبْ أيها النَّدْبُ المسيحيّ مُسلماً ... صفا لك منه اليومَ سرٌّ وإعلانُ

فلا تحرما الأوطانَ أنْ تتحالفا ... يداً بيدٍ حتى تُؤَكّد أيْمانُ[4]

ألا فانهضا نحو العِدَا وكلا كما ... لصاحبه في المأْزِق الضَّنْك مِعوان[5]

وقولا لمن قد لام صَهْ وَيْكَ إنّنا ... على كل حال في المواطن إخوان

* * *

فمن مُبلغُ الأعداءِ أن بلادنا ... مآسِد لم يطرُق ذَراهن سِرْحان[6]

---

(١) قوله وواجب: الواو حالية، وواجب مبتدأ، وسوغ الابتداء به وقوعه بعد واو الحال، أو عمله في الجار والمجرور بعده. وإحسان: خبره.

(٢) تقاعس عنه الدهر: تأخر. وكيوان: اسم زحل بالفارسية، معرب.

(٣) تغلب وغسان: قبيلتان من نصارى العرب.

(٤) قوله يدا بيد: حال، أي متقابضين، بوضع يد في يد.

(٥) المأزق، كمجلس: موضع الحرب. والضنك: الضيق.

(٦) مآسد: جمع مأسدة، وهي المكان الذي تكثر فيه الأسود. والذرا، بفتح الذال: فناء الدار ونواحيها. والسرحان، بالكسر: الذئب.

وإنّا إذا ما الشر أبدى نيوبَهُ ... رددناه عنا بالظُّبَى وهو خَزْيان [١]

سنستصرخ الآسادَ من كل مَرْبِضٍ ... فتمشي إلى الهيجاءِ شِيبٌ وشُبَّان [٢]

أسود وغى تأبى الحياة ذميمةً ... وتلبَس بالعزّ الرّدَى وهو أكفان

مَقاحيم تَصْلَى المَعمَعانَ مُشيحةً ... إذا احتدمتْ في حَومة الحرب نِيران [٣]

وتكسو العَراء الرحبَ مِسْحَ عَجاجةٍ ... يمُجّ بها السيفُ الردَى وهو عُريان [٤]

سنَنهض للمجد المخلّدِ نهضةً ... يقرّ بها حَوران عينا ولُبْنان

وتعتزّ من أرض الشآم دِمشقها ... وتهتزّ من أرض العراقين بَغْدان

وتطرب في البيت المقدّس صخرةٌ ... وترتاح في البيت المحرّم أركان

وتحسُنُ للعُرب الكرام عواقبٌ ... فيَحمدها مُفتٍ ويشكر مُطْران

ولو أنصفتنا ساسة الغرب لاغتدت ... دِمَشْقُ لها من ساسة الغرب أعوان

ورقّت قلوب للعراق وأهله ... وأصغت إلى شكوى فِلسْطينَ آذان

ولكنهم رانت عليهم مطامع ... فأمسَوا وهم صُم عن الحق عُميان [٥]

لقد قيل إن الغرب ذو مَدَنيّة ... فقلت وهل معنى التمدّن عدوان

---

(١) أبدى نيوبه : أى اشتد وتفاقم . والنيوب : جمع ناب .

(٢) سنستصرخ الآساد : سنستنصرها ونستنهضها مستغيثين بها . والمربض : محل ربوض الأسد .

(٣) مقاحيم : جمع مقحام ، وهو الذي يخوض قحمة الشدائد ، أى معظمها ، والمراد بالمعمعان : معمعان الحرب ، وهو شدة حرها ، وتصلى المعمعان : تدخل فيه ، وتقاسى حره . ومشيحة : جادة ماضية لما وراء ظهرها . واحتدمت : اضطرمت ، واشتد حرها . وحومة الحرب : موضع القتال .

(٤) العراء : الفضاء . والمسح بالكسر : الكساء من شعر ، وإضافته إلى عجاجة بيانية ، أى مسحا من عجاجة .

(٥) رانت عليهم : غلبت عليهم .

وأىّ فَخار كائن فى تمـدّنٍ إذا لم يقم فى الغرب للعدل مِيزان
إذا كانت الأخلاق غير شريفة فماذا عسى تجدى علوم وعِرفان

* * *

بنفسى أفدِى فى العراق مَنابتاً يفوح بها شِيحٌ ويَعْبَق حَوْذان(١)
رياضٌ رعتها النائبات بأذؤب من الجوْر فارتاعت ظباءٌ وغِزلان(٢)
لقد كان فيها الرَّند والبان زاهياً فأصبح لا رَنْدٌ هناك ولا بان
وأصبح مرصوداً بها كلّ منهل عليه من الترنيق بالظلم ثُعبان(٣)
وظلّ ابنها عن كل حوض محلَّأً يحوم على سَلْساله وهو عطشان(٤)
سأبكى عليها كلما هبّت الصَّبا فمالت بها من حول دجلة أغصان
وَمن ذَرَفت آماقُه الدمعَ لؤلؤاً ذرفتُ عليها أدمعى وهْىَ مَرْجان(٥)

بين تونس و بغداد

أنشدت فى حفلة التأهيل والترحيب بالزعيم التونسى :
الأستاذ الكبير عبد العزيز الثعالبى ، عند قدومه
بغداد سنة ١٩٢٥ .

أتونسُ إنّ فى بغداد قوماً تَرِفّ قلوبهم لك بالوِداد(٦)
ويجمعهمْ وإياكِ انتسابٌ إلى من خُصَّ مَنطِقهم بضاد
ودين أوضحتْ للنـاس قبلًا نواصعُ آيه سُبْلَ الرشاد
فنحن على الحقيقة أهل قُربَى وإن قضتِ السياسة بالبعـاد

---

(١) الشيح : نبات طيب الرائحة ، وكذا الحوذان .
(٢) قوله « رعتها النائبات » من الرعاية : أى وليت أمرها وساستها بأذؤب .
(٣) مرصودا : مرقوبا . والترنيق : التكدير .
(٤) محلأً : أى مطرودا ممنوعا عن ورود الماء .
(٥) « ذرفت آماقه الدمع » : أسالته . ومعنى البيت : من بكى عليها دمعا بكيت عليها دماء
(٦) ترف قلوبهم رفيفا : تخفق وتضرب حبا .

وما ضَرّ البِعاد إذا تدانتْ أواصرُ من لسان واعتقاد
وإن المسلمين على التآخي وإن أغرى الأجانب بالتعادى

* * *

أتونِس إنَّ مجدكِ ذو انتماء إلى عُليــــا نزارٍ أو إياد[1]
لنا بثعالبيِّك خيرُ مُلْقٍ على أشتاتنا حبلَ اتحـاد
وأكبرُ حاملٍ بيـد اعتزامٍ لحبّ بلاده عَلَمَ التفادى
وأسمى من سما أدبا وعِلماً وأفصحُ من تـكلّم عن سداد
دعِ القولَ المُريب وقائليــهِ وسل عنه المنابرَ والنوادى[2]
تجده خطيبها فى كل خَطبٍ ومِدْرَهها لدى كل احتشاد[3]
فتًى صَرُحت عزائمه وجلَّتْ عن الرَّوَغان فى طَلَب المراد
تغرّبَ ضاربا فى الأرض يبغى مَدًى من دونه خَرْط القتاد[4]
فأوغلَ فى المَفاوز والمَوامى وطوّف فى الحواضر والبوادى[5]
وكان طوافه شرقا وغربا لغير تـكسّب وسِوَى ارتفاد[6]
ولـكن ساح لاستنهاض قوم حَـكَوا بجمودهم صفة الجماد[7]
يَغار على العُروبة أن يراها مهـــددة المَصالح بالفساد

---

(١) يريد أن أهل تونس ترجع أنسابهم إلى العرب . نزار : ابن معد بن عــدنان . وإياد : ابن نزار .

(٢) النوادى : جمع النادى ، وهو المـكان يجتمع فيه القوم ويتحدثون .

(٣) المدره : الحامى المدافع عن القوم .

(٤) خرط القتاد : قطع ورقه باليد ، بأن تقبض على أعلاه ، ثم تمر يدك على أسفله . والقتاد : نبت ترعاه الإبل ، فتسمن عليه . ويصعب خرط ورقه لـكثرة شوكه وقوته .

(٥) أوغل فى الشيء ، أبعد فيه وأمعن . والمفاوز : جمع مفازة ، وهى الصحراء المهلـكة والموامى : جمع موماة ، وهى الصحراء أيضا .

(٦) الارتفاد : طلب الرفد ، وهو العطاء . يريد أنه لايبغى من تطوافه كسب مال .

(٧) استنهاض القوم : بعثهم من مرقدهم ، وتحريكهم نحو طلب المجد .

فتى سار كان له هديرٌ ... يهزّ دويُّه أقصى البـــلاد[(١)]
وكم قد قام فى نادٍ خطيباً ... بمُحكمة المقاصدِ والمَبادى[(٢)]
تُنير بكهْربائى المعـانى ... أموراً كنّ كالظُّلَم الدءادى[(٣)]
تحلّ من القلوب إذا وعتها ... محَلّ الحُبّ من شَغَف الفؤاد[(٤)]
إلى أن جاء حاضرةً نماها ... أبو الأمناء ذو الشَّرَف التِّلاد[(٥)]
فـكان نزوله فى ساكنيها ... نزولَ المـاء فى المُهَج الصَّوادى
فيا عبدَ العزيز أقم عزيزاً ... بحيث الأرضُ طيبةُ المَراد
يحيّيك العراق برافِدَيْه ... تحيةَ مخلص لك فى الوِداد

فى حفلة شوقى

أُمارس دهرا من جديديّ داهرًا ... وما زال ليلى بالعراقين ساهرًا[(٦)]
أبَى الحقُّ إلّا أن أقوم لأجله ... على الدهر فى كل المواطن ثائرا[(٧)]
وأن أتمادَى فى جدال خصومه ... وأقرَع منهم بالبيان المُـكابِرا
وإنى لأهوَى الحق كالطيب ساطعاً ... وكالريح هبّاباً وكالشمس ظاهرا
ستبقى لنفسى فى هواه سريرةٌ ... إذا الدهر أبلى من بنيه السرائرا

---

(١) هدير : أى صوت شديد كصوت الفحل الهائج . والدوى ، بوزن غنى : الصوت الشديد كقصف المدافع ، وانفجار القذائف ونحو ذلك .

(٢) محـكمة المقاصد ؛ أى بخطبة مسددة الأغراض والمرامى .

(٣) الدءادى : جمع دأدأ بالفتح ، أو دؤدؤ ، بالضم ، وهى آخر ليلة فى الشهر . وأصـله الدءادىء بالهمز ، ثم خفف .

(٤) شغف الفؤاد وشغافه : هى الجلدة الرقيقة التى تحيط بالقلب .

(٥) التلاد والتليد والتلد : الشىء الموروث من مال وشرف ونحوهما . وهو ضد الطريف والطارف ، وهو المـكتسب المستحدث من ذلك .

(٦) يريد أن أنه أرقه أمر مهم ، وهو رغبته فى الدفاع عن الحق ، وحبه لجدال خصومه ومنـكريه ، الذين يزخرفون الباطل وينصرونه .

(٧) الضمير فى لأجله : يعود على الحق .

وتكره نفسي أن أكون مخادعاً   لأُدرِكَ نفعاً أو لأدفعَ ضائرا
ومن أجل مقتي للمخانيث أنكرتْ   يدي أنْ تُحَلَّى في الجِنان أساورا
وما العجز إلّا أن أكون مُكاتِما   إذا ما تقاضتني العُلَى أن أجاهرا[1]
وما أنا ممن يُبهِمُ القولَ لاحناً   فيضمر فيه للجليس الضمائرا
ولولا طموحي في الحيـاة إلى العُلَى
سَكَنْتُ البوادي واجتنبت الحواضرا

* * *

يقولون لي في مصرَ للعلم نهضةٌ   تُفَتِّقُ أذهانا وتجلو بصائرا
وإن بها للعلم قدرا وحُرمةً   وإن بها للحقّ عونا وناصرا
وإن لأهل العلم فيها نواديا   وإن لأهل الفضل فيها دساكرا[2]
ألم ترَ أن القوم في كل مَحْفِلٍ   بها رفعـــوا للقائلين المنابرا
وقد ضربوا وَعداً لتكريم شاعر   تملَّكَ صيتا في الأقاليم طائرا
هو الشاعر الفحـل الذي راح شعره
بإنشاده في البـــر والبحر سائرا
فلو قلتَ بعضَ الشعر في يوم حفلهمْ
تَشُدُّ به منّا لمصرَ الأواصرا
فقلتُ أَجَلْ والشعر ليس بمعجزي
ولن تَعدَموا مني على الشـــعر قادرا
أَلَا إن شوقي شاعر جِدُّ شاعرٍ   يفوق الأوالِي بل يَبُزُّ الأواخرا[3]
تملَّكَ حُرَّ الشِّعر فهو رقيقه   وقام عليه بالذي شاء آمرا[4]

---

(١) تقاضتني : طالبتني . يقال : تقاضيته الدين : طالبته بأدائه .
(٢) الدساكر : جمع دسكرة ، ومن معانيها بناء كالقصر حوله بيوت ومنازل للخدم ؛ والمراد أن للعلماء وأهل الفضل منتديات ومجامع يجتمعون فيها .
(٣) الأوالى : جمع أول ، وأصله أوائل ثم قلب . وهم ضد الأواخر ، جمع آخر ، بكسر الخاء .
(٤) يريد أن شوقي تملك رقاب المعانى ، وحر الشعر : خالصه من العيوب ، وفي الرقيق تورية .

إذا رام جَزْلًا منه أنشد زاخرا — وإن رام سَهلًا منه أنشد ساحرا[1]

فلا عجبٌ من أهل مصر وغيرِهم — إذا عقدوا منهم عليه الخناصرا

بنى لهمُ مجدا رفيعا بشعرِهِ — لذا جعلوا حسن الثناء وَكائرا[2]

* * *

ولكنَّنى قد أنظرُ الحَفْلَةَ الَّتى — تُقام له ذا اليوم فى مصرَ ساخرا

إذا احتفلتْ مصرٌ بشوقى فما لها — تُقيم على الأحرار فى العلمِ حاجِرا

فقد أسمعتْنا ضَجّة أمطرت بها — عَلِيًّا وطَـه حاصباً مُتطايرا[3]

فما بال هذا عُدَّ فى مصر مارِقا — وما بال هذا عُدّ فى مصر كافِرا

إذا لم تكُ الأفكار فى مصر حُرَّة — فليس لمصر أن تـكرّم شاعرا

أيُرفَع قدرُ العلم يَنطِق ناظما — ويُوضَع قدرُ العلم يَنطِق ناثرا

ويُخْتَصّ بالتبجيل من جاء مُنشِدا — ويُقذف بالتجهيل من جاء فاكرا

ألا أن هذا الشعر ليس بطائلٍ — إذا كان عما يبلغ العلم قاصرا

كما أن هذا العلم ليس بنافعٍ — إذا لم تـكن فيه النفوس حرائرا

وتـكريم رَبِّ الشعر ليس بمفخَر — لمن كان عن حُرّية الفـكر جائرا

وإلّا فعصر الجاهلية قبلَنا — له السبق فى تكريم من كان شاعرا

---

(١) الجزل : القوى الفخم من الألفاظ ، ضد السهل .

(٢) الوكائر : جمع وكيرة ، وأصله الطعام يعمل عند الفراغ من بنيان الوكر ، أو عند شرائه فيدعو إليه ، استعاره الشاعر هنا لحفلة التـكريم .

(٣) على : هو حضرة الحسيب النسيب والوزير الـكبير الأستاذ على عبد الرزاق صاحب كتاب الاسلام وأصول الحـكم ، وقد حدثت عند تأليفه إياه ضجة مشهورة .

وطه : هو أستاذ الجيل ، وموجه الثقافة الأكبر ، الدكتور طه حسين أستـاذ الأدب العربى بجامعة فؤاد الأولى ، ومن تآليفه التى أحدثت دويا شديدا فى العالم العربى كتاب « فى الشعر الجاهلى » ، وله كتب أخرى كثيرة فى الأدب والنقد ، ذات أثر بالغ فى توجيه أدباء هذا الجيل .

الأمة العربيـــة

ماضيها و باقيها

هِمَمُ الرجال مَقيسةٌ بزمانها ... وسعادة الأوطان فى عُمْرانها[١]

وأساسُ عمران البلاد تعاوُنٌ ... متواصلُ الأسباب من سُكّانها

وتعاون الأقوام ليس بحاصل ... إلا بنشر العـلم فى أوطانهـا

والعلم ليس بنافع إلا إذا ... أجْرَتْ بها الأعمالُ خيلَ رِهانها

إنَّ التجارب للشيوخ وإنَّما ... أَمَل البـلاد يكون فى شُبّانها[٢]

هذى لدى العرب الكرام مَبادئٌ ... نزلت بها الآيات فى قُرآنها[٣]

والعُرْب أكبر أُمَّة مشهورة ... بفُتوحها وعلومهـــا و بيانها

كمْ قد أقامتْ للعلوم مدارسًا ... يَعيا ذووا الإحصاء عن حسْبانها

وَ بَنَتْ بأقطار البلاد مَصانعًا ... تتحيَّر الأفـكار فى بُنْيانها

فالمجـدُ مأثور بكل صراحة ... عن قَيْسها أبداً وعن قَحْطانها

طُبِعتْ على حُبّ العلاء فسعيها ... للمكرُمات يُعَدّ من دَيدانها[٤]

نهضَتْ بماضى الدهر نهضتَها التى ... خضعتْ لها الأفلاك فى دَوَرانها

حَسُنَت عواقب أمرها حتى لقد ... بهرت بنى الدنيا جلالةُ شانها

فهمْ الأُلى فتحوا البلاد ونشَّروا ... راياتِ مَعْدَلَةٍ على قُطّانهـــا

وهمُ الأُلَى خضعتْ لهــــم أُمم الوَرَى

من تُركها طُرًّا إلى أسبــــــانها

---

(١) معنى هذا البيت والأبيات الثلاثة التى بعده : أن سعادة الأوطان بعمرانها ، وأن عمرانهـا بتعاون سكانها ، وتعاون سكانها لا يكون إلا بنشر العلم فيها ، وأن العلم لا ينفعها إلا إذا اقترن بالعمل .

(٢) أى أن الرأى للشيوخ الذين حنكتهم التجارب ، والشبان لهم العمل الذى به يتم أمل البلاد فى المستقبل .

(٣) قوله هذى : إشارة إلى القضايا المتقدمة فى الأبيات السابقة .

(٤) الديدان بالفتح : الدأب والعادة كالديدن .

والروم قد نزلت لهم عن ملكها ... والفرس عمّاً شيد من إيوانها
يا أمّةً عاش البريّةُ أعصراً ... فى عدلهـا رغداً وفى إحسانها
ثم انقضتْ تلك العصورُ فجاءها ... زمن به انقادت إلى عُبدانها
فنضتْ ملابسَ عزّها وتثاقلتْ ... فى الذلّ راسفةً بقَيد هَوانها [1]

فى إيليـــــاء

إلى فاضليها النشاشيبى والسكاكينى

أرى الأيامَ ظامئةً وليستْ ... بغير دم الأنام تريد رِيّا
ولو لم تنو حرْباً ما تبدّى ... بها شكل الأهلّة خنْجَرِيّاً [2]
ودلَّ على تقلّبها انقلابٌ ... لجرْم الأرض حين غدا كُرِيّاً [3]
وأصلدتِ الحقيقـةُ فى الليالى ... فلماّ بقتـــدحْ زَنداً وَرِيّاً [4]
نَفضتُ يدىَّ من أبناء دهرٍ ... أهانوا الشهم واحترموا الزَّرِيّاً [5]
وقلّ حياؤهمْ حتى رأينا ... ظَنين القوم يتّهم البريّاً [6]
وساد الجاهلون فلستُ أدرى ... أعزّى العلم أم أبكى الدُّرِيّاً
لهمْ عين تراعى الشرَّ يقظى ... وقلبٌ ظلّ فى عَمَـه كَرِيّاً
تقلّدتِ السيوف رُعاةُ مَعْزٍ ... وكانت قبلُ تحتمل الهرِيّاً [7]
فجرّد منهم الرعديدُ عَضْباً ... وهزّ أخو الجبـــانة سَمْهرِيّاً [8]

---

(١) نضت : خلعت ونزعت . وراسفة : أى ماشية مشى المقيد .
(٢) خنجريا : مشبها للخنجر .
(٣) جرم الأرض : جسمها . والكرى والكروى : المستدير المشبه للكرة .
(٤) أصلد : لم يور .
(٥) الزرى : ذو العيوب المحتقر .
(٦) الظنين : المتهم الذى لايوثق به .
(٧) الهريا : العصى ، وهو جمع هرواة على غير قياس ، وهى العصا الغليظة .
(٨) جرد السيف : سله من غمده . والرعديد : الجبان المستطار الفؤاد . والعضب : السيف القاطع . والسمهرى : الرمح الصلب الشديد .

وكم تَرِب تَجَنَّس للأعادى فأصبحَ من تجنُّسه تَرِيّاً
وساعٍ كان يسرَحُ بالمواشى فأمعَى من سعايتـه ثَرِيّاً
وإنَّ لساسة الدنيا تقلبا قَبيِحاً فى السياسة مرمَرِيّاً
قد اتخذوا الحُسام لهم لساناً فقالوا البُطْلَ واختلقوا الفَرِيّاً
وكيف تُساس مملكةٌ بعدل إذا ما الحكم أصبح عسكريّاً

• • •

ألا ما بالُ دمعى ليس يَرقَا كأن بمقلتى عِرقاً صرِيّاً
إذا ذُكرَ العراق بكيت شجْوا بدمعٍ طَمَّ سائله القَرِيّاً
ولمَّا سِرْتُ فى جبل وسهلٍ وكابدتُ السمائم والعرِيّاً
نزلت بإيليا على كرامٍ وَخِيم العيش عاد بهم مرِيّاً
فكدتُ بقربهم أنسى بلادى وأسلو الطفَّ ثمَّةَ والغرِيّاً
ولم أرَ كالنشاشيبىّ ندْباً إلى العلياء مبتدِراً جرِيّاً
فتى سعت المفاخرُ وهى عطْشَى إلى آدابه فأصبنَ رِيّاً
تجدَّد فى العلاء فكان بِدْعاً فعاش بعصرِه رجلاً طَرِيّاً
وأحرز فى الورَى شرَفاً رفيعاً وصيتاً فى العُلى إسكندريّا
ولم أرَ سيداً كأبى سرىٍّ ولا مثلَ ابنه ولداً سَرِيّا
هما متشابهان فعبقرىٌّ من الآباء أنجب عبقريّا
أبٌ فى المجد أروعُ أحْوَزِىٌّ نَمَى للمجد أروعَ أحوزيّاً[1]
إلى الشهم السكاكينىّ أهدى ثناءً لا يزال به حَرِيّاً
فتى غرس المكارمَ ثم منها جنى ثمر العُلَى غضّاً طَرِيّاً
يعافُ مَعاشَه إلا شريفاً ويأبى المجدَ إلّا جوهريّاً

---

(١) الأحوزى : الجاد فى أمره ، والحسن السياقة للأمور . قالت عائشة فى عمر : كان والله أحوزيا نسيج وحده . وروى بالقاف أيضا ، وهو قريب من الأحوزى ، وهوالسائق الخفيف .

تجاه الريحـــانى

شكواى الخاصة

لهذا اليوم فى التاريخ ذكرٌ　　به الآناف يفعمهن طيبُ
ويحسن فى المسامع منه صوت　　له تهـتز بالطرب القلوب
ففى ذا اليوم نحن قد احتفينا　　بريحـــانيّنا وهو الأديب
فتى كثرت مناقبـه فأضحى　　له فى كل مكرمة نصيب
تجالس منه ذا خُلق كريم　　له بجليسه أثرٌ عجيب
وأقسم لو يجالسه سفيهٌ　　فواقا لاغتدى وهو الأريب(١)
كذاك يكون زهرُ الروض لمّا　　تمرّ عليـــه ناسمة تطيب
ولم يُنسب إلى الريحان إلّا　　وريحــان الرياض له نسيب
له قلمٌ به تحيـا المعانى　　كما يحيا من المطر الجديب
وتُشرق فى سماء الشعر منه　　كواكب ليس يُدركها مَغيب
لقد طارت بشهرته شَمالٌ　　كما طارت بشهرته جَنوب
وطبّق صيتُه الآفاقَ حتى　　تعرّفه القبائل والشعوب
فديتك هل تُصيخ فإن عندى　　شَـكاةً لا تُصيخ لها الخطوب
إلى كم أستغيث ولا مغيث　　وأدعو من أراه فلا يجيب
أقمتُ ببلدة مُلئتْ حقودا　　علىّ فكل ما فيها مُريب
أمرّ فتنظر الأبصار شَزْرا　　إلىّ كأنما قد مرّ ذيب
وكم من أوجه تُبدى ابتساما　　وفى طىّ ابتسامتها قُطوب
سكنت الخانَ فى بلدى كأنى　　أخو سفر تقاذفه الدروب
وعشت معيشة الغرباء فيـــه　　لأنى اليـــوم فى وطنى غريب

---

(١) فواقا : أى قدر فواق ، وهو مدة مابين الحلبتين .

وما هـــذا وإن آذى بدائى ... ولا هـــو أمره أمر عصيب
ولـكنّى أرى أبناء قومى ... يدبّر أمرهم من لا يُصيب
يُقدَّم فيهـــم الشرّير دَفعا ... لشرّته ويُحتقـــر الأديب
فهذا الداء منتشِب بقلبى ... وفى قلب العُلى منــه وجيب
فكيف شفاؤه ومتى يُرجّى ... وأين دواؤه ومَن الطبيب
وإن أكُ قد شكوت فما شكاتى ... إلى ذى خُلّةٍ شىء مَعيب
سأنصِبُ للهواجر حُرَّ وجهٍ ... يعود إلى الشروق به الغروب
وأضرب فى البلاد بغير مُكْث ... أجوب من المَهامِهِ ما أجوب
إلى أن أستظل بظل قوم ... حياة الحر عنـــدهم تطيب
وإلا فالحيـــاة أمرُّ شىء ... وخيرٌ من مرارتها شَعوب

بنى الأرض (*)

بنى الأرض هل من سامع فبثّهُ ... حديثَ بصيرٍ بالحقيقـــة عالم(١)
جُبِلنا على حب الحياة وإنها ... مخيفة أحـــلام أطافتْ بحالم(٢)
سعى الناس والأقدار مخبوءة لهم ... وناموا وما لَيـــل الخطوب بنائم(٣)
جرت سفن الأيام مشحونةً بنا ... على بحر عيش بالرَدَى متــلاطِم(٤)

* * *

تأملتُ فى الأحياء طرًّا فلم أجد ... بهم باسمًا إلَّا على ألف واجم(٥)
ورُبَّ سعيدٍ واحدٍ تمّ سعدُه ... بألف شــقىٍّ فى المعيشـة راغم(٦)

(*) من الجزء الأول .
(١) بثه الحديث : أطلعه عليه .
(٢) الأحلام ، جمع حلم بضم الحاء ، وهو ما يراه النائم .
(٣) الخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر صغر أو عظم .
(٣) الردى : الهلاك .
(٥) الواجم : الساكت غيظا وغما .
(٦) راغم : كاره .

وما المرء إلا دَوْحة فى تنوفةٍ مُلَوَّحةٌ أغصانها بالسمائم[1]
لها وَرَقٌ قد جفّ إلا أقله وعيدانها بين النُّيوب العواجم[2]
ولا بدّ أن تُجتثَّ يوماً جُذورها وتَقلعُها إحدى الرياح الهواجم[3]

* * *

أرى العُمرَ مهما ازداد يزداد نقصُهُ إذن نحن فى نقص من العمر دائم
ولولا انهدامٌ فى بناء جسومنا لما احتيج فى تعميرها للمطاعم
لحى الله بأساء الحياة كأننا نُكبَّلُ من حاجاتها بالأداهم[4]
نروح كما نغدو نجاهد دونها أموراً دعتنا لارتكاب الجرائم
فلو كنت فى هذا الوجود مخيَّرًا وفى عَدَمى لاخترته غير نادم[5]
هل الموت إلا سالك وحياتنا إليه سبيلٌ مستبين المعالم[6]
وما زال هذا الدهرُ غضبانَ آخذاً على الناس من سيف المنون بقائم[7]
تبصَّر تجد هذى البسيطةَ منزلًا كثير اليتامَى عامراً بالمآتم[8]
وليس الذى آسَى له فقدَ هالك ولكن ضياعُ المفجعَات الكرائم[9]
أراملُ تَستذرى الدموع وحولها يتامى كأفراخ القطا والحمائم[10]

---

(١) الدوحة : الشجرة العظيمة . التنوفة : المفازة والفلاة لاماء فيها ولاأنيس .

(٢) النيوب : جمع ناب ، وهى السن التى خلف الرباعية . العواجم : الأسنان ، لأنها تعجم المأكول .

(٣) تجتث : تقتلع . جذورها : أصولها . الهواجم : جمع هاجمة .

(٤) يقال لحى الشجرة : بمعنى قشرها ؛ ويستعمل اللحى بمعنى الشتم والسب مجازا كما هنا . نكبل : نقيد . الأداهم : القيود .

(٥) اخترته : أى اخترت العدم .

(٦) مستبين المعالم : واضح الطرق .

(٧) المنون : الموت . وقائم السيف : مقبضه .

(٨) المآتم جمع مأتم : وهو كل مجتمع من رجال أو نساء فى حزن أو فرح ؛ ثم قصر على مجمع النساء فى المصائب .

(٩) آسى : أحزن . المفجعات : اسم مفعول من أفجعته المصيبة : بمعنى أوجعته . والكرائم : جمع كريمة : يقول : ليس ما أحزن عليه هو هالكا قد فقدته ؛ ولكنى أحزن على نساء كرائم قد أوجعتهن المصائب .

(١٠) تستذرى : تستنزل . القطا جمع قطاة ؛ وهى طائر فى حجم الحمامة . الحمائم : جمع حمامة .

وكائنْ ترَى مخدومة في جلالها
سعتْ حيث أبكاها الردَى سعيَ خادم[1]

فليت المنايا حين قوّضْنَ بيتها بدأن بها من قبل هدم الدعائم[2]

* * *

أرى الخيرَ في الأحياء وَمْضَ سحابة
بدا خُلَّبًا والشرّ ضربةَ لازم[3]

إذا ما رأينا واحداً قام بانيا هناك رأينا خلفه ألفَ هادم

وما جاء فيهم عادل يستميلهمْ إلى الحق إلّا صدّه ألف ظالم

جهلت كجهل الناس حكمةَ خالقٍ على الخلق طُرًّا بالتعاسة حاكم

وغاية جهدى أنني قد علمته حكيما تعالى عن ركوب المظالم

* * *

دأبتُ لنفسي في الحياة كأنني من العيش مُلقًى في شُدوق الضراغم[4]

يخاصمني منها على غير طائلٍ أناس فأبْدِي الصفحَ غير مخاصم[5]

وأقنع بالقوت الزهيد لطيبه حِذَارَ وقوعي في خبيث المطاعم

وأترك ما قد تشتهي النفس نيْلَه لما تشتهيه قِلّةٌ في دراهمي

وكم ليَ في بغدادَ من ذي عداوةٍ وما أنا في شيءٍ عليه بجارم[6]

إذا جئت بالقلب السليم يجيئني بقلب له من كثرة الحقد وارم

---

(١) كائن : بمعنى كم للتكثير . (٢) قوضن : هدمن .
(٣) الومض : البرق الخفيف . البرق الخلب : هو الخداع الذي لامطر فيه .
(٤) شدوق جمع شدق : وهو طفطفة الفم من باطن الخدين . الضراغم : الأسود .
(٥) على غير طائل : على غير جدوى ولافائدة .
(٦) جارم : مذنب .

الحمـــــد للمعلم

(إلى المعلم نخلة زريق)

وليل به قد بتُّ اختلاس الكرى   وأرقب فيه النجم أن يتغوَّرا (١)

تمطَّى على الآكام منه بغيهب   تكاثَفَ حتى خِلته قد تحجَّرا

وكاد دُجاه يمكن الكفَّ لمسُهُ   فلو سار سارٍ في دُجاه تعثَّرا

لقد بِتُّهُ والهمُّ مُعتلِجٌ به   إذا زاد طُولاً زدت فيه تضجُّرا

يقلِّبني فيه الجَوَى وتهزُّني   لواعج شوق في الفؤاد تسعَّرا

أرى الزُّهْر فيه يضطربن كخابطٍ   بتيهاء يجتاب الدُّجى متحيِّرا

كأن نجوم الليل غَضْبَى على الدُّجَى   تُردِّد لحظاً في الدُّجُنَّة أشزرا

إلى أن بدا لي الصبح يحكي عمودُه   لنخلةَ رأياً بالذكاء مُنوَّرا

فتى كنت قبل اليوم خُبِّرت فضله   كبيراً ومذ شاهدتُه كان أكبرا

له خُلُقٌ بادٍ إباءً ونخوةً   وعقلٌ رزين بالعلوم تحضَّرا

ترى منه إن لاينتَه ذا دَماثةٍ   أديباً وإن خاشنتَه فغَضَنْفَرا

لقد علمت هذي المدارسُ فضله   لَدُنْ كان للتدريس فيها تصدَّرا

تقضَّتْ له فيها ثلاثون حِجَّةً   بها قرَّط الآذان دُرًّا وجوهرا

وجهَّز بالآداب أبناء قطره   أماليَّ أملاها عليهم وقرَّرا

بذلك أحيا للأعاريب لهجةً   خلا ربعُها من ساكنيه وأقفرا

إذا استبهمتْ طُرْق الفصاحة مازها   بما في كتاب الله منها تقرَّرا

لنا اليومَ جيش من تلاميذ علمه   به الجهل ولَّى مدبراً وتقهقرا

هم الجيش سدُّوا ثغر كل جهالة   إذِ اتخذوا في كل ثغر معسكرا

---

(١) يتغور : يغيب .

له الفضل فى تعليمهم أفصحَ اللغا ... وغُرَّ القوافى والكلامَ المحبَّرا
فكل فتًى منهم أديبٌ تقيمه ... ليُلقى درساً أو ليقرع منبرا
لك ابنَ زُرَيْق مِنَّة سَرْمدية ... سيذكرها فى دهره من تذكّرا
إذا ما سمعنا ناطقاً بفصاحة ... من الناس أثنينا عليك تشكرا
كفى بالسكاكينىّ فى القدس شاهداً ... بما لك من فضل عميم على الورَى
فقد كان قبل اليوم تلميذك الذى ... غدا اليوم أستاذاً كبيراً مفكّرا

عرس مصر

قالها لما أقيم فى مصر عرس لسكريتة الخديو عند اقترانها بابن الداماد فريد باشا ؛ وكان ذلك فى أثناء حرب البلقان المعلومة .

أَطْرَبَتْهم بلحنها الأنغامُ ... حين أدمت قلوبَنا الآلامُ
فأقاموا مجالسَ الأنس حتى ... رقصَ العار بينهم والذَّامُ
أضحكوا أوجه السفاهة ضحكاً ... قد بكت فى خلاله الأحلامُ
إنَّ فى مصر للسكريتة عرسًا ... سوف تُعْنَى بشرحه الأقلامُ
أوقدوا فيه للسرور سِراجاً ... عَمَّ من نوره البلادَ ظلامُ
ذاك عُرسٌ تكَشَّرَ اللؤمُ فيه ... عن نيوب كأنهنَّ سهامُ
وتغنَّت للقوم فيه قِيانٌ ... أنكر العودُ صوتَها والدمامُ
فلعَين الحليم فيه بكاء ... ولثغر السفيه فيه ابتسامُ

* * *

أيها المؤلمون فى مصرَ مهلًا ... إنَّ إيلامكم لنا إيلامُ
أتغنيكمُ القيانُ بيوم ... قام فى مأتم به الإسلامُ
لبست هذه البلاد حِداداً ... وتحلَّت بوَشْيها الأهرامُ
وجرت أعين الفرات دُموعاً ... وجرى النيل ثغرُه بسَّامُ

أشمأتا بالمسلمين وقد دا ... رت عليهم بنحسها الأيامُ
إذ رمتهم يد الزمان بخطب ... جلَلٍ ما لنقضه إبرامُ
فهوت مصارع الحكم منهم ... جثثٌ تملأ الفضاء وهامُ
وتخلّوا عن البلاد وأبقوا ... حُرُماتٍ تدوسها الأقدامُ

* * *

يا بني مصر صَغْيةً لسؤالٍ ... فيه عَتْبٌ لكم وفيه مَلامُ
أتناط الفتوخُ في خنصر الكف ... ازديانا إنْ قُطِّت الإبهامُ
أدماء القتلى لديكم خِضابٌ ... أم أنين الجرحى لكم أنغامُ
أم تريدون أن تكونوا كقوم ... أسكرتهمْ بين القبور مُدامُ
أم أصختم إلى الأغاريد كيْ لا ... تسمعوا كيف تنتحب الأيتامُ
لست أدري وقد سمعت بهذا ... يقظةٌ ما سمعته أم منامُ

من مضحكات الدهر

سأبدي لدهري ناجذَ المتضحّك ... ولو كان يجرى بالذى هو مُهلكى
فما أنا راجٍ بعد ذا اليوم خيرَهُ ... ولا خائفٌ من شره المتحرّك
إذا الدهر لم يُعتِبْ من الناس جازعا ... فأضيعُ ما فيه شكاية مُشتك[1]
على أنَّ ضحكى منه لا عن سفاهة ... ولكن كضحك العفّ من متهتِّك
ولو سَبَرَ الناس الحوادثَ بالنُّهى ... لما حصلوا منها على غير مُضْحِك
وما حادثات الدهر إلا خوابطٌ ... كعشواءَ تمشى مِشية المترهوِك[2]
وتنهض للإرقال فى غير مَنْهَضٍ ... وتبرُك أحيانا على غير مَبْرَك

---

(١) لم يعتب : مضارع أعتبه : إذا أعطاه العتبى وأرضاه ؛ أى أزال عتبه ؛ فالهمزة فيه للسلب فى أشكاه : أى أزال شكايته .

(٢) العشواء : الناقة التى لاتبصر أمامها ، فهى تخبط بيديها كل شىء ؛ إذا مشت لا تتوقى شيئا . والمترهوك : المضطرب ؛ الذى تراه كأنه يموج فى مشيته .

وما حكم هذا الدهر إلّا تحكُّمٌ ... كحكم فصوص النّرد في نقل مُهْرَكِ[1]

كأنّا من الدنيا ببيتِ تقامرٍ ... حوى من سهام القَمْرِ كُلَّ مُدَمْلَكِ[2]

فمن قامرٍ قد فاز باليَسرِ قِدْحُهُ ... وآخر مقمور بقدح التصعلُكِ

وما الحِرَفُ اللاتى يُجيد احترافها ... سِوَى شَبَك منصوبة للتملك

وإن طبيب القوم ناصب كِفّةٍ ... ليصطاد فيها بالدواء المصطلك[3]

ومن مُضحكات الدهر حامل سُبْحة ... تُقَبِّلُ جَهلًا كَفّهُ للتبرُّك

وآخرُ تركيٌّ تَعَرّبَ وادّعى ... على عَرَبِيّ هُجنةَ المتترّك[4]

وتحديثُ غِرٍّ مُطرياً عدل دَولةٍ ... براياتها رسم الصليب المشبَّك

وما الناس إلا خادع أدرك المُنَى ... وآخرُ مخدوع لها غيرُ مدرك

فلا تَبدُ من زِير النساءِ تعجُّبا ... ولا تغترِرْ بالزاهد المتنسّك[5]

فما دارت الأفلاك إلّا وقُطبها ... بحُكْم الهوى حبُّ الكَعاب المفلّك[6]

وإن أبصرتْ عيناك يوما حقيقة ... تخالفْ ما قد قلته فتشكّك

---

(١) قوله إلا تحكم : أى مجاوزة للحق فى الحكم . والنرد : شىء يلعب به ؛ وأراد بفصوص النرد الكعاب التى يلعب بها . والمهرك : واحد المهارك ؛ وهى قطع مستديرة من خشب أوغيره يلعب بها فى النرد . وهو معروب « مهرة » بالفارسية . والمعنى أن حكم الدهر غير منطبق على المعقول ، وإنما هو تحكم كالحكم الناتج من رمى الكعاب فى نقل المهارك فى النرد ، فان اللاعب لاينقل المهارك كما يريد ، بل ينقلها حسبما تأتى به الفصوص عند رميها .

(٢) سهام القمر : قداحه التى يقارع بها فى القمار . والمدملك : من السهام المخلق ، أى المسوى الملمس . لما جعل أحكام الدهر فى البيت المتقدم كأحكام كعاب النرد ، ناسب أن يجعل الدنيا فى هذا البيت بيت مقامرة ، والناس فيها بين قامر ومقمور ، وأوضح ذلك بالأبيات التالية .

(٣) الكفة : حبالة الصائد التى يصيد بها الظباء ، وهى بضم الكاف وتكسر . والدواء المصطك : المخلوط بالمصطكى .

(٤) حاصل معنى البيت أن من المضحكات تركيا تعرب . فصار يعير بالهجنة عربيا قد تترك . يصور بهذا البيت شدة اختلاط الناس فى هذا العصر ، واندماج بعضهم فى بعض . فكثيرا ماترى من يتعصب للعرب وهو تركى الأصل ، ومن يتعصب للترك وهو عربى الأصل .

(٥) زير النساء : الذى يحب محادثة النساء . ويكثر مغازلتهن .

(٦) الكعاب . كسحاب : الجارية الناهد . والمفلك بصيغة الفاعل . واللام مشددة : التى استدار ثديها . يقال فلكت الجارية : استدار ثديها وصار كفلكة المغزل .

فإنك لم يُنبئك مثلُ مُجَرِّب   خبير ولم ينصحك مثل مُحَنَّك[١]
فهذا لعمرُ الله رأيي فخذ به   فقد فزتَ منه بالجُذَيل المحَكَّك[٢]

الشارع الكبير ببغداد

نَكِّبِ الشارع الكبير ببغدا   د ولا تمش فيه إلّا اضطرارا
شارعٌ إن ركبت متنيه يوماً   تَلْقَ فيه السهول والأوعارا
تترامى سنابك الخيل فيه   إن تقحّمن وَعْثه والخَبارا
فهى تحثو التراب فيه على الأو   جُهِ حثواً وتقذف الأحجارا
لو ركبتَ البراق فيه أو البرّ   قَ نهاراً لمَا أمنت العِثارا
تحسِب العابرين فيه سُكارَى   من هواء تنسَّموه غُبارا
ساطعًا يملأ الفضا مستطيراً   حاملًا فى ذَرّاته الأقذارا
مستجيشاً من الجراثيم جيشا   مسبطرًّا عَرمرما جرّارا
هو إن رُشَّ جاش وحْلا وإلّا   جاش نَقْعا على الوجوه مُثارا
تَصهَر الشمس فيه أدمغة القو   م إذا هُمْ تخبَّطوه نهارا
وإذا ما مشيت فى جانبيه   فتجنّبْ رَصيفه المنهارا
وإذا ما أرسلت فيه إلى الأطـ   ـراف لحظا أنكرته إنكارا
لا ترى فيه ما يسرُّك بالصنـ   ـعة حُسْنا ويبهج الأبصارا
بل ترى العينُ فيه كل جدار   تكره العين أن تراه جدارا
فجدار عالٍ وفى الجنب منه   متدانٍ تقيسه أشبارا

---

(١) مجرب : بصيغة الفاعل . باعتبار أنه اختبر الأمور . والمحنك أيضا بصيغة المفعول : الذى أحكمته التجارب .

(٢) الجذيل المحكك : الذى يشتفى برأيه . والجذيل : تصغير جذل . وهوعود كانوا ينصبونه فى العطن لتحتك به الإبل الجربى . ثم صار يضرب مثلا للذى يستشفى برأيه . ويعتمد عليه . كما قال الحباب بن المنذر لما خطب يوم السقيفة : « أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب » .

ودكاكينُ كالأفاحيصِ تمتـــدُّ يميناً بطوله ويَساراَ

أين هذا من الشوارع فى الأمصـــار زانت بحسنها الأمصاراَ

عبَّدُوها ومهدوها فجاءت لا اعوجاجًا بها ولا ازوِرارَا

وأعدُّوا بهن كل رصيف يَحمَدُ السيرَ فوقه من سارَا

وأقاموا لهم بها كل صَرْحٍ مشمخِرٍّ بناؤه اشمخراراَ

فعلى الجانبين كل بناء خِيل فى الحسن كوكبا قد أناراَ

ثم لم يكتفوا بذلك حتى غرسوا فى ضِفافها الأشجاراَ

فوَقَتْهم ظلالُها وَهَجَ الشمـــس وسرَّ اخضرارها الأنظاراَ

هكذا فلتكن شوارعنا اليو م وإلَّا فما عمرنا الدياراَ

على الخوان

أكبّ على الخوان وكان خفًّا فلما قام أثقله القيام[1]

ووالى بينها لُقَمًا ضِخامًا فما مَرِئَت له اللُّقَمُ الضخام[2]

وعاجل بَلْعَهنّ بغير مضغ فهنّ بفيه وضع فالتهام[3]

فضاقت بطنه شِبَعًا وشالت إلى أنْ كاد ينقطع الحزام[4]

فأرسلتُ اللحاظ إليه شَزْرًا وقلت له رُوَيْدكَ يا غلام[5]

---

(١) الخوان : بالكسر وبالضم : مايوضع عليه الطعام ليؤكل . وأكب عليه : أقبل عليه ولزمه . وكان خفا بالكسر : أى خفيفا . وأثقله القيام : جعله ثقيلا .

(٢) والى بينها . أى تابع بين اللقم . فما مرئت له : أى ماساغت . وكانت مريئة : أى حميدة المغبة . ولقما : تمييز للضمير المضاف إليه فى قوله بينها .

(٣) الالتهام : الابتلاع بمرة ، وفى التعبير بالمصدر مبالغة فى المعنى المراد . أى هن بفيه موضوعة فملتهمة بلا فاصل .

(٤) البطن : مذكر . وتأنيثه لغة جرى عليها الشاعر هنا . وقوله شبعا : مفعول مطلق على حذف مضاف . أى ضيق شبع ؛ أو هو منصوب بنزع الخافض . وشالت أى ارتفعت .

(٥) فأرسلت اللحاظ : أى النظر . فهو هنا مصدر لاحظه : إذا نظره وراقبه لنظر . وقوله شزرا : أى أشزره شزرا . وهو النظر بجانب العين . نظر الغضبان . ورويدك : أى أمهل نفسك .

أرى اللقمات تأخذها حلالا فتدخل فاك وهى به حرام

قد انضدت بجوفك مفردات تخلل بينها الداء العقام[١]

أتزدرد الطعام بغير مضغ على أيام صحتك السلام[٢]

فلا تأكل طعامك بازدراد معاجلة فيأكلك الطعام

ألا إن الطعام دواء داء به ابتليت من القدم الأنام

فداو سقام جوعك عن كفاف فإكثار الدواء هو السقام

وما أكل المطاعم لالتذاذ ولكن للحياة بها دوام

طعام الناس أعجب ما أحبوا فمنه حياتهم وبه الحمام

يقودهم الزمان إلى المنايا وما غير الطعام لهم زمام

وأعجب منه أن الناس راموا تنوعه ألا بئس المرام

إذا استعصى القفار عليك أكلا كفاك من القراح له إدام[٣]

حذار حذار من جشع فإنى رأيت الناس أجشعها اللئام[٤]

وأغبى العالمين فتى أكول لفطنته ببطنته انهزام

ولو أنى استطعت صيام دهرى لصمت فكان ديدنى الصيام[٥]

ولكن لا أصوم صيام قوم تكاثر فى فطورهم الطعام[٦]

فإن وضح النهار طووا جياعاً وقد نهموا إذا اختلط الظلام[٧]

---

(١) قوله « قد انضدت » : أى قد تراكبت فى جوفك ، بعضها فوق بعض ، وكل منها مفردة عن أختها ، كما كانت عند دخولها ، وقد تخلل بينها : أى دخل فى خلالها الداء العقام . الذى لا يرجى له برء . (٢) أتزدرد الطعام : أى أتبتلع الطعام .

(٣) القفار ، بالفتح : صفة لمحذوف ، أى الخبز القفار ، ويقال خبز قفار : أى غير مأدوم . وأكلا : تمييز للنسبة ، محول عن الفاعل ، والقراح بالفتح : الماء الخالص ، الذى لم يخالطه شىء يطيب به ، من عسل أو زبيب أو غير ذلك ، ومعنى البيت ظاهر .

(٤) حذار : اسم فعل بمعنى احذر ، وتكراره هنا للتأكيد ، والجشع بفتحتين : أشد الحرص على الطعام وأسوؤه .

(٥) ديدنى : أى دأبى وعادتى . (٦) تكاثر هنا : بمعنى كثر .

(٧) وضح النهار : بان وانجلى ، وقوله « وقد نهموا » : أى شرهوا وأفرطوا الشهوة فيه ، وكانوا لا تمتلىء أعينهم ولا يشبعون ، ويجوز أن يقرأ : نهمو ، بالبناء للمفعول ، واختلط الظلام : اعتكر .

وقالوا يا نهار لئن تَجِعْنا | فإنَّ الليل منك لنا انتقام
ونامو مُتْخَمين على امتلاء | وقد يتجشئون وهم نيام(١)
فقل للصائمين أداء فرضٍ | ألا ما هكذا فُرِضَ الصيام!

تحية سركيس

أنشدها في حفلة أقيمت في القدس لتكريم الكاتب الشهير سليم سركيس . عند قدومه إليها زائراً .

كم فاضلٍ أكبرتُه قبـل اللقا | فسجرتُ فيه من الثناء وَطيساَ
حتى إذا كان اللقاء وجدت ما | يُعزَى إليه العُلَى معكوساَ
إلَّا الفتى سَركيسَ أيْ وتشرّفي | بلقائه ، إلَّا الفتى سَرْكيساَ
جالسته في القدس أولَ مرّةٍ | فأحسَّ قلبي من هواه رَسيساَ
في مجلس نظم الزمانُ بصدره | عِقْداً من الصِّيد الكرام نفيساَ
إذ كان يسكرنا بخمر حديثه | فيدير منه على الجلوس كئوساَ
يُحيي السرور الميتَ منك بنكتةٍ | فيُريك معجزة ابن مريم عيسى
و إذا أفاض من الحديث بحكمةٍ | خِلْنا محدِّثنا أرسطاليساَ
و إذا تحدَّث مازحاً فنكاته | بالضِّحك تصفع من تراه عَبوساَ
لو يستدرّ يد الشحيح بظرفهِ | يوماً لجاد له وحَلَّ الكيساَ
جالستهُ فَبِكهَ الكلام منافثاً | أَكرِمْ بمثلك يا سَليم جليساَ
فمجالس الأدباء أنت رئيسها | أخلِقْ بمثلك أن يكون رئيساَ
أَوَلستَ رَبَّ مجلّة أدبية | تُزْرِي بأزهار الرياض طُروساَ
في كل شهر بالفنون ترقّها | عذراءَ باهرة الجمال عَروساَ
قد جئتَ في تحبيرها متنطساً | تشفي بنفْث يَراعك المألوساَ

(١) ناموا متخمين : أي لهم تخمة كظالمة . وهي داء يصيب الانسان من أكل الطعام الوخيم . وقوله « يتجشئون » التجشؤ : هو إخراج صوت مع ريح من الفم عند الشبع .

تبدو الحقائق من خلال سطورها … فتضيء في ليل الشكوك شموساً
لما قدمت القدس قصد زيارة … فمحت وحشة أهلها تأنيساً
فمنا لفضلك ياسليم تجلة … تحني الظهور مطأطئين رءوساً

إلى البلاغ

أرسلها وهو في الآستانة إلى محمد باقر . لما أصدر جريدة البلاغ في بيروت

أباقر لم تدع للقوم عذراً … بما أصدرت من حجج البلاغ
فقد صغت النصائح خالصات … فجاءت وهي فائقة المصاغ
وأوضحت الحقائق رائقات … لدى الأذواق طيبة المساغ
ولكن أين من يصغي ومن ذا … تحاول منه قلباً غير صاغ
لقد حلم الأديم فليت شعري … أينفع ما تريد من الدباغ
ألست ترى بني الإسلام أمسوا … حيارى بين منتصف وباغ
فقوم في مقاصفهم وقوم … يلوكون القفار بلا صباغ
وكم داع رأوه لهم « مفيدا » … وما هو في « الحقيقة » غير لاغ
وكم صحف لهم فغرت حلوقا … لتمضغهم بأسنان شواغ
وما أخذتهم نفثاً ولكن … تضج كأنها الإبل الرواغي
على أني وإن أبديت سخطا … فما أدعوك فيه إلى الفراغ
فلا تترك بلاغك عن ملال … فيفرح من ملالك كل طاغ
فقم في القوم منتضياً يراعاً … يفلق هام أرباب الرواغ
وخاطبهم بشقشقة المنادي … وآونة بدندنة المناغي
فأنت فتى إذا بلغت أمراً … تؤيدك البلاغة في البلاغ
وأنت وإن خلقت نحيف جسم … تفوق سواك في كبر الدماغ

في حفلة الزهاوي

أرى بغداد من بعد اغبرار زهت بقدوم شاعرها الزَّهاوي

زهت بكبيرها أدباً وعلماً زهتْ بطبيب علتها المداوي

وكادت مصر تسبقنا فخاراً به لو ظل وهو هناك ثاوي

ولكن عاد محتقباً إليها فخار الأرض والشرف السماوي

فأهلاً بالحكيم وألف أهل بمن لا زال مُرشدَ كل غاوي

وما الآداب في بغداد لولا يراع جميلها إلا دعاوي

إذا ما قال في بغداد شعراً رواه له بأقصى الأرض راوي

تفرّد في بديع الشعر من معنًى فجلّ عن المُعادِل والمُساوي

أُعيذُكَ يا جميلَ الشعرِ من أن يسوءك نقدُ أرباب المَساوي

يداوون السقيم من المعاني بفهم كان أجدر بالتداوي

ألا لا تعجبنَّ وهمْ ذئاب إذا هم أفزعوك بصوت عاوي

لقد نقدوا قريضك نقد أعمى يدل على الضغائن في المطاوي

فأحمِ لهم حديد الشعر حتى تذيق نفوسهم حرَّ المكاوي

فهم قوم يرَوْن الحلم عجزاً إذا ما ناوءوك ولم تُناوِ

ولا تضربْهمُ إن شئت إلا بضغثٍ من نبات الشعر ذاوي

فهم مثل الذباب يطير ذعراً بهزّ مِذبةٍ وهُويّ هاوي

وليسوا مُحوجيك إلى معين وهم ما بين مهزول وضاوي

فنفخٌ منك يجعلهم هباءً ويُسقطهمْ إلى سُفْل المهاوي

وما احتاج القويّ إلى مُعين إذا كان الضعيف هو المُقاوي

إلى صاحبة الحياة الجديدة

أرسلها إلى السيدة حبوبة صاحبة مجلة الحياة الجديدة فى بيروت

هَلُمَّ يا قومُ نسعَى إلى حياةٍ سعيدَهْ
فإن فينا افتقارًا إلى أُمورٍ عديدهْ
إلى اتحادٍ وسعيٍ إلى المساعى المُفيدَهْ
إلى عزائمَ نرمى بها المرامِى البعيدَهْ
إلى معاهدَ نفْنِى بها الشرورُ المبيدهْ
إلى مدارس تعلو على القصور المَشيدَهْ
إلى عقولٍ كبارٍ إلى نفوس رَشيدهْ
إلى جسوم نُقَاوِى بها الخُطوبَ الشديدهْ
إلى صلاح نداوِى به فساد العقيدَهْ
وإن أريد اكتفاءً بكِلْمَةَ عن قصيدهْ
فكل ما نبتغيه هو الحياة الجديدهْ
هو الذى تدعيه حَبُّوبةٌ فى الجريدهْ
تلك الصحيفةُ تأتِى لنا بكل شَريدهْ
تلك المجلة تحوى من كل عِقد فريدَهْ
حبُّوبةٌ استنشدينى إن شئت كل نشيدهْ
فأنتِ خير فتاةٍ حميـدةٌ ومَجيدهْ
الشرق فيه قيود وقد فككْتِ قيودهْ
وفيه داء جُمودٍ وقد شفَيْتِ جُمُودَهْ
آراؤكِ الغُرُّ فيه صحيحة وسديدهْ
مَن لا يُريد أمورًا لهن أنت مُريدَهْ
إلّا الذى عاش غِرًّا وطَوّق الأسْرُ جيدَهْ
فذاك ما عاش إلا لقصـعةٍ وثريدَهْ

إلى المتعـــلم

أَخْصِ فى العلمِ إن أردت كمالا ... ووصولا إلى الفخار الأتمِّ[١]

وإذا رُمْتَ فى التعلُّمِ حِذْقا ... فاترك النفس والذى هى ترمِى[٢]

واجتنب قسرها على ما أبته ... إنَّ قَسْر الطباع أكبر ظلم

إنما الميل فى الغرائز تيَّا ... رٌ ومن ذا يردّ تيّار يمّ

أَطْعِمِ العقل ما اشتهاه من العلـــم وإلّا استقأت من سُوءِ هَضْم

ليس فى أَرْؤُسِ الرجال دماغ ... هاضم فى ذكائه كلَّ علم

فمن النقص أنْ تحاول أنْ تضـــرب فى كلِّ ذى العلوم بسهم[٣]

حُسْن فهم الأخصِّ أكثر نفعًا ... لذويه من قبح فهم الأعمِّ

وبُغاة العلوم مثل رُماة الصَّـــيد فاعلم وليس مُنْمٍ كمُصْمِى[٤]

وإذا ما اشتغلت بالجدّ ساعا ... ت فهازِلْ سُوَيعةً واستجِمّ[٥]

وتَرَفَّقْ إذا جُهِدْتَ فإنَّ الر ... فْقَ يُذْكِى الفؤاد والعنف يُعمِى

ولقد يبلغ العجول مَداه ... بالتأنى بلوغ خَضْم بقَضْم[٦]

---

(١) قوله أخص : فعل أمر من أخصى طالب العلم . إذا تعلم علما واحدا وطريقة الاخصاء فى العلوم هى التى وصل بها أهل الغرب إلى ما وصلوا إليه .

(٢) الواو فى قوله «والذى هى ترمى» : واو المعية . واسم الموصول مفعول معه . وترمى : تقصد . من رمى المكان إذا قصده . وعائد الموصول محذوف . أى والذى هى ترميه .

(٣) قوله «فمن النقص» : الجار والمجرور خبر مقدم . «وأن تحاول» مبتدأ مؤخر . «وأن تضرب» : مفعول لتحاول . والمحاولة الارادة . وقوله «أن تضرب فى كل ذى العلوم بسهم» : معناه أن تأخذ من كل العلوم نصيباً ؛ يقال ضرب فى كذا بسهم ؛ إذا أخذ منه نصيبا .

(٤) قوله «وليس منم كمصم» المنمى : اسم فاعل . من قولهم أنمى الصياد الصيد : إذا رماه فأصابه ولم يقتله . ثم ذهب عنه فمات ؛ والمصمى : اسم فاعل من قولهم أصمى الصيد . إذا رماه فقتله مكانه وهو يراه . وفى الحديث كل ما أصميت . ودع ما أنميت . والمعنى : أن طالب العلم كرامى الصيد . فإذا أخصى فى العلم وأتقنه كل الاتقان . كان كالمصمى الذى ينتفع بصيده . وإلا كان كالمنمى الذى رمى الصيد فأصابه ولم ينتفع به شيئا . فهذا هو معنى قوله «وليس منم كمصم» .

(٥) الجد بالكسر : ضد الهزل . وقوله استجم : أى استرح .

(٦) المراد بالخضم هنا : الأكل ملء الفم . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان قليلا قليلا . ═

كلُّ من كانت العلوم لديه ... جَمَّةً كان نفعه غيرَ جَمِّ(١)

أيُّ فضل لعالِمٍ غير بِدْعٍ ... ليس في العلم يُنْجِي المُهِمِّ

سار شوطا لكلِّ علمٍ ولكن ... لم يَنَلْ فيه غايةَ المستتمِّ(٢)

هبه أبدى من العلوم نجوما ... في ليالٍ من المشاكل دُهْمِ

أوَ ليس البدرُ التمامُ وإنْ كا ... ن وحيداً يربو على ألف نجم

كن قويًّا في كل ما تدعيه ... إنَّما الفوزُ للقويِّ المِلَمِّ(٣)

أيُّها العاجزُ الضعيفُ رُوَيدًا ... أقرنُ الضأن فاتكٌ بالأجمِّ(٤)

اليتيم المخدوع (*)

قضى والليلُ مُعتكرٌ بَهيمُ ... ولا أهلٌ لديه ولا حَميمُ

قضى في غير موطنه قتيلا ... تَمُجُّ دَمَ الحياة به الكُلومُ(٥)

قضى من غير باكية وباكٍ ... ومن يبكي إذا قُتِلَ اليتيمُ

قضى غَضَّ الشبيبة وهو عَفٌّ ... مُطهَّرَةٌ مآزره كريمُ

= وقد ضمن هذا البيت المثل وهو قولهم « قد يبلغ الخضم بالقضم » . أى الشبعة تبلغ بالأكل بأطراف الفم . أى الغاية البعيدة تدرك بالرفق .

(١) جمة : كثيرة . وغير جم : غير كثير .

(٢) شوطا : مفعول مطلق . والشوط : هو الجرى مرة إلى الغاية .

(٣) الملم . بكسر الميم وفتح اللام . وفى آخره ميم مشددة : هو الشديد من كل شيء . يقال : رجل ملم .

(٤) الأقرن من الضأن : الذى له قرنان . والأجم : الذى لاقرن له . والمعنى : أن القوى فاتك بالضعيف لامحالة .

(*) من الجزء الأول .

السبب الذى دعا شاعرنا إلى نظم هذه القصيدة : أن رجلا يهوديا مطربا من حلب اسمه (سليم) . خدع غلاما مسيحيا يتيما من أهلها ، وأتى به بغداد ، وأراد منه المنكر بعض أهلها ، فأبت نفس الغلام الزكية الطاهرة ذلك ، فجاءه يوم وهو سكران والغلام فى نادى طرب يضم المئات من الناس ، وأطلق عليه الرصاص . فسقط ذلك اليتيم المخدوع على الأرض . فحمل إلى مستشفى الغرباء هناك ؛ وقبض على الجانى . وزج به فى السجن . فنظم معروف أفندى هذه القصيدة حاكيا بها هذه الحادثة المؤلمة .

(٥) الكلوم : الجروح .

سقاه من الردى كأساً دهاقا ... عفافُ النفس والعِرضُ السليم[1]

تجرّعها على طَرَبٍ ولكن ... بكفٍّ اليتم ليس له نديم

على حينَ الرَّبابة في نواحٍ ... يساجلها به العُود الرخيم

بحيث رقائق الألحان كانتْ ... بها الأشجانُ طافية تعوم

كأن ترنم الأوتار نعيٌ ... وصمت السامعين لها وُجوم[2]

فجاء الموتُ ملتفعاً بخزْيٍ ... وملءُ إهابه سَفَهٌ ولوم[3]

فأطلق من مُسَدَّسه رَصاصاً ... به في الرمي تنخرق الجسوم

فخرَّ إلى الجبين به « نعيم » ... كما انقضّت من الشُهْب الرُّجوم[4]

فبانَ مُوَدَّعاً بعد ارتثاثٍ ... حياةً لا تُناط بها الوُصوم[5]

لئن لم تبكِ من أسفٍ عليه ... سَفاهتنا فقد بكت الحُلوم[6]

ولو دَرَتِ النجوم له مُصاباً ... بكتْه على ترفّعها النجوم

عَسَى الشهباء تَثْأَرُه فتُبدِي ... إلى الزوراء ما يُبدِي الخصيم[7]

ولم يقتله « إبراهيم » فيما ... أرى بلْ إن قاتله « سَليم »

أليس « سليمٌ » الملعون أغوى ... « نعيماً » فهو شيطانٌ رجيم

وأخرجه من الشهباء غِرّاً ... يتيماً ما له أبداً زعيمُ

وجاء به إلى بغداد حتى ... تخرّمه بها قتلٌ أليم

سأبكيه ولم أعبأ بلاحٍ ... وأندبُه وإن سَخِط العُمومُ

ولمّا أن ثوى ناديت أرخْ ... ثوَى قَتْلا بلا مَهل « نعيمُ »

---

(١) دهاقا : ممتلئ .

(٢) الوجوم : الاطراق لشدة الحزن أو الغيظ .

(٣) الاهاب : الجلد قبل أن يدبغ .

(٤) الرجوم : مايرجم به . مفردها رجم .

(٥) ارتث ارتثاثا . بالبناء للمجهول : حمل من المعركة جريحا : الوصوم : العيوب .

(٦) الحلوم : العقول .

(٧) الشهباء : حلب . والزوراء : بغداد . تثأره : تطالب بدمه .

ميت الأحياء وحى الأموات(*)

تيقظْ فما أنت بالخــــالدِ ... ولا حادث الدهر بالراقدِ(١)
فخلِّدْ بسعيك مجداً يدومُ ... دوام النجوم بلا جاحد
وأبق لك الذكر بالصالحات ... وخلِّ النزوع إلى الفاسد(٢)
وردْ ما يناديك عنه الصدورُ ... ألا درَّ درُّك من وارد(٣)
وسِرْ بين قومك فى سِيرةٍ ... تميت الحُقود من الحاقد
فإن فتى الدهر من يدَّعى ... فتأتى أعاديه بالشــــاهد
ولا تكُ مُرْمًى بداء السكون ... فتصــبح كالحجر الجـامد
وكن رجلًا فى العُلى حُوَّلًا ... تَفَنَّنَ فى ســيره الراشد(٤)
إذا اطَّردتْ حركات الحياةِ ... ومرَّت على نسَقٍ واحد
ولم تتنوَّع أفانينهـــا ... ودامت بوجه لهـا بارد(٥)
ولم تتجدَّد لهـا شَمْلة ... من السعى فى الشرف الخالد
فما هى إلا حياة السَّوام ... تجول من العيش فى نافد(٦)

* * *

وما يرتجى من حياة امرئ ... كأه على سَبْخةٍ راكد(٧)
وليس له فى غصون الحياة ... سوى النفَس النازل الصاعد
يَغُضُّ على الجهل أجفانه ... ويَرْضَى من العيش بالكاسد
فذاك هو الميْت فى قومه ... وإن كان فى المجلس الحاشد

(*) من الجزء الأول .

(١) الراقد : النائم . (٢) النزوع : الميل .

(٣) الصدور عن الأمر : الرجوع عنه . در درك : أى كثر خيرك . وأصل معنى الدر : اللبن

(٤) الحول : هو الشديد الاحتيال .

(٥) أفانينها : أنواعها . والأفانين فى الأصل : الأغصان .

(٦) السوام : الحيوانات السائمة . (٧) السبخة : الأرض ذات النز والملح .

وما المرء إلّا فتًى يغتدى | إلى العلم فى شَرَكٍ صائد
سعى للمعارف فاحتازها | وصاد الأنيسَ مع الآبد[١]
وطالع أوجـــه أقمـارها | بعين بصيرٍ لهـا ناقد
فأبدى الحقائق من طيّها | وألقى القُيود على الشارد
إذا هو أصبح نادَى : البدارَ | وشمّر للسعى عن ساعد
فكان المجلِّيَ فى شأْوه | بعزمٍ يشُق على الحاسد[٢]
وإن بات بات على يَقْظَةٍ | بطَرفٍ لنجم العُلى راصد
وأحدثَ مجدًا طريفاً له | وأَضْرب عن مجده التالد[٣]
وما الحمقُ إلا هو الإتكالُ | على شرَفٍ جاء من والد
فذاك هو الحىُّ حىُّ الفخار | وإن لحدَتْهُ يد اللّاحد

نحن فى بغداد (*)

أيا سائلاً عنَّا ببغدادَ إننا | بها لم فى بغداد أعوزها النَّبْتُ[٤]
علَتْ أُمَّةُ الغرب السماءَ وأشرقتْ | علينا فَظَلْنا ننظر القوم من تحتُ
وهم ركضوا خيلَ المساعى وقد كبا | بنا فرَسٌ عن مِقْنَب السعى مُنْبَتُّ[٥]
فنحن أناس لم نزل فى بَطالة | كأنَّا يهود كلُّ أيامنا سبتُ
خضعنا لحُكام تجور وقد حلا | بأفواهها من مالنا مأكل سُحْتُ[٦]

(١) الآبد : النافر .
(٢) المجلى : السابق الأول فى حلبة الرهان . الشأو : الغاية .
(٣) المجد الطريف : الجديد الحادث . والتالد : القديم الموروث .
(*) من الجزء الأول .
(٤) أعوزها النبت : أى افتقرت إليه .
(٥) ركض فرسه : غمزه برجله ليعدو ويسرع . كبا : عثر . المقنب : جماعة من الخيل تجتمع للغارة . منبت : منقطع .
(٦) السحت : المكسب الحرام .

وكما قامرتنا ساسة الأمر خُدعةً ... فتم علينا بالخداع لها الدسْتُ[١]

لماذا نخاف الموت جُبناً فلم نقم ... إلى الذّب عنا من أمور هى الموتُ[٢]

إذا كنتُ لا ألقى من الموت موئلاً ... فهل نافعى أن خِفته أو تهيَّبتُ[٣]

والموت خير من حياة تشوبها ... شوائب منها الظلم والذل والمقتُ[٤]

رقية الصريع(*)

يا عدلُ طال الإنتظار فعجِّلِ ... يا عدلُ ضاق الصبر عنك فأقبِلِ

يا عدلُ ليس على سواك مُعوَّل ... هلّا عطفت على الصَّريخ المُعْوِل[٥]

كيف القرار على أمور حكومة ... حادت بهنَّ على الطريق الأمثل

فى الملك تفعل فظائع جوْرها ... ما لم تقل ، وتقول ما لم تفعل

ملأت قراطيسَ الزمان كتابةً ... للعدل وهى بحكمها لم تعدِلِ

أضحت مناصبها تباع وتُشْترَى ... فغدت تُفوَّض للغنىِّ الأجْهل

تُعطَى مؤجلةً لمن يبتاعها ... ومتى انقضى الأجلُ المسمى يُعزَل

فيروح يشْرِى ثانيا وبما ارْتشى ... قد عاد من أهل الثراء الأجزل

فيظلّ فى دار الخلافة راشيا ... حتى يعود بمنصب كالأوّل

سوقٌ تباع بها المراتبُ سُميت ... دار الخلافة عند من لم يعقِل

أبت السياسة أن تدوم حكومة ... خُصت برأى مقدَّسٍ لم يُسأَل

مَثَلُ الحكومة تستبدُّ بحكمها ... مَثَلُ البناء على نقا متهيِّل[٦]

---

(١) الدست : صدر البيت ، والخديعة ، والدست أيضا : هو الذى يكون فيه الغلب فى الشطرنج وهذا المعنى أقرب المعانى ليناسب معنى المقامرة .

(٢) الذب : المدافعة . (٣) موئلا : ملجأ .

(٤) تشوبها : تخالطها ، شوائب : أخلاط .

(*) من الجزء الأول .

(٥) الصريخ : المستغيث ، والمعول : الذى يرفع صوته بالبكاء أو الصياح .

(٦) النقا : القطعة من الرمل ، متهيل : متصبب .

يا أمّةً رقــدت فطال رُقادُها ... هبّى وفى أمر الملوك تأملى
أ يكون ظل الله تارك حكمه الـ ... ـمنصوص فى آى الـكتاب المنزل
أم هل يكون خليفة لرسوله ... من حاد عن هَدْى النبىّ المرسَل
كم جاء من مَلِك دهاكِ بجَوره ... ولواكِ عن قصد السبيل الأفضل[١]
يقضى هواه بما يسومُك فى الورى ... خَسْفا و ينقِم منك أن لم تقبَلى[٢]
و يروم صبركِ وهو يسقيك الردى ... و يريد شكرك وهو لم يتفضّل
وقد أستكنْتِ له وأنت مُهانة ... حتى صَبَرتِ لفتكه المستأصل[٣]
بات السعيدَ و بتِّ فيه شقيّةً ... تُستخدمين لغيّه المسترسِل
تلك الحماقة لا حماقةَ مثلُها ... حُمْقا فهل هو من صحيح تعقُّل
إن الحـكومة وهْى جُمهورية ... كَشفتْ عمايةَ قلب كلِّ مُضلّل
سارت إلى نُجح العباد بسيرةٍ ... أبدتْ لهم حُمْق الزمان الأول
فسَمَوا إلى أَوج العلاء ونحن لم ... نبرحْ نسوُج إلى الحضيض الأسفل[٤]
حتى استقلّوا كالـكواكب فوقنا ... تجــلو الظلامَ بنورها المتهلّل[٥]
وعَلَوا بحيث إذا شَخَصنا نحوهم ... من تحتِهم ضحكوا علينا من عَلِ
لبِسوا ثياب فَخارِهم مَوْشيّة ... بالعز وهْىَ من الطراز الأكمل[٦]
نالوا وصال مُنَى النفوس وإنهـا ... حُرّية العيش الرغيد المُخضَل[٧]
حتى أُقيم مجسَّما تمثالُها ... بين الشعوب على بنـاء هَيْكل[٨]
تمثـال ناعمــة الشمائل وجهُها ... تزداد نورا منه عينُ المجتـلى[٩]

---

(١) لواك : صرفك . قصد السبيل : أى السبيل المستقيمة .

(٢) سامه الخسف : أى أذله . (٣) استكنت له : أى خضعت .

(٤) نسوخ . نغوص . وهى هنا بمعنى : نهوى ؛ ولذا عداها بإلى .

(٥) استقلوا : ارتفعوا . (٦) موشية : محسنة مزينة .

(٧) منى جمع منية : وهى مايتمناه الانسان . المخضل : الندى . مأخوذ من اخضل الشىء بمعنى ابتل .

(٨) الهيكل : البناء المرتفع . (٩) اجتلى الشىء : نظر إليه .

أفبعد هذا يا سَراةَ مَواطنى ... نرضَى ونقنع بالمعاش الأرذل

الغوثَ من هذا الجمود فإنه ... تالله أهونُ منه صُمُّ الجندل[١]

قد أبحرت شمُّ الجبال وأجبلت ... لُجج البحار ونحن لم نتبدَّل[٢]

ما ضرَّكم لو تسمعون لناصحٍ ... لم يأت من نسج الكلام بهلهل[٣]

حتّامَ نبقَى لُعبــة لحكومةٍ ... دامت تجرّعنا نَقيع الحنظل

تنحو بنا طرق البَوار تحيُّفا ... وتسومنا سوءَ العذاب الأهول[٤]

هــذا ونحن مُجَدَّلون تُجاهها ... كالفأر مرتعِداً تُجاه الخَيطَل[٥]

ما بالُنا منها نخاف القتل إن ... قُمنا أما سنموت إن لم نُقتَل ؟

يا عاذلا فيما نَفَثْتُ من الرُّقَى ... وعزمت فيه على الصريع المهمَل[٦]

أنظر لصَرْعة من رَقَّيت وطولها ... فإذا نظرت فعند ذلك فاعذُل[٧]

مثنيات شعرية[*]

أشرُّ فعلِ البرايا فعلُ منتحرٍ ... وأفحش القول منهم قول مفتخرِ

إن التمدح من عُجْبٍ ومن أشَرٍ ... والمرءُ فى العُجْب ممقوت وفى الأشَرَ[٨]

✡ ✡ ✡

يا راجى الأمر لم يطلب له سببا ... كيف الرماية عن قوس بلا وَتَر

ليس التسبُّب من عجز ولا خوَرٍ ... وإنما العجز تفويض إلى القدَر[٩]

✡ ✡ ✡

(١) الجندل : الحجارة ، مفردها جندلة .

(٢) أبحرت : صارت بحرا . شم الجبال : أعاليها . أجبلت : صارت جبلا .

(٣) الهلهل : الثوب الردىء النسج . (٤) البوار : الهلاك . تحيفا : تظلما .

(٥) مجدلون : مطروحون أرضا . الخيطل : السنور ، ويطلق على الكلاب أيضا .

(٦) الرقى : جمع رقية . وهى العودة التى يتحفظ بها . نفث الراقى فى العقدة عند الرقية : أى بزق بزاقا يسيرا . الصريع : من أصابه الصرع . (٧) اعذل : لم .

(*) من الجزء الأول . (٨) الأشر : البطر .

(٩) التسبب : طلب الأسباب . الخور : الضعف والفتور .

دع الأناسىَّ وانسبنى لغيرهمِ إن شئتَ للشاء أو إن شئت للبقرَ [١]
فإن للبشر الراقى بخلقته مَن قد أنفت به أنى من البَشَر

* * *

أَلْبِس حياتَك أحوال المحيط وكُنْ كالماءِ يَلْبس ما للظروف من جُدُر
و إن أبيت فلا تجزَع وأنت بها عارٍ من الأُنس أو كاسٍ من الضجر

* * *

إن رمت عزًّا على فقر تكابده فاستغن عن مال أهل البذخ والبطر
فانما النفس ما لم تنأ عن طمع فريسةٌ بين ناب الذل والظفر

* * *

إذا نظرتَ إلى الجزئىّ تُصلحهُ فارقبه من مَرقب الكُلّىّ فى النظر
فإن نفعك شخصاً واحداً ربما يكون منه عموم الناس فى الضرر

* * *

قد يقبُح الشىء وضعاً وهو من حسن كالنعش يُدْهِش مَرْأى وهو من شجر
فالقبح كالحسن فى حكم النُّهى عرَضٌ وليس يثبت إلّا عند معتبر [٢]

* * *

لا تعجبنَّ لذى عقل يروح به ليُنتج الشرُّ خيرًا غير مُنتظَر
فإنما لَمعات الخــير كامنة بين الشرور كَون النار فى الحجر

* * *

سبحان من أوجد الأشياء واحدة وإنما كثرة الأشياء بالصُّوَر [٣]

(١) الأناسى : البشر . الشاء : جمع شاة .

(٢) النهى : العقل . يقول : إن الحسن والقبح أمران عرضيان أو اعتباريان ، فقد يستحسن شخص مايستقبحه الآخر ، وقد يحسن الشىء فى موضع ، ويستقبح فى موضع آخر ، والعكس بالعكس .

(٣) يظهر أن الشاعر قائل بوحدة الوجود ، غير أنه يميل الى وحدة الوجود الحادث ، دون الوجود المطلق ، والقائل بالرأى الأخير هم الفلاسفة القدماء والصوفية ، وما قال به شاعرنا معقول ، وأقوال الآخرين غير معقولة .

هَبْ منشأَ القوم يبقى مبهماً أبدا فهل ترى فيه عقلًا غيرَ مُنبهِرِ

* * *

الحب والبغضُ لا تأمن خِداعهما فكم هما أخذا قوما على غُرَرِ (١)
فالبغض يبدى كدورا فى الصفاء كما أن المحبة تبدِى الصفو فى الكدر

* * *

وأشنع الكذب عندى ما يمازجه شىء من الصدق تمويها على الفكر
فإن إبطال هذا فى النُّهى عَسِرٌ وليس إبطال مَحْض الكِذب بالعَسِر

* * *

قالوا عشقتَ مَعِيبَ الحسن قلت لهم كُفُّوا الملامَ فما قلبى بمنزجِرِ
ما العشق إلَّا العمى عن عيب مَنْ عشِقَتْ
هذى القلوبُ ولا أعنِى عَمى البصر

* * *

قالوا أَبِنْ مَنْ أنت ياهذا فقلت لهم أبى امرؤٌ جَدُّه الأعلى أبو البشر
قالوا فهل نال مجداً قلت واعجبى أتسألونى بمجدٍ ليس من ثمرى !

* * *

لا دَرَّ درُّ قصيدٍ راح ينظمه من ليس يعرف معنى الدَّرّ والدُّرَرِ (٢)
يبكى الشعورُ لشعر ظل ينقدُه من لا يفرق بين الشِّعر والشَّعَر

* * *

قالت « نَوار » وقد أنشدتها سَحَراً ممن تعلمت نَفْثَ السِّحر فى السَّحَر
فقلت من سحر عينيك الذى سُحِرت به المشاعر من سمع ومن بصر

---

(١) غرر جمع غرة ، بالكسر : وهى الغفلة .
(٢) الدر ، بفتح الدال : هو اللبن .

إلى المتقاعـــدين

من ضباط الجيش

عقل ، وتجربة ، وجدٌّ زائدُ هذى صفات حازها المتقاعدُ

جعلوا التقاعد للجنود كرامة كى يستريح من الجهاد مجاهد

ليس التقاعد للرجال بطالةً إن البطالة للرجال مفاسد

لكنه عمل جديد نافع عما تقوم به الحكومة حائد

بالسعى تزدهر الحياة وإنما لون الحياة بغير سعى كامد

إن الحيــاة ليقْظَةٌ فعَّالة فالراقد الكسلان فيها بائد

لن تبلغ العلياءَ فى ساحاتها هِممٌ مثبَّطةٌ وعزمٌ راقـــد

أنظر تجد شُعَب الحياة كثيرة فيها من السعى الحثيث مَشاهد

فكأن أشغال الحياة مَراجل والسعى نار والبلاد مواقد

يأيها المتقاعدون ألا اتقــوا نقداً يصول به عليكم ناقد

علمت تجاربكم وأيقن رأيكم أن الحياة تعاوُن وتعاضُد

فاستمسكوا بعُرا المودة بينكم كيلا يكون تباغض وتحاسد

كونوا جميعا فى الحياة كأنكم رجل إذا دهت الدواهى واحد

فى الحربِ طاب لكم جِلادٌ فلتطِبْ فى السلم أعمال لكم ومقاصد

تركت أكفكُم السيوف وعندها منكم أشدُّ من السيوف سواعد

كل الحياة معارك لكنما فيها سلاح المرءِ جُهدٌ جاهد

ولربما كانت سلاحا نافذا عند اللئام دسائس ومكايد

فأتوا من الأعمال ما هو صالح للناس فيه مصالح وفوائد

وتتبعوا سُبُل الحياة ولا يكن منكم إلى غير المكارم قاصد

وتصرّفوا فى أمرها بمهارة وذروا السيوف فإنهن جوامد

ما عاب من سَلّ المهند أنه للسيف من بعد التجالد غامد

دار تربية الطفل

أيُّ قُدْسٍ يضمّ هــذا البناء   حَسدتْ أرضَه عليــه السماء
إن يكن فوق هذه الأرض شيْء   فيه قُدْسِية فهـــذا البناء
هو من هذه البَنيّات لــكن   شَرُفت بالمقاصـــد الأشياء
كلما قد رأيتــه تتجلّى   لى من تحت أسّــه العلياء
هو بكر فى ذى البلاد وللأطـــفال   فيه حماية عَذراء
لم نــكن قبل ذا نفــكر فيما   فــكَّرت فيه قبلنــا الرُّحَماء
كان للبؤس فى المواطن لَفْح   من سَموم تَذْوى به الرُّضعاء
رُبّ طفل أودتْ به قِلة الدَّر   على أنْ أمه ثَدْياء
أمّه من أبيه آمتْ فأمست   ينهك البؤسُ جسمها والشقاء
فحـكى شخصها الخيالَة إذ لا   حَ ذبول بجسمها وارتخاء
فهْو إن لم يَعش فموت مُريحٌ   وهو إن عاش عاش فيه الداء
هكذا كانت المواليد تحيا   ولها من حياتهـــا إفناء
ومن اللؤم أن ترى عندنا الأطـــفال   تفَنى لأنهم فقراء
لا غــذاء فى جوفهم لا كساء   لا وِطاء من تحتهم لا غِطاء
إنهم غير مُعْربين ومن حســـن السجايا أن تُرحَم العَجْماء
عَلَّ من لو يعيش منهم لأضحى   فيـــه للناس مأمل ورجاء
رب من مات منهمُ مات معه   شرف باذخ لنــا وعلاء
ليس موت الأطفال هَيْنا فقد يَنْــبُغ منهم   نوابغ أذكياء
إنما همْ كمثل أصداف بحر   لستَ تدرى: دُرٌّ بها أم خَلاء
ولعل الطفل الذى مات منهم   مات عَقل بموته ودهاء
شأن هذا البناء شأن عظيم   لم تطاولْه فى العُلَى الجوزاء
كلما قد رأيتهُ لمعتْ لى   فيه من تحت أسّــه العَلياء

ولقد دَلَّ أن من شيدوه سـادة فى طبـاعهم كرماء
شكر الله سعيهم من رجال بلغوا من فخارهم ما شاءوا
سوف يبقى لهم على الدهر ذكرٌ فيه حمـــد لهم وفيه ثناء

شكواى من الدهر

أرى الدهرَ لا يألو بستر الحقائق إذا افترَّ هن صُبح تلاه بغاسق
يجرِّر أذيالَ الخطوب بطُرْقها ليعفو منها ما بها من سلائق
ولو لم يجئنا كلَّ يوم مُواربًا لما كان فجرٌ كاذب قبل صادق
كأن ليالى الدَّهر غَضْبَى على الورَى فتنظرُ شَزْرًا بالنجوم الشَّوارق
وما طلعتْ كىْ تَهْدِىَ القومَ شمسُه ولـكنْ لتُصْليهمْ جحيمَ الْودائق
وكَمْ مُدَّعٍ فضـلَ التمـدّن ماله من الفضل إلا أكْله بالملاعِق
وكم عاقلٍ قد عُدَّ فى الناس أحمقا وما هو لو يُبْـلَى سوى متحامق
وربَّ ذكىّ لم يكن من ذكائه سِوى ما رَوَوْه من ذكاء اللَّقالق
وقد تُعْرِضُ الأسماع عن ذى فصاحةَ وتُصْغِى إلى ذى اللُّـكْنة المتشادِق
ومن شِيمِ الأيام فى الناس أنها تجور عليهم باقتطاع العلائق
وألطف جَوْر الدهر جَوْرٌ يُرَى به تذلُّلُ مَعْشوق وذِلَّة عاشق
وما كان كِذْبُ القوم فى القول وَحْدَهُ ولـكنَّه فى كُتْبِهم والمَهارق
وأقبح مَيْنٍ فى الزمان خُرافة تخُطُّ بها طِرْسا يراعة نامق
ضلال على مر الجديدين لم تزل مغاربنا من أمره كالمشارق

* * *

فعَدِّ عن الأيام إذ لم تجدْ بها سوى لَغَطٍ يُزْرِى بفصْل المناطق
نفضت من الدنيا يدَىَّ لأننى تعرَّفت منها ما بها من خلائق

فما أنا وقّاف بها عند منزل ... ولا أنا باكٍ من حبيب مفارق
ولا عذبتنى فى العُذَيْب صبابة ... ولا شاقنى بَرْق لربع ببارق
تعشقت منها حسن كل حقيقة
وأعرضت عن حسن الحِسان الغرانق
ولى عند إخوان الصفا أريحيّة ... إلى كلِّ خِلٍّ فى الزمان موافق
إذا ماعقدنا مجلس الأنس بالطِّلا ... فبينى و بين السُّكر خمس دقائق
أقوم إلى كُبرى الزُّجاجات مُدهِقا ... بمستقطَر من خالص التمر رائق
فأقرع بالكأس الروية جَبْهتى ... بشربٍ كما عَبَّ القَطَا متلاحق
أسابق نُدْمانى إلى السكر طائرا ... بجنحٍ من الأنس المضاعف خافق
فنادمت أصحابى على غير حشْمة ... وقلتْ لهم ما قلت غير مُنافق
وأغنيتهم عن نُقلهم فى شرابهم ... بمَزٍّ طَرِيٍّ من نقول الحقائق
ولم يُبْدِ ثِيّ السكر عند اشتداده ... سوى شكر خِلّى أو سِوى حمد خالقى
تعودتُ سَبْقِى فى الفخار فلم أرد ... من السكر أن أحظى به غيرَ سابق
كما اعتادَ سبقاً فى المكارم خَزْعلٌ ... بلا سابق فيها عليه ولاحق
أمير نَمَتْه للمكارم والعلَى ... جَحاجح من كَعْب كِرام المَعارق
كذلك أعلَى اللهُ فى الناس كعبهُ ... بحظ من المجد المؤثَّل فائق
إذا سار سار المجدُ فى طىّ بُرْدِه ... يرافقه أكرمْ مِنْ مُرافق
فيرحلُ من أنسابه فى مواكبٍ ... وينزلُ من إحسابه فى سُرادق
وإن جاء أغضىء من رآه تهيّبا ... سِوَى نظرٍ منهم بعينىْ مسارق
جوادٌ إذا استمطرتَه جاد كفُّه ... بأغزر من وبْل الغيوم الدوافق
أحاطتْ به من كل صوبٍ حدائق ... كوجهك حُسْناً فى العيون الروامق
وفاحتْ به للناشقين أزاهرٌ ... كأخلاقك الغَرّاء طيبا لناشق
وزان الخليجُ الفارسىُّ بناءَه ... فكان كعِقْدَ لبَة عاتِق

أناف على أعلى السحاب معارضا — بجودك للعافين جودَ البوارق

حَوَى منك قَرْمًا بأسه ضامن له — بذلَّ أعاديه وعزّ الأصادق

فلا غَرْو أن ينْتابه كلّ خائف — فيأمنَ من وقع الخطوب الطوارق

ويرجع عنه من يوافيك راجلا — على لاحق الآطال من نَسل لاحق

فِدًى كلُّ قصرٍ فى العراق ومن حوى — لقصرٍ زها منكم بحامى الحقائق

هنيئاً لك العيد الذى أنت مثله — لدى الناس عيدٌ غير أن لم تفارِق

أبا الأمراء الصِّيد جئتك شاكيا — إليك جِنايات الزمان المماذق

أجرنى رعاك الله منها فإنهـــا — رمتْ كل عظمٍ فىَّ منها بعارق

أترضَى وإنى صقر بغدادَ أننى — تَقَدَّمنى فيها فِراخ العَقاعق

لئن أنكروا حقِّى فسوف تحقُّه — شواهدُ أقلامى بكفى نوامق

أصوغ بها حُرَّ الكلام لجزعلٍ — مديحا كسمط اللؤلؤ المتناسق

خزانة الاوقاف

للمسلمينَ على نُزُورة وَفْرهمْ — كنز يَفيض غِنًى من الأوقاف

كنزٌ لو استشفَوْا به من دائهم — لتوجَّروا منه الدواء الشــــافى

ولو ابتغَوْا للنشْء فيه ثقافة — لتثقفوا منــه بخير ثِقاف

ولو ارتقَوْا بجناحه فى عصرهم — لأطارهم بقــــوادم وخوافى

لكنهم قد أهملوه وأعملوا — فى جانبيه عوامل الإتلاف

فإذا نظرت رأيت ثمة أرضه — تجرى الرياح بهـا وهن سوافى

قد تابعوا الموتى عليه وما وَقَوْا — أهل الحياة به من الإجحاف

وقفوا به عند الشروط لواقفٍ — وتغافلوا عن حكمة الإيقاف

تركوا له فى العصر نفعاً ظاهرًا — وتعاملوا فيــــــه بنفع خافى

لم يستجدوا فيه شيئاً واكتفَوا — فى كل حال منه بالسَّفساف

قل للذين تقيَّدوا بشروطه ... ماذا التوقفُ عند رسم عافِ
غرسوه غرساً مثمراً لكن جرت ... غِيَر الزمان فعاد كالصَّفصاف
هل بين شرط الواقفين و بين ما ... نفَع العمومَ تناقض وتنافى
أتريد أن يقفوا الزمان أمورنا ... وأمورنا هى الزمان قوافى
الأرض مسجدنا ففيم مساجد ... أمست تعدّ اليوم بالآلاف
كان الصلاة بمسجد و بغيره ... فى الحكم واحدةً لدى الأسلاف
هلّا جُعلْنَ مدارسا فياضة ... من كل علم بالزلال الصافى
ينتابها أبناؤكم كى يأخذوا ... من كل فن بالنصيب الوافى
فيَفيض فيض العلم حتى يرتوى ... منه بنو الأمصار والأرياف
إن لم يكن شرف البلاد محصَّنًا ... بالعلم كان مهدَّدَ الأطراف
وإذا النفوس تسافلت من جهلها ... لم يُعلِها شَمَم على الآناف
هذى الخِزانة أُنشئت فبناؤها ... للأمر فيه تدارك وتلافى
يظن ذو عقل بأن بناءها ... أمر لشرط الواقفين منافى
تالله ليس بمنكِر تشييدها ... إلا امرؤ خال من الإنصاف
أحيُوا بها عصرَ العلوم لدولة ... خلفاؤها من آل عبد مناف
عصر الرشيد أبى الخلائف إذ غدت ... بغدادُ رافلةً بمجد ضـــافى
فى عهد فيصلنا المعظم أُنشئت ... عَلَمًا يشير لأشرف الأهداف
فإذا هتفتُ بحمده وبشكره ... ردّ الصدَى بنيانُها لهُتافى
ناديت طلاب العلوم مؤرخا ... حُجُّوا بناء خزانة الأوقاف

التعصب الوطنى للأدب

مِن جَوْرِ مصر عن العُروبة أَنَّها ... تتعمَّدُ التَّمصيرَ فى آدابها

وتَحيد عن آداب كلِّ قَبيلة ... لم تنتحلْها مصرُ فى أنسابها[1]

فترى بمصر تعصُّبا لأديبها ... متوالىَ النَّزَغاتِ فى أعصابها[2]

فاذكر أولى الأداب من غير الأُلى ... فى مصر يغضب منك أهل جَنابها

وأشِد بمن فى غير مصرَ منوِّهاً ... ما إن ترى فيها لقولك آبِها[3]

تَحْفَى بمنشدها القريب وتدعى ... أن لن يكون له البعيد مشابها

فالشاعر المصرىّ فيها فاضل ... وسواه مفضول وإن يكُ نابها

وكأنما أمستْ مواهب ربنا ... مقصورة فيها على كُتّابها

هذا لعمر الله جَوْرٌ عَدَّهُ ... من فَرْط ضَلتها أولوا ألبابها[4]

آداب كل مَعاشر كعلومهم ... جَلت عن الأَوْطان فى استنسابها

للعلم والآداب فى كل الورى ... دارٌ محرّمةٌ إجافةُ بابها[5]

من أين كانت مصرُ فى أقباطها ... كمواطن الأعراب فى إعرابها

أبت العروبةُ أن يفوق هَزارَها ... صُرَدٌ زَقى فى مصر زَقْى غرابها[6]

عتاب وولاء

أُقيم راية تحميدى وشكرانى ... للشاعر الصادق الاحساس نعمان

أقيمها رمز تعظيم على نشز ... من القريض رفيع ليس بالدانى

للشهم ذى الأدب الزاكى بمحتده ... فرع الذوّابة من علياء عدنان

---

(١) تحيد : تميل . وتنتحلها : تدعيها .

(٢) النزغات : جمع نزغة ، وهى الميل مع الهوى .

(٣) نوهت بفلان : أشدت بذكره وأبه فلان بفلان : فطن له ، واحتفى به .

(٤) ضلتها : ضلالها . (٥) إجافة الباب : إغلاقه .

(٦) الصرد : طائر . وزقى : صاح وصوت .

من جاءنى بقواف جد زاهية ... كمثل أزهار روض ذات ألوان

قد زانهن بوشى من بدائعه ... حتى اتسقن بأنغام وأوزان

لما شدون بموسيقى براعته ... مازجن فى الشدو ألحانا بألحان

ينوط بالسمع من ألفاظها دررا ... ويزدهيك من المعنى بأفنان

لقد فعلن بنفسى حين أنشدها ... ما يفعل الماء فى أحشاء ظمآن

فقلت والنفس تطفو فى مسرتها ... حينا وترسب أحيانا بأحزان

يا شاعراً تطرب الدنيا نشائده ... كيف ابتدعت نشيداً هاج أشجانى

أنشدتنيه رقى تحكى بروعتها ... حسن الفرائد فى أسلاك عقيان

شعر يفيض شعوراً قد نكأت به ... قرحا بقلبى قديما كان أدمانى

إن كان بالشجن الماضى يذكرنى ... فإنه عن شجون اليوم سلانى

هذا لعمرك شعر قد سررت به ... وإن يكن هاج بى شجواً فأبكانى

* * *

إليك أرسل يا نعمان قافيــة ... تنبيك عن شغفى فى حب أوطانى

أشربت حب بلاد ما نشأت بها ... إلا لأدفع عنها كل عدوان

أخلصت حبى لها حتى نسيت به ... نفسى وأهلى وأحبابى وخلانى

يا موطنا لست منــه فى موادعة ... عش بعد موتى عيش الوداع الهانى

فكل من فيك تغنينى سعادتهم ... وكل أبنائك الأعداء إخوانى

إن سرك الدهر يوما سرنى وإذا ... آذاك بالمزعجات الدهر آذانى

ما ضرنى أن كل الناس تحقرنى ... إن كنت أنت جليل القدر والشان

وليس ينفعنى عز ولا شرف ... إن لم تكن أنت ذا عز وسلطان

لو ملكونيك عن قهر بلا ثقة ... ما كنت غير ظلوم فيك خوان

آليت منذ بلغت الحلم فى وطنى ... أن لا أقابل نعماه بكفران

وأن أكون له عونا أو آزره بالنصر أول أنصار وأعوان.

إنى وإن لم أوفق فى تحرره بنيت للمجد فيه خير بنيان

لولا التعاون بين الناس ماشرفت نفس ولا ازدهرت أرض بعمران

لولا التعادى الذى تشقى الوحوش به ما كان أفضل منها كل إنسان

يا قوم إنى من الدنيا ضحيتكم فقربوا من حياتى كل قربان

واستنصروا الله وادعوه لينقذكم مما بكم حل من هون وخسران

لا تحسبونى منكم جازعا ضجرا وإن يكن شظفى فى العيش أصوانى

إنى ألفت على الأيام مخصمتى فالنعم والبؤس عندى اليوم سيان

تختار نفسى الطوى بالعز قانعة وتترك القصف فى ذل لمبطان

أعيش عيشة (غندى) وهو ذو جدة فى الهند يمشى وئيدا شبه عريان

العز أعظم للإنسـان من شبع والذل أقتل من جوع لجوعان

فالذل يقتل نفسا منه باقية والجوع يقتل منه جسمه ألفانى

وما الطعـام بمأكول للذته وإنما هو تقـويم لأبدان

وفى القفـار غنى للمستقيت به عن المطاعم تخليطا بألوان

وكل ما يملك الإنسان عارية يزول عنه ولو من بعـــد أحيان

وأن ذكر الفتى بعد الممات بما يحيى الثناء عليه عمره الثانى

° ° °

يا لاهجين بشتمى فى مجالسهم ناموا على الأمن فى أحضان غفرانى

لولا ترفع نفسى فى سفاهتكم أحرقتم من لظى هجوى بنيران

جادلتمونى فما أحسنتموا جدلى حتى بذيتم بذاء الماجن الخانى

وخضتم الباطل المبـدى بنعرته شتى الأقاويل من زور وبهتان

ومن عناء الليـالى أن يجادلنى من ليس يقرع بالبرهان برهانى.

بل يتركُ القول من عجز ومن خور ... إلى التقول عن زهو وطغيان
تأبى المروءة إلا أن أخالفكم ... فالغش ديدانكم والنصح ديدانى
وأن لى فى إبائى كل شائنة ... عزما يؤيده بالله إيمانى
ولا أريد قصاصا من شتائمكم ... بل أتبع العفو عنها بعض إحسان
تلكم سجية حر النفس يذكرها ... عنى الأخلاء من شيب وشبان
يا منتمين إلى عرب وهم عجم ... من كل أحمر هيان بن بيان
سمج الملامح فى عثنونه صهب ... مستعجم القول جافى الطبع مرطان
كيف استويتم صقورا فى مجاثمكم ... ولستمو فى السجايا غير غربان
وما بكم غير فرد فى جبلته ... وأن يكن جاء فى مسلاخ إنسان
إذا تسميتمو عربا فلا عجب ... فى أن يسمى ابن آوى باسم سرحان
تستنثرون صغاراً فى معاطسكم ... وتشمخون إلى آفاق كيوان
ورب مستكبر منكم تتلتله ... أيدى الأجانب تل الجارم الجانى
فيستكين لهم حتى يكلمهم ... فى رعدة بلسان الخائف العانى
كم تظهرون عفافا فى تدينكم ... وتضمرون ضمير الفاجر الزانى
لو كان فى الجن شىء من خباثتكم ... لعاذ بالله منها كل شيطان
هذى قواف دعانى أن أبوح بها ... شعر أتى من زكى النفس نعمان
ذاك الأديب الذى باهى بسيرته ... كل الكواكب من قاص ومن دان
وباهرت فى مساعيه مكارمه ... أهل المكارم من أبناء عدنان
أكرم به يافعا شرخ الشباب به ... ريان من شرف بالمجد مزدان

مناجاة وشكوى

أقول لربِّ الشعر مُهْدِي الجواهرِ … إلى كم تناغي بالقوافي السواحرِ
فترسلها غُرًّا هواتفَ بالعُــلَى … يُزَوَّدُ منها سمعَهُ كلُّ شاعرِ
وتشدو بها والقومُ صُمٌّ عن العُلَى … فلم تَلْقَ إلَّا غــير وَاعٍ وذاكرِ
أترجو من الحسَّاد عونا وناصراً … فتدعوَ منهم خاذلًا غير ناصرِ
كأنك لم تبصرْ سوادَ قلوبهمْ … فهل أنت مغرور ببيض المَسَافِرِ
رُوَيْدَكَ إن القومَ ليسوا كما ترى … لدى كل ذى علم بمــا فى السرائرِ
فلا تغــترر منهم بباد فإنمــا … ظواهرهم منقوضــــــة بالضمائرِ
رمتهم يد الأيام من جَشَعٍ بهمْ … ومن بطَرٍ فيهم بداء الضرائرِ
بداءين قتَّالين حُمَّت نفوسُهُمْ … فسادِ السجايا وانمساخ العناصرِ
وقد فرَّقَتْ أهواءُهُمْ فى بلادهم … أنانية حَلَّتْ عقود الأواصرِ
لذاكَ ترى كُلًّا يعيش لنفسه … على عكس عيْش عند أهل الحواضرِ
إذا جئتهم أبدوا إليك بشاشــةً … وحسنَ ابتسام من ثغورٍ مَوَاكرِ
وإن غِبتَ عنهم أوسعوكَ مَذَمَّةً … كأنْ لَمْ يَبُثُّوا منك قِيلا لزائرِ
وقد ينــكرن العارَ فيهم تجاهلا … فَيَلْقَوْنَهُــم بالمنظَرِ المتخازِرِ
فدَعْهُمْ وما هم فيه من جاهليةٍ … يَدِجُّون منها فى الدَّياجى الكوافرِ
فسوف تراهم من تمادِى ضلالهم … يعودون فى العُقْبَى بصفقة خاسرِ
ونَزِّهْ بليغ الشــعر عنهم بتركه … لــكل كذوب بينهم متشــاعرِ
سكبتُ بحورَ الشعر قبلك خائضًا … لعمرُكَ منهــا كلَّ طامٍ وزاخرِ
وسَيَّرتُ من غُرِّ القوافى بلُجِّها … قصائدَ سارت كالسفين المواخرِ
بكيت بهــا المجدَ المضاعَ بأدمع … من الشــعر شرْوَى اللؤلؤ المتناثرِ

ونحت على الماضى الذى كان زاهرًا ... مَناحة رَبَّات الحِجال الحرائر
فلم آلفِ إلَّا مُنكرين مكانتى ... يَحيدون عنِّى كالوحوش النوافر
وكما راعنى منهم تماسيحُ خِسَّةٍ ... تريد ازدرادى بالحلوق الفواغر
فقابلتُهمْ بالصفح عنهم ترفعا ... وأعرضت عن شتم السَّفيه المُهاتِر
أنا اليومَ من هذى الحياة على شَفًا ... أشارف منه مَرْقَدِى فى المقابر
سأرحل عنهم عائذا من شرورهم ... برب كريم قابلِ التوب غافر

فى حفلة الميلاد النبوى

وضح الحق واستقام السبيل ... بعظيم هو النبى الرسول
قام يدعو إلى الهدى بكتاب ... عربى قرآنه ترتيل
طالبا من المجد غاية قصوى ... صده عن بلوغها مستحيل
ووصولا إلى مقام رفيع ... عز من قبله إليه الوصول
همة دونها الكواكب نورا ... واعتلاء يعلو به ويطول

* * *

جرد الله منه للحق سيفا ... كان ضدين حده والفلول
فيه عزم المهلكات قحوم ... واصطبار للنائبات حمول
ودهاء لو ما كرته دواهى ... الدهر طرا لاغتالها منه غول
تدلهم الخطوب والرأى منه ... فى دجاها كأنه قنديل
كل أوصافه الجليلة بدع ... فهو من عبقرية مجبول

* * *

أطلق الناس من تقاليد جهل ... كل فرد منهم بها مغلول

وشفاهم بهديه من ضلال ... كل فرد منهم به معلول

أنهض القوم للعلاء وكانت ... فى دنى القوم رقدة وخمول

فاستقالت به على الدهر يقضى ... همم يعربيـة وعقـول

تلك فى الدين نهضة هى ... للعقل انتباه وللهدى تأثيل

نهضـة عالميـة فى وغاها ... من أمام البعير فر الفيـل

هى كالبرق سرعة والتماعا ... كل أفق بفضلها مشمول

خضعت فارس لها عن صغار ... وتداعى إيوانهـا المستطيل

وإلى اليوم قائم فى الهند منها ... أثر مثل طودها لا يزول

يعرف النيل فضلها وعلاها ... من قديم ويشهد الدردنيل

وبها الأرض والسموات ترضى ... وتقر التوراة والإنجيـل

• • •

غير أنا عن نهجها اليوم حدنا ... واستحلنا وكل حال تحول

حيث عدنا وفى النهوض قعود ... ورجعنا وفى الصعود نزول

واختلفنا فى الدين حتى افترقنا ... فرقا لا يسيغها المعقول

والتزمنا الفروع منه فضاعت ... بالتزام الفروع منه الأصول

كل حزب بمـا لديه فخور ... ولمن هم يخالفوه خـذول

بدع فى حياتنا منكرات ... غضب الله فوقها مسـدول

• • •

حالة ساءت الرسول وساءت ... كل آى بهـا أتانا الرسول

لو رآنا والشر فينا كثير ... مستفيض والخير نزر قليل

وثغور الضـلال مبتسمات ... ووجوه الهدى عليها محول

والدعاوى فى الحق منا كبار ... طال فيها التزمير والتطبيل

نعبـــد الله والعبادة لحن ‏   عند بعض وعند بعض عويل

ونحج القبور كالبيت حجا ‏   يكثر المسح فيـه والتقبيل

ونعـد الركوع للقـبر حلا ‏   وهو فى الدين ما له تحليل

ونزجى إلى القبور نذورا ‏   فضحايا مسوقة وحمول

ونقول التوحيد قولا وكل ‏   هو للشرك عامد وفعول

قال مستنكراً لما نحن فيه : ‏   ما بهذا قد جاءنى جبريل

أين دين التوحيد منكم وأين ‏   الأوب لله وحده والقفول

أنا حرمت كل ما كان فيه ‏   شبه للأصـنام أو تمثيـل

كل من قال منكم إن هذا ‏   هو دين الإسلام فهو جهول

لِمَ لَمْ تحفظون إخوة دين ‏   جاءكم ناطقاً به التـنزيل

كان حبل الإخاء فيكم وثيقاً ‏   كيف أمسى وعقـده محلول

لست منكم بيائس بل نهوض ‏   منكم بعـد فترة مأمول

فاجمعوا الشمل ناهضين فإن ‏   الكفر فى الدين عجزكم والخمول

إلى العمال

كل ما فى البلاد من أموال ‏   ليس إلا نتيجة الأعمال

إن يطب فى حياتنا الاجتماعيـ ‏   ـة عيش فالفضل للعمال

وإذا كان فى البلاد ثراء ‏   فبفضل الإنتاج والابدال

نحن خلق المقـدرات وفيها ‏   لا حياة للعاطل المكسال

عندنا اليوم فى الحياة نظام ‏   قد حوى كل باطل ومحال

حيث يسعى الفقير سعى أجير ‏   لغنى مستأثر بالغـلال

فترى المكثرين فى طيب عيش ‏   أرغدته لهم يد الاقـلال

وترى الغائصين فى البحر أمسى　　لسواهم ما أخرجوا من لآلى
وترى المعسرين فى كل أرض　　كعبيد والموسرين موالى
أكثر الناس يكدحون لقوم　　قعدوا فى قصورهم والعلالى
واحد فى النعيم يلهو وألف　　فى شقاء وأبؤس واعتلال
حالة فى معاشنا أسلكتنا　　طرقات الخاتل المحتال
فترانا بعضا لبعض لبسنا　　من خياناتنا مسوح الثعال
تلك عاد مستهجنات ورثناها　　قديما من العصور الخوالى
فإلى كم نشقى وحتى م نبقى　　هكذا فى عماية وضلال
إنما الحق مذهب الاشتراكية　　فيما يختص فى الأموال
مذهب قد نحى إليه أبو ذر　　قديما فى غابر الأجيال
ليس فضل الزكاة فى الشرع إلا　　خطوة نحو مبتغاه العالى
مبدأ ذو مقاصد ضامنات　　ما لأهل الحياة من آمال
موصلات إلى السعادة فى العيش　　هواد إلى طريق التعالى
ليس للمرء أن يعيش بلا كد　　وإن كان من عظام الرجال
كل مجد يبنى على غير سعى　　فهو مجد مهدد بالزوال
ليس قدر الفتى من العيش إلا　　قدر إنتاج سعيه المتوالى
ما رءوس الأموال إلا أداة　　للمساعى كالحبل للأحمال
مثل شد الأحمال شد المساعى　　ودنانيرها لها كالحبال
صاح ماذا تجدى الدنانير لولا　　همم الدائبين فى الأشغال
أفتأتى من الطعام بديلا　　أفتغنى عن كسوة ونعال
حاجة المرء أكلة وكساء　　وسوى ذاك بسطة فى الكمال
إن للعيش حومة فى وغاها　　لا تحق الحياة للبطال

إنها مثل حومة الحرب ما دارت رحاها إلا على الأبطال

وسوى الحذق ما بها من سلاح وسوى الكد ما بها من قتال

بطل الحرب مثله بطل السعى ومنه الأعمال مثل الصيال

ونشاط منه ببيض المساعى مثل إشراعه لسل العوالى

أيها العاملون إن اتحاداً بينكم مُرخص لكم كل غال

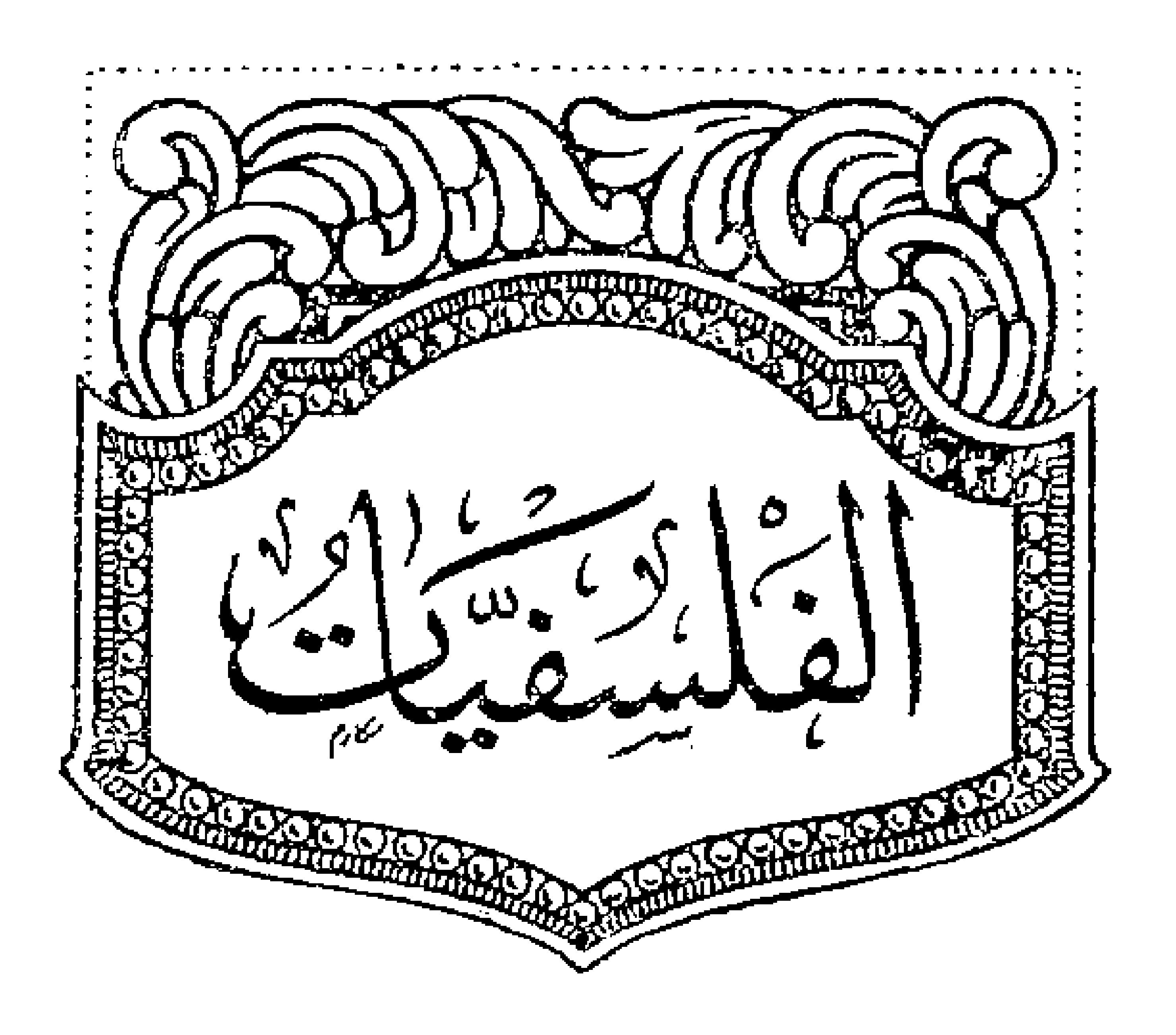
ما لعيش تشقون فيه سقاما بسوى الاتحاد من إبلال

فليكن بعضكم لبعض نصيرا ومعيناً له على كل حال

وإذا قلت أنكم أنتم الناس جميعا فلا أكون مغال

فاعملوا دائبين غير كسالى وارقبوا ما به ستأتى الليالى

ثم قولوا معى مقالا رفيع الصوت فلتحيى زمرة العمال


الفلسفيات

خواطر شاعر

تجاه شاعرية الريحاني

لعمرُكَ ما كلُّ انكسار له جَبْرُ ... ولا كلُّ سرٍّ يُستطاع به الْجَهْرُ

لقد ضَربت كفُّ الحياة على الْحِجا ... سِتارًا فعلم القوم فى كنهها نَزْرُ [١]

فقمنا جميعاً من وراء سِتارها ... تقول بشوق : ما وراءك يا سِتْرُ ؟

حكت سَرْحةً فَنْواء نبصر فرعها ... ولم ندرِ منها ما الأنابيشُ والْجِذْرُ [٢]

وقد قال بعضُ القوم إن حياتنا ... كَلَيْلٍ وإن الفجْر مَطلَعُه القبْرُ

فإن كان هذا القولُ فيها حقيقةً ... فياشَدَّ ما قد شاقنى ذلك الفجْرُ

ورُوح الفتى بعد الردَى إن يكُن لها ... بقاءٌ وحسٌّ فالحياة هى الْخُسْرُ

وإن رَقِيَتْ نحو السماء فحبَّذا ... إذا أصبحتْ مَأْوًى لها الأنجمُ الزهْرُ

* * *

وأعجب شأن فى الحياة شعورُنا ... وأعجب شأن فى الشعور هو الْحِجْرُ [٣]

وللنفس فى أُفق الشعور مخايلٌ ... إذا بَرَقتْ فالفكر فى بَرْقِها قطْرُ

وما كلُّ مشعورٍ به من شئونها ... قديرٌ على إيضاحه الْمَنْطِقُ الحرُّ

ففى النفس ما أعيا العبارة كشفُهُ ... وقصّر عن تبيانه النظمُ والنثر

ومن خاطرات النفس ما لم يقُم به ... بيان ، ولم ينهض بأعبائه الشعر

---

(١) يقول بهذا البيت والذى بعده : إن لنا من حياتنا ستراً مسدولا على عقولنا . فليس لنا من العلم بما وراء ستر الحياة إلا النزر اليسير ، ولكن عندنا شوق كبير إلى معرفة ما وراء الحياة ، حتى إن كلا منا قائم عند الستار وهو يسأل قائلا : ما وراءك يا ستر ؟

(٢) السرحة : الشجرة العظيمة . وفنواء : كثيرة الأفنان ، واسعة الظل . وأنابيش : أصول الشجرة تحت الأرض ، واحدها : أنبوش . وجذر الشجرة : أصلها . يعنى فى البيتين السابقين جهلنا بما بعد الحياة ، أى بمنتهاها ، وبين بهذا البيت جهلنا بما قبلها : أى بمبتداها .

(٣) الحجر ، بكسر فسكون : العقل ، والشعور أعم من العقل ، لأنه علم الشىء علم حس ؛ والعقل جوهر تدرك به النفس الكليات من العلوم الضرورية والنظرية . يقول : إن ما للحياة من الشعور لعجيب ، وإن العقل أعجب شأن من شئون الحياة ، فإنها بما لها من الشعور والعقل أصبحت من المعميات .

ويارُبَّ فكرٍ حاكَ فى صدر ناطق ... فضاق من النطق الفسيح به الصدر
ويارُبَّ معنًى دقَّ حتى تخاوَصَتْ ... إليه من الألفاظ أعينُها الْخُزْرُ (١)
أرى اللفظ معدوداً فكيف أسومه ... كِفاية معنًى فاقه العدّ والحصر (٢)
وأُفْق المعانى فى التصوّر واسع ... يتيه إذا ما طار فى جوه الفكر (٣)
ولولا قصور فى اللُّغا عن مرامنا ... لما كان فى قول المجاز لنا عُذْرُ (٤)
ولست أخصّ الشعر بالكَلِم التى ... تُنَظّم أبياتاً كما تُنظَم الدُّرر
وذاك لأن الشعر أوسع من لُغًا ... يكون على فعل اللسان لها قصر
وما الشعر إلّا كل ما رَنّح الفتى ... كما رنحت أعطافَ شاربها الخمر (٥)
وحرّك فيه ساكنَ الوجْد فاغتدى ... مَهِيجاً كما يَسْتَنُّ فى الْمَرَح الْمُهْر (٦)
فمن نفثات الشعر سجعُ حمامةٍ ... على أيكة يُشْجِى الشوقَ لها هَدْرُ (٧)
ومن شذرات الشعر حومُ فَرَاشة ... على الزَّهر فى روض به ابتسم الزهر
ومن ضحكات الشعر دمعة عاشق ... بها قد شكا الْوصل ما فعل الهجْر

(١) تخاوصت : أى غضت من بصرها شيئاً . يقال : تخاوص : إذا غض من بصره شيئاً ؛ وكذلك يفعل الناظر إلى شىء دقيق . والخزر : جمع خزراء ، وهى العين الصغيرة الضيقة . ومعنى البيت : أن من المعانى ما يدق حتى تقصر عن بيانه الألفاظ .

(٢) أسومه : أى أكلفه . يقول إن الألفاظ متناهية ، والمعانى غير متناهية ، فكيف يحيط المتناهى بغير المتناهى .

الفكر : ترتيب أمور معلومة للتأدى إلى مجهول ، فالفكر نتيجة مترتبة على الشعور والإدراك . يقول : إن الشعور بمنزلة المخايل للنفس . والمخايل : هى السحب المنذرة بالمطر ، فإذا برقت فى النفس مخايلها ، كان قطرها الفكر .

(٤) يقول : إن البلغاء لا عذر لهم فى استعمال المجاز ، إلا كون الألفاظ قاصرة عن أداء المعانى المطلوبة ، فإن قصورها عن أداء المعنى هو الذى يضطرهم إلى الخروج بها عما وضعت له ، لكى يتوصلوا بذلك إلى أداء المعنى المراد .

(٥) معنى هذا البيت والذى بعده أن الشعر لا يختص بالكلام المنظوم ، ولا بالمنثور ؛ بل هو أوسع وأعم من الكلام المؤدى باللسان . ثم بين فى الأبيات التالية معنى الشعر ، فقال : هو كل ما أثر فى المرء ورنحه كما ترنحه الخمر ، وحرك فيه ساكن الوجد ، ثم أخذ يفصل ذلك بقوله : « فمن نفثات الشعر » الخ . . .

(٦) مهيجا : منفعلا ثائر الوجدان . يستن المهر : يعدو . والمهر : ولد الفرس .

(٧) الهدر : صوت الحمام .

ومن لَمَعَات الشعر نظرة غادةٍ ... بنجلاء تسبى القلب فى طرفها فَتْر (١)

ومن جَمَرات الشعر رنّة ثاكل ... مُفجَّعة أودَى بواحدها الدهر

ومن نَفَحات الشعر ترجيعُ مُطرِب ... تعاورَ مَجْرى صوته الخفضُ والنَّبْر (٢)

وإن من الشعر ائتلاقَ كواكب ... بجُنح الدُّجَى باتت يضاحكها البدر (٣)

وإن لريحانيّنا شـــاعرية ... من الشعر فيها يقال هى الشعر

وما الشعر إلّا الروضُ أمّاً أمينُنا ... فريحانة ، والْخُلْق منه هو النَّشْر (٤)

وإن لم يكن شعرى من الشعر لم يكن ... لَعَمْرُ النُّهَى للشعر عند النُّهَى قَدْر (٥)

وجه ابن آدم

لله سرّ فى الأنام مُطَلْسَمُ ... حار الفصيحُ بوصفه والأعجم (٦)

برَأَ ابنَ آدَمَ وهو إن لم تلقَه ... فى الخَلْق أقدمَ فهو فيه مُقَدَّم

وإذا نظرنا فى العجائب نظرةً ... ظهر ابن آدم وهو منها الأعظم

أمّا العجيبُ من ابن آدم فهو ما ... نسق الـكلام به إذا نطق الفم (٧)

والوجه أعجب ما رأيت وإنه ... ليَحار فى سَحْنائه المتوسّم (٨)

هو من طِرَاز الله إلّا أنه ... بسرائر النفس الحديثة مُعلَمَ (٩)

أما الحواجب فهى فيه كواشفٌ ... والعين فيه عن الضّمير تترجم

---

(١) نجلاء : عين واسعة .

(٢) تعاور : تراوح . النبر : رفع الصوت بالـكلام والغناء ونحوهما. (٣) ائتلاق : لمعان .

(٤) النشر : الرائحة الطيبة . (٥) النهى : جمع نهية ، وهى العقل .

(٦) المطلسم ، بصيغة المفعول : من طلسم الساحر إذا كتب الطلاسم ، والمراد بكون السر مطلسما أنه كتب عليه طلسم بألا يصل إليه أحد .

(٧) أى أن العجيب من ابن آدم هو القوة الناطقة التى إذا تـكلم نسق بواسطتها الـكلام .

(٨) السحناء : محركة وكصحراء : الهيئة واللون . والمتوسم : الناظر إليه المتفرس ، الذى يطلب سمته ، أى علامته .

(٩) الطراز : يطلق على الموضع الذى تنسج فيه الثياب الجيدة ، يقال عمل : هذا الثوب فى طراز فلان ، ومن المجاز قولهم الوجه المليح « هو مما عمل فى طراز الله » . والمعلم ، بصيغة المفعول : المجعول له علامة ، والمعنى ظاهر .

ولربَّ خافيةٍ يكتّمها الفتى ... والوجه منه بسرّها يتكلّم
كلٌّ يشير إلى السريرة وجهُهُ ... فكأنه بضميره متلثّم
فالوجه فيه من القرونة مَسْحَةٌ ... للخافيات بها وضوحٌ مبهم (١)
صَرَع النُّهى فالوهم فيه تيقّن ... تحت الملامح واليقين توهّم (٢)
ولربَّ وجه في تبسمه البُكا ... ولربَّ وجهٍ في بكاه تبسّم
والأنفُ في وجه ابن آدم زينة ... فالوجه لولا أنفه متجهّم
كالهُدْب في شُفْر العيون فإنه ... لولاه تَنْشَتر العيون وتسجُم (٣)

* * *

إن الوجوه صحائف مطموسة ... يمحو كتابتها ويثبتها الدم (٤)
بيناك تقرأ حرفها متفهّماً ... يبدو تحرفها فلا تتفهّم
فالعقل فيها عالم متجاهل ... طوراً وطوراً جاهل متعلّم
إني أرى هذي الوجوه نواطقاً ... بالسرّ لكن نطقهن مُجمجَم (٥)
وأرى لحاظ عيونها متحدّثاً ... عنها ولكنّ الحديث مرجّم
فكأنني البدويّ يسمع راطناً ... وكأنما هي أعجمىّ طِمْطِم (٦)

* * *

(١) القرونة : النفس ، ومعنى قوله « وضوح مبهم » : أنك ترى ما يخفيه الإنسان واضحاً في وجهه ، ولكنه مع ذلك لا يزال مبهما عندك ، إذ لا تعلمه يقينا .

(٢) المراد بكونه صرع النهى : أنه غلبها . والضمير في صرع يعود إلى الوجه . والنهى : جمع نهية ، وهي العقل . والملامح : ما بدا من محاسن الوجه ومساوئه ، جمع لمحة على غير لفظها ، وهو من النوادر ، يقال : في فلان ملامح من أبيه : أي مشابه . ومعنى البيت : أن العقل مغلوب تحت ملامحه ، فهو يتردد بين الوهم واليقين .

(٣) الهدب : شعر أشفار العينين . وتنشتر : أي تكون شتراء ، أي ذات شتر ، وهو انقلاب الجفن من أعلى وأسفل ، أو انشقاقه ، أو استرخاؤه . وتسجم : أي تسيل الدمع .

(٤) مطموسة : ممحوة . والمراد بمحو الدم . كتابتها : عدم فهم شيء منها ، وباثباته إياها : فهم شيء منها ، أي أن الناظر فيها بين فاهم وغير فاهم ، كما قد فسر ذلك بالبيت الذي بعده .

(٥) مجمجم ، بصيغة المفعول : أي غير بين ، من جمجم الكلام : إذا لم يبينه .

(٦) راطنا : متكلما بالأعجمية . وأعجمي طمطم : في لسانه عجمة لا يفصح .

وَلَرُبَّ وجه يستبيك بحسنه ... فتروحُ منه وأنت صبٌّ مُغرَمُ
يبدو إليك وأنت خِلوٌ من هوًى ... ويصدّ عنك وأنت فيه مُتيَّمُ
وإذا تغيّب فالبدور مضيئة ... وإذا أضاء فكلّ بدر مظلمُ
لله فى وجــه ابن آدم حِكمة ... يعنو السفيهُ لهـا ومن يتحلّمُ

ما وراء القبر

مَتَى تُطلقُ الأيامُ حرِّيةَ الفِكرِ ... فينشَطَ فيها العقلُ من عُقْلة الأَسْرِ (١)
ويصدعَ كلٌّ بالحقيقة ناطقاً ... ويترك ما لم يدرِ منها لمن يدرى (٢)
أرانا إذا رُمنا بيان حقيقــة ... عَزينا مَعاذَ الله فيها إلى الكفرِ (٣)
جَهِلْنَا أشد الجهل آخر عُمْرِنَا ... كما قد جهِلنا قبله أولَ العُمْرْ
هما ساحلا بحرٍ من العيش مائج ... ففى أىّ أمرٍ نحن بينهما نجرى
ومن أين جئنا أم إلى أين قَصْدُنا ؟ ... وفى أىّ ليل من تشككنا نسرى؟
كأنا أتينا والمعيشة لُجّــة ... لنعبُرَ والأعمار جِسْرٌ إلى القبرِ (٤)
وما ذا وراء القبرُ ممــا نريده ... وهل من مَدًى بعد العُبور على الجسر (٥)
تسائلنى نفسى والموت صَوْلةٌ ... ألا هل لكسر الموت وَيْحَكِ عن جَبْرِ (٦)
لعلّ حياة المرء ليلٌ ستنجلى ... غياهبه من سكرة الموت بالفجرِ (٧)
فإنْ كان ذا حقا فإن حياتنا ... كما قيل سِتْرٌ والردى كاشف السِّتْرِ
وقد قيل إن الرُّوحَ تبقَى فهل لها ... عُروج إلى الأعلى إلى الأنجُمِ الزُّهُرِ
وهل تَعرِف الجُثمان بعد عُروجها ... فتمكثَ منه فى السماء على ذُكْرِ

(١) عقلة : ما تعقل به الرجل وتقيد .
(٢) يصدع : يجهر .
(٣) عزينا : نسبنا .
(٤) اللجة : الماء الكثير .
(٥) المدى : الغاية .
(٦) صولة : قوة . ويحك : رحمة لك .
(٧) غياهبه . جمع غيهب ، وهو الظلمة .

إذا أرضنا كانت سماء لغيرها ... فما من عُروج بل نزول إلى القمر

وهل عَرَجَتْ أرواح مَن في عُطاردٍ ... إلى الأرض أم هذا الكلامُ من الهَذْر (١)

خيالٌ به رُحْنا نعلّل أنفسًا ... هَزَأْنَ به لمّا رَجَعْنَ إلى الحِجر (٢)

وشبّه بالنهر الحياةَ معاشرٌ ... فمنبعُه في رأيهم قِدَم الدهر

ولكنهمْ أعيا عليهم مَصَبُّه ... وإن رَجَّمُوا بالظنّ في مَنبع النهر

فياليت شعرى أين ينصبّ جاريًا ... أَعَوْداً ابدءٍ أم إلى غايةٍ يجرى

لعمرُكَ ما هذى الحياة وما الذى ... يُراد بنا فيها من الخير والشر؟

نحاول علماً بالحياة وإنّ ذا ... مَنوط إلى ما ليس يُدرَك بالفكر

ونسلُك منها في مَجاهلَ قفرةٍ ... فنخرج من قفْر وندخل في قفر

على أننا نمضى إلى أمر ربّنا ... كما أننا آتون من ذلك الأمر

لو

لو أسكرَ الإنسانَ باطلُ أمره ... لم تلق غير مُعَرْبِدٍ سَكْرانِ (٣)

لو قاس كلٌّ فتًى سواه بنفسه ... فيما أراد لمَا تعادَى اثنان

لو أنصف الخصمان ما اصطاد الرشَا ... أهلُ القضاء بما ادّعى الخَصْمان (٤)

لو أخلص الإنسان في إحسانه ... لم يرْجُ أن يُجزى على الإحسان (٥)

لو لم يَشُكَّ بربّه متفلسفٌ ... في الدين لم يحتجَّ بالبرهان (٦)

---

(١) الهذر ، بفتح الهاء : الهذيان والكلام الذى لا يعبأ به .

(٢) نعلل : نلهى ونسلى . والحجر : العقل .

(٣) يريد : لو كان الباطل مسكراً كالخمر لرأيت الناس كلهم سكارى .

(٤) هذا البيت قريب فى معناه من القول المشهور : «لو أنصف الناس استراح القاضى» غير أن معنى البيت لو أنصف الناس لما فسدت أخلاق القضاة باتخاذهم دعاوى الخصوم آلة لاصطياد الرشا .

(٥) أى لأن من أحسن وهو يرجو المكافأة على إحسانه لم يكن محسنا فى الحقيقة إلا إلى نفسه ، فهو لذلك غير مخلص فى إحسانه .

(٦) أى لأن احتجاجه بالبرهان دليل على ما خامره من الشك .

لو أن عقل المرء يغلب حبَّه ... النفس لم يلجأ إلى الأديان(١)

لولا جمود فى الشرائع مُهْـلِكٌ ... لتغيَّرت بتغيُّر الأزمان

لو كان قصد الدين غير سعادة الدُّ ... نيا لـكان الـكفر كالإيمان(٢)

لو أخلص الرجل التقىّ بدينه ... ما كان ذا طمعٍ بحُور جِنان

لاخير فى تقوى امرىءٍ لو لم يخَفْ ... نار الجحيم لَجَّ فى العِصْيان

لو كان أمر الحج معقولا لَمَا ... كان استلام القوم للأَرْكان

لو حكَّم العقلَ الحجيجُ بحَجِّهم ... أَبَوُا الطواف بتلـكم الجُدْران

لو أخلص الغُزَّى بنُصْرة دينهم ... ما حلَّ سبىُ حرائر النِّسوان

كذبتْ قريش لو تقادم عهدُها ... فى المجـد ما خدعتْ أبا غَبْشان(٣)

لو كان للشيطان مَعْنًى غير ما الْ ... إنسـانِ ما آمنتُ بالشيطان

لو يجعل الناس التعاون دأبهم ... لتمتَّعوا بسـعادة العُمْران

لو أن أخلاق الرجال تهذَّبتْ ... لتكشَّفت حُجُبٌ عن النِّسوان(٤)

ومحبـة الأوطان لولاها لمَا ... عرف الأنامُ عداوة الأوطان(٥)

---

(١) لاشك أن حب النفس هو الأصل الوحيد الذى يمكن الرجوع إليه فى تعليل أفعال الانسان كلها ، ومعنى البيت أن حب النفس هو الذى يدفع الإنسان إلى التمسك بما تقوله الأديان من الحياة الأخرى ، لأنه يحب الخلود لنفسه ، ولا يرضى لها أن تفنى وتذهب سدى بعد الموت .

(٢) هذا رد لما يقوله بعض الناس من أن غاية الدين أخروية محضة ، لاعلاقة لها بالدنيا ، وهذا باطل ، لأن الدنيا قنطرة الآخرة ، وإذا كانت القنطرة غير صالحة للعبور تعذر الوصول إلى المطلوب . ومعنى البيت : أنه لو صح مايقوله هؤلاء ، من أن غاية الدين أخروية محضة ، لتساوى الـكفر والإيمان فى الدنيا ؛ ولـكنهما غير متساويين فى الدنيا ، لأن البداهة تشهد بأن صاحب الإيمان أهدى فى أمور دنياه من صاحب الـكفر .

(٣) قوله أباغبشان : هو رجل من خزاعة كان يلى سدانة الـكعبة قبل قريش ، وأسكره قصى ، واشترى منه مفاتيح الـكعبة بزق خمر ، ثم أفاق نادما ، فضرب به المثل فى الحمق والندم وخسارة الصفقة . ومعنى البيت ظاهر .

(٤) أى أن تحجب النساء عندنا معاشر الشرقيين لم يكن إلا من فساد أخلاق الرجال ، فلو تهذبت أخلاقهم لارتفع الحجاب .

(٥) أراد بمحبة الأوطان هنا : المحبة السياسية ، التى يتخذها صاحب السياسة ذريعة إلى تهييج الشعوب إلى الحروب ، ولاشك أن هذه المحبة هى أساس العداوات الوطنية بين الأمم قاطبة .

لو كان خير فى المجرّة لم يكن   فى الأرض شرّ دائم الغلَيان[١]

لو تمَّ فى فلك الثريّاً سعدُها   لم تُمن بالعيُّوق والدبَران

لولم يكن فزِعاً سُهيْلٌ لم يَبدت   فى أُفْقِه متتابع الخفقان

حقيقتى السلبية

أحب صَراحتى قولًا وفعلًا   وأكره أن أميل إلى الرياءِ

فما خادعتُ من أحَدٍ بأمر   ولا أضمرتُ حَسوًا فى ارتغاءِ

ولست من الذين يَرون خيرا   بإبقاء الحقيقة فى الخفاءِ

ولا ممن يرى الأديان قامتْ   بوحْىٍ مُنْزَلٍ للأنبياءِ

ولكنْ هنَّ وضع وابتداعٌ   من العُقلاء أرباب الدَّهاء[٢]

ولست من الأُلَى وَهِمُوا وقالوا   بأنَّ الروْح تَعرُج للسماء[٣]

لأن الأرض تسبَح فى فضاء   وما تلك السماء سوى الفضاء

ولست من الذين يرون فخرا   لمفتخر بإهْراق الدماء[٤]

ولا ممن قد ارتبطو بماض   فعاشوا ينظرون إلى الوراء

ولا ممن يرى للناس حُكماً   سِوى الحُكّام أرباب القضاء

ولا ممن تودَّد فى حضور   وعند الغيب جاهرَ بالعداء

ولا ممن يرى الأنسابَ مِمّاَ   يَمُتُّ به الأنام إلى العَلاء[٥]

---

(١) الأرض : كوكب تابع للشمس ، ومنفصل عنها . والشمس : كوكب من كواكب المجرة ، فيصح أن نستدل بما فى الأرض على مافى المجرة ، لأنها أى الأرض جزء من المجرة ، ونحن نرى فى الأرض شرا دائم الغليان ، فى المجرة شر أيضا دائم الغليان . وهذا هو معنى الحديث .

(٢) هذا البيت ينظر إلى بيت المعرى فى اللزوميات :

أفيقوا أفيقوا ياغواة فإنما   دياناتكم مكر من القدماء

(٣) تعرج : تصعد . (٤) إهراق الدماء : إسالتها بالحروب ونحوها من ضروب التعدى .

(٥) يمت إلى الشىء : يتصل به بسبب .

ولا ممّنْ إذا وُبِئوا استعاذوا بتمتمة الدعاء من الوَباء (١)
ولا من معشر صلَّوا وصاموا لِمَا وُعِدُوه من حسن الجزاء
ولا ممّنْ يرون الله يجزى على الصلوات بالحُور الوِضاء (٢)
ولا ممّن يرى الأشياء تفنى بحيث تكون من عَدَمٍ هواء
ولكن هُنَّ فى جمع وفَرْقٍ تبدَّلُ منهما صُوَرُ البقاء
ولست من الذين يَرَوْن فضلاً كبيراً للرجال على النساء
ولكن دالت الأيامُ حتى يهاوَن هؤلاء بهؤلاء

حياة الورى

حياة الورى جِسْرٌ مَديدٌ وإنما عليه الورَى يمشُون مِشْية عابر
وللموت كَسْرٌ ليس يمكن جَبْره بلَفِّ ضِمادٍ أو بشدِّ الجبائر (٣)
وقتل الردى قتلٌ جُبار فلم تكُن لِتُدْرِكَ فيه ثأْرَها نفس ثائر (٤)
فإن مَناياتا سهام عوائر وكيف اتّثارٌ فى السهام العَوائر (٥)
أرى الناس طُرًّا فى الردى غير أنهم ثَوَوا بين مقبور هناك وقابر
وما الموت إلَّا هُوّة أدلجَ الورَى إليها بمسود الدُّجنَّة كافر (٦)
فهم أبداً يسّاقطون لقعرها تساقُطَ عُمْيٍ فى عِماق الحفائر
أرى كل حى فى الحياة ممثِّلا رواية رُؤيا من كتاب المقادر

---

(١) وبئوا : أصيبوا بالوباء .

(٢) الحور : جمع حوراء ، وهى التى اشتد سواد عينها وبياضها ، وهذا من الجمال عند العرب . والوضاء : جمع وضيئة ، وهى الجميلة ، النقية البشرة .

(٣) الضماد : الخرقة تلف على العضو المكسير أو الجريح . والجبائر : جمع جبيرة ، وهى خشبات تشد بجانب العظم المكسور حتى يصلب ويشتد .

(٤) القتل الجبار : الذى لادية معه . (٥) السهم العائر : الذى لايعلم من رماه .

(٦) الإدلاج : السير فى الدلجة ، وهى الليل كله ، أو وقت السحر .

روايةِ رؤيا قد جرت في ديارنا فجائعُها حتَّى انتهت في المقابر
لقد قدَّم الموتُ الحياةَ أمامه نذيراً ومن يُنْذِرِ فليس بغادر
فلا عَجَبٌ أنَّا نرى كل ساعةٍ أكفَّ المنايا داميات الأظافر

حبذا النوم

إلى صاحبة مجلة « الفجر »

قل لنَجْلاَ نَجْلا أبي اللَّمْع إني عاشق نورَ فجرِها الوضَّاح
هو للعلم خير فجر تجلَّى مستنيراً بأشهر الأوضاح
وصرير الأقلام في الطِّرْس منه كصياح الديوك في الإصباح
كم تصفحت فيه من صفحات عَطرتنِي بنشرها الفيَّاح
فكأني في النِّقْس والطِرْس منها ناظر في بنفسَج وأقاحِي
ثم إني قرأت فيه لأسْمَا كلماتٍ بديعة الإفصاح
أيقظتنا بها إلى أنَّ في النَّو م ارتياحاً لنا وأيَّ ارتياح
صدقت في الذي تقولُ فحوَى قولها في غِنًى عن الإيضاح

٭ ٭ ٭

حَبَّذا النومُ فهو للرُّوح رَوْح من عناء الهموم والأتراح
وهو تجديد قوَّة ونَشـــــاط لجسوم رَوازِح أطلاح
حبذا النومُ ترتقي النفس فيه عالماً فوق عالم الأشــــباح
« تلِفُونٌ » به إلى الغيب تُصْغي و « تلسكوبُنا » إلى الأرواح
حَبَّـذا النومُ إنه شَرَكٌ يَمْـــتَدّ في الجسم لاصطياد ارتياح
فهو للنفس من مَراقي المعالي وهو للجسم من دواعي الصلاح

حبّذا النومُ فهو كالزيت للرُّو ح به تضيء كالمصباح
وهو معْراجنا إلى أُفْق غيْبٍ لن تَنَاهَى أبعادُه والنواحي
حَبّذا النومُ واصلًا بين حيٍّ ذى ثَواء وميت ذى بَراح
حبذا لنوم جامعا بين معشو ق مقيم وعاشق ذى انتزاح
إن للنوم لَذةً هى فى الأنفـــس أشهى من لذة الأفراح
أدركتها النفوس بالفعل واستغـــنت بإدراكها عن الإيضاح
أيُّها القومُ إن للنوم سلطا نا قويا لا يُتّقَى بسلاح
نافذ الحكم فى القضاء على الإنســـان فى حُزنه وفى الأفراح
وعلى الأسْد وهى فى الغاب تَدْأى وعلى الطير وهى فى الأدواح(١)

بين الروح والجسد

أرى للرُّوح بالبدَن اتصالًا خَفِيّاً لا تبين له رُسومُ
تُطيف به الهواجسُ شاعرات وتعجز عن حقيقته الفهوم
فإن الروح للجثمان تسلو به منها ومنه بها وُسوم
يتم كلاهما هـــذا بهذا كذلك تم أمرهما القويم
فلا جسد يقوم بغير رُوح ولا رُوح بلا جسد تقوم
هما متلازمان فما لكل بغير قرينــــه أبداً لزوم
لذلك كانت الأرواح منا بحيث تهى إذا وهت الجسوم
ولست أظن أن الروح تبقى إذا محيت من الجسد الرسوم
وربّتما يكون لها دوام ولكن غيرَ شاعرة تدوم

(١) دأى له يدأى دأيا ودأوا : إذا ختله . والذئب يدأى للغزال ، وهى مشية شبيهة بالختل . والأدواح : جمع دوح ، والدوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة الوارفة الأغصان الواسعة الظلال .

وماهبطت من الخضراء ولكن ... من الغبْراء أنبتها الحكيم (١)

* * *

وأما هذه الأجسام منا ... فتبنيها المآكل والطعوم
وترويها المشارب والمحاسى ... وتذويها اللوافح والسَّموم
ويوهنها التقشُّفُ والتضنّى ... ويُحسنها التترُّف والنعيم (٢)
وبعض من مطاعمنا غذاء ... تُحاك على العظام به اللحوم
وبعض من مطاعمنا وَقودٌ ... تديم به حرارتها الجسوم
له في جوف آكله احتراق ... تكون رماده فيها الشحوم

* * *

والأرواح كالأجساد زاد ... به تنمو المشاعر والحُلوم
هو النغَم الرقيق من المثانى ... هو الأدب الرفيع ، هو العلوم (٣)
فإن الرُّوح تغذوها الأغانى ... ويجلو همَّها الصوتُ الرخيم (٤)
ويصقُلها الجمال إذا رأته ... وتُصْدِئها القبائح والهُموم
فلا تنفِر بسمعك من غناء ... به غنتك شادية بَغوم (٥)
ولا تترفعنّ عن الملاهى ... ولو شهدت برفعتك النُّجوم
وكن في المُطْربات فتًى طروباً ... فإن الناس أطربُها الكريم
وقِف عند الحدود بلا تعدٍّ ... إلى ما ليس يحمده الحليم
ولا تشتطّ في طَرَب ولهوٍ ... فكل مُقارف شَطَطاً ذميم
فإنْ وافقتنى وجريت جَرْيى ... وإلا فاتكَ الطبعُ السليم

(١) الخضراء : السماء . والغبراء : الأرض .
(٢) يوهنها : يضعفها . والتقشف : التخشن في المعيشة . والتضنى : تفعل من الضنى ، وهو الهزل والجهد . والتترف : التنعم . يقال ترف الرجل وترفه : دلله وملكه . وتترف : مطاوع يرفه ، بالتضعيف .
(٣) المثانى : جمع مثنى ، بوزن مفعل ، وهو ما يثنى ويكرر من الكلام ، في الغناء أو الإنشاد .
(٤) الصوت الرخيم : الرقيق الذى ليس غليظاً ولا أجش .
(٥) بغوم : صيغة مبالغة من البغام ، وهو صياح الظبية إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها .

من نواميس الحياة

كل شيء من عالم الذرات　　كل شيء في كونه كالنبات
كل شيء في بدئه من صغير　　ثم ينمو في ذاته والصفات
هكذا تكبر الصغار وتقوى　　في نواميس حادثات الحياة
هكذا ترسل الأصول فروعا　　عاليات يأتين بالثمـــرات

* * *

إن للفلس في الثراء محلا　　كمحل الجذور في الدوحات
إن أصل الثراء فلس وهل سالت سيول　　إلا من القطرات
هو في قدره حقير ولكن　　جمعه موصــل إلى العظات
يتساوى فيه السخي وذو البخـــل ورب الإقلال والمثراة
هو هين على الذي قال هاكم　　حين يعطيه للذي قال هاتِ

* * *

إن ترد غرس نخلة من ثراء　　فسوى الفلس ما لها من نواة
فاقتصد في موارد العيش فلسا　　كل يوم من طائل النفقات
واجعل الفلس فوق فلس تجده　　مسعداً مسعفا على الخيرات
واقصد الخير في اقتصادك حتى　　لا يؤول الثراء للآفات
ليس حسن الأعمال في الناس إلا　　حسن ما يضمرون من نيات
فدع الفعل كيف كان ـ حميداً　　أو ذميما ـ وانظر إلى الغايات
حسنات الأنام إن لم تكن ذات　　عموم ضرب من السيآت
يا شباب العراق هبُّوا إليه　　وتوخَّوا بجمعـه البركات
إن تكونوا اعتزمتم الأمر فيه　　فالبدار البدار قبل الفوات


الوصفيات

أنا والشــــعر

أرى الشعر أحياناً يجيش بخاطرى ... ويبذل ما قد عزّ لى من مصونه (١)

ويسكن أحياناً فأشجى وإنما ... تحرّك شجوى ناشئ من سكونه (٢)

وقد أتوخّى الغزل منه مجارياً ... لدهر أراه موغلاً فى مجونه (٣)

ولكنّ نفسى وهى نفس حزينة ... تميل إلى المشجى لها من حزينه

وقد علم الراوون شعرى بأنهم ... إذا أنشدوه أطربوا بلحونه

وإنى إذا استنبطته من قريحتى ... شفيت صدى الراوى ببرد معينه (٤)

وإنى على علم طويت سهوله ... ولم أتحيّر خابطاً فى حزونه

وإنى لمحّاص له بسليقة ... أبت غثّه واستوثقت من سمينه (٥)

وهل يخطر الشعر الركيك بخاطرى ... إذا كان فى طوعى اختشاب متينه (٦)

ألا لا اهتدت للشعر يوماً هواجسى ... إذا هى لم تنزع إلى مستبينه (٧)

ولا غصت فى بحر القريض مخاطراً ... إذا لم أفز من دره بثمينه

على أنّ لى طبعاً لبيقاً بوشيه ... نزوعاً إلى أبكاره دون عونه (٨)

إذا انتظمت أبياته فى قصائدى ... ترى كل بيت ممسكاً بقرينه

---

(١) يجيش : يضطرب ويتحرك ، كما تجيش القدر عند الغليان .

(٢) أشجى : من الشجو ، وهو الحزن .

(٣) أتوخى : أقصد . موغلا : ذاهبا بعيداً .

(٤) استنبطته : استخرجته . والصدى : العطش . والمعين : الماء الظاهر ، تراه العين جاريا على وجه الأرض .

(٥) الغث : المهزول ، ضد السمين .

(٦) الاختشاب : افتعال من خشب الشعر يخشبه . (من باب ضرب) أى عمره كما يجيئه ، ولم يتأنق فيه ، ولا تعمل له .

(٧) هجس الأمر بالقلب هجسا ، من باب قتل : وقع وخطر ، فهو هاجس .

(٨) العون : جمع عوان ، وهى من إناث الحيوان : ما كانت وسطا فى السن ، بين الفارض ، وهى المسنة ، والبكر ، وهى الصغيرة ، يقال امرأة أو فرس أو بقرة عوان .

وما كان دَوحُ الشعر يوماً لتُجتَنَى ... بغير اليد الطُّولَى ثِمار غصونه

ولم يستقِد إلا لذى أَلْمَعِيَّةٍ ... يكون كرأى العين رَجْمُ ظنونه[1]

وإنِّىَ قد مارسته بفَطانة ... يلوح سناها غُرَّةً فى جبينه

⋆ ⋆ ⋆

لعمرُك إنَّ الشعر صَمصام حِكمةٍ ... وإن النهى معدودة من قُيونه[2]

إذا جنَّنى ليل الشكوك سَلَلْته ... عليه ففرّاه بفجر يقينه[3]

وما الشعر إلّا مؤنسى عند وحشتى ... ومُسلِى فؤادى عند وَرْى شُجونه

تقوم مَقامَ الدمع لى نَفَثاته ... إذا الدهرُ أبكانى بريْب مَنونه[4]

وأجعله للكون مِرآةَ عِبرةٍ ... فيظهر لى فيها خيال شئونه

فأبصرُ أسرار الزمان التى انطوت ... بما دار فى الأحقاب من مَنْجَنونه[5]

وللشعر عين لو نظرت بنورها ... إلى الغيب لاستشفَفْتَ مافى بطونه

وأُذْنٌ لو استصغيتها نحو كاتم ... سمعت بها منه حديث قَرُونه[6]

⋆ ⋆ ⋆

وليلٍ إلى شِعراه أرسلت فكرتى ... رسولًا بشعرى حاملًا لرَقينه[7]

سلِ الليل عنى نَسْرَه وسِماكَهُ ... ونجمَ سُهاه والجُدَىَّ خَدينِه[8]

---

(١) استقاد له الأمر : ذل وانقاد . الألمعية : مصدر صناعى من الألمع . والألمع والألمعى ، واليلمع واليلمعى : الداهى الذى يتظنن الأمور فلا يخطىء ، وإذا لمع له أول الأمر عرف آخره ، يكتفى بظنه دون يقينه ، مشتق من اللمع ، وهو الإشارة الخفية ، والنظر الخفى .

(٢) الصمصام : السيف . والنهى : جمع نهية ، وهى العقل .

(٣) فراه بتخفيف الراء وتشديدها : مزقه .

(٤) النفثات : جمع نفثة ، وهى مايلفظه الانسان من فمه من بصاق ونحوه . شبه خواطره ومعانيه بالنفثات .

(٥) المنجنون : الدولاب ، يستقى به الماء لإرواء الأرض .

(٦) القرون : النفس . (٧) الرقين : الكتاب المزين .

(٨) النسر والسماك والسها والجدى (تصغير جدى) : أسماء نجوم . يريد بسؤالها عنه أنه طالما سهر فى صنع الشعر مراعيا هذه النجوم ، فبينها وبينه ألفة وصحبة .

فكم بتُّ فى نهر المجرّة فى الدجى من الشعر أجرى مُنشئات سفينه
هو الشعر لا أعتاض عنه بغيره ولا عن قوافيه ولا عن فنونه
ولو سلبتْنيه الحوادث فى الدُّنا لمَا عشت أو ما رُمتُ عيشاً بدونه
إذا كان من معنى الشعور اشتقاقُه فما بعده للمرء غير جنونه

الغروب (*)

قالها سنة ١٨٩٤ وقد وصف فيها ما شاهده فى الأعظمية عيانا من منظر الغروب

نزلت تجرّ إلى الغروب ذيولا صفراء تشبه عاشقا مَبتولا (١)
تهتز بين يد المغيب كأنها صبّ تململ فى الفراش عليلا (٢)
ضحكت مشارقُها بوجهك بُكرةً وبكت مغاربُها الدماء أصيلا
مذ حان فى نصف النهار دلوكها هبطت تزيد على النزول نزولا (٣)
قد غادرت كبدَ السماء منيرةً تدنو قليلًا للأفول قليـلا (٤)
حتى دنت نحو المغيب ووجهها كالورْس حال به الضياء حُئولا (٥)
وغدت بأقصى الأفْق مثلَ عَرارةٍ عطِشت فأبدت صفرةً وذبولا (٦)
غَرَبت فأبقت كالشُّواظ عَقيبها شَفَقاً بحاشية السماء طويلا (٧)
شفقٌ يروع القلبَ شاحبُ لونه كالسيف ضُمّخ بالدما مسلولا (٨)

(*) من الديوان الأول .

(١) الضمير فى نزلت : يعود إلى الشمس بقرينه المقام الذى هو وصف غروبها .

(٢) الصب : وصف من الصبابة ، وهى العشق . وتململ : تقلب فى فراشه من الأرق أو المرض .

(٣) دلوك الشمس والنجوم : زوالها عن الاستواء ، ويستعمل فى الغروب أيضا .

(٤) الأفول : الغروب .

(٥) الورس : نبت أصفر ، يزرع باليمن ويصبغ به . أو هو صنف من الكركم .

(٦) العرارة : واحدة العرار ، وهو نبت طيب الريح ، قيل هو النرجس البرى .

(٧) الشواظ : بضم الشين وكسرها : اللهب الذى لادخان فيه .

(٨) الشفق الحمرة التى ترى فى المغرب بعد سقوط الشمس .

يحكى دم المظلوم مازَجَ أدمعاً ... هَمَلت بها عين اليتيم همولا (١)
رقَّت أعاليه وأسفله الذى ... فى الأُفق أشبع عُصْفُرًا محلولا (٢)
شَفَقٌ كأنَّ الشمس قد رفعت به ... رُدْناً بذوب ضيائها مبلولا (٣)
كالخود ظلّت يوم ودّع إلفها ... ترنو وترفع خَلفَه المنديلا (٤)
حتى توارتْ بالحجاب وغادرتْ ... وجه البسيطة كاسفاً مخذولا
فكأنها رَجُلٌ تخرَّم عِزَّه ... قرعُ الخطوب له فعاد ذليلا
وانحطَّ من غُرف النباهة صاغراً ... وأقام فى غار الهوان خمولا

* * *

لم أنسَ قُرْب (الأعظميّة) موقفى ... والشمس دانية تريد أفولا
وعن اليمين أرى مُروج مَزارع ... وعن الشمال حدائقاً ونخيلا
وتروع قلبى للدَّوالى نَعرةٌ ... فى البَين يحسبها الحزين عَويلا (٥)
ووراء ذاك الزرع راعى ثُلّةٍ ... رجعت توُمُّ إلى المَراح قُفولا (٦)
وهناك ذو بِرْذونتين قد انثنى ... بهما العشىَّ من الكِراب نحيلا (٧)
وبمنتهى نظرى دخان صاعد ... يعلو كثيراً تارةً وقليلا
مدَّ الفروع إلى السماء ولم يزل ... بالأرض متصلا يمُدّ أصولا
وتراكبت فى الجوّ سُود طباقه ... تحكى تلولا قد حمان تلولا
فوقفتُ أُرسل فى المحيط إلى المدى ... نظراً كما نظر السقيمُ كليلا

---

(١) الضمير فى يحكى : يعود إلى الشفق فى البيت السابق ، أى أن هذا الشفق يشبه دم مظلوم مازجته دموع يتيم ، لأن الدم إذا مازجه الدمع كان لونه فاتحا وهو مع ذلك مشعر بالحزن .

(٢) العصفر : نبت أصفر ، يصبغ به .   (٣) الردن : أصل الكم .

(٤) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة . والجمع خودات ، وخود بضم الخاء فى الأخير .

(٥) الدوالى : جمع دالية ، وهى الناعورة تديرها البقرة . والنعرة : بالفتح : المرة من نعر إذا صوت .

(٦) الثله : القطيع من الغنم . والمراح : المكان تروح إليه الدواب ، وتأوى إليه بعد المرعى .

(٧) الكراب مصدر كرب الأرض كربا وكرابا : قلبها للحرث ، وأثارها للزرع .

والشمس قد غَرَبت ولما وَدَّعَتْ … أبكت حزوناً بعدها وسُهولا

غابتْ فأوحشتِ الفضاء بكُدْرة … سَقِمِ الضياء بها فزاد نحولا

حتى قضت رُوح الضياء ولم يكن … غير الظلام هناك عِزرائيلا

وأتى الظلامُ دُجُنَّةً فَدُجُنَّةً … يُرخي سُدولًا جمةً فسدولا(١)

ليل بغَيهبه الشُّخوصُ تلفَّعتْ … فظَلِلْت أحسب كل شخص غُولا(٢)

ثم انثنيت أخوض غَمْرَ ظلامه … وتخِذت نجم القطب فيه دليلا

إن كان أوحشني الدجَى فنجومه … بعثَتْ لتؤنسني الضياءَ رسولا

سبحان من جعل العوالم أنجما … يَسْبَحْنَ عَرْضاً في الأثير وطُولا

كم قد تصادمتِ العقول بشأنها … وسعت لتكشف سرها المجهولا

لا تحتقرْ صِغَر النجوم فإنما … أرقى الكواكب ما استبان ضئيلا

دارت قديماً في الفضاء رَحَى القُوى … فغدا الأثير دقيقها المنخولا

فاقرأ كتاب الكون تلق بمتنه … آياتِ ربك فُصِّلتْ تفصيلا

ودع الظُّنون فلا وربك إنها … لم تغن من علم اليقين فتيلا

---

(١) الدجنة : الظلمة . والسدول : جمع سدل ، وهو الستر .

(٢) الغيهب : شدة سواد الليل والجمل ونحوه .

ليلة في ملهى (*)

لما كان الرصافي في الآستانة سنة ١٨٩٨ ، أخذ جماعة من فضلاء فلسطين ، منهم الأستاذ خليل السكاكيني إلى مرقص من مراقص الآستانة في إحدى الليالي ، واقترحوا عليه ان يصفه ، فقال هذه القصيدة :

طَرِب الشعر أن يكون نَسيبًا ... مُذْ أجالت لنا القَوامَ الرَّطيبا

وتجلتْ في مَسْرح الرَّقص حتى ... أرقصت بالغرام منا القلوبا (١)

أقبلت تنثني بقَدٍّ رَشيق ... ألبسته البُردَ القصير قشيبا (٢)

قصَّرَتْ منه كُمَّهُ عن يديها ... وأطالت إلى النهود الجيوبا (٣)

حَبَس الخصرَ حيث ضاق ولكن ... أطلق النحرَ باديا والتَّريبا

هو زِيٌّ يزيد في الحسن حسنا ... مَن تزيَّا به ، وفي الطيب طيبا

خطرتْ والجمال يخطر منها ... في حشا القوم جَيئةً وذُهُوبا

وعلى أرؤس الأصابع قامتْ ... تتخطَّى تبختُرا ووثوبا

يعبِس الأنس أنْ تروح ذهابا ... ويعيد ابتسامه أن تئوبا

فهْى إن أقبلت رأيت ابتساما ... وهْى إن أدبرت رأيت قطوبا

نحن منها في الحالتين ترانا ... نرقب الشمس مَطلِعا ومَغيبا

تُضحِكُ الجوَّ في الصباح طلوعا ... ثم تُبكيه في المساء غروبا

أظهرتْ في المجال من كل عضو ... لعبا كان بالقلوب لَعُوبا

حيَّرتنا لما أرتنا عجيبا ... فعجيبا من رقصها فعجيبا

(*) من الديوان الأول .

(١) المسرح : المكان تسرح فيه الظباء وتلعب ، وقد استعاره المحدثون المكان الذي يلعب فيه الممثلون والراقصون أمام النظارة . وبعض الكاتبين يقدم الراء فيه على السين (مرسح) وهو خطأ وقد جرى عليه الشاعر في الأصل .

(٢) القشيب : الجديد فيه خشونة الجدة .

(٣) المراد بالجيب هنا فتحة الطوق ، من عند الرقبة إلى ما بين الثديين ، وليس المراد الفتحة التي يوضع فيها المنديل والكيس ونحوها .

شابهتْ عَطفَةَ الغصون انثناءً وحكتْ خَطرةَ النسيم هبوبا

تلفتْ الجيد للرجوع انصياعا كفطيمٍ رأى على البعد ذِيبا[١]

تثب الوثبة الخفيفةَ كالبر ق صُعودا فى رقصها وصُبوبا[٢]

حركاتٌ خلالَهــا سَكَنات يقف العقل بينهنَّ سليبا

وخُطاً تفضح العُقودَ اتساقاً نظمتها . تسرُّعاً ودبيبا[٣]

بَسَمَتْ كوكبا ومرَّت نسيما وشَدَتْ بلبلا وفاهت خطيبا

لو غدا الشعر ناطقا بلسان لتغنَّى بوصـــفها عنـدليبا[٤]

أو غدا الحسن شاعراً ينظم الحبّ قريضا أبدى بها التشبيبا

هى كالشمس فى البعاد وإن كا ن إلينا منها الشعاع قريبا

عمَّتِ الناسَ بالغرام فكلٌّ قد غدا عاشقا لها ورقيبا

زَهرة تُبهج النواظر حسنا ورُواءً وتُنعش الرُّوح طيبا

هى دائى إذا شكوت من الدا ءِ وطِبّى إذا أردت طبيبا

وأتتْ بعدها من الغِيد أُخرى يقتفى إثرَها الجمالُ جَنيبا

فأرتنا من الجبين صباحا ومن الخدّ كوكبا مَشبوبا[٥]

حملتْ بُندُقيةً صَوَّبتها نحو مُستَهْدَفٍ لها تصويبا[٦]

واستمرت رمْيا بها عن بَنانٍ لطفه ضامن له أن يصيبا

تحسن الرمى تارة مستقيماً وإلى الخلف تارةً مقلوبا

وانكبابا إلى الأمام وإقعا ساً كثيراً إلى الوراءِ عجيبا

---

(١) الجيد : العنق . والانصياع . النكوص والرجوع بسرعة .

(٢) صبوبا : انحدر .

(٣) الدبيب : المشى الثقيل ، كمشية الشيخ الهرم .

(٤) العندليب : طائر من الطيور المغردة . (٥) مشبوب : متلهب .

(٦) البندقية : من آلات الرمى فى الحرب . عرفت فى القرون الوسطى ، وكانوا يرمون بهـا حصيات فى قدر البندق الذى يؤكل ، ولذلك نسبت إليه . وتطور الآن شكلها وطريقة استعمالها ، ويرمى بها قذائف من الرصاص تنفذ فى الجسم ، فترديه . والمستهدف ، بصيغة اسم الفاعل أو المفعول : الهدف .

وهىَ فى كل ذا تصيب الرمايا مثلما طرفُها يُصيب القلوبا
لو أرادت رمى الغيوب وأغضتْ لأصابت خفيَّها المحجوبا

* * *

مَشهدٌ فيه للحياة حياة تترك الوالهَ الحزين طَروبا[(١)]
قد شهدناه ليلةً جعلتنا نَحمَد الدهر غافرين الذنوبا
بين رهط شُمِّ العَرانين ينفى الْـــهمَّ عنى حديثُهم والكروبا[(٢)]
كَرُموا أنفسا وطابوا فِعالا وسَمَوْا مَحتِداً وعفُّوا جُيوبا
كل ذى نجدة تراه لدى الفعــــل كريما فى المقال أديبا
تلك والله ليلة لست أدرى فى بلادى قضيتها أم غريبا
كِدْتُ أنسى بها العراقَ وإن أبــــقى نُدوبا بمهجتى فندوبا[(٣)]
يا سواد العراق بيَّضك الدهْـــــر فأشبهت مقلتىْ يعقوبا
شَمَلت ريحك العقيمُ وقد كا نت لَقوحاً تهُبّ فيك جنوبا
أين أنهارُك التى تملأ الأر ض غِلالًا بسَيْحِها وحبوباً[(٤)]
إذا حكت أرضك السماء نجوما ماحيـات أنوارُهن الجُدوبا
لهفَ نفسى على نضارة بغدا دَ استحالتْ كُدُورة وشحوبا
أين بغدادُ وهى تزهو علوما وزروعا وأربعا ودُروبا
أقفرتْ أرضها وحاق بها الجهْـــل فجاشت دواهيا وخطوبا[(٥)]

---

(١) المراد بالطروب هنا : المسرور . وقد يكون المحزون أيضا فى غير هذا الموضع .
(٢) أشم العرنين : مرتفع قصبة الأنف ، كناية عن الاباء والشمم وعلو النفس .
(٣) الندوب : جمع ندب ، وهو أثر الجرح .
(٤) السيح : النهر يسيح ماؤه على وجه الأرض ، أى يسيل .
(٥) « جاشت دواهيا وخطوبا » : اضطربت من كثرة الدواهى والخطوب .

فى القطار (*)

قالها لما ركب القطار من الآستانة إلى سلانيك سنة ١٨٩٨

تذكرتَ فى أوطانىَ الأهلَ والصحبا
فأرسلت دمعاً فاض وابلُهُ سكبا

وبتُّ طريدَ النوم أختلس الكرَى
بشاخص طرْف فى الدُّجَى يرقُب الشُّهبا

كئيب كأنّ الدهرَ لم يلْقَ غيره ... عَدُوًّا فآلى أن يهادنه حرْبا

يقِل كُروباً بعضها فوق بعضها ... إذا ما رمَى كَرباً رأى تحته كربا

وإنى إذا ما الدهرُ جرَّ جريرةً ... لتأْنفُ نفسى أن أُكلِّمه عَتبا

وقد علم القوم الكرام بأننى ... غلام على حب المكارم قد شَبّا

وأنى أخو عزم إذا ما انتضيتُه ... نبا كل عضْب عنه أو أنكر الضربا(٢)

وأنى أعاف الماء فى صفوه القذَى ... وإن كان فى أحواضه باردا عذبا

ولكنّ لى فى موقف الشوق عَبرةً ... تُساقط من أجفانىَ اللؤلؤ الرَّطبا(٣)

إذا ضربت أوتارَ قلبى شجُونُه ... بدت نغماتٌ تُرقِص الدمع مُنصبّاً

° ° °

وقاطرةٍ ترمى الفضا بدُخانها ... وتملأُ صدر الأرض فى سيرها رُعْبا

لها مَنخِر يبدى الشُّواظَ تنفساً ... وجوفٌ به صار البُخار لها قلْباً

تمشَّت بنا ليلًا تجرُّ وراءها ... قِطارا كصفّ الدَّوح تسحبه سحبا(٤)

(*) من الديوان الأول .

(١) « آلى أن يهادنه » أقسم ألا يهادنه . وحذف لا النافية بعد القسم مألوف ، ومنه فى القرآن : « تالله تفتأ تذكر يوسف » .

(٢) يقال : انتضى سيفه : إذا سله من قرابه ، وقد شبه عزمه بالسيف . ونبا السيف عن الضريبة : رجع ولم يقطع .

(٣) شبه دموعه باللآلىء ، ولكنه جعلها لآلىء رطبة .

(٤) الدوح : جمع دوحة : وهى الشجرة الواسعة الظلال .

فطوراً كعصف الريح تجرى شديدةً وطورا رُخاء كالنسيم إذا هبَّا[(1)]
تَساوَى لديها السهلُ والصعبُ فى السُّرَى
فما استسهلت سهلًا ولا استصعبت صعبا[(2)]
تدكُّ متون الحَزْن دكًّا وإنها لتنهب سهل الأرض فى سيرها نهبا[(3)]
يمرّ بها العالى فتعلو تسقُّفا ويعترض الوادى فتجتازه وَثْبا
وتخترق الطودَ الأشمَ إذا انبرى وقد وجدت من تحت قُنته نقْبا[(4)]
يرنّ بجوف الطَّود صوت دَويِّها إذا وَلَجت فى جوفه النَّفَق الرحبا[(5)]
لها صيحة عند الوُلوج كأنَّها تقول بها يا طودُ خلِّ لِىَ الدَّرْبا[(6)]
وتمضى مُضِىّ السهم فيـه كأنَّما ترى أفعوانًا هائجًا دخل الثقبا
تُغالِب فعل الجذب وهْىَ ثقيلة فتغلبُ بالدفع الذى عندها الجذبا
طوت بالمسير الأرض طيًّا كأنَّهـا
تسابق قُرْصَ الشمس أن يُدرِكَ الغربا
وما إنْ شكت أينا ولا سُئِمت سُرًى
ولا استهجنت بعدا ولا استحسنت قربا[(7)]
عشية سارت من فروق تُقِلّنا وتقذف من فيها بوجه الدّجى شُهْبا[(8)]
فمـا هى إلا ليلة ونهارُها وما قد دعونا من سلانيك قد لبّى[(9)]
فجئنا ولم يُعْيِ السِّفارُ مَطِينا كأن لم نكن سَفْرا على ظهرها ركبا[(10)]

* * *

تعاليتَ ياعصرَ البخار مفضَّلا على كل عصرٍ قد قضى أهله نَحْبا

---

(١) رخاء : هادئة لينة . (٢) السرى : السفر بالليل .
(٣) المتن : ظهر الأرض . والحزن : الأرض الغليظة كالهضبة ونحوها .
(٤) الطود : الجبل العالى . (٥) النفق : السرب فى الأرض .
(٦) الدرب : الطريق بين جبلين (٧) الأين : التعب والكلال .
(١) فروق : اسم القسطنطينية . وتقلنا : تحملنا
(٩) سلانيك : بلد باليونان . (١٠) السفار : السفر .

فكم ظهرتْ للعلم فيك معاجزٌ ... بها آمن السيفُ الذى كذّب الكُتْبا
تظاهرتَ من فعل البخار بقوة ... يذلّل أدنى فعلها المَطلبَ الصعبا[١]
واقسم لو لا الـكهرباءة فوقه ... لقلت على كل القوى تِه به عُجبا[٢]
هو العلم يعلو بالحياة سعادةً ... ويجعلها كالعلم محمودة العُقبى
فكل بلادٍ جادها العلمُ أمرعت ... رُباها وصارت تُنبت العز لاالعُشبا[٣]
متى ينشيء الشرقُ الذى اغبرّ أُفْقُه ... سَحابة علمٍ تمطر الشرف العذبا
فإن دَبور الذل ألوتْ بعزه ... وكادت سَموم الجهل تُحْرِقه جدبا[٤]
تبصرْ إذا دارت رَحى الشرق هل ترى ... سوى الجهل فى أثناء دورتها قُطبا

الأرملة المرضعة

لقيتها ليتنى ما كنت ألقاها ... تمشى وقد أثقل الإملاق مَمشاها
أثوابها رَثّة والرجل حافية ... والدمع تذرفه فى الخد عيناها
بكَت من الفقر فاحمرَّت مدامعها ... واصفر كالوَرْس من جوعٍ مُحياها[٥]
مات الذى كان يحميها و يسعدها ... فالدهر من بعده بالفقر أشقاها
الموت أفجعها والفقر أوجعها ... والهم أنحلها والغم أضناها
فمنظر الحزن مشهود بمنظرها ... والبؤس مَرْآه مقرون بمَرآها
كرُّ الجديدين قد أبلى عَباءتها ... فانشق أسفلها وانشق أعلاها
ومزّق الدهرَ و يلَ الدّهرِ مئزرَها ... حتى بدا من شقوق الثوب جنباها

---

(١) تظاهرت بقوة : استعنت بها وتقويت
(٢) الـكهرباءة : يريد الـكهرباء ، والـكلمة مقصورة ، ولـكن المؤلف جرى على استعمالها ممدودة هنا وفى مواضع أخرى من شعره .
(٣) أمرعت : أخصبت .
(٤) الدبور : ريح الجنوب ، وهى حارة . والسموم : الريح الحارة تحمـل التراب والحصى ونحوه ، وفى الـكلام تشبيه للذل بريح الدبور ، وتشبه الجهل بريح السموم المهلـكة .
(٥) الورس : نبت أصفر يصبغ به . والمحيا : الوجه .

تمشي بأطمارها والبردَ يلسعها — كأنه عقرب شالت زُباناها[1]
حتى غدا جسمها بالبرد مرتجفا — كالغصن في الريح واصطكت ثناياها

* * *

تمشي وتحمل باليسرى وليدتَها — حَملًا على الصدر مدعومًا بيُمناها
قد قمَّطتها بأهدام ممزقة — في العين مَنْشرها سَمْجٌ ومَطواها
ما أنس لا أنس أني كنت أسمعها — تشكو إلى ربها أوصاب دنياها
تقول : يا ربُّ لا تترك بلا لبن — هذي الرضيعةَ وارحمني وإياها
ما تصنع الأم في تريب طفلتها — إن مسَّها الضُر حتى جفَّ ثدياها[2]
يا ربُّ ما حيلتي فيها وقد ذَبلت — كزهرة الروض فقدُ الغيث أظماها
ما بالها وهي طول الليل باكية — والأمّ ساهرة تبكي لمبكاها
يكاد ينقدّ قلبي حين أنظرها — تبكي وتفتح لي من جوعها فاها[3]
ويلُمِّها طفلةً باتت مروّعة — وبتُّ من حولها في الليل أرعاها[4]
تبكي لتشكو من داء ألمَّ بها — ولست أفهم منها كنه شكواها
قد فاتها النطق كالعجماء أرحمها — ولست أعلم أيَّ السقم آذاها
ويحَ ابنتي إن ريب الدهر روّعها — بالفقر واليتم آهًا منهما آها[5]
كانت مصيبتها بالفقر واحدة — وموت والدها باليُتْم ثنَّاها

* * *

هذا الذي في طريقي كنت أسمعه — منها فأثَّر في نفسي وأشجاها
حتى دنوت إليها وهي ماشية — وأدمعي أوسعت في الخد مجراها
وقلت : يا أختُ مَهلًا إنني رجلٌ — أُشارك الناس طُرًّا في بَلاياها[6]

---

(١) شالت : ارتفعت . والزبانة : الذنب .
(٢) تريب : تربية . (٣) ينقد : ينشق
(٤) ويلمها : أصله ويل لأمها ، حذفت اللام ثم أضيف الأول إلى الثاني ، والويل العذاب .
(٥) وويح ابنتي : بنصب ويح ، أي رحمة لها ، وهو مصدر منصوب ، بفعل من معناه . أي أرحم ابنتي رحمة . (٦) بلاياها : جمع بلية ، بمعنى البلوى والمصيبة .

سمعت ياأختُ شكوى تهمسين بها ... في قالةٍ أوجعت قلبي بفحْواها[١]

هل تسمح الأختُ لي أنِّي أشاطرها ... ما في يدي الآن أسترضي به اللهَ

ثم اجتذبت لها من جيب ملحفتي ... دراهمًا كنت أستبقي بقاياها[٢]

وقلت يا أختُ أرجو منك تكرمتي ... بأخذها دون ما مَنٍّ تغشَّاها[٣]

فأرسلتْ نظرةً رعشاء راجفةً ... ترمي السهام وقلبي من رماياها

وأخرجت زَفَرات من جوانحها ... كالنار تصعد من أعماق أحشاها

وأجهشت ثم قالت وهي باكية ... واهًا لمثلك من ذي رقَّةٍ واها[٤]

لو عمَّ في الناس حِسٌّ مثل حسِّك لي ... ما تاه في فلوات الفقر من تاها

أو كان في الناس إنصاف ومرحمة ... لم تشكُ أرملة ضنكًا بدنياها

* * *

هذي حكاية حال جئت أذكرها ... وليس يخفى على الأحرار مَغزاها

أولى الأنام بعطف الناس أرملة ... وأشرف الناس مَن في المال واساها

عهد الصبا

أو نهر الحياة

عهدُ الصِّبا سمِّيا لأيّام الصبا ... أشْبَهُ شيء بأزاهير الرُّبا

إنّ الصِّبا كالورد في نضرته ... وعُمْره واللونِ منه والشَّذا

واها على شَرْخ الشباب المشتهى ... خلَّف ذِكراه بقلبي ومضى[٥]

(١) فحواها : معناها .

(٢) ملحفتي : الرداء الذي ارتدى به فوق ملابسي .

(٣) المن : إفساد الصنيعة بالفخر ونحوه من الأذى .

(٤) أجهشت : أي تهيأت للبكاء ، كما يفعل الطفل .

(٥) شرخ الشباب : أوله وعنفوانه .

لقد ذَوَى غصن حياتى بعده ... وكان ريَّان التصابى والمُنَى
أطيب عيش المرء فى شبابه ... فإن تولَّى فهو هيشٌ مُزدَرَى

* * *

إنَّ حياة المرء ما عاش تُرى ... أحوالهُا مختلفاتٍ فى الرُّؤَى[1]
كالنَّهرِ الجارى الذى تغيَّرتْ ... أوضاعه فى الأرض كلَّمَا جرى
فهو لدى المنبَع ضَحْضَاح وفى ... مَصَبِّه تلقاه بحْرًا قد طَمَا[2]
بيناه يجرى فى الثَّرَى مُنعطفاً ... إذا بواديه تَمَطَّى واستوى[3]
طَوراً كأسياف الوغَى منحنياً ... فى الأرض ينساب وطوراً كالقنَا
وربمَا عادت مجاريه به ... راجعةً من حيث جاء القَهقَرَى[4]
وربمـا صادف غَوْطاً فانهوى ... فيـه وقد خرَّ خريراً ورغَا[5]
والمـاء فيه قد يُرَى منبسطاً ... وتارةً منزوياً فوق الثرى
وتارةً تلقـاه فى مَشْجَرَة ... يجرى وأخرى بين أصلاد الصفا[6]
حتى إذا أبحر مجراه به ... كان إلى الدأْماء منه المنتهى[7]
وهكذا أنهار أعمار الورى ... تجرى فتنصبُّ إلى بحر الرَّدَى

* * *

وإنمـا العمر شـبـاب فإذا ... زال فحزنٌ وشقاء وضَنَى
ما كان أحلى العيشَ لو أنَّ الفتَى ... لم يجد الشيبُ إليه مختَطَى[8]

---

(١) الرؤى : جمع رؤية ، أى النظر .
(٢) ضحضاح : ليس عميقا . (٣) تمطى : امتد واستقام .
(٤) القهقرى : الرجوع إلى الوراء على الأعقاب .
(٥) غوطا : أرضا منخفضة . ورغا البعير : صوت .
(٦) مشجرة : أرض كثيرة الشجر . وأصلاد جمع صلد . وهو الصخر الجلد . والصفا : جمع صفاة ، وهى الحجر الأملس .
(٧) أبحر مجراه : اتسع كالبحر . والدأماء : البحر .
(٨) مختطى : مصدر ميمى من اختطى ، بمعنى خطا . يريد ما أحلى العيش لو دام الشباب ولم تجد الشيب إلى المرء سبيلا .

ليت الفتى كالبدر فى النشأة إذ عاد هلالًا كلّ شهر فما

أو ليته كالشجر النابت إذ يُورق فى الصيف ويَعرَى فى الشتا

أو ليت هذا الشيب إن كان ولا بُدَّ من الشيب أتى قبل الصِّبا

شبيبة الإنسان مِرآة المُنَى بدائع الآمال فيها تُجتَلى

والمرء فيها إنْ تمرأى راجياً أبدت له مبتسما ثغر الرَّجا

ويحَ شباب فتك الشيب به إذ لاح كالسيف عليه مُنتَضَى

بُردانِ هذا من وقارٍ ونُهًى حيك وهذا من تصابٍ وهوَى

لكنْ وقارُ الشيب لا يعدِل ما فى طيِّه من لُوثة ومن وَنَى (١)

* * *

يا مُسْلياً ذا الشيب عن شبابه بأنَّ وَخْط الشيب أزهارُ النُّهى

أقصِرْ هَذا ذيكَ عن القول فلا يُقاس ذَيَالِكَ تالله بذا (٢)

وما الصِّبا بمانع من الحِجا بل هو فى الشيخ يكون والفتى

وليس من أصبح يمشى الخَيْزَلَى فى مَعْرِض السبق كماشى الهَيْذَبى (٣)

وما إياة الشمس فى تطفيلها مثلَ إياة الشمس فى رَأْد الضُّحَى (٤)

وهل يطيب العيش للهِمّ الذى إن همَّ بالنهضة خانته القُوَى (٥)

يبيت طول الليل فى مَضْجَعِه مستأنس السُّعلة وحشىّ الكَرَى (٦)

وإنَّ ظهر الأرض يستثقل من أمسى يَدِبّ فوقها على العَصا

---

(١) لوثة ، بالضم ، أى ضعف .

(٢) هذا ذيك : مثنى هذاذ ، أى هذا بعد هذ . والهذ : القطع . يريد كف عما تقوله واقطعه ولا تعد إليه .

(٣) الخيزل : مشية تخاذل وتراجع وتفكك . والمراد أنها مشية بطيئة . والهيذبى ، والهيدبى : ضرب من مشية الخيل سريعة .

(٤) إياة الشمس : شعاعها . والتطفيل : وقت الأصيل . ورأد الضحى : ارتفاعه ورونقه حين يعلو النهار .

(٥) الهم : الرجل المسن البالى ، جمعه أهمام .

(٦) أى حاضر السعال ، نائى الكرى .

السفر فى التومبيل

وقَدْفَدٍ قاتم الأعماق متَّسع طَوَيت أجوازه طَيَّ المكاتيب(١)

بتُومبيل جرى فى الأرض منسرحاً كما جرى الماء فى سفح الأهاضيب

ينساب مثل انسياب الأيْم تحمله عواملٌ عَجِلاتٌ من دَواليب(٢)

كأنها وهى بالمطَّاط مُنْعَلَة تمشى بأخفاف أنواق مَطاريب

يمرُّ كالريح لم تسمع لأرجله سوى حفيف كنفخ فى الأنابيب

وتنكر الخيل إن جارته فى سَنَن ماتعرف الخيلُ من حُضْر وتقريب(٣)

تُظِلُّه قُبَّةٌ فيه مُنَجَّدة قد زانها حسنُ تنجيد وتقبيب

يَخال من حلّ فيها نفسه ملكاً يُزهى بتاج على الفَوْدين معصوب

ركبته وبياض الصبح تحسبه صدر المليحة مكشوفَ التلابيب(٤)

والبدر فى الأفق الغربىّ مُنْتقِع يرنو إلى الفجر فى ألحاظ مرعوب(٥)

وللنجوم بقايا فى جوانبه كالعقد منفرطاً من جيد رُعبوب(٦)

وللنسيم هُبوب فى مَدارجه مايَنْعَش الروحَ من نَشْر ومن طيب(٧)

فطار من غير تحليق براكبه بل مرّ يعطر مَطْراً فوق مَلْحوب(٨)

وسار سيراً دِراكا ملء مَهْيَعه كالوبْل يتبع شُؤبوبا بشؤبوب(٩)

---

(١) القدفد : الفلاة الواسعة لاشىء بها ، أو الأرض الغليظة ذات الحصى ، أو المكان الصلب . والعمق : مابعد من أطراف المفاوز . أو المطمئن من الأرض . والأجواز : جمع جوز ، وهو وسط الشىء .

(٢) الأيم : الحية .

(٣) الحضر : السير السريع . والتقريب : ضرب من السير بطىء .

(٤) التلابيب : جمع تلبيب ، وهو من الثوب ما كان على أعلى الصدر والرقبة ، يقال : أمسك بتلابيبه

(٥) ممتقع ، ومنتقع : مصفر اللون .

(٦) منفرطا : يريد منتثرا ، ولم يسمع فى اللغة انفرط بمعنى انتثر . والرعبوب : الشابة الممتلئة الحسنة الناعمة .

(٧) مدارجه : مسالكه وطرقه . والنشر : الرائحة الطيبة .

(٨) الملحوب : الطريق الواسع .

(٩) دراكا : متتابعا . والمهيع الطريق . والشؤبوب : الدفعة من المطر .

فكنت أبصر حولي الأرض جارية ... كمثل تيّار بحر وهو يجرى بى

يلوح فصلُ الرُّبا وصلًا فأحسبها ... من سرعة المرّ قد صُفَّت بترتيب [١]

ما زال يجتاز بى ما فى البسيطة من ... سهل ومن جَبَل عالى الشَّناخيب [٢]

حتى بلغت به أقصى مَدًى عجزت ... عنه العِتاق من الجُرْد السَّراحيب [٣]

وكم علا بىَ أنشازاً تسلَّقها ... وشابَ فى السير تصعيداً بتصويب [٤]

لا يعرف الأينُ منه أينَ موقِعُهُ ... ولو يواصل إدلاجاً بتأويب [٥]

وكيف يتعب ما لا حِسّ يتبعه ... ولا يسير على ساق وظُنْبوب [٦]

وإنما هو يجرى فى مسالكه ... دفعاً بقوة غاز فيه مشبوب

• • •

جرّبته هابطا أجزاع أودية ... وطالعا فى الثنايا والعراقيب [٧]

ومُلهبا فى سهول الأرض ينهبها ... نهبـا ويخلط ألهوبا بألهوب [٨]

فكان أسبق مركوب لغايته ... وكنت أقرب طلّاب لمطلوب

تلك المطيَّة لا ما كان يذكرها ... أديب ذُبيان من عَيرانة النِّيب [٩]

لو امتطاها لَبيدٌ قبلُ تاه بها ... على الحواضر قِدْما والأعاريب

---

(١) يقول : يخيل إلى راكب السيارة من شدة سرعتها ، أن الربا متصل بعضها ببعض من غير فاصل ، لأنه يقرب ما بينها من مسافات ، فتبدو للعين كأنها متصلة .

(٢) الشناخيب : جمع شنخوب وشنخابة وشنخاب ، وهو رأس الجبل .

(٣) الجرد : التى انجرد شعرها وذهب ، وهو من صفات العتاق . والسراحيب : جمع سرحوب ، وهى الفرس الطويلة الجسم .

(٤) أنشازا جمع نشز ، بالتحريك ، وهو المرتفع من الأرض .

(٥) الإدلاج : سير الدلجة فى الليل ، والتأويب : السير بالنهار .

(٦) الظنبوب : مقدم عظم الساق .

(٧) الأجزاع ، جمع جزع ، بكسر الجيم ، وهو حيث ينجزع الواد والطريق ، أى ينعطف .

(٨) الألهوب : العدو الشديد تلتهب منه الأرض الصلبة ، فيخرج منها الشرر .

(٩) أديب ذبيان : هو النابغة الذبيانى ، والعيرانة : الناقة تشبه العير ، وهو حمار الوحش ، فى وثاقة خلقها وقوتها . والنيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة .

ولم يَهِم لو رأى ابن العبد منظرها ... من وصف عَوجائه في كل أسلوب[1]

ولا أطال ابن حُجْر وصف مُنجَرِد ... عالي السَّراة كُمَيت اللون يَعبوب[2]

من ويلات الحرب

مرّت تقول ألا يارب خُذْ روحي ... كي أستريحَ بموتي من تباريحي[3]

مهزولةَ الجسم من فقرٍ ومن نَكَدٍ ... مُصفرَّةَ الوجه من همٍّ وتبريح

باتت بغير عَشاء وهي طاوية ... وأصبحت وهي غَرْثَى دون تصبيح[4]

ضنْكُ المعيشة أضوى جسمها فبدتْ ... شَرْوَى خيالٍ بطرف العين ملَموح[5]

وأذبلتْها هموم النفس ناصبةً ... فصوّحتْ وجنتيها أيّ تصويح[6]

وَيْلُمِّها عيشةً نكداءَ يابسةً ... لم تُبقِ من جسمها غير الألاويح[7]

في طَرْفها نظرٌ وانٍ تُردِّده ... لمحَ المريض إذا ما جاد بالروح

تلفعت بدريسٍ من تخرّقِهِ ... تخال طرّته بعضَ التقازيح[8]

فكم ترَى العينُ خَرقاً غير مرتقعٍ ... في جانبيه وفتقاً غير منصوح[9]

---

(١) ابن العبد : هو طرفة بن العبد بن سفيان البكرى . وعوجاؤه : ناقته التى وصفها فى معلقته بقوله : « بعوجاء مرقال تروح وتغتدى » والعوجاء : المعوجة من شدة الضمر ، وممارسة الأسفار ، فلا شحم لها . أو هى لاتستقيم فى سيرها ، من فرط نشاطها .

(٢) ابن حجر : هو امرؤ القيس بن حجر الكندى . والمنجرد : القصير الشعر . والسراة : الظهر . والكميت : الأحمر . واليعبوب : الجواد البعيد الغاية فى الجرى .

(٣) التباريح : كلف المعيشة فى مشقة ، وهو من الجموع التى لامفرد لها .

(٤) التصبيح : هنا بمعنى الغداء ، أى مايؤكل صباحا ، وهو اسم بنى على تفعيل ، لامصدر .

(٥) شروى : بمعنى مثل ، أى مثل خيال .

(٦) التصويح : التجفيف ، أى جففت وجنتيها .

(٧) الألاويح : جمع ألواح ، جمع لوح ، فهو جمع الجمع ، وألواح الجسد : عظامه العراض . والمعنى : لم يبق فى جسمها غير العظام ؛ يقال للمهزول : لم يبق منه إلا الألواح .

(٨) تلفعت : تلحفت وتغطت . والتقازيح : جمع التقزيح ، وهو رأس نبت أو شجرة يتشعب كبرثن الكلب . أى تخال جانب ثوبها المتخرق كرأس هذا النبت المتشعب شعبا .

(٩) منصوح : أى مخيط ، من نصح الثوب : إذا خاطه .

تمشي انخزالًا بعبء الفقر مُثقَلةً ... كظالعٍ في الطريق الوَعْرِ مكسوحِ [1]
خارتْ قواها فمارَتْ في تخزّلها ... يكاد يُسقِطها هَبٌّ من الريحِ [2]

* * *

لمّا دنوتُ إليها كيْ أسائلَها ... والقلب في خطَرانٍ كالأراجيحِ
تأوّهتْ آهةً حمــــراءَ داميةً ... تشِفُّ عن كَبِدٍ بالهمّ مجروحِ
وأجهشتْ ثم أرختْ من محاجرها ... عِنانَ دمعٍ على الخدّين منضوحِ [3]
وأعرضتْ وهْي لم تنبِسْ سِوى نَظَرٍ
يُغنِي الألبّـــاءَ عن نطقٍ وتصريحِ [4]
فرُحتُ من عَجبي منها ومن جزَعي ... أبكي لها بين ترجيعٍ وتسبيحِ [5]
من ليس يُبكيه من أبناء جِلدته ... بكاؤهم فهو من جنس التماسيحِ
ولا يقوم بعبء المجد مضطلعا ... من لا يقوم إلى إنهاض مفدوحِ [6]
وما السـعادة في الدنيا بحاصلةٍ ... إلّا بإسـعادِ أطلاحٍ مرازيحِ [7]
إنّ المروءة شيء لا تَناوَشُــه ... إلّا سواعدُ أجوادٍ مساميحِ
أرى كنوز المعالي ما لِأَقفالها ... غيرُ السماح لَعمري من مفاتيحِ
والعيش غيهبُ آمالٍ وليس لنــا ... سوى التعاوُن فيه من مصابيحِ

* * *

(١) الانخزال ، كالتخزل : هو المشي في تثاقل ؛ يقال : انخزل وتخزل : إذا مشى متثاقلا . والظالع : الذي يغمز في مشيه ، أي يميل من رجله ، وكذلك المكسوح ، يقال : جمل مكسوح : إذا كان به ظلع شديد .

(٢) خارت : سقطت ، يقال : خارت قوة المريض : إذا سقطت قوته . ومارت : أي اضطربت

(٣) أجهشت : همت بالبكاء ، وتهيأت له . ومنضوح : مرشوش .

(٤) لم تنبس : أي لم تتكلم ، ولم يستعمل هذا الفعل إلا منفيا .

(٥) الترجيع : هو قول المصاب بمصيبة : « إنا لله وإنا إليه راجعون » . والتسبيح : هو قول المتعجب : « سبحان الله » ! ففي الكلام لف ونشر غير مرتب .

(٦) المفدوح : المثقل ، يقال : فداحة الحمل والدين : إذا أثقله وبهظه .

(٧) أطلاح : جمع طلح ، وهو المعيي والمهزول . وكذلك مرازيح ، يقال : إبل مرازيح ، أي مهزولة ساقطة .

قامتْ قيامةُ أهلِ الغَربِ فانبعثتْ هَزاهِزٌ بينهمْ عمَّتْ بنى نُوحِ (١)
واستفحلتْ فتنــة عمياء جائحة تمخضتْ فى دم الأرض مسنوحِ
وقامتِ الحربُ باللأواء شاملةً كلَّ البسيطة حتى الأبحر الفِيحِ (٢)
والأرض قد أصبحتْ من مكر ساكنها
مُحمّرة اللُّوحِ أو مُغْـــبرة السُّوحِ (٣)
ضاقت على الناس وانسدّت مسالكها
فعاد كلُّ طريق غــــير مفتوحِ
والحرب أغنت أناسا غِنيةً عَجَبا وآخرين رمتهمْ بالمجــاليحِ (٤)
ومعشراً أسكنتهم فى الذُّرا غُرَفا ومعشراً بطنَ ملحود ومضروحِ (٥)

* * *

أمّا التى أوجعتْ قلبى بمنظرها وأوهنتْه بتبضــــيع وتقريحِ
فغادة عضَّت الحربُ الضَّرُوسُ بها عضّاً بناب حديد غير مرضوحِ (٦)
أمست تكابدُ من فقر ألم بها آلامَ عيش بَشيع الطعم مذروحِ (٧)
ترنو إلى الناس بالشكوى فتحسبها ظمآن يشــكو لآل حُرقة اللُّوحِ (٨)

---

(١) الهزاهز : الفتن التى تهز الناس ، والمراد ببنى نوح : البشر كلهم . لأن نوحا هو آدم الثانى .
(٢) اللأواء : الشدة والمجاعة . والفيح : جمع أفيح ، يقال : بحر أفيح ، أى واسع .
(٣) اللوح ، بضم اللام : الهواء بين السماء والأرض . والسوح : جمع ساحة ، احمرار اللوح ، واغبرار السوح : كناية عن وقوع القحط والجدب .
(٤) المجاليح : السنون التى تذهب بالمال ، وهى ذات القحط والجدب .
(٥) الملحود والمضروح : القبر .
(٦) عضت بهم الحرب : أى اشتدت عليهم . ومرضو مكسور .
(٧) مذروح : مسموم .
(٨) الآل : السراب . واللوح ، بضم اللام هنا ، بمعنى العطش . والمعنى أنها تشكو إلى الناس بلا فائدة . كشكوى الظمآن ظمأه إلى السراب .

على جسر مود

قالها يصف بها ليلة مقمرة وهو على جسر مود ببغداد

لاتبك أربَعهمْ ولا الأطلالا ... واربأ بحبك أن يكون خَبالا[1]
واترك سؤالك للرسوم فإنها ... مما يزيدك بالسؤال ضلالا
وانظر إلى حسن الطبيعة إنه ... حُسنٌ يفيدك في الحياة كمالا
حسنٌ يقيِّد من رآه بحبه ... ويَفكُّ من أفكاره الأغلالا
ويطير في جوِّ السرور مُرَفرِفاً ... بالمشتكين كآبةً ومَلالا
أوَ ما ترى البدرَ المنير إذا بدا ... يكسو الدُّجَى من نُوره سربالا[2]

* * *

ولقد وقفت بجسر مُودَ عشيةً ... والبدر في أُفْقِ العُلَى يتلالا
والليل يلبَس من سناه مَطارِفا ... منها يُجَرِّرُ بدجلةٍ أذيالا
أمَّا النسيم فقد جرى متعطرا ... وحكى بطيب هُبوبه الآمالا
وجبين دجلة قد صفا متألقا ... فحكى السماء محاسنا وجمالا
فحسبت نفسي في السماء مُشاهدا ... تحتي بدجلة للسماء مِثالا
ورأيت من فوق السماء حقيقة ... ورأيت من تحتي السماء خَيالا
فكأنما الجسر الذي أنا فوقه ... قد مد في جَوّ السماء مثالا
وكأنما أنا في السماء محلِّق ... طورا أسِفُّ وتارة أتعالى[3]

* * *

لله ما شاهدتُه من مَنظر ... يدع الكئيب كشارب جِريالا[4]
حُفَّت جوانبه بكل بديعةٍ ... فزها جمالا واستقلّ جلالا
حتى تَخيلُ الجانبين جميعها ... قامت له بحفاوة إجلالا

---

(١) الخبال : ضرب من الجنون .
(٢) السربال : القميص .
(٣) أسف الطائر : دنا من الأرض
(٤) الجريال : من أسماء الخمر .

على البسفور

وقفتُ على البُسفور والريحُ عاصفٌ ... وللدَّوْحِ ظِلٌّ دونه متقلِّص

وفى البحر تجرى موجة إِثرَ موجةٍ ... كجرى طموح الخيل إذ يتوقَّص [١]

ويُزبِد أعلى الموج حتى كأنَّه ... هِضاب إلى أطرافها الثلج يخلُص

كأَن رياح الجوّ عند هبوبها ... تَغَنَّى وهذا الموج فى البحر يرقص

كذا حادثات الدهر تمضى رواقصًا ... بها العيش يصفو أو بها يتنغَّص

وفى كل يوم للزمان عجائب ... بها الناس تغلو أو بها الناس ترخُص

وأعجب ما فى الدهر أن هِباته ... تزيد لمن فيه المروءة تنقُص

وربَّ أفيكٍ جاء يَعذُق وُدَّه ... ويُظهر إخلاصًا وما هو مخلص [٢]

ولكنه فى ودّه الثعلبُ الذى ... يروغ أو الكلب الذى يَتَبصبص [٣]

تعاليتُ عن تبكيته إذ رأيتُه ... جَبولًا على عِلَّاته يَتَعَنْفَص [٤]

وقلت له لا تدنُ منى فإننى ... بغيضٌ إلىَّ الكاذب المتخرّص [٥]

وإنك عارٍ من سوى العار فابتعد ... فإنى بأثواب العلى متقمّص

حَرَصت على تكريم محضر صاحبى ... وإنى على ذا فى المَغيب لأحرص

وما غَرّنى ذو ظاهر متودِّدٍ ... إذا كان فيه باطن متلصِّص [٦]

ويا رُبَّ وجهٍ لم يَرُقْنى بياضُه ... فلما دنا منى إذا هو أبرص

---

(١) يتوقص : يثب فى عدوه وهو يقارب الخطو .

(٢) أفيك : كاذب . ويعذق : يخلط . يقال : هو يعذق اللبن بالماء .

(٣) بصبص الكلب بذنبه : حركه تملقا لصاحبه ، وتبصبص الذنب تحرك ، مطاوع بصبص ، وقد ضمن الشاعر الفعل يتبصبص معنى يتملق .

(١) العنفص : البذية القليلة الحياء من النساء ، وقد اشتق الشاعر من هذا الوصف الفعل يتعنفص

(٥) المتخرص : الكاذب . (٦) متلصص : خائن .

فيا شعراء القوم كفُّوا وَغاكُمُ　　فشرحُ العُلَى فى بعض شعرى مُلَخَّصُ
دَعُوا كشفَ مكنون الصدور لفطنتى
فإنى بذا من دونكم متخصِّص
ذكاءٌ لو اجتزتُ الجدار بنوره　　لَشفَّ لعينىَّ الجدارُ المجصَّصُ
ولست على الأعقاب فى الرأى ناكصًا
إذا كان للمستضعَفِ الرَّأْىِ مَنكَصُ[1]
على أنّ لى فى معرِض الشك رَبْصةً　　ورُبَّ يقين ناله المتربّص[2]
إذا أنا لم أنكر على الدهر جَوْرَهُ　　فلا وطِئت بى مَوطئًا العزّ أخمص

إلى غرة آل سعدون

أعبدَ المحسن السعدونَ إنِّى　　أراكَ مَناطَ أسبابِ الرجاءِ[3]
وأبصر من فَعالك بدرَ تِمّ　　يُلألىء من فخارك فى سماء
لذلك قد أتيتُ إليك أشكو　　رَثاثة بِزّتى وبِلَى كسائى[4]
فقد رقتْ ثيابى اليوم حتّى　　تكاد تذوب من مسّ الهواءِ
غدت شفافة حتى كأنى　　لبست بهنّ أثواب الرياءِ
وليس العُرْى من ثوب مَعيبًا　　لكاسى النفس من حُلَل الإباءِ
وما ضرّ المهندَ فقدُ جفن　　إذا ما كان محمود المَضاءِ[5]
فإن لم تدرك الأيامُ عُريى　　بثوب منك يا غَمْرَ الرِّداءِ[6]
لبستُ قرار بيتى فى نهارى　　ولم أخلعه إلّا فى المساءِ

(١) منكص مصدر ميمى : بمعنى النكوص ، وهو الرجوع .
(٢) ربصة : وقفه وانتظار .　　(٣) مناط الشيء : موضع تعليقه .
(٤) بزتى : ثيابى .
(٥) المهند : السيف المصنوع فى الهند . والجفن : قراب السيف .
(٦) غمر الرداء : واسع العطاء .

فإن جاء المساء لبست منه ظلاماً ما تمزّق بالضياءِ
وصرت أجول كالخُفّاش ليلًا وألجأُ فى النهار إلى الضَّرَاءِ (١)
ولست أريد ثوباً أتحميًّا ولا من زىّ أرباب الثَّراءِ (٢)
ولكن بِزَّةَ البَدَوِىّ أبغى فمن ثوب علىّ ومن عَباءِ
ومن كُوفيَّة صَحِبت عِقالا يكون الرَّأس منها فى غطاءِ
فذا زىّ يَتِمّ به رجوعى إلى عيش بسيط ذى هَناءِ
وما صيّرتُ ملبوسى خفيفاً لأنى خفت من ثِقَل العَطاءِ
وكيف وأنت أكرم من حَبانى بأكرم ما رجوتُ من الحِباءِ
ولكنى رغبتُ عن اكتساءٍ يطول به من الدنيا عَنائى
وكيف يكون مطلوبى حقيرًا وأنت أَجلّ مَنْ تحتَ السماءِ
وهل أنا غيرُ عبدٍ أنت منه خَصَصْتَ أبا علىٍّ بالولاءِ
لَأَتخذنّ إخلاصى وصدقى لكم من كل مُوبقة وِقائى (٣)
وأجعل ما حييت جميلَ شكرى لما أسديت من نعم غذائى
ولست أرى الحياة تطيب إلا بحسن تحمُّدى لك والثناء
وأعلم أن ما أشكو إليكم يسرّ المارقين على عدائى
ويُشمِت بى الذين لهم نفوس مَرِضْن من العيوب بكل داءِ
ولم يشْمَت بأحرار البرايا سوى لؤمائهم والأَدنياءِ
ولكن هوَّنَ البُرَحاءَ أنّى شكوت إلى جدير باشتكائى
شكوتُ إلى فتًى جَمّ المزايا كبير النفس منفرد السناءِ
فتًى يُوليك عند البؤس خيرًا ولا ينساك فى حال الرخاءِ
رحيبُ الباع مؤتلِق المحيَّا أصيلُ الرأى وقَّاد الذكاءِ

---

(١) الضراء : الشجر الملتف فى الوادى . يقال : توارى الصيد منه فى الضراء . أو هو ما واراك من أرض
(٢) الأتحمى : الثوب الصفيق المتين النسيج . (٣) موبقة : مهلكة .

صريحٌ في مقاصده إذا ما ... أسرَّ القومُ حَسْوًا في ارتغاءِ[1]

زكتْ أخلاقه فصفتْ ورقَّتْ ... فبِنَّ لكل مَكرُمةٍ مرائي[2]

يلاقي الزائرين ببشر وجهٍ ... تجلَّل بالمروءة والحيـــاءِ

إذا رَأَسَ البــلادَ أبو عليٍّ ... فقد وضَحَتْ بها طرق العلاءِ

وإن وَلِيَ الوزارة وهو أهلٌ ... فيا حسن السياسة والدَّهاءِ

الوسام

وفخامة رئيس الوزراء

حَسُن الوِسامُ بصدْرِ عبد المحسنِ ... وبدا عليه كزهْرة من سَوْسَنِ

صدر به كمنتْ سرائر مجدِهِ ... فاستعصمت منه بأشرف مَكْمَنِ

واستأمنته المكْرُماتُ فأصبحتْ ... من كل شائنةٍ بأكرم مأْمَنِ

لاح الوسام بأفْق صدرك لامعا ... كالنجم في الأُفْق السعيد الأيمنِ

هو للعُلَى من فوق صدرك شارةٌ ... أكرم بصدرك للعُلى من مَعدِنِ

شرفٌ حُبِيتَ به فكان مَسرَّةً ... للمخلصين وحسرةَ المتخوِّنِ[3]

جعلته لَنْـدَنُ للعراق كرامةً ... إذ أكرمتك به سياسةُ لَندَنِ

ليكون فيك علامةً منها على ... ما تبتغيه من اعتزاز الموطنِ

فافخَرْ به كل افتخار وسِرْ بنا ... ما شئتَ سيرَ حضارة وتمدّنِ

تتناسبُ الأشياء معْ أصحابها ... شرفا فيعظم حسنها في الأعينِ

وكذاك صدرك والوسامَ كلاهما ... ذو نسبة في المجد ذات تفنّنِ

فكلاهما عنوان مجد قرينه ... فاعجَبْ لحسن مُعَنون بمعنون

---

(١) الحسو: الشرب. والارتغاء: شرب الرغوة التي على اللبن ونحوه. وهذا مثل معناه أنه يظهر أنه يشرب الرغوة، وهو يحسو اللبن الذي تحتها. يضرب لمن يظهر غير ما يبطن.

(٢) مرائي: جمع مراءة. (٣) المتخون: المتنقص.

يا أصدق الوُزراء معرفة بما　　يَهْدِى البلادَ إلى المآب الأحسنِ

سِرْ بالبلاد إلى معالم عزّها　　وابلُغْ بهن مَدَى الرقىّ الممكن

إنّا نرجو للعــــراق وأهله　　بك يا أصيلَ الرأى فضلَ تحسُّن

نحن

فى يوم حادثة الرئيس

شاعَ كالبرق فى العراقين يوماً　　خَـبَرٌ أترعَ القلوب كآبه[1]

خَـبَرٌ قُطْرنا العراقىّ قد زُلـــــزل منه حتى خشينا انقلابه

شاع أن الرئيس أهوى إليه　　ذو اعتــداء بمُدية فأصابه

إذ رماه بطعنة منه فى الزّنـــــد وأخرى فى رأسه والذُّؤابه

فهوَى يخبط الصعيد صَريعاً　　بدماء قــد ضَرّجتْ أثوابه[2]

خبرٌ صاح عنده الناسُ يا لَلّـــــهِ للمجد والندَى والنجابه

واستمر الـكرام يرجون أن لو　　حَقّق الله خُلْفَه وكِذابه

ويقولون من أصيب ؟ أعبدُ الـــــمحسن العبقرىُّ ليثُ الغابه

أسليلُ الداودىّ من آل سعــــــدونَ أربُّ الشمائل المستطابه

ويَحْكُمْ ما الذى تقولون للنا　　س أجِدٌّ مقالـكم أم دُعابه

إن يكن صَحّ ما تقولون لاصــــــحَّ فقَدْنا من العَلاء لُبابه

٭ ٭ ٭

ثم مرّت سُوَيْعة فتولّتْ　　سُحُب الغم والأسَى مُنْجَابه[3]

إذ علمنا أن الرئيس بحال　　غـيرِ قتّــالة ولا رَيّابه

وعلمنا الخطب الذى أكبروه　　غيرَ خطب وإن يكن ذا غَرابه

---

(١) أترعه : ملأه ، وإناء مترع : ملآن .

(٢) ضرجت أثوابه : لطختها بالدماء .　　(٣) انجاب : انكشف .

بيدَ أن الذين هم أكبروه أرجفوا نافخين في الشَّبابه[1]
فإذا كل ما جرى هو هذا أسَدٌ قد عدتْ عليه ذبابه
فهنيئا لا للرئيس ولكنْ للمعالي ، وللنُهى ، والنّجابه

في ملعب كرة القدم

قصدوا الرياضةَ لاعبين وبينهمْ كرة تُراض بلعبها الأجسامُ
وقفوا لها متشمِّرين فأُلقيت فتعاورتها منهم الأقدام[2]
يتراكضون وراءها في ساحةٍ للسُّوقْ مُعترك بها وصِدام[3]
رَفساً بأرجلهم تُساق وضرْبُها بالكف عند اللاعبين حَرام
ولقد تُحلِّق في الهواء وإن هوت شرعوا الرءوس فناطحتها الهام
وتخالها حينا قذيفة مِدْفَع فتمر صائتةً لها إرزام
ولربّما سقطتْ فقام حِيالها للضرب عَبْل الساعدين هُمام
فتخالها وتخاله كفريسةٍ سقطت فزمجر دونها الضِّرغام
لا تستقرّ بحالة فكأنها أَمَلٌ به تتقاذف الأوهام
تنحو الشِّمالَ بضربة فيردّها نحو الجنوب مُلاعِب لطَّام
وتمر واثبةً على وجْه الثَّرى مَـرًّا كما تتواثب الآرام
وتدور بين اللاعبين فمُحْجِم عنها وآخر ضارب مِقدام
وكأنها والقوم يحتَوِشونها قَلْبٌ عليه تهَاجَمُ الآلام
راضوا بها الأبدان بعد طِلابهم علماً تُراض بدرسه الأفهام
أبناء مدرسة أولاءِ وكلهم يَفَع مَرير المِرفقين غلام

* * *

(١) الشبابة : نوع من المزامير مولدة . (٢) تعاورتها : تداولتها .
(٣) يتراكضون : يتسابقون في العدو وراء الكرة .

لا بدّ من هَزْلِ النفوسِ لجِدّها تعَبٌ وبعضُ مُزاحِها استجمام

فإذا شغلت العقل فآنهُ سُويعةً فاللهو من تعب العقول جِمامُ[1]

والفـكر مَنْهَـكة فباستمراره تَهِنُ العقولُ وتَهْـزَلُ الأجسام

إن الجسوم إذا تكون نَشيطة تقوى بفضل نشاطها الأحلام

هذى ملاعبهم فجسمكَ رُضْ بها واسلك مسالكهم عَداكَ الذّامُ[2]

الاحسان

أنشدت فى حفلة افتتاح مدرسة الأيتام التى أسستها الجمعية الخيرية الاسلامية فى بغداد وأنفق على بنائها حضرة المحسن الكبير مناحيم صالح دانيل من أشراف الملة الموسوية وأغنيائها فى بغداد وذلك سنة ١٩٢٨ :

لو كنتُ أعبُد فانياً فى ذى الدُّنَا لعبدتُ من دون الإلٰه المُحْسِنَا

وجعلت قلبى مسجدا لتعبُّدى سِرًّا وفُهتُ له بشـكْرى مُعلِنا

كى لا أكون مرائيا بعبادتى ولـكى أكونَ بشـكره متفنِّنا

فى مُجتنَى غَرس الخليقة لم أجـــد غَرسا سوى الإحسان حُلْوَ المُجْتَنَى

هو فى الخليقة ذو عجائب سِرُّها أعيا اللبيب وأعجز المتفطّنا

بيناه يغدو للنفوس مُقيِّدا بالحب يطلق بالثناء الألسنا

يستعبد الأحرار وهو صنيعهم ويرد بغض المبغضين تحننا

كم بلّ نائرة فأطفأ نارَها من بين مُشترك الصوارم والقنا

ما لاح كوكبه بمَوْهِن غُمّـةٍ إلّا أعاد ضُحَى سَـناهُ المَوْهِنا[3]

ما إن تَظَلّل موطن بظلاله إلّا أعزّ الله ذاك الموطِنا

---

(١) جمام : راحة . (٢) الذام : العيب .

(٣) الموهن : الساعة بعد منتصف الليل .

نفحاته تمحو معايب أهله ... من حيث تُعْمِي عن رُؤَاها الأعينا
لم أدرِ والآثار منه كثيرة ... فى الغرب لِمْ نَزُرت وقلّت عندنا
أفنحن نجهله وقــد علم الورى ... فى الشرق نشأته ربيبا بيننا
أوَ ما أُمرنا فى عظات كتابنا ... بالعدل والإحسان أن نتديّنا

* * *

ويسرّنى أنى أُشاهد موطنى ... قد نال من بركاته بعض المُنَى
وإذا استريب بما أقول فشاهدى ... هذا البناء ومَن حماه ومَن بنى
قد شِيدَ للأيتام مأوًى واهيا ... يُهتَمّ بالأيتام فيــه ويُعتَنى
ليكون فيه شفاؤهم من جهلهم ... ومن الظَّما ومن الطَّوَى ومن الضَّنَى
جادابن «دانيلَ» الكريمُ لذا البنا ... بالمال مشتريا به كل الثنا
فاستوجب الحمدَ الذى كلماته ... مستغرقاتٌ بالثناء الأزمنا
فلنَكْنِه بأبى اليتامى بعد ذا ... إذ لا يخاطب مثله بسوى الكُنَى
رجلٌ علمنا اليوم من إحسانه ... أن ليس للإحسانِ دين فى الدُّنا
لا يَحسُن الإحسان إلّا هكذا ... قد صار طبعا للنفوس وديدنا
والمال إن جادت به يدُ محسن ... حَسَنٌ وإلّا فهو بئس المُقْتَنى
سَعِد امرؤٌ بذل الفواضل للورى ... عَفْوا وعوّد نفسه أن يُحسِنا
والجهدُ منى هٰهنا هو أننى ... أدعو إلى الإحسان من حضروا هنا

الجـــــرائد(*)

وما كانت عليه فى الآستانة

إذا شئت أن تسرى بكافرة الصُّوَى ... يدَوِّى بقطريها هَزِيمُ الرواعدِ[١]

وتذهبَ مِحيار الظلام تخبُّطاً ... وتَعْثُرَ فى ظلمائها بالجلامد[٢]

وتمشى فما تدرى إلى قعر هُوَّة ... تروح بها أم للمَدَى المتباعد

فطالعْ أراجيف الجرائد إننى ... أرى الويْلَ كلَّ الويل بين الجرائد

جرائد فى دار الخلافة أضرمتْ ... لهيب خلاف بينها غير خامد

ولم يكفها هـذا الخلاف وإنما ... أطافتْ بنقص فى الحقيقة زائد

فما بين مكذوب عليه وكاذب ... وما بين مجحود عليه وجاحد

ترى فى فروقَ اليومَ قراء صُحْفِها ... فريقين من ذى حُجَّـة ومعاند

جِدال على مَرِّ الجديدين دائمٌ ... بتفنيد رأى أو بتزييف ناقد[٣]

فذائد منهم عن رَمِىٍّ يردُّه ... وآخر رامٍ سهمَه نحو ذائد[٤]

وهذا إلى هذى وذاك لغيرها ... من الصحْف يدعو آتيا بالشواهد

وما هى إلا ضَجَّـة كل صائت ... بها مدّ للدنيا حِبالة صائد[٥]

أضاعوا علينا الحق فيها تعمدا ... وعُقْبَى ضياع الحق سُود الشدائد

ولم أر شيئا كالجرائد عنـدهم ... مبادئه منقوضة بالمقاصــــد

(*) من الجزء الأول .

(١) كافرة الصوى : كناية عن الصحراء التى لاعلم فيها يهتدى به . ويدوى : يكون له دوى . وهزيم الرواعد : صوت السحب ذوات الرعد .

(٢) الجلامد : جمع جلمد ، وهو الصخر .

(٣) تفنيد الرأى : نسبته إلى الفند ، بالتحريك ، وهو الكذب . وتزييف النقد : نسبته إلى الزيف ، وهو فى الأصل الدرهم غير الجيد . والمراد إبطال كلامه واعتباره لغوا .

(٤) الذائد : المدافع عن الشىء والرمى : المرمى ؛ فعيل بمعنى مفعول .

(٥) حبالة الصائد : مايستعان به من الحبال لصيد الحيوان .

يقولون نحن المصلحون ولم أجد ... لهم فى مجال القول غيرَ المفاسد
وكيف يَبين الحقّ من نَفَثاتهم ... وكل له فى الحق نَفْثَة مارد
فإياك أن تغترّ فيهم فكلّهم ... يَجُرُّ إلى قُرْصيه نار المواقد
وكن حائدا عنهم جميعا فإنما ... يضل امرؤٌ عن غَيِّهم غيرُ حائد

* * *

على رِسْلكم يا قومُ كم تُسْمعوننا ... مقالةَ محقود عليه وحاقد[1]
ألا فارحموا بالصفح عن نهج صُحْفكم ... فقد أوردتنا اليوم شر الموارد
وما الصُّحْف إلا أن تدور بنهجها ... مع الحق أنَّى دار بين المعاهد
وأن تنشرَ الأقوالَ لا عن طَماعة ... فتأتى بهـا مشحونة بالفوائد
وألّا تعانىَ غير نشر حقائق ... وتنوير أفكار وإنهاض قاعد
أتبغون فى تلفيقها نفع واحد ... وتُغْضون عن إضرارها ألفَ واحد
إلا أن صحف القوم رائد نُجْحهم ... وما جاز فى حُكْم النُّهى كِذْب رائد
لعمرىَ إنّ الصُّحْفَ مِرآة أهلها ... بها تنجلى رُوحهم للمشاهد
كما هى ميزان لوزن رُقيهم ... وديوان أخلاقٍ لهم وعوائد
ألا تنظرون الغرب كيف تسابقتْ ... به الصُّحْف فى طُرْق العلى والمحامد
بها يهتدى القراء للحق واضحا ... كما يهتدى السارى بضوء الفراقد
ولكن أبى الشرق التعيس تقدما ... مع الغرب حتى فى شئون الجرائد
فلا تحملوا حقدا على ما أقوله ... فإنى عليكم خائف غير حاقد
وما هى إلا غَيْرة وطنية ... فإن تجدوا منها فلست بواجد

---

(١) على رسلك : أى تمهل .

وقفة فى الروض(*)

ناح الحمام وغرَّد الشُّحرورُ   هذا به شَجَن وذا مسرورُ
فى روضة يُشْجِى المشوقَ ترقرقٌ   للمـاء فى جنباتها وخرير
ماءٍ قد انعكس الصفاء بوجهه   وصفا فلاح كأنه بَلُّور
قد كاد يمكن عند ظنى أنه   بالماس يُوشَر منه لى مَوْشور(1)
وتسلسلت فى الروض منه جداول   بين الزُّهور كأنهن سُطور
حيث الغصون مع النسيم مَوائِل   فكأنهنَّ مَعاطِف وخُصور

* * *

ماذا أقول بروضة عن وصفها   يَعيا البيـانُ ويَعجز التعبير
غُنِيَ الربيعُ بوشيها فتنوعتْ   للعين أنوارٌ بهـا وزهور
مَثَلَت بها الأغصان وهى منابر   وتلَت بهـا الخطباء وهى طيور(2)
متعطِّرٌ فيها النسيم كأنما   جَيْبُ النسيم على الشذا مزرور
للنرجس المطلول ترنو أعين   فيهـا وتبسِم للأقاح ثغور(3)
تخِذت خُزاماها البنفسَج خِدْنها   وغدا يشـير لوردها المَنْثور
وكأن محمرّ الشقيق وحوله   فى الروض زَهْر الياسمين يمور(4)
شَمْع توقّد فى زجاج أحمر   فغدا حواليه الفَراش يدور

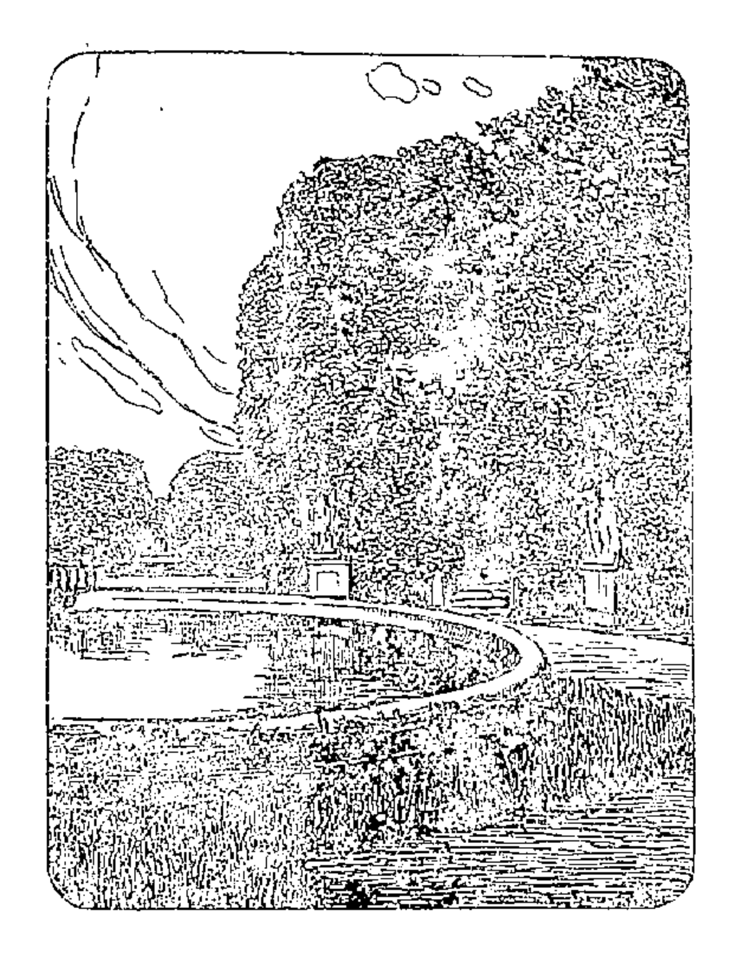
(*) من الجزء الأول .

(١) شبه الماء فى البيت الذى قبل هذا بالبلور . ثم زاد فى هذا البيت أنه بلور ، وأنه يمكن أن يقطع منه بالماس موشور ، وهو قطعة مستطيلة ذات أضلاع ، إذا مرت خلالها أشعة الضوء انحلت إلى ألوانها السبعة .

(٢) مثلث : انتصبت وقامت .

(٣) المطلول : الذى أصابه الطل ، وهو الندى . والأقاحى : جمع أقحوان ، وهو نوار أبيض تشبه به الأسنان فى بياضها واستوائها .

(٤) يمور : يهتز ويتمايل .



ماء قد انعكس الصفاء بوجهه . . .

وتروق من بُعدٍ بها فوّارة ... فى الجوِّ يَدْفُقُ ماؤها ويفور
يحكى عمودُ المـاء فيها آخِذا ... صُعُدا عمودَ الصبح حين ينيرُ
ناديت لمّا أن رأيت صفاءه ... والنور فيـه مغلغِلٌ مكسورُ
هل ذاكَ ذَوْب الماس يجمد صاعدا ... أم قد تجسم فى الهواء النور
تتناثر القَطَرات فى أطرافها ... فـكأَنما هى لؤلؤ منثور
ينحلُّ فيها النُّور حتى قد ترى ... قوس السحاب لهـا بها تصوير

* * *

كم قد لَبست بها الضُّحى من روضة ... فيها عَلَتْنى نَضْرَةَ وسرور
فأجلت فى الأزهار لحظ تعجبى ... ولفـكرتى بصفاتهنَّ مُرور
فنظرتُهن تحـــيُّراً ونظرننى ... حتى كلانا ناظر منظور
فـكأن طرف الزهر ثَمّـة ساحر ... ـا رنا وكأننى مسحور

إن الزهور تُسكِنهنّ براعمٌ — مثل العلوم تجنهن صدور[1]

وتَضَوُّعُ النفحات منها مثله — تبيينها للناس والتقرير[2]

وبتلك قلب الجهل مصدوع كما — ثوب الهموم بهذه مطرور

والزهر يُنبته السحاب بمائه — كالعلم يُنبت غرسَه التفكير

إن كان هذا فى الحدائق بهجة — يزهو فذلك فى النُّهى تنوير

أو كان هذا لا يدوم فإن ذا — ليَدوم ما دامت تكر عصور

ما رأيت فى بك أوغلى (*)

قالها عند ماذهب إلى حى بك أوغلى فى الآستانة سنة ١٨٩٨ وقد كان إذ ذاك معمما ، وذلك قبل أن يستبدل الطربوش بالعمامة .

ذهبتُ لحى فى فروقَ تزاحمتْ — به الخَلْق حتى قلتُ ما أكثرَ الخَلْقا

ترى الناس أفواجا إليـه وإنما — إلى التَلَعات الزُّهْر فى دَرَج ترْقى

يضىء به ثغرُ الحضارة باسمًا — بلامع نور علّم السُّحُبَ البرقا

رأيت مبانيـه وجُلْتُ بطُرقه — فما أحسن المَبنَى وما أوسع الطُّرْقا !

فكم فيه من صرح ترى الدهر مُتْلعا — يمُدُّ إلى إدراك شُرْفته العُنْقا[3]

قصور عَلَتْ فى الجوِّ لم تأْق بينها — وبين النجوم الزُّهر فى حسنها فَرقا

هنالك للأرضين أفقٌ برُوجُه — تُضاحِك أبراج السموات والأُفقا

بروج ولكن شارقاتُ شموسها — تدور بأُفْق يجمع الغرب والشرقا

بحيث ترى حُمْر (الطرابيش) خالطت — (برانيط) سودا كالسلاحف أو وُرْقا[4]

---

(١) البراعم : جمع برعم الزهر ، وهو غلافه الأخضر . وتجنهن : تسترهن ، وتحفظهن .

(٢) تضوع النفحات : تحركها وانتشارها : والنفحات : جمع نفحة ، وهى رائحة الزهر ، تعبق فى الهواء .

(*) من الجزء الأول .

(٣) المتلع : الذى يمد عنقه ، ليرى شيئا عاليا أو بعيداً .

(٤) الورق : جمع أورق أو ورقاء ، وهى التى لونها لون الرماد ، مع حمرة خفيفة .

وتلقى الوجوهَ البيضَ حُمْرا خدودُها وتلقى العيونَ السودَ والأعينَ الزُّرْقا

خدودٌ جرى ماء الشبيبة فوقها ففيه عقول الناظرين من الغَرْقى

محاسن كالأزهار قد طلّها الهوى وهبّ نسيم العشق من بينها طَلْقا

فمن ذات دَلٍّ أعجز الشعرَ وصفُها وإن كان فيها الشعر ممتلئا عِشقا

ومن ذى دلال رنّح الحسنُ عِطفه إلى أن رجا من حسنه عِطفُه الرِّفقا(١)

* * *

وكم مَسْرح فيه الحِسان تلاعبتْ تُمَثِّلُ كيف الناسُ تسعَد أو تشقى(٢)

حِسانٌ علت فى الحُسن خَلْقا وخِلْقة وهل خِلقة تعلو إذا سَفَلَتْ خُلْقا

تُمَثّل ما قد مرَّ منا وما حلا وما جَلّ من أمر الحياة وما دقّا

فتُلْقِى دروسا لو وعتْها حياتنا لَبُدِّل كِذْبٌ فى سعادتها صدقا

إذا مثّلتْ شكوى الحزين بكت لها عيونُ البلايا والزمانُ لها رقّا(٣)

وإنْ صوّرَتْ حقّا هَوَى كلُّ باطل على رأســه حتى تجدّل مُندقا(٤)

* * *

وماذا ترى فيــــه إذا زُرتَ حانةً
ترى الأُنس يشدو فى فم يجهل النطقا(٥)

سَكوتٌ على قَرْع الكئوس مُغرِّدٌ بلحن سرور يترك الهمَّ منشقا

عليهم سحاب الاِحتشام يُظلّهم متى هُمْ أرادوا سَحَّ مِن قُبَلٍ وَدْقا

أوانس قد نادمنَ كل غُرانقٍ فمنهن من تَسْقِى ومنهن من تُسْقَى(٦)

---

(١) يقال : رنّح الشراب الرجل : جعله يتمايل سكرا ، والعطف : الجيد .

(٢) المسرح : دار التمثيل ، حيث تمثل العبر والعظات .

(٣) البلايا : جمع بلية ، وهى الرزية والمصيبة .

(٤) تجدل : سقطت على الجدالة ، وهى الأرض . والمندق : المنكسر .

(٥) الحانة : بيت الخمر .

(٦) الأوانس : جمع آنسة ، وهى المرأة التى يؤنس بحديثها . والغرانق : الفتى الشاب التام الحسن

فمن ذا يراهم ثم لم يك واغلًا ... عليهم و إن أمسى يُعَدّ الفتى الأتقى[1]

ألستُ بمعذور إذا أنا زرتهم ... وساجلتهم شوقا فقل و يحك الحقّا

فقد لامنى لمّا رآنى بجمعهم ... فتىً منه قحفُ الرأس ممتلئ حمقا[2]

فقال أفى الحىْ الذى شاع فسقه ... تجولُ ألم تمنع عمامتك الفسقا

فقلت أجَلْ إنّ العمائم عندنا ... لتمنع فى لَوْثاتها الفسق والزّقّا[3]

ولكننى ما جئتُ إلّا توصُّلًا ... لذكرى شقاءٍ فى العراق به نشقى

* * *

شقاءٌ تمطَّى فى العراق تمطِّيا ... وألقى جِرانا لايزحزَحُ واستلقَى[4]

فإن العراق اليوم قد نشبت به ... نيوب الدواهى فهى تعرقهُ عَرْقا[5]

عشت به حتى أعادت سواده ... بيــاضاً ومدت للبوَار به رِبْقا

فلهفى على بغداد إذ قد أضاعها ... بنوها فسُحقا للبنين بها سُحْقا[6]

جزَوْها عقوقا وهى أمٌّ كريمة ... وألأم أبناء الكريمة من عقّا

أدامت لها الأحداث مخضا كأنها ... قد اتخذتها الحادثات لها زقا[7]

سأبكى عليها كلما جلتُ سائحا ... وشاهدت فى العُمران مملكةً ترقى

وأندبها عند الأغاريد شاربا ... من الدمع كأْسا لا أريد لها مَذْقا[8]

---

(١) الواغل : الداخل على القوم فى مجلس الشراب ولم يدع له ، ثقة بكرمهم .

(٢) القحف : كل عظم عريض من عظام الرأس .

(٣) لاث العمامة يلوثها لوثا : لفها حول رأسه ، اللوثة : المرة من اللوث .

(٤) تمطى الحصان ونحوه : مد مطاه ، وهو ظهره ، بأن يقدم يديه ، ويؤخر رجليه ، فيكون جسمه أطول مايكون . وفى الكلام تمثيل الشقاء بالحصان . والجران : مقدم عنق البعير ، وإلقاء الجران : أن يمس البعير الأرض بمقدم عنقه عند بروكه ، وهو كناية عن التمكن والاستقرار .

(٥) نشبت : علقت . تعرقه : تأكل ماعلى العظم من اللحم .

(٦) سحقا : بعيدا .

(٧) الزق : وعاء من جلد يحفظ فيه اللبن والخمر ونحوهما .

(٨) الأغاريد : جمع أغرود ، وهو الغناء . والمذق : الخلط ، مذق اللبن بالماء : خلطه . يريد أنه إذا تشاغل قوم بسماع الغناء وشرب المدامة ، فإن شغله هو أن يصبح باكيا بلاده ، شاربا من فيض دموعه كأسا صرفة غير مشوبة بماء .

السد فى بغداد (*)

وقال يخاطب حازم بك والى بغداد ، بعد خروجه إلى سد « الحويرة » من شاطئ الفرات ، الذى انكسر فأغرق بغداد ؛ وهذه هى الحادثة التى قال فيها الشاعر قصيدة سوء المنقلب :

نجَّيتَ بالسد بَغداداً من الغَرقِ ... فعمَّها الأمن بعد الخوف والفَرَق (١)

قد قمتَ بالحزم فيها والياً فجرتْ ... أمورها فى نظام منك متسق

لقد نجحتَ نجاحاً لا يفوز به ... من خالق الحزم إلّا حازمُ الخلق

ويْحَ الفراتِ فلو كانت زواخرُه ... تَدرى بعزمك لم تطفَحْ على الطرُق (٢)

ولا غدت تجرُفُ الأسْدادَ قاذفة ... منها بسيل على الأنحاء مندفق (٣)

حيث « الحُوَيْرة » أمست منك طالبة

رَتْقاً لسدٍّ بطامى السيل مُنْفتِق

باتتْ تجيش بتيار وبات لها ... أهلُ العراقين فى همّ وفى قَلَق

حتى إذا أيقنت أرض العراق بأن ... تفنَى من الظِّمْء أو تفنى من الغرق (٤)

شمَّرتَ عن همم تعلو النجوم وقد ... أمسى الزمان إليها مُتْلِع العُنُق (٥)

فكدت تملأُ فَرْغ الواديين بما ... حَشَّرتَ من طَبَقٍ يأتيك عن طبق (٦)

لما خرجتَ وكان الخَرْق متسعاً ... والناس ما بين ذى شك ومتَّثق (٧)

(*) من الديوان الأول .

(١) الفرق : الخوف .

(٢) ويح العراق : رحمة له . وزواخرة : جمع زاخر ، وهى أمواجه المتدفقة ، وتطفح : تفيض وتجرى

(٣) تجرف : تنحى وتزيل . الأسداد : جمع سد ، وهو حاجز من البناء يعترض به فى مجرى الماء ، لتنظيم تدفقه .

(٤) الظمء : المدة التى يعطش فيها الحيوان بين الشربين ، والمراد هنا مطلق العطش .

(٥) متلع العنق : ماد العنق من التطلع إليها .

(٦) فرغ الواديين : اتساعهما ، والواديان : دجلة والفرات ، وحشرت : حشدت وجمعت والطبق : الجماعة من الناس ، وعن طبق ، أى بعد طبق . يريد أنه جمع للعمل فى إصلاح السد المنكسر جموعا غفيرة من الناس ، يتلو بعضها بعضا .

(٧) متثق : مفتعل من الوثوق بالشىء .

قالوا : نحا شُقَّةً قُصْوَى وما علموا ... بأن عزمك يدنى أبعد الشُّقَق [1]

فصدَّق الله ظناً فيك أحْسَنَه ... قوم وكذَّبَ ظن الجاهل الخَرِق [2]

إذجئت والسدُّ تحت الغمرمكتَسَحٌ ... والنهر يرغو بموج فيه مُصطَفِق [3]

وثُلْمَة السَّد كالمهواة واسعة ... يهوى بها السيلُ من فوق إلى العُمُق [4]

سَلَلْتَ صارم رأى قد أزلت به ... ما كان فى السيل من طيش ومن نَزَق [5]

فما تموَّج ماء النهر من غضب ... وإنما أخذته رعــــدة الفرَق

ثَبّتَّ عزمك فى أمر يذِلّ به ... عزم الحصيف لما يحوى من الزلَق

تقضى النهارَ برأْب الثأى مجتهدا ... وتقطع الليل بالتدبير والأرَق [6]

حتى بنيتَ وكان النهرُ منفلقاً ... سَدًّا عليه رَصيناً غير مُنْفَلق

أرسيته جبَلًا قامت ذُراه على ... أصل مع الموج تحت الماء مُعتنق

فراحتِ الناس تمشى فوقه طرَبا ... والنهر ينساب بين الغيظ والحنق

وصار مَعْـكِسَ فخر أنت مَرجعه ... كالنور يرجع مَعكوساً إلى الحَدَق

وقد رَكَزْتَ به الراياتِ خافقةً ... ما بين طاقين مرفوعين فى نَسَق

من كل أحمرَ قانٍ وَسْطَه قمر ... يتــلوه نجم بلون أبيض يَقَق [7]

فظلَّ حاسدك المغبون منطويا ... على فؤاد بنار الجهل مُحْترق

ودَّ الفراتُ حياء منك يومئذٍ ... لوغارَ يَسْلُك تحت الأرض فى نَفَق [8]

---

(١) الشقة : الناحية ، قصوى : شديدة البعد .

(٢) الخرق : الأحمق .

(٣) الغمر : السيل الغزير الشديد . والمكتسح ، بصيغة اسم المفعول ، الذى أزيل عن موضعه . ويرغو : يسمع له هدير كرغاء الإبل ، والمصطفق : الذى تلاطمت أمواجه ، فسمع لها صوت .

(٤) ثلمة السد : الموضع المتهدم منه . والمهواة : الأرض المنهبطة المنخسفة .

(٥) الصارم : القاطع . والنزق : الطيش والحمق .

(٦) رأب الثأى : إصلاح الفاسد ، وهو من الرؤية ، وهى الرقعة يشعب بها الإناء المكسور من الخزف ونحوه .

(٧) قان وقانىء : شدة الحمرة ، ويقق : بفتح القاف الأولى : أى خالص البياض .

(٨) النفق : طريق تحت الأرض كالدهليز ، مفتوح من أوله وآخره .

لما اقتدحتَ زناد الرأى مفتكرا ... فى الخَطْب أَلْهبْتَ منه فَحْمةَ الغَسَق

فأدبرَ الهمُّ وانشقتْ غياهبُه ... كما قد انشق سَجْف الليل بالفَلَق (١)

إن الأمور إذا استعصتْ توافرُها ... أخذتهن من التدبير فى وَهَق (٢)

وإن تصامَمَتِ الأيامُ عن طلب ... أسمعتهن بصوت منك صَهْصَلِق (٣)

تنحلّ بالرأى منك المشكلات لنا ... كالنور ينحلّ ألوانا من الشرَق

وكلما زدتَ تفكيرا بمُعضلة ... زادت وضوحا لنا حَتّى على الشَّفَق (٤)

فالفكر منك كأبعاد الفضاء بلا ... حد يسابق خَطْف البرق فى الطَّلَق

يحكى الأثيرَ إذا أجرى تلاطُمَه ... أبدى سواطع نور منه مُنْبَثِق

لك الثناء علينا أن نخلّده ... نقشا على الصخر لا رقما على الورَق

تالله لو بلغت زُهْرَ النجوم يدى ... من كل جرم بصدر الليل مُوْتَلِق

رتبتها حيث كلُّ الناس تقرؤها ... سَطْرا بمدحك مكتوبا على الأُفُق

---

(١) غياهب : جمع غيهب ، وهو الظلمة ، شبهها بجلد أو ثوب أسود انشق فبان ماتحته والسجف : الستر . والفلق : الصبح .

(٢) الوهق : الحبل المفتول تجعل فيه أنشوطة ، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

(٣) الصهصلق من الأصوات : الشديد . ورجل صهصلق الصوت : أى شديده .

(٤) الشفق : الحمرة التى ترى فى السحاب بعد سقوط الشمس للغروب .

الســـاعة (*)

وخَرْساءَ لم ينطِق بحرف لسانُها　　　سوى صوت عِرْق نابضٍ بحشاها
حَكَت لهجةَ التِّمْتام لفظا ولم تكن　　　لِتُفْصِحَ إلا بالزمانِ لغاها
لها ضَرَبان فى الحشا قد حكت به　　　فؤاداً تغشّاه الهوى وحكاها[1]
جرت حركات الدهر فى ضَرَباتها　　　وبانت مواقيت الورَى بعِماها
على وجهِها خُطَّت علائم تهتدى　　　بها الناس فى أوقاتها لمُناها[2]
مشت بين آناتِ الزمان تقيسه　　　وما هو إلّا مشيها وخُطاها
بها يتقاضى الناس ما يُوعَدُونه　　　ويُرْشِدُ ضُلّالَ الزمان هُداها[3]
غدت كأخى الإيمان تأ كل فى معًى　　　وما أكْلُها إلّا ٱلتواءُ مِعاها[4]
تدور عليها عقربٌ دوْرَ حائرٍ　　　بتَيهاء غُمَّت فى الظلام صُواها[5]
تُريك مكان الشمس فى دورانها　　　إذا حَجَبتْ عنك الغيومُ ضِياها[6]
فأعجبْ بها مصحوبة جاء صنعها　　　نتيجة أفكار الورى وحِجاها
بنتها النُّهَى فى الغابرين بسيطةً　　　فتمّ على مَرِّ الزمان بِناها[7]
تنادى بَنِى الأيّامِ فى نَقَراتها　　　أن اسْعَوْا بجدٍّ بالغين مداها
ولا تهملوا الأوقاتَ فهْى بواترٌ　　　تقطِّعُ أوْصالَ الحياةِ شَباها[8]

(*) من الجزء الأول .　　　(١) ضربان : أى ضرب وخفق .

(٢) مناها : جمع منية ، وهى مايرغب فيه الانسان ويتمناه .

(٣) أى أنها تهدى الجاهل بالوقت إلى معرفة الساعة التى يريدها .

(٤) يشير إلى الحديث الذى معناه : « المؤمن يأكل فى معى واحد » أى أنه يتقلل من الطعام والشراب ، ولايسرف كما يفعل الكافر الذى يأكل فى سبعة أمعاء ، لشرهه ونهمته .

(٥) تيهاء : صحراء لايهتدى فيها إلى شىء . وغمت : سترت وحجبت . والصوى : ماينصب من الأحجار فى الصحارى ، علامة على الطريق .

(٦) يريد أنها تبين حقيقة موضع الشمس من السماء ، إذا سترتها الغيوم .

(٧) النهى : جمع نهية ، وهى العقل . يريد العقل حين فكرت فى حساب الوقت وبيانه ، اخترعت لذلك آلات بسيطة غير مركبة كالمزولة ، والزجاجة الرملية ، وانتهى الاختراع بالساعة الدقيقة . وكانت معروفة فى زمن هارون الرشيد الخليفة العباسى .

(٨) بواتر : جمع باتر ، يريد السيف القاطع . والأوصال : جمع وصل ، وهى الأجزاء المتصلة من الجسم . والشبا : جمع شباة ، وهى حد السيف والسكين ، وإبرة العقرب .

ذكرى لبنان (*)

بَرَزَتْ تَميس كخطرة النَّشوان هيفاءُ مُخجلةً غصونَ البانِ[1]

ومشتْ فخفَّ بها الصِّبا فتمايلتْ مرحاً فأجهدَ خصرَها الرِّدفان

جال الوشاح على معاطفها التى قعدتْ وقام بصدرها النَّهدان

تستبعد الحُرَّ الأبيَّ بمقلةٍ دَبَّ الفتور بجفنها الوسنان

وإذا بدت تهفو القلوبُ صبابةً فيها وتركع دونها العينان

أخذ الدلالُ مواثقا من عينها ألّا تزال مريضة الأجفان

تمشى فتنشر فى الفضاء محاسناً بسط الزمان لها يدى وَلهان

ويلوح للنظر القريب بوجهها عقل الحليم وعصمة الصِّبيان

لم أنس فى قلبى صُعودَ غرامها إذ نحن نصعد فى رُبا لُبنان

حيث الرياض يهزّ عِطفَ غصونها شدوُ الطيور بأطرب الألحان

لُبنان تفعــل بالحياة جنانُه فعلَ الزلال بغُلّة الظمآن

وترد غُصْنَ العيش بعد ذبوله غضًّا يميد بفرعــه الفينان

فكأن لُبنانا عروسٌ إذْ غدا يزهو بنشر غـــدائر الأغصان

وكأنما البحرَ الخِضَمُّ سجنجلٌ يبدى خيال جمالها الفتّان

جبلٌ سمتْ منه الفروع وأصله تحت البسيطة راسخ الأركان

تهفو الغصون به النهارَ وفى الدجى تهفو عليــه ذوائبُ النيران

وترى النجومَ على ذُراه كأنها من فوقه دُرَرٌ على تيجان[2]

لله لُبنانٌ الذى هضَباته ضحِكت مُغازلةً مع الوِدْيان

(*) من الديوان الأول .

(١) تميس : تخطر وتتمايل . والنشوان : السكران ، والهيفاء : الضامرة البطن . والبان : شجر غصونه لدنة تمايل وتهتز .

(٢) ذراه : أعاليه ، جمع ذروة .



(حتى تنثر في الفضاء محاسنا . . .)

يجرى النسيم الغَضُّ بين رياضه ... مُرْخَى الذيول مُعَطَّرَ الأردان[١]
جَلَتِ الطبيعة فى رُباه بدائعاً ... تكسو الكُهولَ غَضاضةَ الشبان[٢]
يا صاحبىَّ أتذكرانِ فإننى ... لم أنسَ بعدَ كما سِوَى النِّسيان
إذ كان يغبِطنا الزمانُ ونحن فى ... وادى القَريكة مَنْبِت الرَّيْحَان[٣]
فى ليلة حسد الضياء ظلامَها ... وعنا لفضل نجومها القَمَران[٤]
متجاوِلين من الحديث بساحة ... ركَضَ البيانُ بها بغير عِنان[٥]
والليل يسمع ما نقول ولم يكن ... غيرُ الكواكب فيه من آذان
فكأن جولتنا بصدر ظلامه ... سِرٌّ يجولُ بخاطر الكِتمان

° ° °

ما كنتُ أحسب أن أحُلّ ببقعة ... للحسن مُنْبِتَةٍ وللاحسان
حتى نزلت من الشُّوَيْر بجنَة ... فيها الحياة كثيرة الألوان
فهصرت أغصان الأمانى ولم يكن ... غيرَ السرور بهنَّ قِطْفٌ دان[٦]
ولقيت شاعرها الذى ارتفعت له ... كفٌّ القريضِ مشيرةً ببنان
حتى إذا تم اللقاء قصدتُ من ... ربوات بَكْفَيّا ظلال جِنان
يايوم بَكفيّا وبيت شَبابها ... أَفديك من يومٍ بكل زمان
وسقى زمانكِ ياديارَ بَحَنَّسٍ ... صوبُ المَسَرِ دائمَ التَّهتان
فلقد رأيت ضياء مجدك مُشْرِقا ... فى وجه كل حُلاحِل دَيَّان
أفيذكر اللبكى يومَ بَحَنَّسٍ ... حيث اجتمعنا فى حِمَى كَنْعان
أم ليس يعلم أننى أحببته ... حبًّا أذبتُ بناره سُلْوانى

---

(١) الغض : البليل ، ومرخى الذيول : كناية عن التمهل فى السير ، والأردان : جمع ردن ، وهو طرف الكم . (٢) الكهل الذى جاوز سن الشباب ، وغضاضة الشباب : رونقه وحسنه .
(٣) يغبطنا : يحسدنا (٤) عنا : ذل وخضع .
(٥) يتجاولان فى مضمار البيان : أى يتسابقان ويتباريان ، وركض : جرى . والعنان : اللجام : أى جرى البيان كما شاء حرا طليقا .
(٦) هصرت الغصن : جذبته . والقطف : ما يقطف من الثمر .

لبست رُبا لُبنانَ ثوبا أخضرا ... وزهتْ بحيث الحسنُ أحمر قان

نثر الربيع بهنّ زهراً مؤنقا ... يُزْرِى بنظم قلائد العِقيان

فبرزنَ من وشْى الطبيعة بالحلَى ... فكأنهنّ بحسنهنّ غوانِ

وكأن صنّينا أطلّ مراقبا ... يرنو لهنّ بمقلة الغَيران

تلك الرُّبا أما الجمال فواحدٌ ... فيها وأما أهلها فاثنان

رجلٌ يسير إلى النجاح وآخَرٌ ... يسعى وغايته إلى الخسران

متخاذلين بها وهم أعوانها ... ومن البَلاء تخاذل الأعوان

ضعفتْ مبانى كلِّ أمر عندهم ... ما بين هادمها وبين البانى

وتفرقوا دنيا كأنْ لم يكفيهم ... فى النائبات تفرق الأديان

وسَعَوا فُرَادى للحياة وفاتهم ... أن التضامنَ رائد العُمْران[1]

يأهل ذا الجبل المنيع مكانُه ... تُفْدَى مواطنكم بكل مكان

أما محاسنها فهنّ بمنزل ... تنحطُّ عنْه بدائع الأكوان

ومن الفخامة هُنَّ فى غُلَوَائها ... ومن الشبيبة هُنَّ فى رَيْعان[2]

فتبوّءوا جنّاتِهنّ أنيقةً ... وابنُوا بهنّ كأكرم البُنيان[3]

ماذا يُثبطكم بها أن تنهضوا ... نحو الفَخار كنهضة اليابان[4]

إنى لأرجو أن أراكم للعلى ... متهيّجين تهيُّج البُرْكان

وأودّ لو تمشون مشية واحد ... متكانفين تكانُف الإخوان[5]

لا تقرُنوا بتشتُّت آراءكم ... فالبدر يُمْحَق عند كل قِران[6]

أمهاجرى لُبنان طال غيابُكم ... أين الحنين إلى رُبَا لُبنان

---

(١) فى الأصل : للنائبات ، فى موضع الحياة ، ولا معنى للنائبات هنا .

(٢) الغلواء : العنفوان والقوة ، وريعان الشبيبة : عنفوانها وأولها .

(٣) تبوأ المكان : جعله مباءة ومنزلا له .

(٤) ثبطه عن الشىء : ثنى عزمه عنه .

(٥) متكانفين : متعاونين ، وفى الأصل : متكاتفين ، بالتاء ، وهو خطأ مشهور .

(٦) يمحق : أى يكون فى المحاق ، وهو احتجاب ضوئه آخر الشهر لحيولة الأرض بينه وبين الشمس .

هذى مواطنكم تريد وصالكم ... وتئن شاكية من الهجران

أفترحمون أنينها أم أنتمُ ... لا ترحمون أنين ذى أشجان

إنى أرى هَجْر الرجال بلادَهم ... شيئا يُضيع كرامةَ البُلدان

وإضاعة الوطن العزيز جناية ... ضلَّ الزمان بها عن الغُفْران

من كان ذا جَدة فأحْرِ بمثله ... ألَّا يضِنَّ بها على الأوطان[١]

لبنـــان

ولع لبنان بالرصافى ، فسارت قصائد شاعر العراق على ألسنة اللبنانيين ؟ وولع الرصافى بلبنان ، فجاءته قريحته بقصائد صافية العاطفة ، كسماء هذه الربوع ، عذبة كمائها ، عليلة كهوائها . وإلى القراء إحدى فرائد الرصافى بلبنان :

(الأحرار — بيروت فى ٢٦ آب سنة ١٩٣٦)

أرى الحسنَ فى لُبنان أينعَ غرسُهُ ... وقارب حتى أمكنَ الكفَّ لمسُهُ

إذا ما رأته عينُ ذى اللُّبِّ مُشْرِقا ... تنزَّت به فى مَدْرَج الحبّ نفسه[٢]

زكا مَغرِساً فالذامُ ليس يؤمُّه ... وطاب جَنًى فالسوء ليس يَمَسُّه[٣]

قسا صخره لكن تفجَّر ماؤهُ ... فلانَ بكف العيش منه تَحَسُّه

لقد لَبِس الجوّ اللطيفَ فزانه ... بما فيه من غُرّ المحاسن لِبْسه

ففى الليل لم يزعجك برد نسيمه ... وفى الظهر لم تلفحك بالحر شمسه

وقد عُبِّدت للسالكين طريقه ... وحُرِّر أهلوه وبُورك أُنْسُه[٤]

فمن كان فى طُرْق التواصل عَثْرةً ... فقد جاز فى شرع المحبة دَعْسُه

تضىء نجومُ السعدِ واليُمن فوقَه ... فينجابُ شؤمُ الدهر عنه ونحسه

ويهمس فى أُذْن الطبيعة جَوُّه ... فيُضحِكها فوق الربا الخُضْر همسه

---

(١) الجدة : المال والغنى .

(٢) تنزت : جالت وتحركت ، ومدرجة الحب : طريقه .

(٣) الذام : العيب .   (٤) عبدت : ذللت مهدت .

كأن النسيم الطلق بين جنانه ... غناء حبيب يطرب النفس جرسه (١)

كأن جبال المتن حدبة عابد ... هوى ساجداً شكراً وبيروت رأسه

يقال عن الأضواء فى جوف ليله ... ببيروت إذ يغشى من الليل دمسه (٢)

تزوج صنين الفتى بنت جاره ... فأضواء بيروت الوسيطة عرسه (٣)

ونبع الصفا والقاع فيه كلاهما ... من الحسن ملأى بالبدائع كأسه

جرى الماء فى واديهما متدفقا ... بأنشودة الإطراب تنطق خرسه

وإن تزر الشاغور يوما تجد به ... من الحسن ما قد خص بالفضل جنسه

جرى ماؤه العذب الزلال محاكيا ... به الماس صفواً أوهو الماس نفسه

ترى طبع واديه رءوفا بأهله ... شديداً على مايزعج النفس بأسه

فمن زاره مستوحشا فهو أنسه ... ومن جاءه مستنزها فهو قدسه

فيالائمى فى حب لبنان إننى ... أحس لعمرى منه مالا تحسه

إذا كان لبنان كليلى محاسنا ... فلا تعجبوا من أننى اليوم قيسه

وإن تحمدوا منه الأيادى فإننى ... أنا اليوم من بعد الأيادى قسه

عجبت لمدفون به بعد موته ... ولم ينتفض حيًا وينشق رمسه

فمن لم يزره وهو رب استطاعة ... تحتم فى سجن الحماقة حبسه

ومن زاره مستشفيا زاره الشفا ... وإن كان قبلا يائسا منه نطسه (٤)

ولو جاءه من فيه مس وجنة ... لما حله إلا وقد زال مسه

وما حله مستوحش النفس واجم ... من الناس إلا تم بالضحك أنسه

محل اصطياف الأغنياء من الورى ... يعيش عزيزاً فيه من ذل فلسه

فمن يبذل الدينار فيما يريده ... فأواه محمود وإلا فعكسه

---

(١) جرسه : صوته . (٢) دمسه ظلامه .

(٣) صنين : اسم جبل

(٤) النطس : بسكون الطاء : أصله النطس بضمها وهم الأطباء الحذاق المدققون . ولعله جمع نطيس بوزن أمير . وهو العالم بالشيء . (أنظر تاج العروس) .

كمثل الذى لاتصرف الفَلْسَ كَفُّه ولو كان دونَ الفَلْسِ يُقْلَعُ ضِرْسُه

كتبت كتاب المدح فى وصف حسنه

فضاق ولم يستوعب الوصفَ طِرْسُه

فما كل ما قالت به شعراؤه سوى ثُلْث مايحويه بل هو خُمْسه

ألا إن فى لُبنان جوًّا مُرَوَّقا إذا ماشفَى المسلولَ لم يُخْشَ نُكْسُه (١)

فى مكتبة الأوقاف

أنشدت فى حفلة افتتاح مكتبة الأوقاف التى أنشأها معالى الشيخ أحمد الشيخ داود وزير الأوقاف سنة ١٩٢٨ .

لقد جمع الشيخُ هذى الكتبْ فأنقذها من أكُفِّ العَطَبْ (٢)

ورتّبها فهْى معروضة لمن يتناولها منى كَثَبْ (٣)

وكانت لعمرُك رَهْن الغُبار مكدَّسة فى زوايا الشَّجَب (٤)

يمر بها الدهر مطمورة تعانى الخراب وتدعو الحَرَب (٥)

نسيج العناكب من فوقها ومن تحتها السُّوس فيها انسرب (٦)

يعيث بها آكلًا طِرْسها كما تأكل النارُ جزْلَ الحطب (٧)

وكانت على علم حرّاسها تحُفُّ الظنونُ بها والرِّيَب

فمد إليها معالى الوزير يدا دأبها الغَوْثُ عند الكُرَب

فأخرج منها كنوز العلوم لأهل الفُنون وأهل الأدب

(١) مروقا : صافيا مما يكدره من غبار ونحوه ، والمسلول : من أصابه السل ، وهو تدرن الرئة والنكس : الرجوع إلى المرض بعد البرء منه .

(٢) العطب : الهلاك . (٣) من كثب : من قرب .

(٤) رهن الغبار : أى محبوسة فى الغبار والتراب . والمكدسة : الملقى بعضها فوق بعض على غير نظام ، كأنها أكداس الطعام فى الجرين . والشجب الهلاك .

(٥) مطمورة : مدفونة ، وتدعو الحرب : أى تنادى : واحربا . والحرب : النقص والهوان .

(٦) انسرب : دخل فيها وعاث .

(٧) الطرس : الصحيفة . الجزل : القوى .

فيها إنّ أرواح من أوقفوا ... مُرَفرِفة فوقها من طَرَب[1]

كما أن أرواح من ألَّفوا ... قد ابتسمتْ كالتماع الشُّهُب

لقد رضِي العلم عن فعله ... وإن أخذ الجاهلين الغضب

فما بال قوم غَدَوا يَصْرُخون ... صُراخا به يقصِدون الشَّغَب[2]

يقولون هذا خلاف لما ... لدى الناس فى وقفها من أَرَب[3]

فيا للعقول لهذا الغَباء ... ويا للفحول لهذا العَجَب!

أللسُّوس أوقفها الواقفو ... ن ، أم للعناكب ، أم للتُّرَب!

إلى كَمْ نَظَلّ لأغراضنا ... نعارِض من دون أدنى سبب

ونجمُدُ فى غفلة هكذا ... ونمرح فى لهونا واللعب

أرى هؤلاء ضعاف العقول ... وإن قد تراهم غِلاظ الرِّقَب

تضيق عن الحق أرواحُهمْ ... وإن لَبِسوا واسعاتِ الجُبَب

فهم يقطعون على المصلحين ... طريق القيام بما قد وجب

فسِر فى طريقك مُستعليا ... وخلّ ضَفادعهم تصطخب

فللشر ما صَخِب الصاخبون ... وللخير جمعك هذى الكتب

لقد صنتها من طروق البِلَى ... وخلَّصتها من يد المستلِب[4]

وأعددتها لشفاء العقول ... من الجهل وهو أشد الوَصَب[5]

وما كنتَ فى الرأى بالمستبدِّ ... ولا كنت فى الفعل بالمضطرب

وقد كان عزمك فيما أردت ... يَفُلّ ظُبَى المُرْهَفاتِ القُضُب[6]

فمن كان جذلانَ فليبتسمْ ... ومن كان غضبان فلينتحِب[7]

---

(١) رفرف الطائر بجناحه : حركهما . والطرب : هنا : نشوة السرور .

(٢) الشغب : الفتنة والافساد . (٣) من أرب : من قصد وغاية .

(٤) يريد : إنك حفظت الكتب من خطرين : الأول أن تمتد إليها يد البلى ، بسبب قلة العناية بها . والثانى : أن تمتد إليها يد السارق ، الذى طالما امتدت يده إلى أمثالها من تحف الشرق ومفاخره. (٥) الوصب : الألم .

(٦) يفل : بكسر . والظبى : جمع ظبية ، وهى حد السيف . والمرهفات القضب : هى السيوف المرققة الحادة . (٨) فلينتحب : أى ليبك ماشاء .

آل الجميــــل

آلُ الجميل سُرور كل حزين ... كهف اليتيم وملجأُ المسكين[١]

تعنو لهم سَرَوات كل قبيلة ... وتهابهم آساد كل عَرين[٢]

وإذا تماحكت الخصوم فبأسهم ... يدع الخصيمَ مُجَدَّع العِرنين[٣]

وإذا تلوَّثت الجباه بخزية ... فجباههم أنقى من النَّسْرين

عَزَّت بهم دار السلام فهم بها ... أركان عزٍّ كالجبال مكين

فإذا تقطعت المُنَى بك فاعتصم ... منهم بحبل فى الرجاء متين

تتفاخر الأُخرى بفضل دفينهم ... كتفاخر الدنيا بفخر الدين

ذاك الذى مَجْدُ الجدود بمجده ... قد زيد تمكينا على تمكين

إنَّ ابن عيسى بن الهمام محمد ... لأجلّ نجــــلٍ بالثناء قمين[٤]

يابن الأكابر قد دعوتك ظامئا ... ظَمَأَ الحياة فجد بما يُرويني[٥]

وأنا العليل بحاجة تدرى بها ... وأظن فضلك ناجحا يشفيني

قد عاقنى الإملاق عن سفرى إلى ... من طال مُعتلِجا إليه حنيني[٦]

وأنا المشوق ولست ممن شاقهم ... بقرُ العُذَيب ولامَها يَبْرين

لـكن قلبى لا يزال يشوقه ... ظبىٌ أقام بدار قُسطنطين

فأرش جَناحى كى أطيرَ بريشه ... فيكونَ ظنى فى نداك يقيني[٧]

واعذِر فإنى بالحقيقة لم أبُحْ ... إلَّا إليك وأنت خير فَطين

إنى إذا آوِى إليكَ فإنما ... آوِى إلى رُكن أشدَّ رَكين

---

(١) كهف اليتيم : ملجؤه الذى يعتصم به . (٢) تعنو : تخضع وتذل .

(٣) تماحك الخصوم : تجادلهم بالحجج . الخصيم : الخصم . ومجدع العرنين : مقطوع الأنف ، وهو كناية عن انقطاع الحجة ، لأن قوة الحجة تورث الإنسان شموخا بأنفه ، وكبرا على خصيمه .

(٤) فلان قمين بكذا : جدير به ، مستحق له .

(٥) الظمأ : العطش . (٦) يعتلج : يشتد .

(٧) رش جناحى : أنبت فيه الريش . والفعل ثلاثى ، ولـكن الشاعر هنا حسبه رباعيا.

البلبـــل والورد

إنّ بلبلًا من نسيم السَّحَرْ   لمّا جرى فى المَربَع المُخْمِلِ
أخـــبر رَيّاه أصحَّ الخَبَرْ   عما جرى فى الروض للبلبلِ
إذ هو مُذ ألقَى به ناظِرهْ   من بعد ما ثغرُ الصباح ابتسمْ
صادف فيـــه وردةً زاهرهْ   والطَّلّ كاللؤلؤ فيها انتظمْ
مضمومة أوراقُها الناضرهْ   مثل فم يطلب تقبيلَ فمْ

* * *

فظلّ يرنو مستديمَ النَّظَرْ   رُنُوَّ ظمآن إلى مَنْهَـلِ
وهْىَ غدت مما بها من خَفَرْ   محمـرّة من نظرٍ مُخجِلِ
ثم تمادَى غَرِدا صادِحا   يُعلِن للوردة أشـــواقه
ينطق بالحب لها بائحا   وهى التى تفعل إنطاقه
وتنشر الطيبَ له نافحا   كأنها تقصــد إنشاقه
حتى غدا البلبلُ مُنذُ الصِّغَرْ   فى حبّها منطلِقَ المِقولِ
ينشد فيها شعـرَه المبتـكَرْ   ولا يَنِى فيـه ولا يأتلِى

* * *

أما ترى الأزهارَ كيف اغتدت   فَراشةُ الروض عليها تطيرْ
لها جناح هى منـه ارتدتْ   مُلاءةً مَوْشيّـةً من حريرْ
فهى إلى الروضة مُذ وَرّدت   أرسلها البلبـلُ نحو الأميرْ
تحمل للورد أميرِ الزَّهَرْ   رسائلَ الشوق من البلبلِ
فشاع فى الأزهار هذا الخبرْ   واستوجب العطفَ على المُرسَلِ

* * *

حتى إذا الورد مضى وانقضَى   وعادت الروضـــة كالبلقَعَهْ
مسّت حشا البلبل نارُ الغضَى   من حُرقة البين الذى أوجعهْ
لا تسألِ البلبلَ عما مضَى   فى زمن الورد له من دعهْ

ولكن اسأل فى السماء القمرْ عن خبر الورد مع البلبلِ
إذ كان يُصغى منهما للسمر وهو مُطِلٌّ ناظر من عَلِ

* * *

فراشةُ الروضـة ظلّتْ لذا تحومُ والأزهـارُ من تحتها
تقبِّلُ الزهرةَ ذاتَ الشـذا طائرةً منها إلى أختها
وتسأل الأزهارَ عمّـا إذا مرّ فقيد الورد من سمْتها
لتخبرَ البلبلَ بعضَ الخبرْ لعـله غُمّته تنجـلي
فإنه بات حليف السَّهرْ مُذ نزح الورد عن المنزلِ

أغرودة العندليب

سمعت شـعراً للعندليبِ تلاه فوق الغُصُن الرطيبِ
إذ قال نفسى نفسٌ رفيعهْ لم تَهْوَ إلّا حسن الطبيعـهْ
عشِقت منها حسْن الربيع أحْسِن بذاك الحسْن البديع

* * *

فالعيش عندى فوقَ الغصونِ لا فى قصورٍ ولا حصونِ
أطير فيها لفَرْط وجدى من غُصْن ورد لغصن وردِ
وفى فروع الأشجار بيتى فالظـلّ فوقى والزّهرُ تحتى

* * *

فسلْ نسيم الأسحار عنّى كم هزّ عِطفَ الأغصان لحنِى
وسلْ بشَذْوى زَهْر الرياض إنى بحكم الأزهـار راضٍ
فـكم زهورٍ لمـا أفوهُ أصغتْ وقالت لافُضَّ فُوهُ
يا قومِ إنى خلقت حرّا لم أرضَ إلّا الفضا مَقرّا
فإن أردتمْ أن تونسونى ففى المبـانى لاتحبسونى
وإن أردتم أن تنْطقـونى فأطلقونى ، فأطلقـونى

الصيف



أنظر إلى الحسناء فى رأد الضحى . . . .

جاء الصيف فجفت الأنداء ... وشكت بيبوستها به الأشياء

وتوقدت عند الهجيرة شمسه ... فتلمظت بلعابها الصحراء[1]

وعلى الديار تراكمت من شمسه ... ملء الفضاء حرارة وضياء

فعلى من الشمس المنيرة أصبحت ... غضبى تجيش بصدرها الشحناء[2]

مدت إلينا فى الهجير أشعة ... كالكهرباءة نارها بيضاء

فحكت أشعتها حراباً أشرعت ... بيضاً فما يحيدها أصداء[3]

حتى استجار الليل من لفحاتها ... ركب سروا فهدتهم الجوزاء

---

(١) تلمظ : تتبع بلسانه بقية الطعام فى فمه ، وأخرج لسانه ، فمسح به شفتيه .

(٢) الشحناء : العداوة .   (٣) أشرع الرمح : سدده .

نظرْ إلى الحسناء فى رَأْد الضُّحى ... تمشى فتلفَحُ وجهَها الرمْضاء[1]
وتمر لاغبةً وفوق جبينها ... عَرَقٌ ووجنةُ خدّها حمراء[2]
إن كان حرّ الشمس لوّح وجهها ... فكذاك تؤذى الضرّةُ الورْهاء[3]

* * *

إنّى لأغفر للمَصيف ذنوبه ... ولو أنّ غارةَ هَيضِه شعواء[4]
فالصيف أرأفُ بالفقير من الشتا ... ولذا تحب قدومَه الفقراء
قلّت به الحاجاتُ فالفقراء فى ... أيامه والأغنياء سَواء
من كان أعوزه كساء منهم ... فالصيفُ مِلْحَفة له وكساء
والأرضُ إن طلبوا الرقادَ وِطَاؤُهم ... من دون مَنٍّ والسماء غطاء[5]
ولئن يكن كَدِر النهار فليله ... طَلْقٌ وفى وجه السماء صفاء
ولئن قسا عند الهجير فريحُه ... هبّت بحاشيتيه وهى رُخاء
أضحى فطابت فى ضُحاه ظِلاله ... وأتى الأصيل فطابت الأفياء[6]
والصيفُ أحسنُ ما به تُشاهدِ ... صبحٌ أغرُّ وليلةٌ قمراء
وأجلّ ما يُرتاد فيه جُنَينةٌ ... ترِفُ الظلالُ بها ويجرى الماء
فعليك فيه بسَرحةٍ فى مَنْبع ... تحنو عليك غصونها الخضراء[7]

---

(١) رأد الضحى : وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء .
(٢) لاغبة : متعبة . (٣) الورهاء : الحمقاء .
(٤) الهيض : الكسر ، وخاصة بعد الجبور .
(٥) من عليه بما صنع منا : ذكر وعدد مافعله له من الخير ، وهو تكدير وتعيير .
(٦) الأفياء : جمع فىء وهو الظل .
(٧) السرحة : الشجرة الطويلة ، أو التى لاشوك لها .

الشـــــتاء

قد كانت الأغصانُ مخضرّةً وكانت الطير بهـا تَسْجَعُ
فصارت الأوراقُ مصفرّة تُسْقِطهـا الرّادَةُ والزّعزع[1]
ثم غدت جرداءَ مزورّة والغيمُ أمستْ عينه تدمع[2]
من أجل هذا المشهَدِ المحزنِ

والليلُ قد طال على مَن شتـا وصار ليـلا باردا مُظلما
لعلّ هذا الرعدَ مُذ صوّتا هرّب منه تِلْـكُمُ الأنجما
عَلامَ قد غيّم ليـلُ الشتا فارتاعت الأنجمُ مذ غيّما
واحتجبت فيه عن الأعين

والريحُ من برد الشتا صَرْصَرٌ والجو يبدو عابسا مُطرقا
قد حار فيه التَرِبُ المُعْسِر إذ لم يجد فيه له مِرْفقا[3]
يَأيهـا الناس ألا فاذكروا من كان منكم فى الشتا مُمْلِقا
وأحسنو فالفوزُ للمحسن

إنّ الشتا أرحمُ للمُعـدِم منكم وإنْ أوجعـه بَرْدُه
لأنه بالعـارض المُسْجِم يُنبتُ زرعا يُرتجَى حَصْدُه[4]
حتى تفوزَ النـاسُ بالأنعُم ممـا لهم أنتجـه جَوْدُه
ويشبعَ المعـدم والمغتنى

---

(١) الرادة : الريح اللينة الهبوب . والزعزع : الريح الشديدة تقلقل الأشياء وتزعزعها
(٢) مزورة : معوجة .
(٣) الترب : الفقير المعدم . والمرفق : مايستعان به .
(٤) العارض : السحاب يعترض فى السماء . والمسجم : الهاطل الممطر .

التلغراف

أو الأسلاك البرقية

للبرقِ أسلاكٌ تؤدّى الأخبارْ ... دقيقة مثلُ دِقَاقِ الأوتارْ
فوق الثّرَى مُدّت وتحت الأبحار ... فى عَمَد قد رُكزت كالأشجار
ما بين كلٍّ عشراتُ الأمتار ... تحسبها فى القفرِ جِنّ ابقّار[1]
شاخصةً أشباحُها للأنظار ... ممتدّةً نحو جميعِ الأقطار
للكهربائيّة فيها تيّار ... تنقُل فى آنٍ كلَمْح الأبصار
جوائبَ الأنباء نحوَ الأمصار ... لله من سلكٍ دقيق قد صار
فى الأرض مجرًى لجليل الأخبار ... والكهربائيةُ شيءٌ قد حار
فى كنهه أهلُ النُّهى والأفكار ... أسْفر منها الوجهُ بعض الإسفار[2]
ولم يزل مُحتجِبا بالأستار ... فى طَيِّها نورٌ مُفاد من نار
وكم لها بين الورَى من آثار ... تطوى المسافاتِ بهم فى الأسفار
وتنقلُ الأخبار ذات الأخطار ... ثم تضىء ليلَهم بالأنوار
فتجعلُ الآصالَ مثل الأبكار ... مشرقةً مبهجةً للأنظار
وقد تُداوِى كلَّ داء ضرّار ... فالسُّقم تشفيه بغير عَقّار[3]
والجُرح تأسوه بغير مِسْبار ... وهى لَعَمْرى ذات لَفح سيّار[4]
لها نفوذٌ فى جميع الأقطار ... فى الحيوان والثّرى والأشجار
وفى رياحِ الجوّ ذات الإعصار ... وفى بحار الأرض ذات التيّار
وقد سرتْ فى كلّ غيم مِدْرار ... بها تسُح هاطلاتُ الأمطار

فهى بهذا الكون سر الأسرار

---

(١) ابقار : اسم واد ، واسم موضع فى بلاد العرب .

(٢) أسفر : انكشف . (٣) العقار : الدواء .

(٤) أسى الجرح ، داواه . والمسبار : مايختبر به الجرح .

بيروت والتباريس

إن لِبَيْرُوتَ بعُمرانها أمكنةً تعلو التَّبَارِيسا[1]
لا سيما أربُعُ لبنانها تلك التي تحكى الفراديسا
فكم كِناسٍ قد حوتْ للظبا وكم حوت للأسْد عِرِّيسا[2]
وما التَّبَارِيسُ سوى مَقْمَرٍ يَقْضِي على اللاعب تَفْليسا[3]
يشدّ بالإفلاس أيامه مَنْ حلّ فى مَلْعَبه الكِيسا
مُعَرَّسٌ يقصده من نحا فى أُخْرَيات الليلِ تعْريسا[4]
ومرقصٌ ترقص فى بَهْوِه أوانِسٌ تحكى الطواويسا
ما فيه من باريسَ إلا الذى يُؤْثَر عن غادات باريسا
لكنَّ بيروتَ بلبنانها تكشف عنك الهمَّ والبُوسَا
عروسَ لبنانَ أما والذى صيّر مرآتِك قاموسا
ما أنتِ إلا جنَّة آمِنٌ آدمُ فيها مَكرَ إبليسا
فيكِ تجلَّى الله ربُّ العلا بالحسن مَرْئِيا وملموسا
لولا جمالٌ فيك مستودَعٌ ما شرح الحبَّ لنا عيسى
كنيسةٌ للحسن فى حُبِّها قلوبنا صارت نواقيسا
ما الحُسنُ فى شىء بمستحسن إلا إذا كان له سُوسا[5]
فأين من هذا تباريسُكم وأين هذا من تباريسا

---

(١) التباريس : الأراضى السهلة اللينة . ولعله هنا اسم موضع .
(٢) الكناس : بيت الظبى . والعريس : بيت الأسد .
(٣) مقمر : ناد للقمار (٤) المعروس : موضع التعريس ، أى النزول بالليل
(٥) السوس : الأصل والطبع .

فى المستشفى الملكى

عاد الرصافى صديقه الفاضل عبد المجيد بك الشاوى فى أثناء مرضه ، وقد طال مكثه فى المستشفى الملكى ببغداد ، فأنشده هذه الأبيات :

أطلْتَ أبا سعدون مُكْثَك ههنا ... فحتى متى تبقى مقيما بمستشفى
فدعْ عنك طِبًّا ههنا تستطبُّه ... ففى المجد طبٌّ ضامنٌ لك أن تُشفى
أرى مجلسَ النوابِ أَوْحشتَ بهوَه ... وقد كاد من صمت تغشَّاه أن يَغْفَى (١)
فما هو مُشتاق إليك مزلزل ... يكاد إليك الشوقُ ينْسِفه نسفا
فإن لم تَدارَكْه بوصل مُعَجَّل ... تَداعتْ به الجدران أو ألقت السقفا
وما استظرفتْ بغدادُ مذ جئتَ هاهنا ... مجالسَ فيها كنت تملؤها ظَرْفا
فكم لك فى تلك المجالس نكتة ... تهزّ لها الآدابُ من فَرَح عِطفا
إذا أنت أرسلت الحديث مخاطبا ... فأيّة أذنٍ لا تَنُوط بها شَنْفا (٢)
رأينا صريحَ القول فيك سجيَّة ... فلم ترضَ يوما للحقيقة أن تَخفى
إذا عَنّ تبيان الحقيقة قلتها ... ولو أغضبت أهل السياسة والصُّحفا
هنيئا لحزب أنت منه فإنه ... بمثلك فردا فى النهى يغلب الأَلفا (٣)
تلطّفتَ فى آدابك الغرّ ناطقا ... بما قد حوى كل اللطائف واستوفى
فتُعرب أحيانا وتلْحَن تارةً ... ولكن بلَحْنٍ أعجبَ النحوَ والصرفا (٤)
أدامك ربُّ الناس للناس مُعلنا ... مكارم جلّت أن نحيطَ بها وصفا

---

(١) غفى يغفى من باب ضرب ، وأغفى يغفى : نام نومة خفيفة . وقد جعله الشاعر من باب فرح ، ولعلها لغة .

(٢) ناط به الشىء : علقه . والشنف : القرط فى أعلى الأذن .

(٣) النهى : جمع نهية وهى العقل .

(٤) الاعراب هنا : الإبانة عن الشىء وصراحة . واللحن . الكناية عن الشىء أو التورية عنه بغيره وليس المراد اللحن الذى هو الخطأ فى الكلام .

إلى عبد اللطيف باشا المنديل

أبا ماجدٍ إني عهدتك مُبْصِرًا ... خفايا أمور أعجزتْ كلَّ مُبْصِرِ

إذا خفيتْ يوما عليك حقيقةٌ ... نظرتَ إليها من ذكاءٍ بمجهر

وإن ليلةُ الخطب ادلهمّت كشفتَها ... بأوضاحِ صبح من فعالك مُسفِر

وتلك مزايا فيك أعلمتِ الورَى ... بأن بنى المنديل أكرمُ معشر

فهل أخفيتْ حالى عليك وقد بدا ... لكل صديق أنها حال مُقْتِرِ

أتيتُك من بغداد لم أَدْرِ ما الذى ... أتى بىَ إلّا أننى فى تحـيّر

وأحمل فى جنبىّ نفسا غنيّةً ... وإن شقيتْ منى بجثمان مُعْسِر

ولو كنت فى بغداد أرضى بذلّة ... لما جئت إلا ساحبا فَضْلَ مئزرى

ولكننى قد عِفْتُ أَن أَردَ الغنى ... ونفسىَ فى قيد من الذلّ مُقْفَرِ

وما عدل السعدونَ بى عن وفائه ... ولكن جرى مجرى القضاء المقدر

ولو أننى بعت الثناء بنائل ... لما رضيت نفسى بغيرك مشترى (١)

وإن حديثى عنك غيرُ مرجّم ... وإن مقالى فيك غير مزوّر (٢)

سأرحل عن ديوانك اليوم أو غدا ... بعزمة لا وانٍ ولا متقهقر

وسوف ترى منى لدى الدهر شاكرا ... وإن كنتَ أعيا عن تمام التشكر

وأكتب للتأريخ ما أنا كاتب ... ليجعله أحدوثةً كلُّ مخبر

---

(١) النائل : العطاء .

(٢) الحديث المرجم : حديث الظنون .

يادار قسطنطين

يادارَ قُسطَنطينَ أنتِ فريدةٌ   فى الحسن لولا جوُّك المتقلّبُ
لقد اجتويتُكِ لا لفَقْدِ محاسنٍ   لكن هواؤُك عارمٌ متذبذب (١)
أبدا سماؤك وجهُها متلوّن   فأراه يَبْسِم تارةً ويقطب
وأرى هواءك ناضحا برطوبة   همُ الرجال بها تجف وتنضُب
تسرى الرطوبةُ منه بين عروقهم   فتكاد من أعصابهم تتحلّب (٢)
فتَلين شِرّتهم وليس بهم ضنى   وتَشيب أرؤسهم وما هم شُيَّب (٣)
وترى الفتى منهم يعود محوقِلا   حتى يروحَ لِعُنَّة يتطبّب (٤)
ريحانِ تندفعان فيك فتارةً   صِرًّا تهبّ وتارةً تتلهّب (٥)
أمّا الشمالُ فعقربٌ لسّاعة   وعن الجنوب وذِكرِها أتجنّب
لا كانتا من ضَرّتين على الورى   هذى تُجمّدهم وتلك تُذوّب
وأرى بك الأخلاق ذات تلوّن   كهوائك القلّاب بل هى أعجب
وطباع كل مَعاشرٍ كهوائهم   سبب الطباع من الهواء مسبّب
أمسى التصنّع فى بنيك صناعة   من كان يحسنها فذاك مهذّب
فإذا تلألأت الثغور تبسّما   فالبرق فى تلك المباسم خُلّب
ولربّما احترم البغيضُ بغيضه   كيما يقـــالَ بأنه متأدب
عَجَبا فكم حَمَلٍ رأيت ومذ نضا   ثوبَى تصنّعه إذا هو ثعلب
حَلُمت نمورُكِ خُدْعة وتظاهرت   بصداقة الخرفان فيك الأذؤب
لم ألق شيئا فيك غير مغشّش   حتى المياه تَغشُّ فيك وتكذب
هذى صفاتك يافَرُوقُ برغم من   أثنَوْا عليك بغير ذاك وأطنبوا

(١) اجتويتك : كرهتك . والعارم : الشديد .
(٢) تتحلب : تسيل .   (٣) الشرة : الحدة والنشاط .
(٤) المحوقل : الضعيف الذى قل أربه فى النساء .   (٥) الصر : البرد الشديد .

فلكس فارس

إن فِلِكْس بنَ فارسٍ رجلٌ　　بنا افتقارٌ إلى غنى أَدَبِهْ
تمَّ له السبق فى العلاء بما　　أحرز يوم الفَخار من قَصَبه
مُفَوَّه لو رآه يخطب فى الْـ　　ـمَحْفِل قُسٌّ جثا على رُكَبه
ينطقُ عن فِطنة لها حِكَم　　تبرىء قلبَ الجهول من وَصَبه[1]
لم يُصغِ مُصْغٍ إلى خَطابته　　إلا وقد راقه فأعجب به
تَعَوَّد كل الخطوب هيِّنة　　إذا فزعنا منها إلى خُطَبه
أتعب فى النصح نفسه فأتتْ　　راحة أهل البلاد من تعبه
يطلب أن تنهض الرجالُ إلى　　مجد يجِدّ الكرامُ فى طلبه
سَلْ عنه لبنان كم تَطرَّبه　　منه خطابٌ فماد من طربه
وسل دمشق الشآم عنه وما　　بعد دمشق الشآم من حَلَبِه
كم ليلة للشكوك داجية　　أنارها باليقين من شُهُبه
حر يؤاخى فى الحق كل فتى　　حر ولو شطّ عنه فى نسبه
إن قال قولا أو انتضى قلما　　فنُصرةُ الحق منتهى أربه
فاركَنْ إليه وخَلِّ حاسده　　محترقا من جواه فى لهبه

---

(١) الوصب : المرض والوجع الدائم .

مليكة غناء العرب

هَلُمَّ إلى ذَوْقِ طعم الأدبْ هلمَّ إلى نَيْل أقصى الأرَبْ
هلمَّ إلى ذا الغنــــاء الذى منيرةُ منــه أتت بالعجب
أليست منــيرةُ فى عصرنا مليكةَ فنّ غناء العرب(١)
ولا غروَ أن مُلِّكت فى الغناء وأن أحرزت فيه أعلى الرتب
فقد أدركته على رِسْلِها ونالتْ أقاصيَــه من كَثَب(٢)
وأيّدها الله من صوتها بأكبر عَوْنٍ وأقوى سبب
أرى فمَهَا صِيغَ من حكمة وأبْخَسُه إن أَقُــلْ من ذهب
تلوح فتبتزّ بدر الدجى وتشدو فيعتزّ فنّ الأدب(٣)
بلحنٍ إذا امتدَّ هزَّ القلوب وخــدَّر أبداننا والعَصَب
ترفرف أرواحُنا تحتــــه كما رفرف الطير لمَّا انقلب
وتخفُق أحشاؤنا دونه كما خفقت فى الرياح العَذَب(٤)
تكاد إذا هى غنَّت نطير إليها بأجنحة من طَرَب
وإن هى قامت لإنشادنا جَثَوْنا لها وثنينا الرُّكَب
فلو سمع القوم ألحانها لشقّوا عمائمهم والجُبَب
أرى الهمَّ يُتعب قلب الفتى وعنه الأغانى تزيل التعب
فبادرْ إليها ولا تكترثْ لما جاء من ذمّها فى الكتب

---

(١) مليكة : أى ملكة ، بمعنى رئيسة هذه الصناعة .
(٢) أدركته على رسلها : أى فى تمهل ورفق .
(٣) تبتز : تغلب وتفوق فى حسنها .
(٤) العذب : الأطراف من كل شىء ، وما يسدل إلى الخلف من العمامة .

إلى جميع الغوانى

وقفتُ عليكنّ قلبى الذى ... يمرّ به الحُبّ مَرّ السحابْ
ومنكنّ أحببت هاتى وذى ... وألفيتُ عذبًا بكنّ العذاب

* * *

فمنكنّ بيضاء ما مثلُها ... (عدا حمرةِ الخدّ) إلّا القمرْ
فتلك التى طاب لى وصلها ... كما ليلةَ البدر طاب السَّمَر

* * *

ومنكنّ حمـــــراء جذّابةٌ ... حكى وجهُها الشمسَ عند الطلوعْ
أرى عينها (وهى خلّابةٌ) ... فأُمسِك بالكف منى الضلوع

* * *

ومنكنّ صفراء فى لونها ... كأن تردّتْ شُعاعَ الأصيلْ
إذا ما تمشّت على هُوْنِها ... أصحّت هبوب النسيم العليل[(١)]

* * *

ومنكنّ سمراء تحكى الدُّمى ... وتبعث فى القلب ميت الهَوَى
على شفتيها يلوح اللَّمَى ... فيُضرم فى الصبّ نار الجوى[(٢)]

* * *

ومنكنّ من هى مثل الرياح ... لها فى ذَرى كل قلب هبوبْ[(٣)]
تريد غِلاب جميعِ الملاح ... وتبغى عذاب جميع القلوب[(٤)]

* * *

ومنكنّ من هى مثل النجوم ... من البعد ناظرة تبتسمْ
فتلك عليها فؤادى يحومْ ... وتلك إليها الردى أقْتحم

* * *

ففيكنّ طُرًّا بوادى الهوى ... أهيم وإن لم تَعُد عائدهْ
ألا إن حبًّا بقلبى انطوى ... كثير فلم تكفِه واحده

---

(١) مشت على هونها : أى فى رفق وتؤدة . (٢) اللمى : سواد الشفة ، وهو محبوب عند العرب .
(٣) الذرى : الناحية والجانب . (٤) الغلاب : المنازعة .

قصر البحر (*)

وقال وقد نزل فى فندق قصر البحر فى بيروت .

لَعَمْرُكَ إنّ قصرَ البحرِ قصرٌ ... به يسلو مَوَطِنَه الغريبُ
وتمتلىء العيون به ابتهاجاً ... إذا نظرت وتنشرح القلوب
تروق الناظرين بجانبيه ... مناظرُ دونها العَجَبُ العجيب
فمن شمسٍ يصافحها طلوع ... ومن شمس يعانقها غروب
ومن سُفْن تجىء بها شمال ... ومن سُفُن تروح بها جنوب
وأخرى حوله خمدت لظاها ... وأخرى فى الفؤاد بها لهيب
أطلّ على المياه فقابلته ... بوجه لا يمازجه شُحوب
يقبّل جانبيه البحرُ حتى ... كأن البحر مشغوف كئيب
أحاط به فكان له رقيبا ... ومَغناه الأنيق له حبيب
وما هذا التموّج من هواء ... ولكن من هوًى فهو الوجيب[1]
كأن الموج فى الدأما رجال ... وهذا القصر بينهم خطيب[2]
تخاطبهم مبانيه فيعلو ... من الأمواج تصفيق مَهِيب

☆ ☆ ☆

تلمُّ به المسرّاتُ ازدياراً ... فتعرفه وتجهله الكروب
وما انفردت به بيروت حسناً ... ولكنّ القصور بها ضروب
تبسّمت البلاد بكل أرض ... وما زال العراقُ به قُطوب
فها هو من تكاسل قاطنيه ... تجرّ عليه كلكلها الخطوب
إذا تدعو الرجالَ به لخير ... يجيبك من تخاذلهم مُجيب
فيا لهفى على بغداد أمست ... من العمران ليس لها نصيب

(*) من الديوان الأول .

(١) الوجيب : الخفقان والارتجاف . (٢) الدأماء : البحر.

سأبكى ثم أستبكى عليها ... إذا نضبت من العين الغُروب[١]
أيا بغدادُ لا جازتْك سُحْبٌ ... ولا حلّت بساحتك الجُدوب
تطاول ساكنوكِ علىّ ظلماً ... فضاق علىّ مغناكِ الرحيب
وكم نطقوا بألسنة حِداد ... يسيل بها من الأشداق حُوب[٢]
رمانى القوم بالإلحاد جهلاً ... وقالوا عنده شكٌّ مُريب
ألا يا قومِ سوف يجدّ جِدّى ... وسوف يخيب منكم من يخيب
فمن ذا منكم قد شق قلبى ... وهل كُشفت لكم فىّ الغيوب
فعند الله لى معكم وقوف ... إذا بلغت حناجرَها القلوب
يقينى شرَّ فِرْيتكم يقينى ... بأن الله مُطَّلِع رقيب
ولم تَخْفَر لكم عندى ذِمام ... ولكن عادة الريح الهبوب

محاسن الطبيعة(*)

إلى حضرة الفاضل ندرة بك المطران

البحرُ رَهْوٌ والسما صاحيَهْ ... والفَخْت فى الليل شبيهُ السّديمْ[٣]
والبدرُ فى طلعته الزاهيه ... قد ضاحَكَ البحر بثغر بسيمْ

* * *

والصمت فى الأنحاء قد خيّما ... فالليل لم يَسمع ولم يَنطقِ
والبدرُ فى مَفْرِق هامِ السما ... تحسبه التاجَ على المفرق
أغرق فى أنوارِه الأنجما ... وبعضها عَامَ فلم يغرق
والبحر فى جبهته الصافيهْ ... قام طريق للسنا مستقيم
لم تَخْفَ فى أثنائه خافيَه ... حتى ترى فيه اهتزازَ النسيم

---

(١) الغروب : جمع غرب ، وهو عرق فى العين ، أو الدمع ، أو جانب العين .
(٢) الحوب : الإثم .
(*) من الديوان الأول .
(٣) رهو : ساكن . والفخت : ضوء القمر . والسديم : الرقيق من الضباب .

وقفتُ والريحُ سرتْ سَجْسَجا   وقفةَ مبهوتٍ على الساحل[1]
أنظر ما فيه يحار الحِجَا   فى الـكونِ من عالٍ ومن سافل
يا منظراً أضحكَ ثغرَ الدُّجَى   وردّ سَـحْبانَ إلى باقل[2]
ما أنت إلا صُحُفٌ عاليه   كم حار فى حكمتها من حكيم
إذا وَعَتْهـا أُذُنٌ واعيــه   فقد وعتْ خيرَ كتابٍ كريم

* * *

وزان عَرضَ البحر ما قد بدا   من زَوْرق يجرى بِمجْدَافَتيْن
عامَ بذَوْبِ الماسِ أو قد غدا   يسبحُ فى لجة ذوب اللُّجَين
فى صامت الليل جرى مفردا   وبين جنبيه حوى عاشقين
من غادة فى حسنها غانِيَه   تَبْسِـم عن لألاء دُرّ نَظيم
ومن فتى أدمُعــه جاريه   قد صافح العشقَ بجسم سقيم

* * *

قابلها والحبّ قــد شَفّــهُ   وقابلت طلعةَ بدر السما[3]
وظلّ يرنو تارة خلفــه   وتارة ينظرها مُغْـرَما
ثم تدانى واضعا كفه   فى كفها يطلب أن يَلثما
وخرّ من وَجْد على الناصِيَه   وقلبه يركض ركض الظّلِيم[4]
وهى غدت من أجله جاثيه   واحتضنته كاحتضان الفطيم

* * *

ثم رمى نظرةً مُسْترحِمٍ   فى الـكون طَرْفٍ له حائرِ
وقال قولَ الـكلِفِ المغرم   فى حب ذات النظر الساحر
أيتها الأرض قفى واسلمى   من أجل هذا المشهد الزاهر

---

(١) الريح السجسج : المعتدلة اللطيفة .

(٢) سحبان : خطيب يضرب به المثل فى الفصاحة وباقل : يضرب به المثل فى العى .

(٣) شفه الحب : هزله وأضناه .   (٤) الظليم : الذكر من النعام .

حتى أرى ليلتنا باقيـة محفوفةً من وصلنا بالنعيمْ
فإن هذى ليلةٌ حاليـه تزهو ببدرين وطلق النسيمْ

٭ ٭ ٭

وأنتَ يا بدرُ اللطيف السنا فى الجوّ قفْ وِقفةَ غير الرقيب
ما أبهجَ النور وما أحسنا إذا دنا منك لوجه الحبيب
كأنه « ندرة » لمّا دنا نحو المعالى يبتغيها النصيب
فحاز منها جملة وافيـه ما حازها من أحد من قديم
وصار يُدعى الرجل الداهيه فى الفكر والجد وخلق عظيم

٭ ٭ ٭

يا آل مُطرانَ لكم « ندرةٌ » وأكرم الناس هو النادرُ
لكن معاليكم لها كثرةٌ يعجز أن يحصرها الحاصر
من أجلها أمست لكم شهرة عمّ البرايا صيتُها الطائر
حيث معاليكم غدت قاضيه لكم على الناس بفضل عميم
فراية المجد لكم عاليـه و « ندرة » الشهمُ عليها زعيم

٭ ٭ ٭

يا من بَنَى المجدَ فأعلى البنا فكان أعلى الناس فى مجده
اقبل من العبد جميلَ الثنا وإن يكن قصّر عن حده
ومُره ثم احكم به إن ونى ما يحكم السيد فى عبده
إذْ أنت بالمنقَبة الساميه قد خصَّك الله العزيز العليم
فاهناً ودم فى عيشة راضيه رغمَ المعادى وسرور الحميم

ليلة فى دمشق (*)

من كان يأرَقُ بالهمو م فقد أرِقتُ من السرورِ
وطربتُ من صوتٍ يجىء إلىَّ من غُرَف القصور
صوتٍ كأن الغانيا ت أعَرْنَه هَيَفَ الخصور
ونضحن من ماء الحيا ة عليه فى شَنَب الثغور
سرَّى الهموم عن الفؤا د بجوف حالكة الستور
والعـود ينطق باللحو ن بلهجتى بَمٍّ وزِير
يرمى به الصوت الرخيـ م على الدجى لمعاتِ نور
ملأ الظـلام توقداً كالكهرباءة فى الأَثير
يحكى الزُّلالَ لدى العطا ش أو الثراء لدى الفقير
أصغيتُ منقطعا إليـه عن المُواطِن والعشير
فحسبتُ نفسى فى الجنا ن بغيرِ وِلْدَان وحُور
وطَفِقت أذَّكِر العـرا ق فعاد صفوى ذا كدور
فرجعت عن ذاك السما ع وغبت عن ذاك الشعور
وذكرت من تبكى هنا لك علىَّ بالدمع الغزير
تستوقف العَجَلان تَمْـتَمَـةً بالرنين عن المسير
وتقول من مَضَض الفرا ق مقالَ ذى قلبٍ كسير
أَبُنَىَّ سِرْ سيرَ الأما ن من الطوارق فى خَفير
يا أمِّ لا تخشىْ فإ نَّ الله يَا أُمّى مُجيرى
ودَعِى البكاء فإن قلـبِىَ من بكائك فى سعير

(*) من الديوان الأول .

أعلمتِ أنى فى دمشـــق أجرّ أذيالَ السرور
بين الغَطارفةِ الذيـــن تخافهم غِـيَر الدهور[1]
من كل وضّاحِ الجبيـــن أغرّ كالبدر المنـير
حرّ الشمائل والفعا ئل والظواهر والضمير

حول البسفور (*)

خليليّ قوما بى لنشهد للرُّبا ۔ بجانبى البسفور مشهدَ أسرارِ
أجِيلا معى الأفـكار فيها فإنها مجالُ عقول للأنام وأفـكار
خليليّ إن العيش فى ماء شرشرٍ إذا الشمس تستعلى وفى ماء خنكار[2]
سفوحُ جبالٍ بعضها فوق بعضها مكلَّلة حافاتهنّ بأشجار
يروق بجنبيها خريرُ مياهها ويشجى بفطريها ترنم أطيـار
ويجرى النسيم الرطب فيها كأنه تبختر بيضاء الترائب معطار
معاهد زُرْهَا فى الهواجر تلقها موشحةً فيها بِرقة أسحار
نزلنا بها والشمس من فوقُ أرسلت على منحنى الوادى ذوائبَ أنوار
وقد ظل من بين الغصون شعاعُها يوقِّع دينارا لنا جنب دينار
كأن التفافَ الدوح والنور بينها جيوبٌ من الأنوار زُرّت بأزرار
تميل إذا هبّ النسيم غصونُها فتأتى بظل فى الجوانب موّار[3]
ترانا إذا ماالطير فى الدوح غرّدت تميل بأسماع إليها وأبصار
رياض تنسّمنا بها الريح ضَحوةً فنمّت لنا من طيبهنّ بأسرار
يلوح بها ثغر الطبيعة باسما فيفتر منها عن منابت أزهار
مشاهد فى تلك الربا ومناظر تجلّت على أطرافها قدرة البارى

(١) الغطارفة : جمع غطريف ، وهو السيد السخى السرى . وغير الدهور : تقلباتها .
(*) من الديوان الأول .
(٢) شرشر وخنكار : موضعان بالقرب من البسفور .
(٣) الموار : المضطرب المتحرك .

تأثير التربية(*)

قالها فى بيروت بعد أن شاهد مسرح الحيوانات

إليكَ ماشاهدتْ عينى من العَجب ... فى مَسرح ماجَ بين الجِدّ واللعبِ
خافوا به أن تقومَ الأسْدُ واثبةً ... حتى بنَوْا حاجزا فيه من الخشب
وحصّنوه من الأعلى بمشْتبكٍ ... من الحبال جديلٍ غيرِ مُنْقضب
به الأسود تمطّى فى مرابضها ... والنمر يَخْطِر بين الخوف والغضب
والذئبُ يبصر جَدْى المعز مقتربا ... منه فيرجعُ عنه غيرَ مقترب
أمّا الكلاب فجاءت وهى كاسية ... يرقصن منتصِبا فى إثْرِ منتصب
قامت على أرجلٍ تمشى معلّمةً ... مشىَ المليحة فى أبرادها القُشُب(1)
تخشى مؤدّبَها والصولجانُ له ... فى الكفّ فرقعة كالرعد فى السحب
ترنو إليه بعين الخوف فاعلةً ... ما كان يُصْدِر من أمر ومن طلب
خضعن للسوط حتى إنّ أعقدَها ... لو يأمر السوطُ يغدو مرسِلَ الذّنَبِ
وكانت الأُسْد تجرى فى إطاعتها
مجرى الكلاب بحكْم الخوف والرَّهَب
كأنما الليثُ لم يُخلق أخا ظُفرٍ ... محدّدَ الناب قذّافًا إلى العطَب
شاهدتُه مشهدا بِدْعا علمتُ به ... أن الغرائز لم تُطْبَع على الشَّغَب
وأن خُبْثَ البرايا فى طبائعها ... لابد فيه سوى الأطباع من سبب
وأن ليثَ الشرى ما صيغ مفترِسا ... لكن أحالته فرّاسا يدُ السَّغَب(2)
وكم من الناس من قد راح مندفعا ... بدافع الجوع نحو القتل والسَّلَب
وأن تربيةَ الإنسان يُرجعه ... إكسيرُها وهو من تُرْبٍ إلى الذهب

(*) من الديوان الأول .

(1) القشب : جمع قشيب ، وهو الجديد .

(2) السغب : الجوع .

هذا إذا حَسُنَتْ أما إذا قبحت　　فالمَنْدَلىُّ بها يمسى من الحطب[1]

فكل ماهو فى الإنسان مكتسَبٌ　　فلا تقلْ فيه شىء غير مكتسب

إنى أرى أسوأ الآباء تربيةً　　للابن أحرى بأن يُدعى أعقّ أب

والمرء كالنبت ينمو حَسْب تُربته　　وليس ينبت نبعٌ مَنْبِتَ الغَرَب[2]

من عاش فى الوَسَط الزاكى زكا خُلُقاً　　حتى علا فى المعالى أرفعَ الرتب

فاحرص على أدب تحيا النفوس به　　فإنما قيمة الإنسان بالأدب

يقظة الشرق

أنشدت فى مأدبة نادى المعلمين ، لتكريم وفد الجامعة المصرية مساء ٩ شباط سنة ١٩٣١ فى أوتيل «كارلتون» ببغداد.

أرى — بعدَ نوم طال — فى الشرق يقظةً
نُهوضيّة فيها طموحٌ إلى المجدِ

ففى « مصر » شِيدتْ للعلوم معاهدٌ
على أسس التحليل والبحث والنقد

فلم تَتخذ غيرَ التجارب منهجاً　　لتحقيقها من جوهر العلم ما يجدى

وفى الأُفق « التركىّ » سارت إلى العلى
جيوش بأعلام التجدد تستهدى

وفى « الهند » قامت للتحرر ثورة　　سياسيَّة عزلاء قائدها « غَنْدى »

و«فارسُ» حلّت عقدة من جُمودها　　وحنت بمسعاها إلى سالف العهد

وفى «الصين» حرب نارها وطنية　　تزيد بمرّ الدهر وَقْدًا على وَقْد

و « بغداد » بين الأجنبىّ و بينها　　مَزيد صراع فى السياسة مشتدّ

(١) المندلى : عود يتبخر به ينسب إلى المندل من بلاد الهند .

(٢) النبع : شجر صلب تتخذ منه السهام والقسى . والغرب : شجرة تتخذ منه الأقداح .

على أن حولَ « النيل » مثلَ صراعنا
ولكنه بين الحكومة و « الوفد »

ولم تخل من أعشابها بتجدّدٍ
على جدبها أرضُ « الحجاز » ولا « نجد »

زمانٌ أتى من كل قوم بنهضةٍ — سياسيَّة حتى أتت نهضةُ « الكُرْد »
تباشيرُ صبح لاح بعد نحوسةٍ — مشيرا إلى ما نرتجيه من السعد
فيا وفدَ مصر أنتمُ خير شاهد — على يقظة فى الشرق وارية الزَّنْد
لقد جئتمُ رُوّادَ علمٍ وحكمةٍ — فَحُيّيتُمُ أزكى التحيات من وفد
تَرُودون أهلَ العلم مَرعًى ومنزلًا — وتجتنبون الهزل فى معرِض الجِدّ
وقد زرتُمُ « دار السلام » زيارة — ستذكرها الأقلام بالشكر والحمد
ومن ذكرها فى كل عصرٍ وموطن — ستستنشق الأيام أطيبَ من ورد
وتمتد بين « النيل » منها و « دجلةٍ » — مدى الدهر أسبابُ التعارف والودّ
سلام على « مصرَ » التى أرسلت بكم — فطاحلَ علمٍ لا تحيد عن القَصْد
لكم عند أهل « الرافدين » تجلّةٌ — على قدر ما للرافدين من الرِّفد

إلى القزوينى

هو المرحوم أبو المعز السيد محمد القزوينى العالم المشهور .

قف بالديار الدارسات وحيّها — واقرَ السلامَ على جآذرِ حيّها[1]
وانشُد هنالك للمتيّم مُهجةً — فنِيتْ من الأهواء فى عُذريّها
وسل المنازلَ هل علمْنَ بأننى — قد شفَّ جثمانى الهوى بظُبيِّها
يا قلبُ أىُّ هوًى أصابك عند ما — أُصميت باللحظات من ثُعَليّها[2]

(١) الجآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية .

(٢) ثعليها : رام منسوب إلى بنى ثعل ، وهم حى من طيء مشهورون بالرمى ، قال امرؤ القيس :

رب رام من بنى ثعل — مخرج كفيه من ستره

رَشَأ إذا أبدى ابتسامة شائق | أجرى المدامعَ من عيون عَصِيِّها[1]
شغلَ القلوب بحبّـه ولطالما | فتكتْ ضعافُ لحاظِه بقويها
من لى بلثم مُقَبَّلٍ من شادنٍ | عذْب الثنايا الواضحات شهيِّها[2]
ياعاذلًا صـدعَ القلوبَ بلومه | مَهْلا فليس خَلِيُّها كَشَجِيِّها
من ذا استطاع يَرُد عن غيِّ الهوى | فئـةً ترى كلَّ الرشاد بغيِّها
دعْ يا عذولُ أخا الغرام معظَّماً | للدار يلثِمها كرامة ميِّـهَا
كأفاضل «الفيحاء» حيث تفاخرت | بسريِّها الجَحْجاح وابنِ سريها[3]
السيد السـنـد الهمام محمد | فرع النبوة وابنِ خير وصيِّها
كم شاع للفيحاء بين بلادنا | شرفٌ حوته بفضل قزوينيها
ذاك الذى كم من مناهل فضله | فازت محلأَةُ النفوس بريِّها[4]
ياسيدا فى المجد أحرز شهرة | ملأتْ مسامعنا بصوت دَوِيِّها
والَتْكَ نفسى ترتدى بك سؤددا | وقد ارتدته فكنت خيرَ وليِّها
لِمَ لا أسُود بحبكم فى أمةٍ | فَرَض المهيمنُ حب آل نبيِّها
زهتِ المكارمُ فيك حيث لبستها | شِيَما تزيّا الأكرمون بزيِّها
فعشقتُ منك على البِعـاد خـلائقا
شغلت — وحقك — مهجتى عن حيِّها
فإليكها عذراءَ عزّ قِيادُها | لولا مديحُك لم تَبُح برويِّها
وافتْك فى «رمضان» تنشر مدحةً | عبقت تهانيك الحسانُ بطيِّها
لتشدّ معك عُرا الوداد وثيقةً | بيدٍ، ولاؤك كان خيرَ حليِّها
إنِّى لأغبطها إذا هى أنشدت | بندىٍّ عف الذيل منك ذكيِّها
وغدت تجيدُ المدح منك لسيد | شهم الغطارفة الكرام أبيِّها

---

(١) الرشأ: ولد الظبية. (٢) المقبل: الفم. والشادن: ولد الظبية.
(٣) هى مدينة الحلة. والسرى: السيد الشريف السخى. والجحجاح: السيد المسارع إلى المكارم.
(٤) المحلأة: العطاش المطرودة عن الماء.

إلى حماة الأطفال

سبق لجمعية حماية الأطفال أن اعتزمت إقامة مهرجان كبير حاولت أن يكون الأول من نوعه ؛ وقد تفضل شاعر العرب الخالد المرحوم الأستاذ معروف الرصافي ، فأرسل هذه القصيدة العصماء ، ووعد أن يلقيها بنفسه ، ونحن ننشرها اليوم ليرى القراء جانبا من إحساس الفقيد العظيم نحو أطفال الوطن .

دارُ السلام تفاخرتْ برجالِ ... قاموا بأمرِ حماية الأطفالِ

وعُنُوا بتربية البنينَ عِنايةً ... زادوا بها شَمَما على الأجبال(١)

وَبنوا لهم داراً بما جادت به ... أيدى أكارمهم من الأموال

صانوا بها الأنسالَ من أمراضها ... ومن الحقوق صيانة الأنسال(٢)

دار تقيهم بالأواقى كلَّ ما ... يُخشى من الأوجاع والأوجال(٣)

ضمنت لأيتام الأرامل طِبهم ... وغِذاءهم و بشائر الإقلال(٤)

لم يخشَ فتكَ السُّقْمِ فيها رُضَّع ... فى البؤس قد وُلدوا وفى الإقلال

لله تلك الدارُ مِن متبوّأٍ ... بذّ النجوم بقدرة المتعالى(٥)

هى مفزَع المعسرين ومَلْجأٌ ... يأتيه كل ضَنٍ من الأطفال(٦)

أحماةَ أطفال الأيامَى إنكم ... جُدَراء بالتعظيم والإجلال(٧)

مرتْ لكم تلك السنونَ وكلُّها ... غُرَرٌ تُزانُ بأنفع الأعمال

كانحَمُ الأدواء فى أيتامنا ... دأبا بغير كلالة ومَلال

---

(١) شمما : أصل الشمم الارتفاع فى قصبة الأنف ، والمراد هنا الارتفاع مطلقا : والأجبال : جمع جبل .

(٢) الأنسال : جمع نسل ، وهم الذرارى .

(٣) الأواقى : أصلها الوواقى ، جمع واقية . والأوجال : المخاوف ، جمع وجل .

(٤) الأرامل : جمع أرملة ، وهى الفقيرة ، أو التى مات زوجها . والإبلال : الخروج من المرض .

(٥) متبوأ : مكان التبوؤ ، وهو النزول فى المكان . وبذ ، بالذال أخت الدال ، وبالزاى أيضا ، يقال بزه وبذه : أى فاقه .

(٦) مفزع : ملجأ ومعتصم . والضنى : المهزول .

(٧) الأيامى : جمع أيم ، وهى التى لا زوج لها

في حَوْمة الإحسان طال صِيالكم ... حَقًّا فأنتمْ أشرف الأبطال[١]

سيدوم مَسعاكم ويبقى دأْبكُمْ ... في الدهر غيرَ مُهدَّد بزوال

ولسوف يذكركم ويشكر سعيكم ... من سوف يخلُفُكم من الأجيال

لله أنتمْ من أفاضلَ خُلّصٍ ... فاقوا الأنام بأشرف الإفضال

إني أحاول أن أكون مُعينكم ... لولا موانع يعترضن حَوالِي[٢]

لو أن ذات يدي استطاعتْ رِفدكم ... ما فاق نولُ الرافدين نوالي[٣]

ولَوَ انّ أيامي تجود بصحتي ... ما جالَ أقوى العاملينَ مَجالي

إن لم أعنكم بالفعال فإنني ... ما زلت من أعوانكم بمقالي

فإليكمُ هذا الثنـاءَ مخلّدا ... من مادح في المدح غيرِ مغال

شاعر البشر

حَيَّهلْ يا أخا مُضَرْ ... نَدَّكِرْ خيرَ مُدَّكَرْ[٤]

ندَّكِرْ شاعر البشرْ ... خير من قال وافتكرْ

* * *

حَيَّهلْ أيها الملَا ... نُحْيِ ذِكرى أبي العَلَا[٥]

شاعرٍ شعرُه اجتلى ... صُوَرا كلُّها غُرَرْ

* * *

---

(١) الحومة : موضع القتال . والصيال والمصاولة : المنازلة في الحرب .

(٢) حوالى : حولى .

(٣) الرفد : العطاء . والنول والنوال : العطاء .

(٤) حيهل : اسم فعل أمر ، معناه : أقبل . وأخا مضر : هو من : ينسب إلى مضر . وهم من ولد إسماعيل . أما اليمنيون فأولاد يعرب بن قحطان . ولعل الشاعر هنا يريد جنس العرب مطلقا ، مع غض النظر عن أصولهم الأولى ، وآية ذلك أن القصيدة في الدعوة لذكرى شاعر البشرية الأكبر ، أبي العلاء المعرى ، وهو من تنوخ ، وتنوخ من قحطان ، لا من مضر . وندكر أصله نذكر بذال مدغمة ، فأبدلها دالا .

(٥) الملا . أصله : الملأ ، وهو جماعة من الناس ، أو أشراف القوم وعليتهم .

شاعر يملأ الفضا نفسه صعبة الرضا
دونه كل من مضى دونه كل من غبر(١)

* * *

هو بالفكر مذ سما كان من نوره العمى(٢)
شاعر الأرض والسما شارف الشمس والقمر(٣)

* * *

حل في ذروة الأدب آتيا منه بالعجب
لا تقل شاعر العرب إنه شاعر البشر

* * *

جعل الصدق ديدنا تاركا هذه الدنا(٤)
إن تناءى أو ادنى فهو للحق ينتصر

* * *

عبقري بشعره عالمي بفكره(٥)
يعربي بنجره تشرف العرب إن ذكر(٦)

* * *

---

(١) من غبر : من يأتى فى المستقبل . وقد يكون غبر بمعنى مضى ، فى غير هذا الموضع .

(٢) كان من نوره العمى : كان العمى سبب توقد ذكائه .

(٣) شارف الشمس والقمر : كاد يبلغهما سناء ومجدا .

(٤) ديدنا : عادة . والدنا : جمع دنيا ، أى أنه قال الصدق ولم يخش أهل هذه الدنيا ، لأنه لم يكن يرجو منهم نفعا يحمله على مداهنتهم ومراءاتهم بقول الكذب .

(٥) عبقرى : منسوب إلى عبقر ، ينسب إليها كل شىء نفيس ، وقد زعموا أنها مدينة للجن بأرض اليمن . وعالمى : يعنى أنه لم يقصر شعره على ذكر العرب وحدهم ، وإنما تناول شعره بنى الإنسان عامة ، لأن آفاق فكره فسيحة ، فهو يسبح فيها ويحلق فى ذرها ، واصفا أحوال البشر ، مشيدا بفضائلهم ، ناعيا عليهم مخازيهم .

(٦) يعربى : منسوب إلى يعرب بن قحطان أبى عرب اليمن . والنجر والنجار : الأصل .

جعل الشعرَ وَحيَهُ مُوقظاً فيه وَعْيهُ
ما ورَى فيه وَرْيَهُ قبله كل من شَعَر (١)

* * *

خَطّ سِفْرا به ابتغَى غُنْيةَ الروح بالرُّغَي (٢)
جامعاً أفصح اللغَا حاوِيا أكبر العِبَر

* * *

حكّم العقل واجتهد وتغابَى عن القَدَرْ (٣)
هو فى القول ما اعتمد غير ما ذاق واختبَرْ

* * *

شعره شَفَّ عن دَها ماله فيه مُنتَهى (٤)
بنظام هو النُّهَى وحروف هى الدُّرر (٥)

* * *

شعره شعر مُتقِن فيه شك لموقِنِ (٦)
فيه كفر لمؤمنِ فيه إيمان من كَفر (٧)

* * *

نفسه وهْى ثائرهْ ترَكَتْ (غيرَ خاسِرهْ) (٨)
كُلَّ دنيا وآخرهْ ونفت كل ما استقرْ

---

(١) «ما ورى فيه وريه» أى لم يقدح شاعر زناد فكر ، ولا أتى بمثل ما أتى به أبو العلاء من المعانى.
(٢) الرغى ، بضم الراء وفتحها : الحديث غير الصريح . « وخير الحديث ما كان لحنا » .
(٣) تغابى عن القدر : لم ينسب إليه شيئا من إسعاد الناس أو إشقائهم . يقال : تغابى عن الشىء : إذا تظاهر بالغباء عن فهمه ، وهو فى الحقيقة عارف له .
(٤) شف عنه : أبان عنه .
(٥) النهى : جمع نهية ، وهى العقل . يريد أن نظم أبى العلاء الشعر محكم إحكاما لا خلل فيه ، كأنه من العقل الخالص .
(٦) فيه شك لموقن : يريد أن بعض شعره مما يشكك الموقن فى دينه .
(٧) يريد أن شعر أبى العلاء بعضه مما يكفر بقوله المؤمن ، وبعضه إيمان خالص ، فهو جامع لظاهر تفكيره الطليق ، وتأمله الحر .
(٨) يريد أن ثورة نفسه جعلته لا يطلب حظا فى دنياه ولا آخرته .

جعل الحقّ ذوقه باذلاً فيه طَوْقَه[١]
شاعرٌ ليس فوقه شاعرٌ من بنى البشر

* * *

شاعر الأرض والسّما هو بالفكر مُذ سَما
أبصر الحق بالعمَى لم يَضِره عَمَى البصر

* * *

هو بالشعر إن شدا يتجلى لك الهُدَى
مدْرِكا أبعد المدى بالمعانى التى ابتكر

* * *

جانَبَ الناسَ واعتزلْ قائلاً إنهم هَمَلْ[٢]
شرّهم غير محتملْ خيرهم غير منتظرْ

* * *

دينهم من ريائهم وهو فى أغبيائهم
ليس فى أذكيائهم غيرُ من مان أو مكر[٣]

* * *

ما بهم غير حاسدٍ دائب فى المكايد
مُبْغِى كلّ واحدٍ منهمُ الجورُ إن قَدَرْ

* * *

كوكبٌ قد توَقّدا فى سماء من الهُدَى
عند ما غمّهُ الرّدى أظلم الجوّ واعتكر[٤]

* * *

(١) جمل وجدانه زائده فى تمييز الحق عن الباطل من الديانات . وطوقه : طاقته واستطاع

(٢) الهمل من الحيوان : ما ليس له راع يحوطه ويرعاه .

(٣) مان من المين : وهو الكذب . والمكر : الغش والخداع .

(٤) غمه الردى : ستره الموت .

لَيسَ للموتِ عندهُ من تقاريع بَعْدَه (١)
إن عَرا الحَيَّ رَدَّه فاقدُ الحسِّ كالحجرْ

* * *

فيه قد يأمن الفتى كل ما راع أو عتا
لا مَصِيفٌ ولا شِتا لا نَعيمٌ ولا سَقَرْ

* * *

نحن أَسْرَى ذواتِنــا خشيةً من مَماتِنا
كَمْ وكَم في حياتنا مبتدا ما له خبر

ذكرى المآثر التيمورية

وهي من أواخر شعره

« لأحمدَ تيمورٍ » مآثرُ لم تَزَلْ تشيرُ بتعظيمٍ إليها الأنامل (٢)
شوامخُ كالأطوادِ عاليةُ الذُّرَا ولكنَّها لا تَعتريها الزلازلُ
تزيدُ على كَرِّ الجديدين جِدَّةً وتَبلَى الدواهي دونها والغوائل (٣)
إذا ذُكِرَتْ في القوم حُلَّت لها الحُبَا
وقام لها جمعٌ من القوم حافل (٤)
هو العالِمُ الحَبْرُ الذي كان علمُه كأخلاقه فيه النُّهى والفضائل (٥)
إذا لم يزن علمَ الفتى حسْنُ خُلْقه فما هو في شيء على الناس طائلُ

---

(١) تقاريع : كذا بالأصل المخطوط الذي بأيدينا ، وقد تقرأ : تفاريع . وهي غامضة

(٢) المآثر : جمع مأثرة ، وهي ما يبقى ويروى خبره من المفاخر .

(٣) الغوائل : جمع غائلة ، وهي المهلكة . وفي الأصل المنقول عنه ، وهي جريدة « البلاد » التي نشرت القصيدة : القواتل . ولعله تحريف .

(٤) الحبا : جمع حبوة ، وهي ما يشد به العربي رجليه إلى ظهره من شملة أو عمامة أو نحوها ، إذا جلس في نادي قومه . وحل الحبا : كناية عن الاهتمام بالأمر ، يقال للشيء المهم : هذا أمر تحل له الحبا . والجمع الحافل : الكثير العدد .

(٥) يريد أن علمه تتمثل فيه قوة العقل وأدب النفس .

به فقدتْ «مصرُ» العزيزةُ فاضلا ... له في مغانيها مَساعٍ فواضل

أقام بها ما فاقَ في الفضل نيلَها ... خزانةَ كُتْبٍ تنتحيها الأفاضل[١]

مناضدها للتائهين معالمٌ ... وأسفارها للظامئين مَناهل[٢]

إذا غُمَّ أفْقُ العلمِ أبدت أثارةً ... تقوم بها للحائرين دَلائل[٣]

عليه سلامُ اللهِ ما هِيبَ عالِمٌ ... وعِيب بإهمال التعلّم جاهل

ولا برحت مصرٌ ينير لها الدجى ... رجال عظام من بنيها أماثل

الأعظمية : ١٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٥

أبو الطيب المتنبي

كان أبو الطيب امرأ قوله ... يبتكر الشعر مذكيا شعله

صاحب نفس كبيرة شرفت ... فشرفت حله ومرتحله

كان هو الشاعر الذي انتشرت ... اشعاره في البلاد منتقله

أوجد للشعر دولة عظمت ... به فعزت من قبله دوله

من كل معنى أغر مؤتلق ... في لفظة كالعروس في الحجله

وربما برق لفظه فبدت ... في شعره كل كلمة ثمله

وربما لم تبن مقاصده ... لأنها فيه غير مبتذله

* * *

فسائلن عن قريضه حلبا ... كم قطفت من زهره خصله

خلد ذكرا لسيف دولتها ... أيام وشى بمدحه خلله

(١) تنتحيها : تقصدها .

(٢) مناضدها : جمع منضد ، وهو الخوان توضع عليه الكتب وترص . والمناهل : جمع منهل ، وهو مورد الماء .

(٣) غم أفق العلم : أظلم . والأثارة : البقية من الشيء ، كذا في جريدة « البلاد » ولعلها محرفة عن إنارة . يريد إذا غام الأفق بالشبه ظهر منها نور يوضح أمام الحائرين .

فأعجب لسيف لم تبل جدته ... وشاعر بالمديح قد صقله

* * *

لو حاز موسى مضاء عزمته ... ما تاه فى التيه عندما دخله

وهو الذى اجتازه بيعمله ... تحمل منه الهمام لا التكله

قد بات كافور من جراءتها ... على الموابى بمهجة وجله

إذا عجزته بالسير عن طلب ... لا خيله تخشى ولا أبله

فسل به النيل يوم ناقته ... تغمرت منه وانتحت جبله

كيف أتى مصر كالعقاب لكى ... يبلغ فيها بشعره أمله

وكيف أحيا بالمدح أسودها ... ثم وشيكا بهجوه قتله

* * *

فى شعره حكمة مهذبة ... وروعة بالذكاء مشتعله

ونغمة بالشعور صادحة ... وصنعة بالفنون متصله

قدرته فى البيان واسعة ... يتيه فيها السؤال والسأله

إذا المعانى بشعره ازدحمت ... ما ربكت فى انتقائها حيله

كم شاعر قد قفى له أثرا ... وناقد راح يبتغى زلله

فأخفقوا عاجزين عن درك ... لبعض ما كله تيسر له

* * *

قل لابن عباد أى منقصة ... من أجلها كنت مكثرا عذله ؟ !

أمن شعره والعصور ما برحت ... تسعى بكل استجادة قبله

لكنها زمت من مدائحه ... ما لم تكن سالكا له سبله

طماعة منك غير واعية ... وهى لعمرى حماقة وبله

* * *

أكبر من أكبر القريض به ... وأكبر القاتلين من قتله
يا قاتليه لو تعلمون به ... اذاً قتلتم نفوسكم بدله
قتلتم الشعر والاجادة والأ — م — بداع يا الألم القتله
لستم بذا القتل من بنى أسد ... بل أنتم فيه من بنى وزله

* * *

لم يزل الدهر بعد مقتله ... يضرب فى الشعر للورى مثله
كان له عند كل بادهة ... بدائع فى القريض مرتجله
يصطاد فى الشعر كل شاردة ... من القوافى بفطنة عجله
فلا تقسه بغيره أدبا ! ... وهل تقاس المطار بالتفلة !

* * *

كم شاعر يدعي وليس له ... من شعره غير منطق الحجله
ان أنت انشدت شعره هزءا ... رجعت منه كآكل البصله
ورب شعر اذا لفظت به ... من هجنة فيه تأنف السبله
الشعر معنى ألفاظه حسنت ... فنسقت فى بلاغة جمله
وكلما قصرت قوالبه ... عن حسن معناه أوسعت خلله
حسن المعانى بلفظها شوه ... كحسن حسناء ثوبها سمله

* * *

من ذاق فى الشعر طعم معجزه ... فأحمد الشاعر الذى أكله
أى مقام هيجاءه احتدمت ... بالشعر يوما ولم يكن بطله
كان عزيزاً يأبى الهوان فما ... قر عليه يوما ولا قبله

إلى الجواهرى

ما أوحته إلىّ قصيدتك

كتب المرحوم الشاعر معروف الرصافى تحت هذا العنوان القصيدة التالية ، رداً على قصيدة للشاعر الأستاذ محمد مهدى الجواهرى نشرها فى صحيفة « البلاد » وقدم بين يديها هذه الكلمة :

أردنا — عندما تغنينا الشاعر العربى العظيم الأستاذ « الرصافى » ، أن يكون لنا شرف تذكيره وهو فى عزلته الموحشة . فكان لنا إلى جانب ذلك أيضا شرف ابتعاث شاعريته الفذة ، التى حالت حوائل المرض والاعتزال و « النقمة » ، دون تمتع المعجبين فى شتى الأقطار العربية بنتاجها .

أما وقد هززنا الأسد الرابض الضائق ذرعا بعرينه ، المنطوى على نفسه ألما وغضبا وكبرياء ، فليكن لنا شرف الاستماع إلى زئيره .

فليضم المعنون بشعر الأستاذ « الرصافى » هذه النزعة الجديدة إلى مجموعاتهم ؛ وهذه « الزهرة » الخارة إلى السلسلة « المقطوعة » من أخواتها .

وسلام على « عيش » الشاعر المتمرس « بالأولى » ، والمتفكر فى « الأخرى » ، هذا العيش « الحر الطليق » الذى خانتنا كلمة « وفضلت » فى التعبير عن مقدار إعجابنا « بطبيعته » واحترامنا له ولصاحبه .

وسلام على الشعر « الرصافى » المتفتق نوره عن الذهن المشبوب ، والفكر الحائر ، والنفس الجائشة ، والمتجيشة بفيضها ، والقلب المترع بالعواطف الزاخرة ، والزاج بصاحبه فى شتى المهاوى .

ذلك « الشعر » الرصافى » الذى أعجبنا ، لأنه لم يكن « حبلا » موغمة « أوائله أنى التقى والأواخرا » . وذلك « العيش » « الرصافى » بماضيه وحاضره المتراكم بعضه فوق بعض بدون « تنسيق » ولا « اختيار » ، بل بوحى من « الفكر الحر » ، و « الصراحة » ، و « الجرأة » ، و « محض الطبيعة » ، وفى بعض الفترات منه بوحى « الضرورة » . وهذه هى عناصر عظمته عنده وفى هذه جوانب « الاستعذاب » الرقيق .

قال الرصافى :

بك الشعرُ لا بى أصبحَ اليومَ زاهرَا ... وقد كنتُ قبلَ اليوم مثلَك شاعرَا

فأنت الذى ألقتْ مقاليدَ أمرها ... إليه القوافى شُرَّدا ونوافرا

إذا قُلتَ شِعْرا قلته فى بَداعة ... فكان به المعنى بديعا وباهرا

وإن أنتَ أطلقت النفوس من الأسَى

بإنشاده يوما أسَرْتَ المشـــاعرا

بلغت من الإبداع أرفع ذِروة ... هَوَى النجم عنها صاغرا متقاصرا
وإنك أرقى الناطقينَ تكلما ... بحق وأنقى الساكتين ضمائرا
إذا شيْءُ ظلْمٍ قمت للظلم رادعا ... وإن سِيءَ حقٌ قمت للحق ناصرا

* * *

لئن كُنتَ تُنْمَى للجواهر نِسبةً ... لقد كنت تحلو بالبيان جواهرا
نماك أبٌ بالعلم شيّد مجدَهُ ... وخلّد منه فى الزمان المآثرا
ومدّ من الآداب فيه سُرادقا ... وأكثر فيه للبنينَ المَفاخرا
فلا عَجَبٌ أن تنظِم الشعر رائعا ... أنيقَ المعانى زاهىَ اللفظ زاهرا
وقد تبصر الماءَ الزُّلالَ به القَذَى ... فتُغمِضَ عنه بالإباء النواظرا

ما أوحته إلىّ قصيدتك :

ألا إننى رَغْمَ انتباهىَ لم أزلْ ... بأكثرِ ما قد قلتَه أنت حائرا
تحدثتَ عن ماضٍ حديثا مُجَمْجَما ... كأنك فيه لم تكن لى عاذرا
وما كنتُ مختاراً كما أنت قائل ... من العيش مالولاه ما كنتُ شاعرا
ولا اختَرْتُ عَيْشا بَيْنَ مُوَسَّطاً ... ولا كنت فيما أبتغيه مشاورا
ولكن هى الأقدار تجرى بغير ما ... يريد الفتى جريا على الأمر قاسرا
فتجعل ليثَ الغاب يتلو قُرانقا ... وتترك صَقر الجوّ يخشى القنابرا
وكم أقدرت من كان فى الناس عاجزا ... كما أعجزت من كان فى الناس قادرا
وما المرء إلا مُجْبَر فى حياته ... وإن ظنّ فيها أنه كان خائرا[1]
وُلِدْنا وعِشْنا ثم مُتنا وكلٌّ ذا ... على غير إذن جاء بل جاء دامرا

* * *

أجَلْ كنتُ من بَينِ الحياتين آخذا ... بواحدة تأبى القسيمَ المغايرا
وجادلنى قوم بغـــــير دِراية ... ولست أبالى ذا العنادِ المكابرا

---

(١) خائرا : مختارا .

وَأَسأَلُ فَامْنُنْ بالجواب تَفَضُّلاً ... سؤالاً عن استعنابىَ الخِل صادرا
أأنت الذى فضلت عيشا معينا ... لنفسك حتى كنت فيه المُشاوَرا
فصرت به فى القوم شاعر مجدِهم ... إذا قلت شعرا جئت بالشعر ساحرا
إذا كان هذا هكذا منكَ واقعا ... فقد كنتَ فى حسن اختيارك ماهرا
علامَ إذن تشكو وشكواك كلها ... كشكواى تُدْمِى بالبكاء المحاجرا
ومن ذا الذى قد عاش فى الناس راضيا ... ومن ذا الذى قد عاش فى الناس شاكرا
ولو كان عيش الناس وَفْقَ اختيارهم ... لما كنتَ تَلْقَى شاكيا أو مخاطرا

* * *

لَحَى الله دنيا كلُّنا من جرَائِها ... نخوض الرزايا راكبين الضرائرا
ونحن مدى الأيام نشكو بعيشنا ... فسادَ نظام يجعل الكد بائرا
نرى واحدا يقتاد ألفا لعيشه ... وينظر للألف المسخَّر ساخرا
ولو وُزِنت أعمالهم باقتداره ... لكان بها كينونة الصِّفْر شاغرا
فما عاش فى محياه عيشا مُرَفَّها ... من الناس إلا من تحيَّل ماكرا
شقاء على كر الجديدين آخذ ... بأعناقنا إلا القليل الماكرا

* * *

وما الشعر بالحبل الذى قد ذكرته ... ولكنه بَرْق تموَّج دائرا
فما الشعر إلا من بروق دوائر ... تدورُ أواليها لتلقى الأواخرا
إذا لمعتْ فوق الطُّروس فإنها ... ترد إلى التبر المذاب المحابرا
وقد برأ الله العوالم كلَّها ... دوائر فيها حار من ظل فاكرا
نرى كل شيء عائدا نحو بدئه ... إذا نحن حكمنا النُّهَى والبصائرا

* * *

إذنْ لم أكن فى عالَم الشعر مُرغما ... لأوله حتى يُلاقىَ آخرا
نعم كنت فى تلك الأماديح شاعا ... زمانا يُوالى كل من كان جائرا

وكنت بذاك المدح للمدح هاجيا ... وكنت بذاك الشعر للشعر حاقرا

إذا الدر أمسى كالسِّخاب مُحقَّرا ... شددت به للنابحات سواجرا(١)

وما العار فى هذا علىّ وإنما ... على من أضاعوا مجدَهم والمفاخرا

الثناء المخلد

ألا بلغوا عنى رسالةَ مُنْشِدِ ... أبا الماجدِ النجلِ النجيبِ محمدِ

رسالةَ من لا يُنْشِد الشعر مادحاً ... به الناسَ إلا شاكرا غيرَ مُجْتد

ألا يا بن عيسى بنِ الهُمام محمد ... وأكرمَ من يُنْمى لأكرم مَحْتِد

سأقرض فى شكرى لك الشعر خالداً ... وأرسله نُوراً به الناسُ تهتدى

أقيّده بالمدح والمدح مطلقٌ ... وأطلق فيه الحمد غير مقيَّد

أرجّع فى الإنشاد أنغامَ لحنه ... بصوت كصوت البلبلِ المتغرّد

وأجعله شعراً إذا ما تُنُوشِدت ... قوافيه يوماً أسكتتْ كلَّ منشد

عليك به أثنى ثناء مخلَّدا ... ومثلك أهلٌ للثناء المخلد

وقفتَ من العَلْياء فى خير موقفٍ ... وشوهدت بالإحسان فى خيرمَشْهَد

وجدّدْتَ مَجْداً غير بالٍ وإنما ... بمسعاك زادت جِدّةُ المتجدِّد

* * *

تفقّدْتَنى فى العيشة الضنك منعماً ... فيالك فى الإنعام من متفقّد

على حينَ قد أنسى الرجالَ زمانُهمْ ... ذَويهمْ ومن يختصُّهمْ بالتودُّد

ومدَّ أحابيلَ القطيعة بينهمْ ... وأقعدهمْ للشرّ فى كل مَرْصَد

وأغلى غَلاء فى المعيشة فاحشا ... يروح به ذو الاحتكار ويغتدى

---

(١) السواجر : جمع ساجور ، وهو القلادة التى توضع فى عنق الكلب .

الرصافي يقرض كتاباً للزهاوي

هذا كتاب فيه يتضح الهدى علنا فتسطع للعقول حقائق
يا ظلمة الشبهات والكذب انجلي فلقد بدا للحق (فجر صادق)

الأفول المشرق

أيها الأنجم التي قد رأينا عبرا في أفولها كالشموس
إن هذا الأفول كان شروقا في دياجير طالع منحوس
وسيأتي الزمان منه بسعد تنجلي منه داجيات النحوس
شنقوكم ليلا على غير مهل ثم دسوا جسومكم في الرموس
أفكانوا في ظلمة الليل تجرا هربوا المال من جباة المكوس ؟
هكذا الخائف المريب يواري فعلة السوء منه بالتغليس
شنقوكم لأنكم قد أبيتم أن تكونوا في ربقة الانكليس
فاستحقوا اللعن الذي كررته خاليات القرون في ابليس
سيديم الزمان لعنا عليهم شائع الذكر في بطون الطروس

❊ ❊ ❊

أيها الأنجم التي تركتنا في أسى من مصابها محسوس
في سبيل الأوطان متم ففزتم بأجل التمجيد والتقديس
وستبقى الذكرى لكم ذات رمز هو تعظيمكم بخفض الرؤوس
وسيجري احترامكم في مجاري شرف خالد لكم قدموس
ان يوما به نعيتم الينا يوم بؤس كحرب يوم البسوس
قد حكاها طولا وشؤما و بغيا وتلظ بحر نار المجوس

فيه أبدت منا الوجوه كلوحا   فى شحوب وغيرة وعبوس

إذ سكنا وفى القلوب ارتجاج   مثل تيار لجة القاموس

وأطلنا عن الكلام سكوتا   معربا عن نشيجنا المهموس

ووجمنا حزنا ورب وجوم   يتأتى من صاخبات النفوس

برأت ذمة المروءة منـــا   ان نسى يوم شنقكم أو تنوسى

وقال هذه الأبيات مترجما

فيك يا أغلوطة الفكر   حار فكرى وانقضى عمرى

سافرت فيك العقول فما   ربحت إلا أذى السفر

رجعت حسرى وما وقعت   لا على عـــين ولا أثر

* * *

يا واحد الذات كثير التسمى   ومن تجلى ظاهرا واحتجب

أنت لدى الفرس تسمى خدا   أنت تسمى الله عند العرب

* * *

أوّلٌ أنت ولكن أول   ماله فى سانح الفكر ابتداء

آخـر أنت ولكن آخـر   ماله فى راجح الحجر انتهاء

إلى طه الراوى

بأى سلام أم بأى تحيـة   إليك أزين اليوم بدء خطابى

فإنك أهل للتحيات كلها   وما أنا فيما أدّعى بمحاب

إلى البطل عبد الكريم الريفى

أعبد الكريم وأنت البطل وفيك الرجاء وفيك الأمل

لئن قر سيفك فى غمـــده فما ذاك من خور أو ملل

ولكنما دهرنا قلب وأيامه من قديم دول

تهز البطولة أعطافها إذا ما جعلناك فيها المثل

سيخلد ذكرك فى الناهضين وتثنى عليك الضحى والأصل

بداعة لا خلاعة

مثلت فى دلالها عريانه فأرتنى محاســـنا فتانه

حيث طارحتها الغرام ببيت بالمرايا قد زوّقوا جدرانه

فكأنى وقد نظرت لمراها من النور مبصر اسطوانه

وتجلى خيالها فى المرايا حاكيا من جمالها أعيانه

فتأملت فى تقاطيع جسم جعل الحسن كله عنوانه

ظللت أرنو إلى الجمال بعين يشتهيه وتتقى هجـــرانه

فأريها من الغرام فنونا وتريني من حسنها افتانه

ثم أسلمت للمليحة قلبا أوجب الحسن بالهوى إيمانه

وتقحمت موهج الحب حتى أصبح القلب صاليا معمعانه

* * *

هاك من وصفها وإن شئت فاعذر أو فلم تملكَ الغرام عنانه

هى غمازة الالحاظ لعوب ذات دل ظ[illegible]انه

بضة ، نعمة ، لميس ، رداح غادة ، أحورية ، بهنانه

ناهد النودين محطوطة المتنـــين خود رجراجة وركانه

خدلة ساقها مهفهفة الخصر   كعاب ، براقة ، سيقانه

ذات وجه كأنه بدر تمّ   وقوام كأنه خوط بانه

لو رآها كسرى الملوك لخلّى   ملكه تاركا لها ايوانه

عقصت شعرها وقد زينته   بحلى من نقارس مزدانه

فحكى شعرها على الرأس تاجاً   وحكت فى جلالها خاقانه

وتدلى قــرط بسالفتيها   رصعت فيه ماسة بجمانه

فحكى قرطها بقرب المحيا   زهرة الجو قارنت زبرقانه

وأظلت جبينها وهو صبح   طرة غيهبية ، فبيــانه

فكأن الجبين باقة نسر يســـن تدلت من فوقها ريحانه

* * *

وقفت لى عــريانه فتقدمت إليها بذلّة واستكانه

فتمشت تخالها وتثنّت   وتلوت كأنها خيزرانه

ثم صدت فأدبرت عن دلال   ثم عادت فأقبلت عن مجانه

ولقد راعنى وزاد فؤادى   ولهاً ما رأيت تحت المانه

ركبا ، كعثبا ، عضوضا ، مصوصا   ناشزا ، ذا بضاضة ورزانه

مشرف السطح رابئا ذا انتصاب   حامى الجوف ضنكه ، ريانه

قد حكى كومة من اللؤلؤ الـــرطب وإن كان فائقا أثمانه

نعمة العيش أترفته وأخلت   أسكتيه من الأذى وعجانه

عطر الريح قد تشممت منه   إذ تشممته شذى أقحوانه

وشربت الرحيق وهو تجاهى   جاثم فاتخذته فنجانه

لو رآه العنّين يوما لأمسى   مبرأ من رخاوة وعنانه

* * *

شغفتني تلك المليحة حتى علمتني بكر الهوى وعوانه
سلست في انقيادها بعد أن قد أظهرت لي تمنعا وحصانه
فدعتني إلى الكفاح بغمز كررته من عينها الوسنانه
وغدت في تجضم واعتلاج بشفاه وردية غيسانه
واضعا فاي فوق فيها كل قد أمضى الضجيع منه لسانه
فغدت في ارتجازها تتلكا بكلام لا تستتم بيانه
ثم قالت وقد ذوت مقلتاها وشكت من فؤادها خفقانه
أطعن الطاعنين للضاد من بالضاد قد أنطق الإله لسانه

في دار النقيب

أما وقد طلع الرجاء يشع أنوار السرور
في دار مولانا النقيب بوجه مولانا الأمير
فاذهب نشأنك أيها اليأس المخيم في الصدور

* * *

ماذا يريد المرجفون بكل بهتان وزور
من بعد ما بدت المنى للقوم باسمة الثغور
في دار مولانا النقيب بوجه مولانا الأمير

* * *

ماذا يخاف القوم من ميل الزعانف للنفور
بعد اقتران النيرين الساطعين بكل نور
في وجه مولانا النقيب ووجه مولانا الأمير

* * *

مد النقيب إلى الأمير　　يد المعاضد والنصير

فلينخر كل مشاغب　　في القوم يلهج بالشرور

وليحي مولانا النقيب　　حياة مولانا الأمير

الحق المغتصب

مما كتبه إلى العلامة عبد الوهاب النائب بعد عودته النيابة بمحكمة الشرعية .

قد أخذ الحق من الغاصب　　وعاد ممنوحاً إلى النائب

عالم بغداد وإنسانها　　والمنهل العذب إلى الشارب

تختلف الناس إلى فضله　　من ذاهب منهم ومن آيب

في علمه ووعظه تهتدي　　وتقتدي في رأيه الثاقب

والبشر قد لاحت أساريره　　بجبهة المطلوب والطالب

ودار شرع الله مزدانة　　في جانب تزهو إلى جانب

بعد ظلام دامس أرخوا　　أشرق شرع الله بالنائب

١٣٢٥ هـ

تحت تصوير النائب

مذ غاب عنّا في المنية شخصه　　فانظر إلى تصويره من غائب

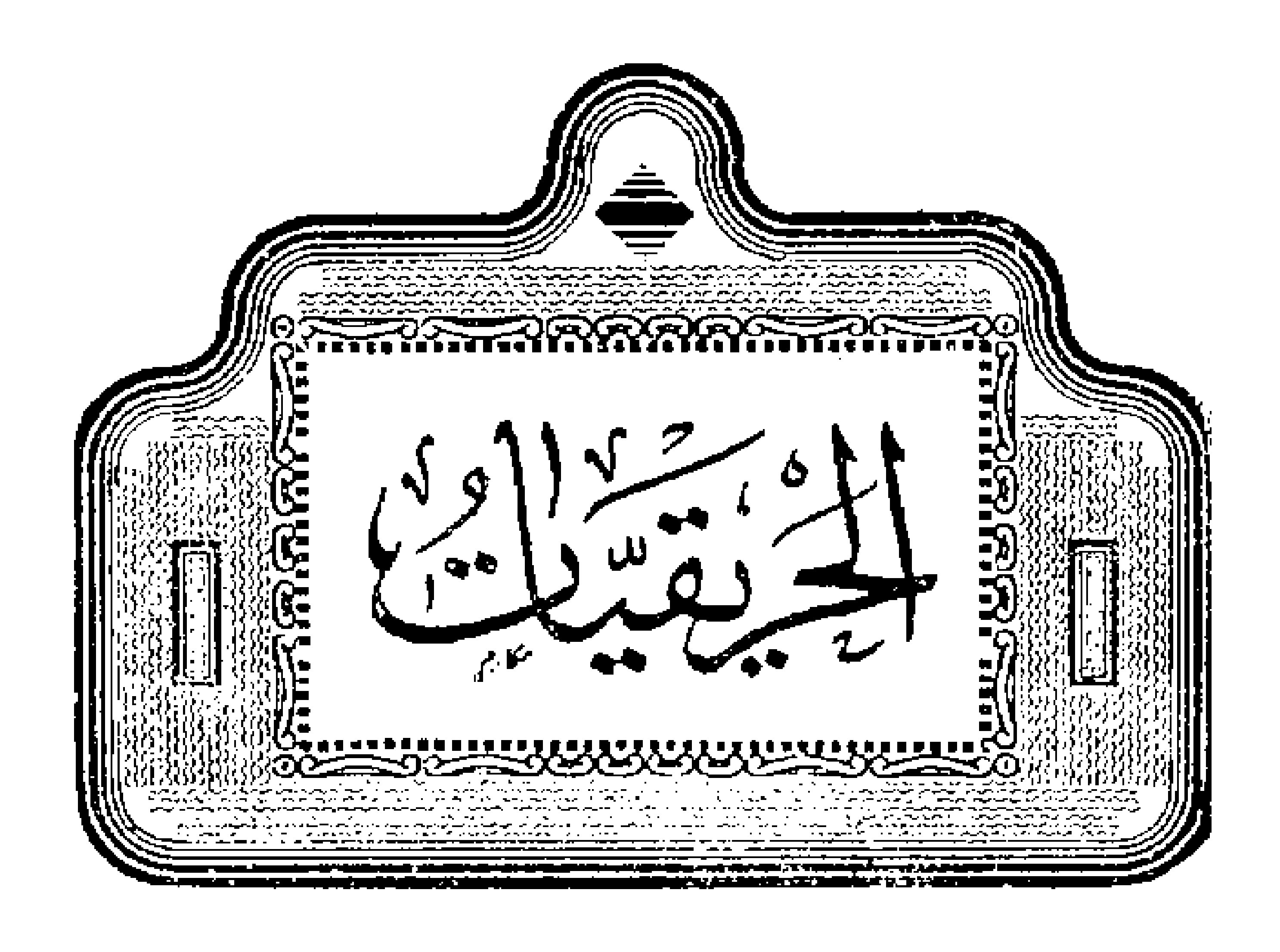
تلقى المعاني المعربات عن العلى　　في صورة لأبي الحسين النائب

إلى عبد الكريم العلاف

وصحب ذي أدب أتى مستنشداً　　شعراً أنوّه فيه بالعلاف

فأجبته عبد الكريم محلّق　　من شعره بقوادمٍ وخوافي

فلكم سمعت له قوافي جمّةً　　كانت لعمر الله خير قوافي



للرصافى عدة قصائد قالها فى وصف ما شاهد فى الآستانة من الحريق الذى يكثر وقوعه فى تلك المدينة ، فرأينا أن نثبت تلك القصائد هنا على حدة تحت عنوان الحريقيات . فمنها القصيدة الآتية :

وقفة عند شراغان[1]

أصبحتُ أعْذِل نوّاباً وأعيانا ... عَذْلا كنار تلظّت فى « شراغانا »

قصرٌ أطلّ على البسفور مرتفعا ... إليه يَشْخَص طَرْفُ العقل حيرانا

ذو زُخْرُفٍ يُبهج العينَ التى نظرت ... حتى تراه لهـا نورا وإنسانا

راقتْ مبانيه إتقانا وهندسةً ... مستوقِفا صنعُها من مَرّ عجلانا

كلُّ القصور عَبيد وهو سيّدها ... إذ كان أكرمها صنعا وبنيـانا

يمشى المهندسُ فيه وهو ينظره ... مشىَ المقيدِ يستقصيه إمعانا

يضمّ كفيه للإبْطين منبهِرا ... مقلّبا فى الأعالى منه أجفانا[2]

عرشٌ به تعرف الناس الجلالة إذ ... لاح الجمال على مبناه ألوانا

لو كان عرشا لبَلقيس لما خضعت ... للأمر حين أتاها من سليمانا

فيه الحوادث أمست وهى ناطقة ... بألسن دَلَعتها فيــه نيرانا[3]

فلو رأيتَ وقد شبّ الحريق به ... والريح تَصْفِق للنيران أردانا[4]

---

(١) « شراغان » : قصر ملوكى على ضفة البسفور فى الآستانة ، بناه السلطان عبد العزيز ، وهو أعظم القصور فخامة فى الآستانة ، وأدقها صنعة وأبهجها منظرا . ويقال إنه صرف على بنائه ملايين . ولما أعلن الدستور العثمانى أتخذ مجلسا للنواب ، وكان ذلك بسعى من أحمد رضا بك رئيس مجلس النواب ، فشب به الحريق ، وكان الرصافى فى الآستانة ، فقال هذه القصيدة .

(٢) ضم اليدين إلى الإبطين : من علائم الحيرة والتعجب عند الإفرنج ، كما هو المشاهد منهم . والمعنى أن المهندس عند ما يمشى فى هذا القصر تأخذه الدهشة من بدائع الصنعة فيه ، فيضم كفيه إلى إبطيه ، متعجبا مقلبا أجفانه فى أعالى بنيانه .

(٣) أى أن الحوادث قد نطقت فى هذا بألسن النيران ؛ ولسان النار : هو لهبها الذى يمتد على شكل اللسان . وقوله دلعتها : أى أخرجتها . يقال دلع الرجل لسانه : أخرجه من فيه .

(٤) الأردان : جمع ردن ، وهو أصل الكم ، أو طرفه الواسع .

رأيت ملكا كبيرا ثَمَّ محترقا ... يذيب منه لهيبُ النار عِقْيانا[1]
طالتْ به ألْسُن للنار تلحَسُه ... لحسا يَدُكُّ قُوَى البنيان إيهانا[2]

* * *

يا دُرَّةً في ضفاف البحر ضيعها ... قوم وكان بها السفور مزدانا
كم قد أضاءت بوجه البحر مشرقةً ... ورصّعت من رءوس الهَضْب تيجانا
يأيها القصرُ مذ أمْسيتَ محترقا ... أبكيت في البحر أسماكا وحيتانا
لم يُبْقِ منك لهيبُ النار باقيةً ... ولا لدى القوم أبقى عنك سُلْوانا
معاولٌ من شُواظِ النار هادمةٌ ... يا للعجائب كالأطواد جدرانا[3]
قمنا أمامك والنيران صائلة ... تدكّ منك على الأركان أركانا
كم هدّة لك بين النار تفزعنا ... حتى تخالك منها صرت بركانا[4]
يهتزّ فيك لهيبٌ حين نبصره ... نهتزُّ بالحزن أرواحا وأبدانا
فأنت تملأُ صدر الجوِّ أدخنة ... ونحن نملأُ صدر الأرض أحزانا
ما أشرف القومَ لو كانت مدامعهم ... مطاقة لك تُجرى الدمع غُدرانا
ويل لِمرْتَئِسٍ قد قام مجتهدا ... يسعى بجعلك للنواب ديوانا
حتى إذا كنت للنوابِ مجتمَعا ... بانت عواقبُ ذاك السعى خسرانا
للنار فيك حسيسٌ كنت أحسبه ... ضحكا على مَن بسوء الرأى أبكانا[5]
أشكو إلى الله قلبا لا يطاوعني ... ألاّ أكون على الأوطان غَيْرانا
يا قوم إن بصدر الشعر موجِدةً ... لا يستطيع لها سترا وكتمانا
ما بال نوابنا أمسوا نوائبَنا ... إذ لا يبالون مكروها تغشّانا

---

(١) العقيان : الذهب الخالص .

(٢) اللحس : لعق الشيء باللسان ، ولحسا : مفعول مطلق ، والجملة بعده : صفة له . وإيهانا : أي إضعافا ، تمييز محول عن الفاعل ، والأصل يدك إيهانه قوى البنيان ، أو هو منصوب بنزع الخافض . أو بإيهان .

(٣) الشواظ : اللهب الذى لا دخان فيه ، أو حر النار .

(٤) الهدة صوت وقع جدار أو صخرة أو نحو ذلك . والبركان : جبل النار . وهو من معربات المولدين .

(٥) المراد بالحسيس هنا صوت اشتعال النار وتلهبها .

أما كفى أنهم لم يعملوا عملا   حتى أرادوا اجتماعا فى شراغانا
هم يطلبون قصورا يَنعمون بها   ونحن نطلب للأوطان عمرانا
ليس الجلوس ببهو القصر مفخرة   لمن هم اليوم أشقى الناس أوطانا
قد ضيّعوا الحزم حتى إنهم ندموا   على الذى كان منهم بعد ما كانا
يعيش ذو الحزم مسرورا ومغتبطا   وتارك الحزم لا ينفك ندمانا
وأحزم الناس مَنْ إن نام بات له   طَرْفٌ على حدثان الدهر يقظانا
أين الطريق إلى العلياء نسلكها   فإننا لم نزل يا قوم عميانا
لاالشعبُ يخلع أثوابَ الخمول ولا   نوابه يلبسون الصدق قمصانا
الناس تسعى لدنيا نحن نهملها   ما أسعدَ الناس فى الدنيا وأشقانا

أم الطفل فى مشهد الحريق(١)

ما للديارِ تراءى وهى أطلالُ   هل خَفَّ بالقوم عنها اليوم ترْحالُ
كانت بها السَّمُراتُ الخضر زاهيةً   واليوم لا سَمُر فيها ولا ضَال(٢)
ما بالها وهى أقفاصٌ مبعثرة   تُغير فيهن أبكار وآصال(٣)
هل هدَّ بنيانها من فوقُ صاعقة   أو هدّ بنيانها من تحتُ زلزال
بل قد عَفتها ولم تترك بها أثرا   ريحٌ لها من لهيب النار أذيال(٤)
شبَّ الحريق بها ليلًا مشيّدةً   فما أتى الصبح إلا وهى أطلال
أثارت النار فى أطرافها رَهَجاً   من الدخان كأن النار أبطال(٥)
حتى حَكَت مَعْرَكاً خرّت بساحته   صرعَى بيوتٌ وأموال وآمال

(١) هذه القصيدة قيلت فى حريق شب فى حارة الفاتح من مدينة إستانبول ، وهو حريق هائل اجتاح عدة حارات ، فتركها قاعا صفصفا .

(٢) السمرات : جمع سمرة بفتح فضم : واحدة السمر ، وهو شجر من العضاه . والضال : شجر من السدر ، والمراد به هنا مطلق الشجر .

(٣) مبعثرة : أى مبددة ومقلوبا بعضها على بعض .

(٤) عفتها : درستها ومحتها .   (٥) الرهج : غبار الحرب .

دار السعادة أمست من تَحَرُّقِها | دار الشَّقاة وقد ضاقت بها الحال
ترنو إلى البحر ترجو نَقْعَ غُلّتها | لحظَ المهجِّر إذ يبدو له الآل[1]
تنهال كالرمل بالنيران أدْؤُرها | حتى تكاد لها الأرواح تنهال
يا ريحُ مهلًا فلا تَذرى الرماد بها | إنَّ الرماد الذى تَذرين أموال

* * *

قد رحتُ للحىّ مذعورا أُيمِّمه | ولى عن الزُّمَر الباكين تَسآل[2]
وفى العِراصِ ديارُ القوم خاويةً | وفى الشوارع نِسوان وأطفال[3]
جلسن والشمسُ فوق الرأس دانيةٌ | وللغبار بعُرض الحىِّ تجوال
ولا خِمار فيرددن الغُبارَ به | ولا يقيهنَّ حرَّ الشمس سِرْبال
حتى وقفتُ وقلبى كله جزع | وأدمعى لُجَجٌ طورا وأوشال[4]

* * *

ما أَنْسَ لا أنس أمَّ الطفل قائلة | وفوق وجنتها للدمع تَهطال
إنى تجرّدْتُ من دنياى حاسرةً | مالى سوى طفلىَ الباكى بها مال
أىّ امرىء بعد هذا اليوم ذى جِدَةٍ | يعولنى حيث لا زوج ولا آل[5]
أَوْدَى الحريقُ بدارٍ كنت أسكُنها | وكنتُ من بعضها للقوت أكتال[6]
واليوم أصبحت لا دار ولا وَزَرٌ | آوِى إليه ولا عمّ ولا خال
إن الحريق خَبَتْ نيرانُه ومضتْ | وما خبت فى فؤادى منه أوجال[7]

---

(١) المهجر : الذى يسير فى الهاجرة . وهى نصف النهار فى القيظ خاصة ، وتكون شديدة الحر . والآل : السراب . (٢) أيممه : أقصده .

(٣) العراص : جمع عرصة وهى ساحة الدار ، أو كل بقعة ليس فيها بناء .

(٤) الأوشال : جمع وشل ، وهو الماء القليل .

(٥) ذى جدة : ذى غنى ؛ ويعولنى : يكفل معيشتى . والآل : هنا بمعنى الأهل .

(٦) أى ذهب الحريق بدار كنت أسكن فى بعضها ، وأكرى الناس بعضها الآخر ، فأكتال بكرائها قوتى .

(٧) الأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف .

يا ربّ رُحماكَ إني اليوم عاجزة عمَّا دَهَا وبظهرى منـه أثقال
يا ربّ قد ضقت ذَرْعاً بالحياة فما أدرى حنانيك ربى كيف أحتال

* * *

وعند ما قد شجانى من مقالتها لفظ يقطِّعه فى البين إعْوال
دنوتُ منها قليلا وهى باكية ومن بكاها بقلبى هاج بَلْبال
حتى وقفت وإيناساً لوحشتها حنيتُ رأسى وَحنى الراسِ إجلال
وقلت يا أختُ لا تستيئسى جزعاً فإنما الدهر إدبار وإقبال
أتجزعين ابتئاساً بين أظهرنا وكلُّنا عنك للبأساء حمَّال
مالى أراكِ بعين اليأس باكية كأنّ أمرك عنـد القوم إهمال
ألستِ من أمَّة أيدى الرجال بها قد فُكّتْ عنهنّ بالدستور أغلال[1]
حتَّى لقد أصبحوا أبناء واحدةٍ فى المَرزِئات وهم فى الحكم أشكال[2]
مستعصمين بحبلٍ من أخوّتهم يسمو بهم للعلا فضل وإفضال
أمسى التعاضد كالحصن الحصين لهم إذا تصادم بالأهوال أهوال
فاستبشرى اليوم فيما مسّ من ظَمأٍ بأنَّ وردك عنـد القوم سَلْسال
وأن حقاك عَوْلٌ فى مسا كنهم وما هُمُ بأداء الحقّ بُخَّال

* * *

تلك التى قد شجتنى فى مقالتها وكم لهـا فى نساء الحىّ أمثال
فهل يُصَدّق قومى ما ظننت بهم حتى تقومَ لهم فى المجد أفعال
فالمجد يدرك مرماه البعيـد فتًى رحبُ الذراعين طلقُ الكف مفضال
وأكثر المال حمداً ما يُعان به مَن عضَّهم من نيوب الدهر إقلال
ياقوم هذى سبيل العُرْفِ واضحة فليمضِ فيها بكم وَخْدٌ وإرقال[3]
ومن تكُ الحال فيها لا تساعده «فليُسْعِدِ النطقُ إن لم تُسْعِدِ الحال»

(١) لما وقع هذا الحريق كانت المملكة العثمانية قريبة عهد بالدستور، ولهذا يقول ألست من أمة الخ
(٢) وهم فى الحكم أشكال : أى متشاكلون متساوون .
(٣) الوخد والإرقال : كل منهما ضرب من ضروب مشى الإبل .

ثالثة الأثافى(١)

قالها فى الحريق الكبير الذى حدث فى حارة إسحاق باشا من مدينة إسطنبول ، وكان هذا الحريق ثالث حريق كبير حدث هناك فى العهد الأخير .

قَعَدَتْ بقارعةِ الطريق تَنُوحُ ... والطفلُ يجذب رُدْنَها ويصيحُ(٢)

تبكى وقد ضحك الحريق بدارها ... كالبرق يضحك فى الدجى ويلوح

ضَحِيَتْ وقد قلص الظلال فوجهها ... للشمس فى وَجَناته تَلْوِيح(٣)

جرَّ الحريقُ على الديار ذيوله ... فجرى لذلك دمعُها المسفوح

ولقد وقفتُ حيالَها ومَدامعى ... تَسْخُو سوى أن العزاء شحيح

فغدا يُنَقِّنِى الأسى من عينها ... لحظٌ برَقْرَاقِ الدموعِ سَبوح(٤)

يا أَيِّماً أجرى الغداةَ دموعَها ... بيتٌ بجائحةِ الحريق مُجُوح(٥)

لا تَهْلِكِى جَزَعا فإن بيوتَنا ... ما للمُلِمِّ بأهلها تَسْريح

أعليكِ أنت تضيق كل ديارنا ... هذى وأكثرها ديارٌ فِيح(٦)

فاقْنَىْ عزاءَكِ فالحياةُ وإن أرت ... بعضَ السرور فكلها تَتْرِيح(٧)

قفْ بالديار فقد أناخ بها البِلَى ... وانظرْ فقد قَرِعت بهنَّ السُّوحُ(٨)

نزل الحريقُ بها فشتَّتَ شملَها ... فغدت عِراصا وهى قبلُ صُرُوح

بكَر الشُّواظ بها يُنَضْنِض ألْسُنا ... من هَوْلِ مطلعها تَذُوب الروح(٩)

نشر اللهيبُ على البيوت مُلاءةً ... حمراءَ تَصْفِق جانبيها الريح

---

(١) هذه القصيدة قيلت فى حريق محلة « إسحاق باشا » فى الآستانة ، وهو حريق كبير كالذى قبله .

(٢) قارعة الطريق : اعلاه أو معظمه ، وهو موضع قرع المارة .

(٣) ضحيت : أى أصابتها الشمس ، أو انكشفت بعد أن كانت فى ستر . وقلص الظلال : أى انقبضت ، وذلك يكون فى وقت الظهيرة . وفى وجهها تلويح : أى تغيير وسفع .

(٤) رقراق الدمع : هو الدمع الذى يترقرق أى يتحرك فى العين ولا يسيل .

(٥) الأيم : المرأة التى فقدت زوجها . والجائحة : النازلة العظيمة التى تجتاح المال ، أى تستأصله، ومجوح : أى مستأصل ، وهو صفة لبيت . والمراد أنها أبكاها اجتياح الحريق بيتها .

(٦) فيح : جمع فيحاء أى واسعة .   (٧) قنى : حفظ ، وادخر . والتتريح : الإحزان .

(٨) السوح : جمع الساحة . وقرعت السوح : أى خلت من الغاشية .

(٩) بكر الشواظ : أى أتى بكرة . والشواظ : لهب النار الذى لا دخان فيه . وينضنض ألسنا : يحركها . والمراد بألسن الشواظ : ما يمتد على شكل اللسان .

فتعبَّسَت منه السماءُ وأمطرت نارا وقد أخذ اللهيبُ يسيح
وعلى الدخانُ على البيوت سحائبا بَرْق المهالكِ بينهنَّ لُموح
أماَّ الشّرار فكان ويلا مُنبتا نُوَبا برائحةِ الدمار تفوح
والشمسُ قد كُسِفت بجَوْن دخانه وبدت عليها سَفْعةٌ وكُلوح[1]

* * *

يا قومُ ساء مصيرُكم فإلى متى لا تسمعون لما يقول نصيح
هلَّا أخذتم للخطوب عَتَادَها كيلا يكونَ لها بكم تَبْريح[2]
هذا الحريقُ وكل يوم ناره تغدو عليكم تارةً وتروح
فالنار ما برحت تفوه بألسنٍ ذُرْب وإن كلامها لفصيح[3]
لِمَ لَمْ تَعُوا ما قلن قبلُ مكرَّرا أَوَ ما كفاكم ذلك التصريح
نِمتم إلى نُوَب الزمان فإن أتتْ قمتم كما يتمامل المذبوح
وأهمَّكم أدنى الأمور وفاتكم نظر إلى الأمر القصىّ طموح
كم فى الحوادث من نذير قد أتى فيكم بأسرار الزمان يبوح
أمّا الحريقان اللذان تقدّما فكلاهما شِقٌّ لكم وسطيح[4]
قد أنذراكم بالخراب وأنبأ آ أنّ التراخىَ فى الأمور قبيح
عجبى إلى تلك المصائب كيف قد نُسيت ولم تبرأ لهنَّ جروح
سَرعان ما تنسوْن عُظْمَ مُصابكم ولو أنَّ شُقّةَ منتهاه طَروح[5]
لا تستنيموا للزمان فأخذه خَلْسٌ وقوس الحادثات ضَروح[6]

---

(١) بجون دخانه : أى بدخانه الأسود . وقوله سفعة : أى لون أسود مشرب بحمرة . وكلوح : أى عبوس واكفهرار .

(٢) عتادها أى عدتها . وتبريح : أى جهد وأذى شديد .

(٣) بألسن ذرب ، بضم فسكون : يقال لسان ذرب ، على وزن طرب : أى حديد .

(٤) شق بدون أل : علم لكاهن من كهان العرب ، كان فى أيام سطيح ، وسطيح : لقب كاهن اليمن المشهور ، واسمه ربيع الذئبى .

(٥) شقته منتهاه : أى مسافة منتهاه . وطروح : بعيدة .

(٦) قوس ضروح : أى شديدة الدفع والحفز للسهم .

ديوان الرصافي

الجزء الثاني

أتم شرحه وصححه

مصطفى السقا

الأستاذ المساعد بكلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول

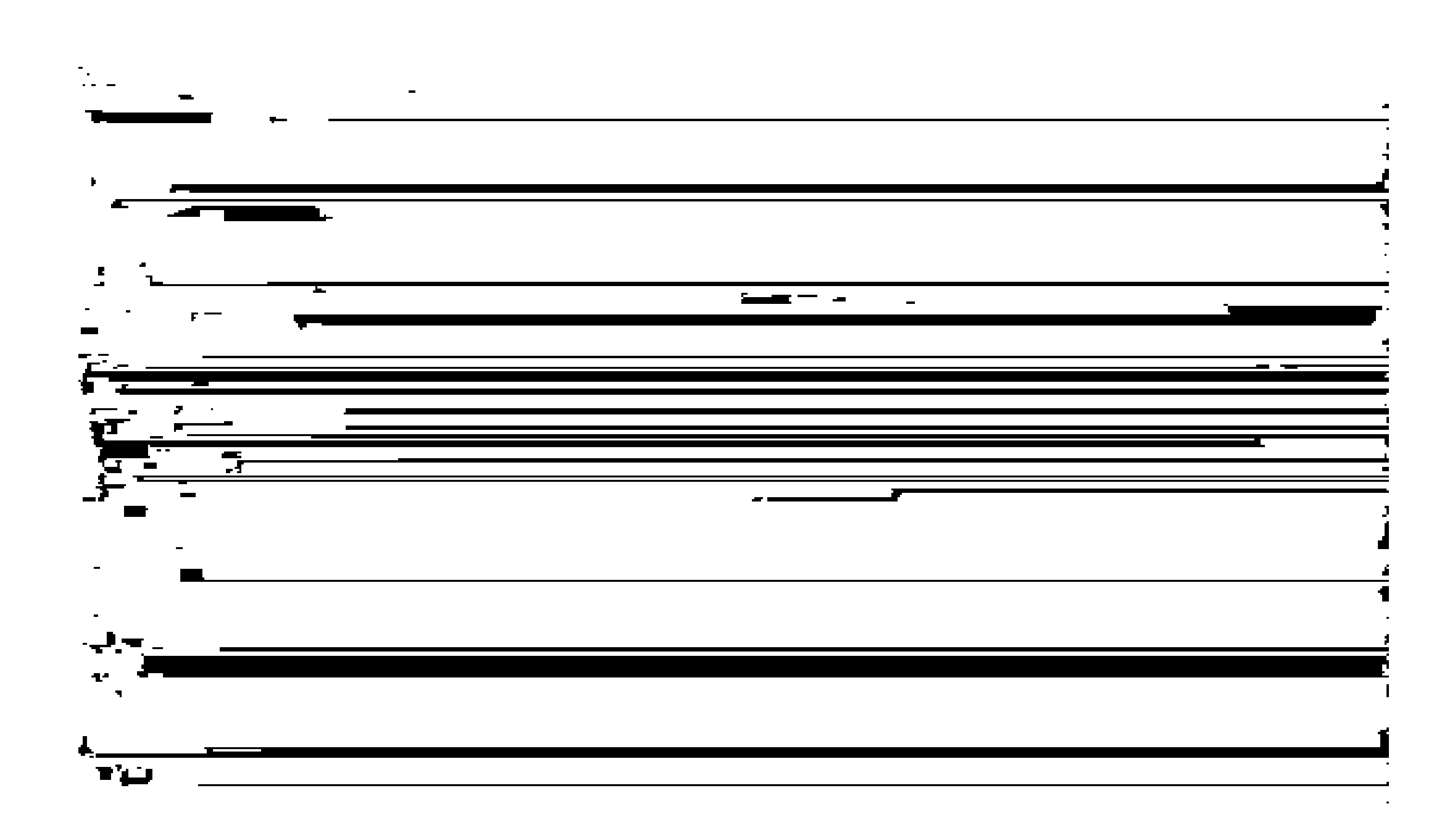
الطبعة الرابعة

بها قصائد لم تنشر من قبل

١٣٧٣ = ١٩٥٣

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

مطبعة الاعتماد بمصر ت ٤٥٥٤٥





المقبرة فما هي إلا خبوة ترتمي بها.....

واصـــديقاه

قالها وهو فى الآستانة ، عندما بلغه منعى
صديقه الشيخ محيى الدين الخياط فى بيروت .

تفكرت فى كُنْهِ الحياة فلم أكن ... لأزدادَ إلَّا حَيرة فى تفكُّرى
وكم بتُّ فيها أخبِط الليلَ راميا ... إليها بلَحْظِ الطارق المتنوِّر (١)
فلا أهتدى من أمرها لمقدَّم ... ولا أنتهى من أمرها لمؤخَّر
على أننى مهما تقدمتُ نحوها ... رجعتُ رجوع الناكِص المتقهقر
وَهبْها كما قدْ قيل أحلامُ نائم ... أما فى بنى الدنيا لها من مُعبِّر
تأملتُ آثارَ الحياة فلم يَلُح ... لعينىَّ منها وجه ذاك المؤثِّر
سوى أننى آنستُ شعلةَ قابس ... توَقَّد فى مُسْتَنٍّ هو جاءَ صَرْصر (٢)
فبَيْنا سَناها يُبهج العين لامعا ... أتته كقِطْع الليل هَبْوةُ مُعصِر (٣)
فما هى إلا خَبْوة ترتمى بها ... إلى ظلماتٍ صُبْحُها غير مُسفِر
كذلك محيى الدين إذ غاله الردى ... فأطفأ منــه نيِّرًا أىّ نيِّر
عليكِ العفا بيروتُ هل لك بعْدها ... قضى فيك محيى الدين من متصبَّر
فتًى كان ركنا فيك للعلم والحجاَ ... وغُرّ القوافى والكلام المحبَّر
فقدنا به صَلْتَ الجبين مهذبا ... كريم سجايا النفس عفّ المؤزَّر
لقد عاش شيخا فى العلوم مقدّماً ... فما ضرَّه أن مات غير معمَّر
وما مات من أبقى طيِّبَ الثنا ... لدى الناس من بادٍ ومن متحضِّر
نعاه لىَ الناعى فكان كأنه ... لدى نعيه أهوى إلىَّ بخنجر

---

(١) خبط الليل : سار فيه على غير هدى . والطارق : الآتى ليلا . والمتنور : الذى يمد بصره لعله يرى نورا بالليل .

(٢) القابس : طالب النار . والمستن : الطريق الواضح . والهوجاء : الريح العاصفة التى لاتستوى فى هبوطها . والصرصر : الشديد البرد ، أو الشديد الهبوب .

(٣) الهبوة : الغبار تثيره فى الجو الريح الشديدة . والمعصر : الريح ذات الأعاصير .

ولو لم يكن شدّى الحيازيمَ دونه ... خَرَرتُ كما خرّ الصريع لِمَنْخَرِ (١)

خليليّ عوجا بى على قبرِ ماجدٍ ... ببيروت يحوى كل فضل ومَفْخرِ

قفا نحتقر دمعَ العيون تجِــلّةً ... لمن فيه من ذاك الجليل الموقّر

ونندُب فى مَلْحوده المجد والعلى ... ونسقيه غيثَ الدمع من كل مَحْجِرِ (٢)

عسانا بذا نقضى له بعض حقه ... وإن حلّ أن يُقْضَى بدمع محقّر

فى الملكوت الأعلى

قالها وهو فى الآستانة يرثى بها محمود شوكت باشا الصدر الأعظم ، الذى قتله أناس من حزب المخالفين .

لقد بتُّ مطروفَ النواظرِ بالسُّهْدِ ... تقلّبنى فوق الفراش يدُ الوجدِ

تُساورنى رَقْشاءُ من لاعجِ الجَوَى ... ويقدح فى قلبى الأسَى وارىَ الزَّند

فأرقبُ تغويرَ النجوم بمقـلة ... ترقرقُ فيها الدمعُ منفرطَ العقد

أقول وفرعُ الليل أسحُم والأسى ... يدبّ دبيب السّم فى العظم والجلد (٣)

متى يُسفرُ الصبح الذى أنا راقب ... أليس قميص الليل عنـه بمُنْقَدّ

إلى أن رأيت الفجر قد لاح خيطه ... كما أُصلتَ السيفُ الجُرازُ من الغمد (٤)

فما أنا إلّا غفوة فخيالة ... لدى العالم العلوى فى ربوة الخُلد

* * *

رأيتُ كأنى قمت حول سُرادقٍ ... من النور مرفوع الدعائم ممتدّ

أقاموا لواء الحمد فوق عماده ... وخَطُّوا على حافاته سورة الرعد

وقد أشرقت ماءِ السموات حوله ... قناديلُ خُضْرٌ تستنير بلا وَقْدْ

وقد لاح لى محمود شوكت جالسا ... به فوق كرسىٍّ الجلالة والمجد

(١) الحيازيم : جمع حيزوم ، وهو وسط الصدر . والمنخر : الأنف .

(٢) الملحود : المدفون ، أى الميت ومحجر العين : العظم الدائر بها .

(٣) الفرع : الشعر . والأسحم : الأسود . وصف الليل بالسواد ، فأتى له بالشعر لسواده

(٤) الجراز السيف القطاع .

وفى يده سيفٌ أُجيدَ صقاله ... على أنه من صنعة الله لا الهند

وفى الرأس تاجٌ بالثناء مرصّع ... فُوَيْقَ جبينٍ مشرق بسَنا المجد

وقد جلَّلته بردةٌ سندسيّة ... ومن تحتها درع إلٰهيّة السَّرْد

وبين يديه زُمْرَةٌ من ملائكٍ ... مجنَّحةِ الأيدى غُرانقةٍ مُرْد[1]

تُهنِّئه بالفوز طوراً وتارةً ... تحيِّيه بالغَضّ الطرىّ من الورد

وقد قام من حول السرادق موكِبٌ ... عظيم به اصطفّت ألوف من الجند

* * *

فلمّا رآنى واقفاً بحياله ... وقد كنت بين الجند معتزلا وحدى

أشار أنْ اقرب يا رُصافىّ مالنا ... نراك وحيداً قد وقفت على بُعد

فجئت وجسمى قد تغشّته رَجْفة ... كما يرجف المَقْرور من شدة البَرد

فقمت لديه وانحنيت أمامه ... فقبّلت بالتعظيم حاشية البُرْد

فقال لقد آنستَ إذ جئتَ إنّنا ... عهدناك فى زُوّارنا مُخلص الوُدّ

ولا ترتجف هوّن عليك فإنّما ... نزلتَ قرين الأمن فى منزل السعد

فأبلغ تحيّاتى إلى الوطن الذى ... سعيتُ إلى إعلائه باذلاً جهدى

وقل لبنيه إننى لست حاقداً ... عليهم فمثلى لا يميل إلى الحقد

وإنّىَ لمّا أن تمثّلتُ قائماً ... بديوان ذى العرش الذى جلّ عن نِدّ

طلبت لهم عفواً من الله سابغاً ... وقلت له يا ربّ لا تُخْزِهم بعدى

ويا ربّ إنى قد قصدتُ نجاحهم ... فحقّق لهم يا ربّ ما كان من قصدى

وإنى لأرجو منك مَرْحمة لهم ... وإن قتلونى ظالمين على عَمْد

فإنى أرى موتى بخدمة أمّتى ... حياةً به طعم الشهادة كالشَّهْد

ألا فاهدهم يا ربّ للمجد والعلى ... فما من مُضلّ فى الأنام لمن تهدى

---

(١) الغرانقة : جمع غرنيق ، وهو الشاب الأبيض الجميل .

وقال أتدرى من هُمُ الجند إنّهم
من استشهدوا فى حرب أعدائنا اللُّدِّ
ألم ترهم دامين حتى كأنما تسربل كلٌّ لِبْدَةَ الأسد الوَرْد[(١)]
فسوف بحول الله أرأب صدعهم
وأغزو العدا فيهم على الضُّمَّر الْجُرد[(٢)]

* * *

وأَذَّنَ فى الحىّ المؤذنُ غُدوةً فأيقظنى التكبيرُ من سِنَة الرَّقْد
فقمتُ وبى من خشية الله رِعدة
وأحسست من رؤياى بَرْداً على كِبْدى
وأصبحت لم أملك بوادرَ عَبرة تخطّ سطور الدمع فى صفحة الخدِّ
سأبكى وأستبكى الجيوش على فتى
فقدناه فقد الغيث فى الزمن الصَّلْد[(٣)]
فتى كان فى أفق الوزارة كوكبا به فى دجى الخطب الخلافة تستهدى
وقد كان فى وجه الخطوب تبسّما إذا عبست يوماً بأوجهها الرُّبْد[(٤)]
وما مات محمودُ الخصال وإنما تنقّل من هذا الفناء إلى الخُلد
لئن غُيْبت عنّا مَرَائيه فى الثرى فما غُيبت عنا معاليه فى اللَّحد
وما هو إلاَّ السيف قد كان مُصلَتاً
على الدهر وهو اليوم قد قرَّ فى الغِمْد
سيبقى له الذكر الجميل مُؤَبّدًا تمرُّ به الأيام حالية الأيدى

---

(١) الورد : الأحمر من الأسود ، وهو شجاع جرىء .

(٢) وأب الصدع : أصلحه . والضمر : الخيل اللطيفة الجسم الهضية البطن . والجرد : القليلة الشعر

(٣) الصلد : الصلب الأملس ، أو الأرض التى لا تنبت شيئا ، ويعنى به الزمن الشديد .

(٤) الربد : جمع أربد ، وهو المغبر اللون .

وا محمداه

قيلت في رثاء محمد فوزي باشا العظم وكان موته فجأة .

أيُّ خَطْبٍ دها رُبوعَ الشام ... يوم أمستْ تبكي بطَرْف دَامِ
وبأيِّ الأسى رَمَتْها الليالي ... فاكتست للحِداد ثوبَ ظلام
إن تكن أُفجعتْ بشَهم بني العَظْـ ... ـم فأعظِم بخَطْبِها المترامي
ذلك الماجدُ الذي أدرك المجـ ... ـد بأيدٍ إلى العلاء سَوَام
سَلْ دِمشقا تجبْك عن شِيَمٍ فيـ ... ـه تعالتْ عن أنْ تُزَنَّ بذَام(١)
قد بكتْه شجوا بسبع عيونٍ ... في رباها تجود بالتَّسْجام
ورَثَته بألْسُنٍ من مَعاليـ ... ـهِ حدادٍ تَفُلُّ حَدَّ الحسام
فقدت من محمد خيرَ نَدْب ... ذائد عن حياضها ومُحام(٢)
وغدتْ تشتكي إلى برَدَاها ... من أحرّ الأسى أحرَّ الأوام(٣)
لهفَ نفسي عليه ساعة أودى ... من كريمٍ غَمْر الرداء هُمام
إن قلبي قد استُطير بمَنْعا ... ه اختطافا بمنسر الآلام
فكأنَّ الناعي لدى النَّعي أهْوى ... نحو قلبي بمُرْهَف صمْصام
قد فقدنا منه خلائقَ تحكي ... زهَر الروض غِبَّ صَوْب الغمام(٤)
يا أبا خالدٍ وما هذه الدنـ ... ـيا بدارٍ مُعَدَّةٍ لمقام
إن تكن هالكا فكم لك ذكر ... في العُلى خالدٌ مدى الأيام
خطفت عمرَك المَنُون اختلاسا ... كاختلاس المُنى يدُ الأوهام
فكأن المنونَ خافت على تلـ ... ـك المعالي ذبولها بالسقام
فإذا أحرزتك غضًّا طريًّا ... وكذا كم يكون موت الكرام
فسقى الله تربة أنت فيها ... نُوبَ وَطفاء من غَوَادٍ هَوَام

(١) تزن بشيء : تتهم به ، والذام : العيب . (٢) الندب : السريع إلى الفضائل .
(٣) بردى : نهر بدمشق . والأوام : العطش . (٤) غب : بعد ، وإثر . والصوب : المطر .
(٥) الوطفاء : السحابة المسترخية لكثرة مائها . والغوادي : جمع غادية وهي السحابة تنشأ غدوة . والهوامي : جمع هامية ، وهي المطرة .

واشيخاه !

أزمعتَ عناً إلى مولاك ترحالا لما رأيتَ مُناخَ القوم أوحالا
رأيتنا فى ظلام ليس يعقُبُه صبح فشمّرت للترحال أذيالا
كرهتَ طول مُقام بين أظهرنا بحيث تبصرنا للحقّ خُذّالا
ولم ترُق نفسَك الدنيا ونحن بها لسنا نؤكد بالأفعال أقوالا
وكيف تحلو لذى علم إقامته فى معشرٍ صحبوا الأيام جهّالا
لذاك كنتَ اعتزلت القوم منفردا حتى أقاربَك الأدنَين والآلا
وما ركنتَ إلى الدنيا وزُخْرُفِها ولا أردت بها جاها ولا مالا
لكن سلكت طريقَ العلم مجتهدا تهدى به من جميع الناس ضُلّالا
(محمودَ شكرى) فقدنا منك خَبْرَ هُدًى
للمشكلات بحسن الرأى حلّالا
قد كنتَ للعلم فى أوطاننا جبلا إذا تُقُسِّم فيها كان أجبالا
وبحرَ علم إذا جاشت غواربُهُ تقاذفَ الدرُّ فى لُجّتِه مُنهالا
يا من بشوّال قد شالت نعامته نغصت بالحزن شهر العيد شوالا[1]
أَعْظِمْ برزئك فى الأيام من حَدَث هزت علىّ به الأيام عَسّالا[2]
أمست لروعته الأبصار شاخصةً أمّا القلوبُ فقد أَجْفلن إجفالا
طاشت حصاةُ العلا لما نُعِيت لها وكل ميزان علم بالأسى شالا
إذا نعيُك وافى (مصر) منتشرا جثا (أبوالهول) يشكو منه أهوالا
وإن أتى البيت (بيت الله) رُجَّ به
وأوجس (الركنُ) من مَنْعاك زلزالا
أما (العراق) فأمسى (الرافدان به)
سطرين للدمع فى خديه قد سالا

(١) شالت نعامته : مات . (٢) العسال : الرمح المهتز لينا .

بكى الورى منك حبرا لا مثيل له — أقواله ضربت فى العلم أمثالا
بكوك حتى قد احمرت مدامعهم — كأنهم نضحوا فيهنّ جريالا
ولو لفظنا لك الأرواح من كمدٍ — لم نقضِ من حقك المفروض مثقالا
ولا نخصص فى رزء بتعزية — إلا علوما أضاعت منك مفضالا
فإن رزءك عمّ الناس قاطبة — يا أكرمَ الناس أعماما وأخوالا
شكرا لأقلامك اللائى كشفتَ بها — عن أوجه العلم أستارا وأسدالا
كتبن فى العلم أسفارا سيدرسها — أهلُ البسيطة أجيالا فأجيالا
أمددتَها بمداد ليس يعقبه — دمع الأنام وإن يبكوك أحوالا
وكنت أنت نطاسيّ العلوم بها — وكنّ فى سبرجرح الجهل أميالا[1]
يا مطلعا فى سماء الفكر أنجمه — تهدى إلى العلم رُحّالا وقُفّالا
لو أننى بلغت زهر النجوم يدى — نحتّها لك بعد الموت تمثالا
ماضرّ من بعد ما خلدت من كتب — ألّا نرى لك بين الناس أنجالا
إذا ذكرناك يوما فى محافلنا — قمنا لذكراك تعظيما وإجلالا
إنى أخفُّ لدى ذكراك مضطربا — وإن حملت من الأحزان أثقالا
لأشكرنّك (يا شكرى) مدى عُمُرى — وأبكينّك أبكارا وآصالا
فأنت أنت الذى لقنتنى حكما — بها اكتسيتُ من الآداب سربالا
أوجرتنى من فنون العلم أدوية — شفَتْ من الجهل داء كان قتّالا[2]
فصحّ عقلى وقبلا كنتُ مشتكيا — من علّة الجهل أوجاعا وأوجالا
أنا المقصّر عن نعماك أشكرها — ولو ملأتُ عليك الدهر إعوالا
فاغفر عليك سلامُ الله ما طلعتْ — شمس وما ضاء بدر الليل أولالا

---

(١) أوجرتنى : سقيتنى .

(٢) الأميال : جمع ميل ، بكسر الميم ، وهو عويد صغير من زجاج يسبر به عمق الجرح .

فى موقف الأسى

لمن تركتَ فنون العلم والأدبِ　　أَمَا خشيت عليها من يد العَطَبِ
تلك المدارس قد أوحشتها فغدتْ　　خِلوامن الدرس والطلاب والكُتُبِ
ما إن تركتَ لها فى العلم من وَطَرٍ　　ولا لمنتابها فى الدرس من أَرَبِ
إن (الألوسىَّ محمودا عَرَتَه لدن　　لاقاك (محمودُشكرى) خفةالطرب
فاهتزّ لابنٍ أبٍ فى قبره وغدا　　يُبدى الحفاوة خير ابن لخير أَبِ
بحرين فى العلم عجّاجين قد ثوَيا　　فانصبَّ مضطرب فى جنب مضطرب
مِن فخر أزماننا فى العلم أنّهما　　عَلّامتا هذه الأزمان والحِقَبِ
عليك (شكرِى) غدت شَكْرَى مدامعنا
تكفيك أدمُعها السّقيا من السحب
ما كنت فخرَ (الألوسيين) وحدهمُ
بل كلّ من ساد من صُيَّابة العرب[1]
ولا رَزَأتَ النُّهى والعلم وحدهما　　بل قد رزأتَ صميم المجد والحسب
ولم يخص الأسى دارا نُعِيت بها　　بل عمَّ مبتعدا من بعد مقترب
من العراق ، إلى نجــد ، إلى يمنٍ
إلى الحجـاز ، إلى مصْر ، إلى حلب ،
لقد ترحلت فى يوم بنا انقلبتْ　　حوادث الدهر فيه شرَّ منقلب
حتى تقدم ما فى القوم من ذَنَبٍ　　فصار رأسا وصار الرأس فى الذنب
وبات يحسو الطِّلا بالكأس من ذهبٍ
من كان يشرب رَنقَ المــاء بالعُلَب[2]

---

(١) صيابة القوم : لبابهم وخيارهم .
(٢) الطلا : الخمر . ورنق المـاء : المـاء الـكدر .

فاذهب نجوتَ رعاكَ الله من زمن ... من عاش فيه دعا بالويل والحرب
تستثقل الصدقَ فيه أُذنُ سامعه ... وتُطرب القوم فيه رنّة الكذب
والخير قد ضاع حتى إن طالبه ... لم يلقَ منه سوى المسطور فى الكُتُب
أما الرجال فنار الشر مُوقدةٌ ... فيهم وهم بين نفّاخ ومحتطِب
أفعالهم لم تكن جِدًّا ولا لعبا ... لكن تُراوِغ بين الجد واللعب
إذا جلست إليهم فى مجالسهم ... تلقَى القَوارِصَ فيها ذاتَ مُصْطخَب
أرقى الصحائف فيما عندهم أدبا ... ما شذَّ منها بهم عن خُطّة الأدب
قد يطربون لشتم المرء صاحبَه ... كأنما الشتمُ مَدْعاةٌ إلى الطرب
ويستلذون من قوم سبابَهمُ ... كما استلذَّ بحكِّ الجلد ذو جرَب
لا يغضَبون لأمر عمَّ باطله ... كأنهم غيرُ مخلوقين من عَصَب
وليس تندَى من النكْراء أوجههم ... كأنما القوم منجورون من خشب
يا راحلًا ترك الآماقَ سائلةً ... يَذْرُفْن منسكبا فى إثْر منسكب
أجبت داعىَ موتٍ حُمَّ عن قدرٍ ... وأى نفس لداعى الموت لم تُجب
والناس أسرى المنايا فى حياتهم ... من فاته السيف منهم مات بالوَصَب
هذى جيوش الرّدى فى الناس زاحفةً ... لكنّهنّ بلا نقعٍ ولا لَجَب
بين الدواء وبين الداء مُعْتَرَكٌ ... فيه قضى ربُّنا للداء بالغَلَب
والناس فيه عَتاد للحِمام فلا ... ينجون من عَطَب إلّا إلى عطب(١)
وإن للموت أسبابا يسببها ... من سدَّ كلَّ طريق عنه للهرب
لا يخلق الله مخلوقا يجول به ... دمُ الحياة بلا أم له وأب
ولا يُميت بلا داء ولا سقمٍ ... ولا يُعيش بلا كدٍّ ولا تعب

(١) الحمام: الموت. والعطب: الهلاك.

وليس ذلك من عجز بخالقنا عن أن يَزُجَّ بنا فى قبضة الشَّجَب[1]
لكنَّه جعل الدنيا مسبَّبة لكل أمرٍ بها لابد من سبب

* * *

يا من إذا ما ذكرناه تقوم له على الأخامص أو نجثو على الركب[2]
لقد تركت يتيم العلم منتحبا والكتب راثية منه لمُنْتَحِب
إن كنت فى هذه الدنيا لمنقطعا إليه عن كل موروث ومكتسب
أعرضتَ عنها مُشيحا غيرَ ملتفت إلى المناصب فيها أو إلى الرتب
أُولِعتَ بالعلم تُنْمِيه وتجمعه منذ الشباب وما أولعت بالنشَب[3]
فعشت دهرا حليف العلم تنصره حتى قضيت فقيد العلم والأدب

ذكرى الرجال من حياة الأمم

أراد شبان فلسطين أن يقيموا حفلة تأبين لروحى بك الخالدى ، وكان الرصافى إذ ذاك فى القدس ، فطلب إليه أحد أصدقائه ، وهو عادل أفندى جبر ، أن ينشدهم فى الحفلة المذكورة ما يناسب المقام ، فقال هذه القصيدة :

لعَمْرُكَ لو كانت حديدا جسومُنا لأبلتهُ من كرّ الليالى مَبارِدُ
فكيف ولسنا بالحديد وإنما جوارحُنا هذى الدماء الجوَاسِد[4]
إذا ما افتكرنا بالحياة وأصلِها وغايتها هانت علينا الشدائد
وماذا عسى يُجدى التوجُّع والأسى من الموت إذ كلٌّ على الموت وارد
نُعين منايانا علينا بحزننا فيقرب من آجالنا المُتباعد
وليس برُزء أن نرى المرء هالكا إذا حَيِيت بالذكر منه المحَامد
بل الرزء كل الرزء أن يذهب الفتى وليس له من بعده الدهرَ حامد

(١) الشجب : الهلاك .
(٢) الأخامص : جمع أخمص ، وهو ما لا يصيب الأرض من باطن القدم .
(٣) النشب : العقار ، أو المال الأصيل .
(٤) الجواسد : الدماء اليابسة .

ويُدفن فى التُرب اسمُه دَفْنَ جسمِه … فلم يتفقَّدْه من الناس فاقد
ومن تفن بعد الموت آثارُ مجده … فآثارُ روحى الخالدىّ خَوالد
فتًى أغمدت منه المنون مهنّدا … وأىُّ حُسام ماله الدهرَ غامد
يُعدُّ بألف من رجال زمانه … على أنّه فى الألمعيَّة واحد
لقد بقيت للخالدّيين بعــده … مناقبُ غُرّ دونهنّ الفَراقد[1]
وكم حَـبرّت أقلامه من صحائف … بجيد العلى من دُرِّهنَّ قلائد
نماه إلى المجد الصُّراح مُتمِّما … به فخره السيف الإلهىّ خالد

* * *

دعانا ابن جَـبْرٍ أن نُلمّ بذكره … لدى محفِل قد ضمنا وهو حاشد
فقمنا لذكرى مجده بعد موته … نُباهى به أَحياءَنا ونماجــــد
ونستشهد الدنيا على حسناته … وقد كثرت فيها عليها الشواهد
وإنى وإن لم أحظ منه برؤيةٍ … ليَشهد لى من (عادلٍ) فيه شاهد
ألا يا ابن جبر أنت أيقظتَ للعلى … عواطف كانت وهْى فينا رواقد
فقلت اذكُروا يا قومِ فضلَ رجالكم … فى ذكر فضل الغابرين فوائد
وسِيروا على آثارهم واهتفوا بها … لينشَط كسلانٌ وينهض قاعد
ففى الغرب أموات أُقيمت لذكْرهم … تماثيل فى كل البلاد أوابد[2]
أَعادلُ قد أنهضت للعلم جُثَّما … فأنت لنا فى نهضة العلم قائد
أقمتَ لذكرى الخالدىّ مَقامةً … بها حسنُت للقوم منك المقاصد
وجاهدت فى إنهاض حيّ بميّتٍ … فجهدك فى إنهاض قومك جاهد
ذكرتَ مزاياه وذكَّرتنا به … وهل يذكر الأمجاد إلا الأماجد
فسعيك مشكور ورأيك صائب … وفعلك محمود وسيرُك راشد

(١) الفراقد: يقصد بها الفرقد، وهو نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به.
(٢) الأوابد: الغرائب التى لا مثيل لها.

ذكرى الشيخ الخالصي

أنشدها فى الحفلة التأبينية التى أقامها نادى الإصلاح فى بغداد عند منعى الشيخ محمد مهـدى الخالصى أحد علماء الجعفرية بعد ما أخرجته الحكومة العراقية إلى إيران .

أدهق الدهر بالمنية كأسه ... من قديم وطاف يسقى أناسه[1]

كيف يرجى طول البقاء لحى ... جعل الله عمره أنفاسه

تعست هـذه الحياة وإن كا ... نت لعمرى خلابة حساسه

قصرتها يد الحوادث لكن ... قد أطالت بها على الحى باسه

غير أن السعيد من بان عنها ... وهو مستثمر بها أغراسه

والذى عاش مؤنسا وحشة النا ... س محمدا بفضـلـه إيناسه

مثل ذاك الشيخ الذى مذ فقدنا ... ه فقدنا به النهى والكياسه

نعى الخالصى فارتجت الأنـ ... ـفس حزنا مضرجا بحماسه

هو ذاك (المهدى) أحرز سبقا ... حين أجرى إلى الهدى أفراسه

هو ذاك الحبر الذى كان للشر ... ع مقيما دليـلـه وقياسه

كان فى الدين آية الله أفنى العمـ ... ـر فيـه رعاية وحراسه

أفق العلم قد بدا مكفهرا ... عند ما أطفأ الردى نبراسه

إن بكاه الدين الحنفى شجوا ... فلأن كان ركنه وأساسه

كان ردءا للحق مرتدى التقـ ... ـوى فكانت طول الحياة لباسه[2]

ولقد كان فى العلوم إماما ... حيث فيها انتهت إليه الرياسه

* * *

أنا أبكى عليه من جهة العلـ ... ـم وأغضى عن خوضه فى السياسه

لا لأنى أراه فيهـا ملوما ... بل لأنى أعيب فعل الساسه

---

(١) أدهق الكأس : ملأها .

(٢) الردء : المناصر والعون .

ليس فى هـذه الهنات السياسيـات إلا ما يتجلى عن خساسه
قد أبت هذه السياسة إلّا أن تكون الغشّاشة الدسّاسه
وأبت أن تصافح الناس إلا بيـدٍ من خديعةٍ فرّاسه
كلّما مسّت الأمور بكفّ لوّثتها بمـا بها من نجاسه
إن فى هـذه السياسة سهما جعـل الله باطلاً قرطاسه
ما تعاطى غـير الخداع « غلادستون » فيها كلّا ولا « دِلـكاسه »
إن أحسّت بقوّةٍ من خصيم كانت الظبيَ لم يُزايل كناسه[1]
وهى إن آنسَتْ من الخصم ضعفا كانت الليثَ مُبرِزاً أضراسه
لو أردنا إفاضةً فى هجاها لـكتبنا لـكم به كُرّاسه
فلهذا أجِلُّ عنهـا رجالًا شغلتهم علومهم بالدراسـه

* * *

رحم الله شيخنا إنه كا ن بعيدا عما تريد السياسه
ليت تلك العلومَ قد شغلته عن أمور لا تُشترَى بنُحاسه
أنتجتْ بُعـدَه فأوحش أرضا فى العراقَيْن عُوِّدت إيناسه
فقضى بعدَ نأيه عن أُناسٍ طلبوا علمه وراموا اقتباسه

* * *

أيها القوم إنّ هذا لرأيى فى فقيد لم تشهدوا إرماسه[2]
فاذا كنتُ قد أصبت وإلّا فانبـذوا ما أقوله فى الـكناسه
لستُ بالشاعر الذى يُرسل اللفـظَ جُزافا لـكى يصيب جناسه
أنا لا أبتغى من اللفظ إلا ما جرى فى سهولة وسلاسه
إنما غايتى من الشعر معنًى واضحٌ يأمن اللبيبُ التباسه

(١) الخصيم : الخصم . وكناس الظبي : بيته فى أصل شجرة ونحوها .
(٢) الإرماس : الدفن .

على ضريح النائب

هى دنيا بقاؤها مستحيلُ   فَلْيَقِفْ عند حدِّه التأميلُ

ليس يُغْنِى فيها عن المرء شيئا   شرف باذخ ومجد أَثيل

إنما الراحةُ المُرَجَّاة فيها   تعب والهدى بها تضليل

كل شىء فى أهلها مستعار   من سواه وكلُّ حال تَحَول(١)

ليس ما قد جنى علينا بها الإفـ   ـقارُ أدهى مما جنى التَّمْويل(٢)

رتاتْ أَلْسُن اللذائذ آي الـ   ـعيش فيها فغرَّنا الترتيل

فرجونا طول البقاء وإن كُـ   ـنَّا علمنا بأننا سنزول

وطلبنا تِعِلَّةً لنفوس   ليس يَشفى غليلَها التعليل

قد قتلتُ الحياة خُبْرا ولكن   أنا منها بحيرتى مقتول

كل ما قيل فى الحياة ظنون   جرّها فى افتكارنا التخييل

قد وهمنا فى البَدْء منها وأمَّا   منتهاها فستره مسدول

إن يك العقل فى دُجَى الشك نجما   فخَفِىٌّ مثل السُّها وضئيل(٣)

وَيْكَ إن المعقولَ ما صحَّ عندى   فمتى صحَّ عندك المنقول

كلنا خابطون فى ظلمات   حائر بائر بهنّ الدليل

إن حب الحياة أوهم أن الـ   ـموت نوم تحت الثرى لا يطول

إنما هذه الجسوم مبانٍ   قد بناها من الزمان عَمول(٤)

نزلتها الأرواح حينا فأضحت   عامراتٍ ما دام فيها النزول

ثم لابد أن ترحل عنها   فيُسمَّى بالموت ذاك الرحيل

---

(١) تحول : تتغير من حال إلى حال .

(٢) التمويل : الغنى ، وصيرورة المرء ذا مال .

(٣) السهام : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى .

(٤) العمول : المطبوع على العمل .

إنما هذه الجُسوم رُسوم ... مُوحشات بعد الرّدى وطُلول

ما بسِقْطِ اللّوَى مَثَانٍ ولكن ... بسقوط البِلَى لهن مُثول(١)

ليس يسلى الفتى عن الموت إلّا ... خَلَفٌ صالح وذكر جميل

مثلما مات شيخنا «النائب» الحَبْـ ... ـرُ فسالت من الدموع سيول

إن عبد الوهاب عاش جليلَ الـ ... ـقدر فردا ومات وهو جليل

وقضى عادمَ المَثيل فأمسى ... ما لمَنْعاه فى الخطوب مَثيل

حادث أظلمت به الأرض واستو ... حش منها حُزُونُها والسهول(٢)

إن أَسينا أسًى عليـه كثيرا ... فـكثير الأسى عليه قليل

كان فحل الفحول علما وفضلًا ... فلهذا بكت عليـه الفحول

كيف لا تجزع العلوم لمَنْعَى ... رجل باعُـه بهن طويل

قد بكته مدارس عامرات ... هو فيها المدرس المسئول

وبكاه الـكتاب ذو الذكر شجوا ... وعلوم إلى الـكتاب تئُول

وبكته آىٌ به محكماتٌ ... وبكاه التفسير والتأويل

وبكته أرامـلٌ ويتامى ... جُذَّ عنها بموته التنويل

إن يكن أغمد الردى منه فى القبـ ... ـر حُساما فذكره مسلول

أو رمى حدَّه الردى بفُلولٍ ... فمعاليـه ما بهنّ فلول(٣)

أو خلت منه ذُوره موحشاتٍ ... فذَرَاها بفضـله مأهول(٤)

كيف لا هؤلاء أبناؤه الغـرُّ ... شهود بما أقول عدول

كلهم فى العلاء مثل أبيه ... حسن الُخلق فاضل بُهلول(٥)

هل تطيب الفروع فى الناس إلّا ... حيث طابت فيهم لهن أصول

---

(١) سقط اللوى : موضع ، ويشير هنا إلى بيت امرىء القيس الذى ذكر فيه هذا الموضع .
(٢) الحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض وارتفع .
(٣) الفلول : جمع فل ، وهو الثلمة فى الحد . (٤) يقال فلان فى ذرى فلان : أى فى ظله
(٥) البهلول : السيد الجامع لـكل خير .

عذرة يا أبا الحسين بماذا نصف الرُّزْءَ وهو رزء جليل(١)
وإذا طاشت الحلوم بيوم فيه فارقتنا فماذا تقول
أخرسَ الشعرُ يوم منعاك لكن ناب عنه تأوُّه وعويل
وإذا أسكتَ المقاويلَ حزنٌ ترجمت عنهم دموع تسيل
فصَانْك المنون عنّا ولكن أنت بالحمد والثنا موصول
لك في العلم رتبة لن تُسامى فاضل القوم عندها مفضول
ومحيّا صَلْتُ الجبين طليق يتلالا كأنه قنديل
ويد يجمع الشفاهَ عليها كلما قد مددتها التقبيل
إنما قد ذكرتُ بعض مزاياك وإلا فشرحهنَّ يطول
وإذا القول لم يفده اختصار لم يفده الإطناب والتفصيل

دموع الصداقة

أنشدت في المأتم الذي أقيم في بغداد المرحوم عبد المجيد بك الشاوي

عبدُ المجيد قضى فوَا أسَفا ماذا يُفيد تأسّفي جَزَعا
قم وَيْكَ نبكِ المجدَ والشرفا ونعزِّ طَرْفَ العين ما دمعا
فلقد فقدنا سيِّد الظُّرَفا وأجلَّ ساع للعلاء سعى
لم يتخذ غيرَ العلا هَدَفا عن قوس همته إذا نَزَعا(٢)
خبر طويتُ حَشَاى مرتجفا من هوله وسقطت مُنصدِعا
ألقى بوجه حياتنا كُلَفا أو عاد لونُ العين ممتقعا(٣)
فالدمع من عيني إذا وَكَفَا جَلَلٌ وإن أرسلته دفعا(٤)
صاحبت منه أخا نُهًى ووفا يزهو النَّدِيُّ به إذا اجتمعا

(١) العذرة : المعذرة . (٢) نزع : رمى بالسهم .
(٣) الكلف : جمع كلفة ، وهي اغبرار لون الوجه .
(٤) وكف الدمع : سال قليلا قليلا .

فسمعت من أقواله طُرَفا ورأيت من أفعاله بِدَعا
ساء المكارمَ كونُه دَنِفا يشكو إلى عُوَّاده الوجعا
الدّاء أذهب نفسه تَلَفا بُذِل الداء له فما نجعا
بيروت منه أحرزت شرفا لمَّا غدت لعُلاه مُضطجَعا
لكنما قلب العراق هَفا حزناً عليه إذ به فُجعا
وكفى بسعدونٍ له خلفا افعاله فى المجد مُتّبعا
يمشى على آثاره الخَطَفَى ويقوم بالأعباء مضطلعا

* * *

عبدُ المجيدِ قضى فواحَرَبَا ماذا يردّ إليَّ واحَرِبى
إن الرزايا قد قضت عجبا مما رُزِئناه من الحسب
رُزءٌ أثار الحزن ملتهبا فى كل قلبٍ أىَّ ملتَهِب
وأسال غرب الدمع منسكبا من كل عين إثر منسكب
وأمرّ حلو العيش فانقلبا بمُحاوليه شر منقلب
فبكاه من بغداد مُنتحِبا فى جانبيها كل ذى أدب
يا راحلا بالداء مغتربا يبغى الشفاء له من الوصب
أوتيت فضلا فى النُّهى عجبا يأتى من الآراء بالعجب
كم كنت تكشف فيه محتجبا وتنال أقصى الأمر من كثب
فبنيت مجدا منك مكتسبا من بعد آخر غير مكتسب
وبك العروبة قد زهت نسبا يُزْهَى بغبطة كل ذى نسب
قد كنت من عربية عَصَباً والحسّ مصدره من العصب
إنَّا فقدنا الظرف والأدبا وفقدت يا سعدون خير أب
يا أكرم المتهذبين أبا صبرا لفقدك أكرم العرب
إذ كنت أنت لمثله عَقِبا أَكْرِمْ بمثلك أَنت من عَقِب

هلم نبك

هلمَّ نبكِ النُّهى والعلمَ والشرفا — فقد قضى من بهذا كان مُتّصِفاً
هلمَّ نبك الذى كانت شمائله — كمثل قطر الغوادى رقة وصفا
هلمَّ نبك الذى لم يغلُ واصفه — بالخير إلا رآه فوق ما وصفا
عطا الخطيبَ الذى آل الخطيب به — فتَّتْ مصيبتُهم أكبادنا أسفا
تبكى لمبْكاهم حزنا بحيث ترى — بدر التمام بأعلى أفقهم خُسِفا
قد فاجأتْه المنايا وهو معتدل — كالرمح دُقَّ على الصفْواء فانْقَصفا[1]
قامت بحسَّاده الأطماعُ هائجةً — لمَّا رأوه مجدًّا يطلب الترفا
فعارضوه بسيل من مكايدهم — قد سال فاكتسح الآمال واجترفا
وعرقلوا بدواعيهم مساعيَه — ومدّدوا من دواهيهم له كِفَفا[2]
فظل يرسُف فى مسعاه مرتطما — فيما يكيدون حتى خالط التلفا
كانوا يمدّون سيل الكيد مندفقا — وكان يبنى له من سعيه رَصَفا[3]
حتى قضى راسبا فى مكرهم غرقا — إذ عطّل الموت منه الكفَّ والكتفا
وبعد ما قتلوه هكذا علموا — بأنهم قد أصابُوا المجدَ الشَّرفا
والمرء تظهر بعد الموت قيمته — كمغرق اليمِّ بعد الإنتفاخ طفا
لو عجّل الله للحساد لعنته — لكان أسقط منها فوقهم كِسَفا
لكن يؤخرها عنهم إلى أجلٍ — يُخزِى به كلَّ من قد جار واعتسفا
هم جاوزوا العدل والإنصاف فى رجل — ما كان قطُّ عن الإنصاف منحرفا
فتًى رُزئناه بالأخطار مضطلعا — بالمجد مشتملًا بالفضل ملتحفا

---

(١) الصفواء : الحجر الصلد الضخم .
(٢) الكفف : جمع كفة ، وهى حبالة الصائد وشبكته .
(٣) الرصف : الحجارة المرصوف بعضها إلى بعض فى مسيل الماء .

لما رمى عن قِسِىِّ الرأى مجتهدا ... لم يتخذ غير أسباب العلا هدفا

ما شبَّ إلا على التقوى وكان له ... قلبٌ سليمٌ بحبِّ الخير قد شُغِفا

مهذَّب الطبع عفّ النفس ذوخلق ... قد شابه الورد مشموما ومقتطَفا

إذا تصورت فى يوم خلائقه ... فقد تصوّرت منها روضة أُنُفا(١)

وإن نظرت بإمعان مساعيه ... فقد نظرت بعينى رأسك الشرفا

بيناه يدرك من دنياه زهرتها ... إذ جاءه الموت يمشى نحوه الخَطَفى(٢)

أَعْظِمْ به طودَ مجدٍ طال طائله ... فكيف فى ساعة بالموت قد نُسِفا

قد شرَّفتْ بقعةَ الجبلىِّ حفرتُه ... كما ضريح علىٍّ شرّف النجفا

دمعة على صديق

قالها فى رثاء صديقه الحميم عبد الوهاب المحمد أغا .

مضى عبدُ وهّاب الهبات لربِّهِ ... فلِلّه من ماضٍ إلى ربه حُرِّ

مضى وهو محمودُ الخصال مخلِّفا ... له عندنا آثار أخلاقه الغُرِّ

مضى وله فى كل قلب مكانة ... تُديم له ذكراه بالحمد والشكر

كذلك كنَّا معه قبل وفاته ... نُبَجِّله فى السرّ منا وفى الجهر

وما زادنا إلا أسًى بفراقه ... فأمسى الأسى فيناله مالىء الصدر

إذا ما ذكرناه تفوح خلاله ... فَنَنْشَق من تذكارها أطيب النَّشر(٣)

ونلجأ عند الإدّكار إلى البكا ... ونفزع من بعد البكاء إلى الصبر

أخا سالمٍ ما زلت عندىَ سالما ... وإن كان منك الشخص غُيِّب فى القبر

تمثلك الذكرى لعينىَّ جالسا ... تحدِّثنا عما أهمَّ من الأمْر

وتمزح طورا ثم تنصاع ذاهبا ... إلى الجدّ تُغْرِى بالحقيقة من تغرى

(١) الروضة الأنف : الجديدة النبت ، لم يرعها أحد .

(٢) الخطفى : مشية سريعة .

(٣) الخلال : جمع خلة وهى الخصلة . ونشق : شم . والنشر : الريح عامة ، أو الطيبة منها .

فتغضب أحيانا وتطرب تارةً فتطرب من ذكر الحقيقة فى شعرى
طواك الردى عنى وشخصك لم يزل يذكراك بعد الطىّ متصل النشر
فما أنت ميتــا إذ خيالك سانح
مدى العمر نصب العين فى سانح الفــكر
ولا عجب ، إن الحيــاة خيالة
فلا فرق عندى بين شخصك والذكْر
سأنثر دمعى فيك نثر لآلىء وأنظم شعرى فى رثائك من در
لعلى بذا أقضى إخاءكَ حقه وإن كان لا يُقضى بنظم ولا نثر

ميتة البطل الأكبر

أنشدت فى دار المرحوم عبد المحسن بك السعدون فى اليوم الثالث من انتحاره

هكذا يُدْرَك فى الدنيا الـكمالُ هكذا فى موتها تحيا الرجالُ
هكذا يَشْرُف موتُ المبتغى شرفا ليس إذا ريمَ يُنَـال
من كعبد المحسن الشهم الذى حقه بالموت عزٌّ وجــلال
ما بعبد المحسن السعدونِ إذ رام قتلَ النفس مَسٌّ أو خَبال
بل رأى أوطانه يُرهقها من بنى الغَرْب انتداب واحتلال
فانتضى الهمة كى ينقذها كانتضاء السيف ما فيه كلال
مارس الأحوال حتى إنه شاب فى إصلاحها منه القَذال[1]
أعمل الرأى وقــد جادله فيه بعض القوم واشتدَّ الجدال
خذلوه فاغتــدت آراؤه كسهام كُسِرت منها النصال
كم غدا ينصحهم حتى إذا راءَ أن الداء فى القوم عُضال[2]

(١) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .
(٢) راء : رأى .

ورأى أن الذى يرجوه من طلب استقلالهم شىء محال
جاد للأوطان منـه بدم لسوى أوطانه ليس يُسال
والفتى الحر له فى موته سعة إن ضاق بالنفس المجال
إنه لما أرادت نفســـه مِيتة حمراء ما فيها اعتلال
مِيتة الأبطال فيها شمم طأطأت من دونه الشم الجبال
نال بالموت حياة ما لها أبد الدهر فنـاء وزوال
هو حىّ أبدَ الدهر فما ضرّه من هذه الدنيا انتقال
إن يكن قد زايل القوم فما لمساعيه عن القـوم زِيال
أو يكن عن أعين القوم اختفى فله من أنفس القوم خيال
وإذا التاريخُ أجرى ذكره أخذ التاريخَ بالفخر اختيال
فاندبوا يا قومِ منه بطلًا هو للأبطال حُسْن وجمال
واقتفوا منه نصيحا مخلصا هو للإخلاص فى الدنيا مثال
وأقيمو عاليا تمثـــالَه فهو للأوطـان عزّ وجلال
واقصدوا مرقده حجًّا فلا غروَ أن شُدَّت لمثواه الرّحال
واتركوا الغرب وأهليه ولا تسمعوا منهم إلى ما قد يقال
وعلى أنفسكم فاتّكلوا خاب من فيه على الغير اتكال
فالمواعيد التى قد وعـدوا كلها منهم خداع واحتيال
كلما قال لنـا ساستُهم نقضتْ أقوالَهم منهم فعال
هكذا كونوا وإلا فاعلموا أنما استقلالـكم شىء محال

ميتة البطل الأكبر

منظر الرافدين

شبّ الأسى فى قلوب الشعب مُستعِرا

يومَ ابنُ سعدونَ عبد المحسن انْتَحَرا

يومٌ به كلُّ عين غيرُ مبصرة — إذ كان إنسانها فى الدمع منغمِرا

يوم به البرق رَجّ الرافدين أسًى — غداة أدّى إلى أقصاها الخبرا

فلو ترى القومَ قاموا فى ضفافهما — واستنزفوا من شئون الدمع ماغَزُرا

خِلْتَ العراقين خدّى ثاكل وهما — سَطْران للدّمع فى الخدين قد سُطِرا

الشعر والدمع :

لله يومٌ فقدنا فيــه مُضْطلِعا — بالأمر يُمعن فى تدبيره النظرا

يوم قد انهلّ فيه الشعر منتظِما — كما قد انهلّ فيه الدّمع منتثرا

فبالدموع بكت فى يومه شِيَعٌ — وبالقوافى بكت فى يومه الشُّعَرا

فالشعر قد قرّط الأسماع مندفِقا — والدمع قد قرّح الأجفان منحدرا

والدمع والشعر ممن قد بكى بهما — كلاهما حَـكَيا فى يومه الدُّررا

كلاهما انسجما حتى كأنهما — تسابقا فى انسجام عند ما انهمرا

فالشعر من هذه الأكباد بلّ صدًى — والدمع من هذه الأوطان بلّ ثرَى

أبو عليّ وعزائمه :

أبو عليٍّ قويٌّ في عزائمه لورام بالعزم دَحْرَ الجيش لاندحرا
أخلاقه كالخِضَمّ الرَّهْوِ تحسبه سهلًا ولـكنه صعب إذا زَخَرا[1]
إذا أتاه شَـكِيٌّ القوم قابله بكا النسيم جرى في روضة عَطِرا[2]
ويهزم الجمع مجتثًّا مكايده بكا العواصف هبَّت تقلع الشجرا
لمَّا رأى الوطن المحبوب محتمِلاً من الأجانب ما قد عمه ضرّرا
سعى لإنقاذه بالرأى مجتهدا بالعزم متشحا بالحزم مؤتزرا
كم بات سهرانَ في تحقيق مُنْيَتِه وفى الأمانيّ ما يستوجب السهرا
وكم سعى راجيا تخليصَ موطنه والشعب كان لما يرجوه منتظرا
حتى إذا لم يجد للأمر متَّسَعا ولم يجد عن بلوغ العز مُصْطَبَرا
أرْمَى مسدسه في صدره بيدٍ لا تعرف الضعف في المرمى ولا الخَوَرا
فيالهـا رَميةً حمراءَ دامية قد مات منها ولـكن بعدها نُشِرا
قد كان يحيا حياة غير خالدة واليوم يحيا حياة تملأ العُصُرا
لو نَقْترى صحُفَ التاريخ نسألها عمّن يساويه في الدهر الذى غَبَرا[3]
لما رأينا كبيرا مات مِيتَتَه ولا وجدنا وزيرا مثله انتحرا
ما كان أشرفها من ميتة تركت في نفس كل فتًى من غِبطة أثرا
كنا نقاسى ضلالا قبلها فإذا بها الطريقُ إلى استقلالنا ظَهَرا

---

(١) الخضم : البحر العظيم . والرهو : البحر الساكن .
(٢) الشـكى : المشتـكى .
(٣) اقترى : تتبع واستقصى . وغبر : مضى .

يا أهل لندن :

يا أهلَ لَنْدَن ما أرضتْ سياستُكم أهلَ العِراقَيْن لا بَدْوا ولا حَضَرا
إن انتدابَكُم فى قلب موطننا جُرح نداويه لكن لم يزل غَبِرا[1]
وللمَشورة فى أوطاننا شبَحٌ تُخيف صورتهُ الأشباح والصُّوَرا
يجول فى طرقات البَغْى مُحتقِبا للغش خلف ستار النصح مستترا[2]
لم يَكْفِه أنه للحكم مغتصب حتى غدا يقتل الآراء والفِكَرا
إذا رأى نهضة للمجد أقعدها وإن رأى فتنةً مشبوبةً نعَرا
فكم ضغائنَ بين القوم أوجدها وكم بذور من التفريق قد بذرا
فى كل يوم لنا معْكم معاهدة نزداد منها على أوطاننا خطرا
جَفَّت بها سَرْحَة استقلالنا عطشا حتى إذا مامَسِسنا عُودَها انكسرا[3]
تقسو قلوبكُم لما نفاوضكم كأننا نحن منكم نَنْقُرُ الحجرا
أما مواعيدكم فهى التى انكشفت عن مَيْنِ مَن مانَ أو عن غدر من غَدَرا[4]
لا تفخروا أن كسر تم غَرْبَ شَوْكتنا
لا فخر للصقر فى أن يقتل النُّغَرا[5]
لا تستهينوا بنا من ضعف قوّتنا فكم ذُبابة غابٍ أزعجت نَمِرا
هذى البلاد اغرسوا فيها مودتكم ثم اقطِفوا من جَناها وُدَّنا ثمَرَا
نكن لكم حِلْفَ صدق فى سياستكم
نمشى إلى الموت من جرّائكم زُمَرا
لسنا بقوم إذا ما عاهدوا نكثوا ولو جرى الدم حتى أشبه النهرا

(١) الجرح الغبر : الذى اندمل على فساد ثم انتقض .
(٢) احتقب : جمع .
(٣) السرحة : الشجرة الطويلة ، أو التى لا شوك بها .
(٤) المين : الكذب .
(٥) الغرب : الحدة . والنغر : البلبل ، أو فرخ العصافير .

ولا نخالف أحلافا فنخذلهم ولو لبسنا المنايا دونهم أُزُرَا
فنحن أوْفى الورى بالعهد شِنْشَنَةً ونحن أرفعهم فى المكرمات ذُرَا[١]

سعد وسعدون :

سعد وسعدون محمودٌ مَقامُهما هذا بمصر وهذا ههنا اشتهرا
كلاهما قد فَدَى بالنفس أمته لكنَّ سعدون لا سعدا قد انتحرا
فكان بينهما بون وإن غَدَوَا فى الشرق أعظم مذكورين مذ ذُكِرا
فإن سعدون دانى الشمس منزلة وإن سعدا بمصر قارن القمرا
هذا هنا قد سعى للمجد مُبْتَدِرا وذا هناك سعى للمجد مقتدرا[٢]
يأهل مصر وأنتم مثلنا عربٌ ما قلتم عندما أُعْلِمتم الخبرا
إن كان قد أرخص الأموالَ سعدُكم فإن سعدوننا قد أرخص العُمُرا

أيُّها البطل :

نَمْ أيها البطل الفادى بمهجته أوطانَه نومة تستيقظ العِبَرا
نَم نومةً تجعل التاريخ محتفيا بها لنهضة أهل الشرق مُدَّكِرا
فليَعتبرْ بك هذا الشعب مقتديا إن كان شعبُك بعد اليوم معتبرا
فسوف تحمدك الأوطان شاكرة وسوف يذكرك التاريخ مفتخرا
نَم مستريحا فإن الشعب مرتقب ماذا ستفعله من بعدك الوُزَرا
أيتركون الذى قد كنت تطلبه أم هم سيقضون من مطلوبك الوَطَرا
فالشعب منهم مريد ما أردتَ له وليس يقبل عذرا ممن اعتذرا
يا من له ميتة بِكرٌ معظمة لا غروَ أن قلتُ فيك الشعر مبتكرا[٣]

---

(١) الشنشنة : الخلق والطبيعة . والذرا : جمع ذروة ، وهى القمة .
(٢) ابتدر المجد : سارع إليه .
(٣) الميتة البكر : التى لم يمت أحد مثلها من قبل

ذكرى فتى السعدون

إذا ما الفتى فى دهره أحسن الظنّا ... فما أدرك المَغْزَى ولا فَهِم المعنى
وما الحزم إلّا أن نرى الدّهر هاجما ... فنبنىَ من تدبيرنا دونه حِصنا
وما الدّهر إلا مُبْهِرٌ فى طباعه ... يغرّر بالأقوام يفتنهم فتنا[1]
يروع بنيــه صائلًا ببناته ... فقد ضلّ مَنْ مِن دهره يطلب الأَمنا[2]
يَذُف عليهم بالظُّبَى من خُطوبه ... فكم جدعت أنفا وكم صلمت أُذنا[3]
وما شُبهه إلا مخالب كيده ... تُمَدّ بجوف الليل دامية حُجْنا[4]
إذا ما تشمَّمتَ الزمان وطبعه ... تشمَّمت من أعماق طينته نَتْنا

* * *

إليك فتى السعدون جئتُ مهنئا ... بما نلتَه عند الإله من الحسنى
إذا ما ذممنا الدّهر يوما وأهلَه ... فإنّك من تلك المَذمّات مُستثنى
أتى يومُك الدّامى بذكراك حافلًا ... يجدّد فى كل البلاد لنا حُزنا
ففى مثل هذا اليوم بتّ مضرّجا ... وبتنا نحاكى فى مدامعنا المزنا
وفى مثل هذا اليوم فى حفرة البِلى ... جعلنا بك الآمال مدفونةً هَنَّا
عشيَّةَ أطلقتَ المسدسَ نارَه ... على قلبك الخفاق من يدك اليمنى
فللّـه نارٌ قد بردت بحرّها ... وإن سال منها دمعنا بالجَوَى سُخنا
لئن أَقْفدت بالموت قلبك نبضة ... فكم أنبضت بالحزن أفئدةً منّا
وكم أنطقت دمع المحاجرِ بالأسى ... على أنها بالهَول أخرست اللُّسْنا[5]
فيا طلقةً ريع العراق بصوتها ... فبانت به الآفاق عابسةً دُكنا

(١) المبهر: اسم فاعل من أبهر : إذا جاء بالعجب (لسان العرب) .
(٢) بنات الدهر : حوادثه .
(٣) ذف عليه : أجهز عليه . والظبى : جمع ظبة ، وهى حد السيف أو سنانه .
(٤) الحجناء : العوجاء . جمعها : حجن .
(٥) اللسن : جمع ألسن ولسناء ، وهو الفصيح البليغ .

وردّد مجـــرى الرافدين لصوتها
صدى الحزن من أقصى العراق إلى الأدنى

لقد جمع الأموال باسمك معشرٌ ... لتخليدهم ذكراك فى معهدٍ يُبنى
وما علموا أن المبانىَ كلها ... وإن قويت تفنى وذكرك لا يفنى
وأعظمُ تخليداً لذكراكَ منهمُ ... فعائلك الغرّاء والخُلُق الأسنى
سعيتَ إلى استقلال قومك مخلصا ... وما كنت فى يوم على القوم ممتناً
وقمت بأعباء السياسة ناهضاً ... بهمّة لا وانٍ ولا ناكصٍ جبنا[1]
وأبديت فى تلك المواقف كلّها ... أصالة رأى قطّ لم يعرف الأفْنا[2]
فإن كنت لم تنجح فليس لعلّة ... سوى أن خصم القوم فى كيده افتنّا

* * *

زكت لك نفس بين جنبيك حُرّة ... فلا أظهرت كِبْرا ولا أضمرت ضِغنا
لنا المثل الأعلى بحلمك والندى ... فكم بهما أثنى عليك الذى أثنى
فأحنفَ ربَّ الحلم فى الحلم فقْتَه ... وفى الجود قد فقت ابن زائدة مَعنا
ألستَ الذى قد رام قتلك قاتل ... فأطلقته عفوا وأوسعته مَنّاً[3]
سيبقى على الأيام ذكرك خالدا ... به صحف التاريخ قاطبةً تُعنَى

* * *

فيا بطلًا بالنفس ضحّى وإنما ... بذلكَ لاستقلالنا سُنّةً سنّا
فعلّمنا أن التفادىَ واجب ... على كل قوم حاولوا شرف المَغنى
سنسعى إلى ما قد سعيت من العلى ... بصادق عزم يُنكر الضعف والوهْنا
وإنّا لقوم مستقلّون فطرةً ... إذا أنكر استقلالنا منكر ثُرنا
فلو جُعِلت تبرا سبيكا بيوتنا ... ولسنا بحكام أبَيْنا بها السُّكنى

---

(١) الوانى : الضعيف . (٢) الأفن : ضعف الرأى . (٣) المن : الإنعام .

يهون علينا في السياسة أننا ... نُصَلَّب في الأعواد أو ندخل السجنا

ولسنا نبالي دون إحياء مجدنا ... أَعِشْنا على وجه البسيطة أم مُتْنا

إذا أدرك المجدَ المؤثَّلَ معشر ... أُحادَ ، فإنَّا نحن ندركه مَثْنى

نفوسا ورثناها كبارا أبيَّةً ... أبت في الدُّنا أن تحمل الضيم والغَبْنا

ابن جبران

من سامعٌ قصة لي كنتُ شاهدَها ... على الرُّبا الخضرِ من جنَّاتِ لُبنان

فقد رأيتُ غلامًا صِيغَ منفردًا ... بالحسن يَصْبُو إليه كلُّ إنسان

البدرُ يبدو حقيرا عند طلعته ... والشمسُ تَعْنُو لوجهٍ منه نُورَانِي[1]

في عَينْه حَوَرٌ في ثَغْرِه شنبٌ ... يَفْتَرُّ عن عِقْدِ دُرٍّ وسْط مَرجان[2]

إذا رَنا ناظرًا يرنو بساحرة ... أو انثنى ينثني عن عِطْفِ نشوان

عليه ثوبٌ بديعُ النسج طُرَّتُه ... من صِبْغَةِ المجد قد زيِّنَت بألوان

في جانب منه تلقى الدرّ منتظمًا ... والدرّ منتثرًا في الجانب الثاني

وللعواطف في أثنائه صور ... جادت بها ريشة في كف فنَّان

تَفاوَحَ الطِّيبُ من أردانه عَبِقًا ... كما تَفاوحُ أزهار ببستان[3]

تستخلص النفسُ من فَحوى ملامحه

أن الغرام الذي يُخفيه رُوحاني

أبصرته واقفًا يبكي وأَدْمُعه ... توحي إلى كل قلب وَحْيَ أحزان

يبكي وألحانُ موسيقاه مُشجِية ... تهفو بأفئدة منّا وآذان

يبكي وأنغام موسيقاه مطربة ... تهتز منهنّ أرواح بأبدان

(١) عنا : خضع وذل .

(٢) الحور : شدة بياض العين وسواد سوادها .

(٣) تفاوح الزهر : انتشرت رائحته . والأردان : جمع ردن : وهو أصل الكم . والعبق : الذي تفوح منه رائحة الطيب .

يبكى فيرفضُّ عقد الدمع منتثرًا ... بغير وزن وأحيانًا بميزان
لما أرانى جلالَ الحسن ممتزجًا ... بروعة الحزن أشجانى فأبكانى
فقمت بين أناس حوله وقفوا ... مستعبرين وكلٌّ نحوه رانِ[1]
وكلهم وقفوا مستسلمين إلى ... تنهدات وآهات وإرنان
حتى سألت عن الباكى وقصته ... فقيل هذا هو الشعر ابن جبران
أبوه جبران أفناه الردى فغدا ... من بعده رَهْنَ يُتْمٍ حِلْفَ أشجان[2]
فقلت لم يفنَ جبران بميتته ... من خلّف ابنًا كهذا ليس بالفانى
بل أصبحتْ بابنه ذكراه خالدة ... مادام لبنان مأهولاً بإنسان
إنى أرى رُوح جُبران مُرَفرفة ... على الربَا الخضر من جنات لبنان

جبر ضومط

بكى الفَضْلُ لما أن قضى نَحْبَه جبرُ
وليس لكَسْرِ الموت فى طِبِّنا جَبْرُ
طوى الموت من جبر ضوامط فاضلاً
لغُرِّ المساعى كان فى عيشه نَشْر

مضى بعد ما أمضى حياة سعيدة ... تبسم فيها العلم والفضل والفخر
وخلّف آثارًا خوالدَ بعده ... يطيب له مَدَّ الزمان بها ذكر
على اللغة الفصحى أياديه جمة ... وآثاره فى نشر آدابها غُرُّ
وما كان يبدى الرأى فيها مُقلِّدًا ... ولكن له الإبداع والفكرة البكر
وما كان فى استقرائه العلم جامدًا ... ولكنه فى العلم كان له فكر
يشق حجاب المشكلات برأيه ... كما شُق بُرْد الليل مذ طلع الفجر

---

(١) المستعبر: الباكى.
(٢) رهن يتم: أى ملازمه.

ومن شك فلينظر بكل مدينة ... تلاميذه من بعده فهم كُثْر(١)

فيبصر منهم من حِجاه مثقف ... ومن لفظه در ومن علمه بحر

رُزِئناه فى كلية العلم هاديًا ... يضىء به للعلم فى أفقها بدر

سَيبكيه فى كلية العلم مِنبر ... ويرثيه من أبنائها النظم والنثر

فواجعنا فى ذى الحياة كثيرة ... وأفجعها أن يُفْتَقَد العالم الحَبْر

ألا إنما هـذى الحياة رواية ... يمثلها فى كل يوم لنا الدهر

ولو لم تكن للفاجعات فصولها ... ممثّلة ما كان آخرها القبر

أبو الملوك

بدا وجهُ العروبة فى حُلوكِ ... غَداةَ قضى الحسين أبو الملوكِ

قضى متنازِلاً بعد اعتلاءٍ ... كذلك الشمس تَجْنَح للدُّلوك(٢)

قضى فى المجد ليس بذى نظيرٍ ... وفى العَزَمَات ليس بذى شريك

مَليكٌ واصلَ الإقدام حتى ... أتاه بهلكه يوم الهُلُوك

لقد سلك الطريق إلى المعالى ... إلى أن مات محمودَ السلوك

وجدد للعروبة غرس مجدٍ ... قديم كان كالعِذْق التَّرِيك(٣)

وأحدث نهضة فى العرب هزّت ... جنوب الأرض كالريح السَّهُوك(٤)

وأثبت بالسيوف لهم حقوقا ... مؤيدة بكل دمٍ سَفِيك(٥)

ولكن غَشَّه الحلفــاء حتى ... أتوه من الثعالب فى مُسُوك(٦)

وخانوا لم يفوا بعد انتصار ... بما كتبوه فى بطن الصُّكوك

(١) كُثر : كثيرون .

(٢) جنح : مال ، والدلوك : الغروب .

(٣) العذق : عنقود العنب ، أو ما يشبهه من النخلة . والتريك : المتروك ، أو الذى أكل كل ما عليه ، أو بقى فيه شىء قليل .

(٤) الريح السهوك : العاصفة الشديدة . (٥) الدم السفيك : المسفوك .

(٦) المسوك : جمع مسك ، بفتح الميم ، وهو الجلد .

خطبنا وُدّهم فتقبـلونا ... بعاطفةٍ كعاطفة الفَرُوك[١]

وكم وعدوا بنى قحطان وعدا ... به انقلب اليقين إلى شكوك

لقد ستروا شنيع الغـدر منهم ... بثوبٍ من سياستهم مَحُوك

فساستهم إذا وقعوا بضَنك ... أَرَونا الودّ فى وجـه ضحوك

وأبدوا فى الرخاء لنا عُبوسا ... وهـذا عُدَّ من شيم الهَلُوك[٢]

ونحنُ العُرْبَ نأبى غيرَ عزٍّ ... ونطمح فى الحياة إلى السُّموك[٣]

ويومَ الروع ننتظم المنـايا ... ولم تكن السيوف سوى سلوك

ونمضغ فى الهياج الموت دون الْـ ... ـعُلَى مضغ الأوانس للعُلوك[٤]

وما عاب الفتى جسمٌ هزيل ... إذا ما كان ذا شرف وديك[٥]

وما الشرف الحميد سوى فَعال ... حميـد من معادننا سبيك

قرينَ القِبلتين عليك تبكى ... دما بالدمع من طَرْف مَسِيك[٦]

فقدنا منك خـير زعيم قوم ... وخير نضيج تجربةٍ حَنِيك

لقد ناح العراق عليك حزنا ... وضجَّ من الخليج إلى دَهُوك

وناح المسـجد الأقصى جميعا ... إلى أرض الشآم إلى تَبُوك

لقد نُزّهتَ من غمز ولمزٍ ... كما نُزّهتُ من شعر ركيك

---

(١) الفروك : المبغضة للناس عامة ، أو التى تبغض زوجها .

(٢) الهلوك : الفاجرة ذات الشهوة الشديدة .

(٣) السموك : جمع سمك ، وهو السقف أو أعلى الشىء .

(٤) العلوك جمع علك ، وهو اللبان . (٥) وديك : سمين .

(٦) الطرف المسيك : العين التى لا تدمع كثيرا . وفى الطبعة الثانية : « وما » فى مكان : « دما » . يريد أننا نبكى عليك دما من عين تبخل بالدموع على غيرك .

الشيخ قاسم

مدرس جامع النعمانيـــة

على قاسم شيخ الطريقةقد بكَتْ — جواهرُ فضلٍ مالها الدهرَ قاسمُ
بكاه التُّقى والعلم والحلم والنُّهى — وحسن السجايا والعلى والمكارم
فقدنا الذى قد كان فى العلم عَيْلما — فماجت لمنعاه البحـارُ العيالم[١]
لئن قد طواه الموت عنّا فذكره — من العلم منشور على الدهر دائم
رُزِئناه حَبْراً فى الطريقة مرشـداً — به اتَّضحت للسالكين المعـالم
عفت أَرْبُعُ الارشاد بعد ارتحاله — وكانت به منها تُقام الدعائم
حليف التُّقى ماذنَّس الدهر ثوبه — بإثم ولامرَّت عليه المحـــارم
ترحّــل للأخرى وأبقى مناقبا — تضيء من الدنيـا بهن المواسم
يصوم نهار الصـيف لله طائعا — ويحيى الليالى وهو لله قائم
إذا مابدا للقوم لاحت بوجهه — دلائل من نور الهدى وعلائم
ولمــا مضى للخلد قلت مؤرخا — «لقد بات فى أعلى الفراديس قاسم»

غريق دجلة

يامَن قضى بين المياه غَريقا — أذكى فراقك فى القلوب حَريقا
قد كنتَ فينا دُرّة فَلِأَجْلِ ذا — تَخِذ الحِمامُ لك المياه طريقا[٢]
سعدَيك يا (توماس) إنك لم تمت — مادام ذكرك فى الحياة عَريقا
لـكن رقيت إلى السماء لتجتبَى — لله فى أعلى السماء رفيقـــا[٣]
يا كوكبا عجِل الردى بأفوله — من بعـد ما ملأ السماءَ شروقا

---

(١) العيلم : البحر ، أو البحر الزاخر.
(٢) تخذ : اتخذ .
(٣) اجتباه : اصطفاه واختاره .

إن كنت غِبْت عن العيون فإنما ... أَسْكنت طَيَّ قلوبنا مَومُوقا[1]

عشقتْك كلُّ فضيلة وعشقتَها ... لله درُّك عاشقـــا معشوقا

هَصَرَتْك أيدي الموت غصنا ناضرا ... يهتزّ فى روض العلاء وَرِيقا[2]

إن العراق على بَضاضة قُطره ... أمسى بفقدك يابسا معروقا

لله مَنْعاك الجليـــلُ فإنَّه ... أعيا البليغَ وأخرس المَنْطِيقا

إن كان شخصك بات فى قَيْد الثرى ... فجميلُ ذكرك لا يزال طليقا

شهداء الطيران

قَضَوا شهداءَ ليس لهم بَوَاء ... فتَمّ لهم على الدهر البقَاء[3]

قَضَوا لعزيزِ موطنِهم ضحايا ... فهم لعزيزِ موطنِهم فِداء

لهم فى موتهم هـذا حياة ... مخـــلَّدة يجللها الثناء

تباشرت الجِنانُ بهم فأمستْ ... بها من حُسْنِ مَقْدَمِهم بهـاء

وحيا « جعفرُ الطيار » منهم ... نسورًا فى الجنان لها اعتلاء

° ° °

وطائرة مرفَّعَـة الذُّنابَى ... بأجنحة الرياح لها ارتقاء

يجول بها من البنزين رُوح ... كما جالت بأَوْرِدَةٍ دماء

بعصر الـكهرباء أتت فأمسى ... لعصر الـكهرباء بها ازدهاء

تمر كأنها فى الجو نَسْر ... إلى زُهْرِ النجوم له انتماء

وتختبط الهـواءَ بساعديها ... فتعصف منهما الريحُ الرُّخاء

---

(١) ومقه : أحبه .

(٢) هصر : كسر . الوريق : المورق ، أى ذو الأوراق .

(٣) البواء : المثل والند .

فتمضى فى الفضا مُضِىّ سَهْم عن القوس الضَّرُوحِ له ارتماء[1]
فيُبصَر كالنجوم لهـا علوّ ويُسْمَع كالرعود لها رغاء
وقد ترمى الصواعقَ مُحْرِقات بها فى الأرض يندك البناء
قد امتطَوْا الرياحَ بها فطاروا إلى حيث احتفتْ بهم السماء
سَمْوا فتضاءلوا فحكَوْا نجوماً يُصَغّـــرها بأعيننا السّناء
وفيهم كان للأوطان حب وفى أوطانهم منهم رجاء

* * *

أَلَا يا طائرين قد استقلتْ بهم فى الجو ريح جِرْبياء[2]
لقد نزل القضاء بكم أليماً ولا مَنْجاةَ إن نزل القضاء
فثَمّ ميتةً بيضـــاءَ منها بأعيننا قد اسودّ الفضاء
لقد عَظمت مَناحَتكُم فقامت تنوح بهـا الحرائر والأماء
وَشققَت الجيوب لكم رجال ولطّمت الخدودَ لكم نساء
غبطنا ميتـــةً قد أعقبتكم حياةً ليس يدركها الفناء
لكم بسقوطكم شرف ففيه لموطِنكم نهوض واعتلاء
ولا تأسَوْا على الوطن المفدى ففى شبانه لكم الكفاء
فهم خَلفٌ لكم فيما أردتم ولولا ذلكم عزّ العزاء

---

(١) الضروح : الشديدة الدفع للسهم .

(٢) الريح الجربياء : ريح الشمال أو بردها .

إلى أمين نخلة

حُقّ للدمع أن يكون نَشيدَا في رثائى أبا أمينٍ رَشيدَا
ألمعىٌّ تَبوّع المجدَ حتى حاز منه قريبَه والبعيدا [1]
وتعالى إلى أعاليه حتى نال منه قديمه والجديدا
أنجبته أصولُ « نخلة » حتى أطلعته للمجد طَلْعًا نضِيدا [2]
فنما فى بواسق المجد فردا مستظلاً منهن ظلا مَدِيدا [3]

* * *

كان شهما إن جئتَه فى المُلِمَّا تِ وَقيذا أَوَيْتَ رُكنا شديدا [4]
وشجاعا إن جئته يوم هَيْج تلق فى الهيج بُهمَةً صِنْديدا [5]
وكريما زكت سجاياه حتى كان بِدْعا فى المكرُمات فريدا [6]
وفصيحا إن أنشد القوم شعرا كان فى الشعر مُفْلِقا ومُجيدا [7]
كان أطْرُوفةَ الزمان ظريفًا فكِها مازحا رقيقا سديدا
رِقةٌ فاقت النسيم إلى شـدة بأسٍ تُفتّتُ الجُلْمُودا
إنْ شَدَا بالقريض لم تُبْصِر الأد مع إلا مستحسنا مستفيدا
ساد فى الناس يافعًا ثم كهلا ثم شيخا فى التجربات عميدا [8]
جُبلت نفسه على الخير حتى لم نجده إلا لخير مريدا
بلغ المنتهى من المجد حتى ليس فى المستطاع أن يستزيدا

---

(١) تبوع المجد : مد باعه إليه .
(٢) الطلع : الثمر . والنضيد : المنضد المنظم .
(٣) البواسق : جمع باسقة ، وهى العالية .
(٤) الوقيذ : الشديد المرض ، المشرف على الموت .
(٥) الهيج : الحرب . والبهمة : الشجاع الذى لا يعرف قرنه من أين يتغلب عليه . والصنديد : السيد الشجاع .
(٦) البدع : الفريد الذى لا مثيل له .
(٧) الشاعر المفلق : المبدع .
(٨) عميد القوم : سيدهم وسندهم .

ياســــليلَ الفقيد أعْظِمْ بمجد قد رُزِئْناه فى أبيك مَجيدا
أنا شاطرتك الأسى بدموع كنّ للحزن فى الفؤاد وَقودا
وتأملتُ منك حرا كريما خَلَفا للفقيـد ضاهى الفقيـدا [1]
عازما فى الفعال أن يتسامى قادرا باجتهاده أن يسودا
فلهـــذا أقول قول مُعزٍّ لك يرجو عمرا طويلا سعيدا
يا أمين الرشـيد أودعك الوا لدُ مجدا فى الماجدين تليدا
كيف لا نرتجى وأنت أمين أن تعيد المجـدَ القديم جديدا
إن يكنْ مُبدئين آباؤك الغُــرُّ فكن أنت يا أمين مُعيدا

فى يوم أبى غازى

الخريدة العصماء التى ألقاها شاعر العرب الكبير الأستاذ معروف الرصافى فى حفلة تأبين فقيد العرب العظيم المغفور له الملك فيصل الأول ، طيب الله ثراه :

أبو غازى قَضَى فأقيم غازى فأنْطقنا التهانىَ والتعازى
وأطلقنا المدائحَ والمراثى بإنشاء هُن وبارْتجازِ [2]
وجِئْنا حاشدين بصدرِ يومٍ حكى يومَىْ عُكاظَ وذِى المجاز
غَداةَ قلوبُنا امتلأت سرورا وحزنًا يجريان على التوازى
فهُن بعامِلَىْ فرح وحزن خوافقُ فى جوانحنا نَوَازى [3]
فكُنّ من ابتهاج فى هدوء وكن من اهتياج فى اهتزاز

* * *

قضى بدرُ المكارم والمعالى وحَيْدَرةُ المعارك والمغازى
فيا للهِ يومَ نَعاهُ ناع لِمَرْزِئةٍ محتْ كلَّ المرازى

---

(١) ضاهى : شاكل وماثل .
(٢) الارتجاز : قول الرجز .
(٣) التوازى : المتوثبة الخافقة .

رُزِئنا ابنَ الحسين فنحنُ منه ... برزء للحسين أُولو اجتياز

فمـــا مَيْز المحرم من جمادى ... بفرق فى البكاء ولا امتياز

له كفٌ تَفيض ندًى ونبلا ... لها بهما غنى عن حذو حاذى [(١)]

بنى مجدا عِراقيًّا جــديدا ... فأسَّسه على المجـد الحجازى

وسار من السياسة فى طريق ... بحسن الرأى مُعْلَمة الطِّراز

فمـــا ترك الجهود بلا نجاح ... ولا فُرَصا تمــر بلا انتهاز

إذا اعتزم الأمورَ مضى وأَمْضى ... وإن سَلّ المُهَنّد قال ماز [(٢)]

* * *

أبا غازى فقدنا منك قَرْما ... يُناجِز دوننا يوم النّجاز [(٣)]

حللتَ من العراق وأنت رِكْزٌ ... بحيث الأرض جيـدة الرِّكاز [(٤)]

فحل اليُمْنُ منذ حللت فيــه ... وقَبْلا كان عنــه ذا انحياز

لقد وُفِّقت بالقــلم المسلّى ... كما وفقت بالسيف الجُـراز [(٥)]

ومَهَّدْت الأمور لنا ففُزْنا ... من الآمال بالغُرر العِزاز

ودَرّت ذات أيدينا وكانت ... كحَلْب النوقِ أيام الغِرَاز [(٦)]

ولولا سعيُك المشكور كنا ... كذى سَفَر يسير بلا جَواز

إذا المُكّاء أُوتىَ منك حظا ... يَطير إلى العلى بجناح باز [(٧)]

* * *

(١) الحذو : المحاكاة .

(٢) المهند : السيف من صنع الهند . وماز الشيء : فرزه عن غيره .

(٣) القرم : السيد . ويناجز يقاتل .

(٤) الركز : الرجل الحكيم الكريم . والركاز : ما ركزه الله أى أحدثه ودفنه فى المعادن من ذهب وفضة وغيرهما .

(٥) السيف الجراز : القاطع .

(٦) درت ذات يده : اتسعت حاله واغتنى . وأيام الغراز : التى لا لبن فيها .

(٧) المكاء : طائر من القنابر ، له تصعيد وهبوط فى الجو ، أبيض اللون ، وله صفير حسن . والبازى : من الطيور الجارحة .

لأهل الرافدين عليك حزن ... له بقلوبهم فضــــل ارتكاز

فأنت هَـــدَيْتَهم سُبُل المعالى ... كما جَنّبتهم طـــرق المخازى

لَئِنْ لبسوا الحـداد عليك حزنا ... فقد ألبستهم ثوب اعـــتزاز

وما هم بالبكاء جزوك شيئا ... ولـكن الإله هو المجـازى

٭ ٭ ٭

لقد قوّيتنا من بعد عَجْز ... به كنا نحيــــد عن البِراز [1]

وكنا كالبُغاث فقمتَ فينا ... بمـا صرنا به مثـل البَوازى [2]

فنحن اليوم إذ دَهِمت خطوب ... نظرنا للخطوب بطرف هازى

نقوم إلى الهياج بلا توان ... ونبتدر الأمور بلا احتراز

فلسنا من صروف الدهر نخشى ... عَوَادِىَ ذاتَ سَلْب وابتزاز

ونحن من الالى فى كل عصر ... عزائم للمـكارم كلٌّ عاز

نراعى الحق فى سِلم وحرب ... ونترك فى مغارمنا التّجازى

ولو شكت الحقيقةُ لانتزعنا ... شكايتهـــا بتضحية المجاز

وقد علمت بنو آثور أنا ... أولو بأس يعرقب كل ناز

فنحن بسيفك المـاضى جَزَزنا ... نواصى جمعهم أى اجتزاز

٭ ٭ ٭

أَفَيْصلُ نَمْ بقبرِك مستريحا ... فإن الملك بعدك ملكُ غازى

---

(١) البراز : المبارزة والقتال .

(٢) البغاث : طائر أغبر أصغر من الرخم ، بطىء الطيران ، يضرب به المثل فى الضعف .

ذكرى الكاظمى

أنشدت فى حفلة أقيمت فى بغداد سنة ١٩٣٥ لتأبين شاعر العراق الشيخ عبد المحسن الكاظمى وكان توفى بمصر

ليس فى غاية الحياة البقاء   فإذا خاب فى الخلود الرجاء

غير أن الحياة بالعز عند الـ   ـرجل الحـر غاية غراء

أى فخرٍ للناعمين بعيش   لم تُجلـله عِزَّة قعساء

حسبُ من رام فى الحياة خلودا   أنه بعد موته علواء[1]

وكفى المرء بعد موت حياةً   أن ذكراه حلوةٌ حسناء

قد قضى الكاظمى وهو جديرٌ   أن تُعزَّى فى موته الشعراء

عاش منسىّ عارفيه ولما   مات فاضت بنَعْيه الأنباء

ذكرته نُعاتُه بنعوت   قبـله حاز مثلها العظماء

فلئن كان ما يقولون حقا   أفَهُمْ بالذى نَسُوا لؤماء

كيف ينسَوْن فى الحياة أديبا   عبقريا عنتْ له الأدباء

أفيُنْسَى حيا ويذكر ميتا   إن هذا ما تنكر العقلاء

إن هذا أمر يتيـه ضلالا   فى بوادى تفسيره الحكماء

ضحكوا منه فى الحياة ومذ ما   تَ تعالى نحيبهم والبكاء

أيها النادبون :

أيها النادبون غَيْرِىَ غُرُّوا   بَرِحَ اليومَ للبيب الخفاء[2]

يُكرم الميت بالثناء وتحْيا   عندكم فى المهانة الأحياء

كل من يخبر الأناس خبيرى   لا يبالى أأحسنو أمام أساءوا

أنا جرَّبتهمْ إلى أن تساوى الْ   يومَ عندى سِبَابُهم والثناء

(١) (علواء) : كذا رأيتها فى القصيدة بخط الشاعر نفسه ، ولم أتبين المراد منها .

(٢) برح الخفاء : زال اللبس والغموض .

غَرِيَ الناسُ بالهوى فضلال كل ما يفعلونه أو رياء[1]

قد تمادى فى القائلين غلو وتوالى فى الفاعلين رياء

أيها الكاظمى نم مستريحا حيث لا مبغض ولا إيذاء

عشت فى مصر باحترام يؤديـــه إليك الأماثل الفضلاء

إن للنيل من جزائك شكرا ستؤديه دجلة السنناء

لم تعش عيشة الرفاه ولكن لك فى العيش عزة وعلاء

أى حر فى الشرق عاش سعيدا لم تشب صفو عيشه الأقذاء

وهنيئا إذ لم تعش فى العراقيــن مضاعا تنتابك الأرزاء

من شقاء العراق أن ذوى النعمـــة فيه أجانب غرباء

إن جفتنا بلادنا فهى حِبٌّ ومن الحِبِّ يُسْتَلَذ الجفاء[2]

لم نَحُل عن عهودها مذ جفتنا بل لها الود عندنا والوفاء

قد بكينا شجوا عليها ومنها وَعَنَانا سَقامها والشفاء[3]

كم أردنا سخطا عليها ولكن غلب السخطَ فى القلوب الرضاء

إنما هذه المواطن أمٌّ مُسْتَحَق لها علينا الولاء

إن خَدَمنا فلا نريد جزاء ومن الأم هل يُراد جزاء

---

(١) غرى الناس بالشىء : أولعوا به .

(٢) الجفاء : الإعراض والغلظة .

(٣) شجوا : حزنا . وعنانا : أهمنا وشغلنا .

رثاء شوقى شاعر مصر الأكبر

(ألقيت فى الحفلة التأبينية الكبرى فى نابلس سنة ١٩٣٢)

الشعر بعـــد مصابه بكبيره   فى مصر جل مصابه بأمــيره
بيناه يبكى حافظا بشهيقه   إذا به يبكى أحمـــدا بزفيره
لم يقض بعض حداده لنصيره   حتى أحـــد أسى لفقد مجيره
ما أن خبت فى الأفق شعلة نوره   حتى انطوت فى الجو لمعة نوره
بالأمس ظل مُرزأ بمعينـــه   واليوم بات مفجعا بمنــيره
أخذت فرزدقه المنون وضاعفت   جُلّى مصيبته بأخــذ جريره
رزآن ملتهبان قــد نضحتهما   على العلى من دمعها بغزيره
فالشعر بعــدهما استطال بكاؤه   وتموجت بالحزن كل بحوره
وهزاره ترك الصــــداح وليته   أمنت أعاديه سماع زئيره

* * *

يانــيرا فجع القريض بموته   فبكته عين وزينه وكسيره
وخلت سماء الشعر بعد أفوله   من مشرقات شموسه وبدوره
ومؤمرا لم تنتقــض بوفاته   فى الشعر بيعته على تأميره
إذ لن يقوم نظيره من بعـــده   هيهات أن تأتى الدنى بنظيره
لك فى الخــلود مكانة ما نالها   فرعون فى ديماسه وحفــيره
إن الدفين مضمخا بحنوطــه   دون الدفين محنطا بشــعوره
إن المتوج فوق عرش ذكائه   يعلو المتوج فوق عرش سريره
ما مات من تركت لنا أقلامه   صورا خوالد من بنات ضميره
صورا تمثـــل ذاته وصفاته   حتى يقمن لنا مقام نشوره
فكأنه وهو الدفين بقـــبره   حى يعيش بحزنه وسروره

وكأنه فى القوم ساعة حفلهم متكلم بنظيمــــــــه ونثيره

* * *

لأبى علىّ من قريحة شعره وحى أتى من جبرئيل شعوره

كم قد رمى الغيب الخفى فؤاده بذكائه فأصاب كشف ستوره

وتصور المعنى الدقيق فرده كالصبح مفتلقا أوان ظهوره

يأتيك بالمعنى الجميل قد اكتسى من وشى سندس لفظه وحريره

فالشعر قد دكت جبال فنونه إذ موت شوقى كان نفخة صوره

يا راحلا ترك القوافى بعــده محتاجة المحيا إلى تفكيره

لهفى على ذيالك القــلم الذى يتطرب الأرواح لحن صريره

الشعر كنت أميره وسميره فمن المســامر بعد فقد سميره ؟

حررته من رق كل تصنع فبدت فنون الحق فى تحريره

سخرت من أوتاره ما لم يكن ليطيع غــيرك قط فى تسخيره

ولــكم شدوت بنغمة من بمه ولــكم صدحت بنغمة من زيره

تمايل الأبدان فى إنشــاده طربا وليس يمل من تكريره

* * *

يا أهل مصر عزاءكم فمصابكم أمر قضاه الله فى تقديره

الشعر قد ثلت بمصر عروشه بوفاة سيده وموت أمـــــيره

علمان من أعلامه كانا به يتنازعان السبق فى تحبــيره

لكليهما الهرمان قد خشعا أسى والنيل مـــــد أنينه بخريره


نسائيات

المرأة فى الشرق

ألا ما لأهل الشرق فى بُرَحَاءِ يعيشون فى ذُلٍّ به وشَقاء[1]

لقد حكَّموا العاداتِ حتى غدت لهم بمنزلةِ الأَقيادِ للأُسراء[2]

إذا تختبرهم فى الحياة تجد لهم حياة تخطّت خُطة السُّعداء

وما ذاك إلّا أنهم فى أمورهم أَبَوْا أن يسيروا سِيرةَ العقلاء

لقد غمطوا حق النساء فشدّدوا عليهن فى حبس وطول ثَواء

وما ألزموهن الحجاب وأنكروا عليهن إلا خَرْجَـــةً بغطاء

أضاقوا عليهن الفضاء كأنهم يغارون من نُورٍ به وهواء

قد انتبذوا عنهن فى العيش جانبا فما هن فى أمر من الخُلَطاء

وقد زعموا أنْ لَسْنَ يصلحن فى الدُّنا لغـــير قرارٍ فى البيوت وَبَاء[3]

فما هنَّ إلا متعة من متاعهم وإن صِنَّ عن بيع لهم وشراء

أهانوا بهن الأمهات فأصبحوا بما فعلوا من ألأمِ اللؤماء

ولو أنهم أبقوا لهنّ كرامةً لكانوا بما أبقوا من الكرماء

ألم ترهم أمسوا عبيدا لأنهم على الذل شبُّوا فى حجور إماء

وهان عليهم حين هانت نساؤهم تحمُّلُ جَوْرِ الساسة الغرباء

فياقوم إن شئتم بقاء فنازعوا سواكم من الأقوام حَبْلَ بقاء

أَيَسْعد مَحْيَاكم بغـــير نسائكم وهل سعدتْ أرضٌ بغير سماء

وما العار أن تبدو الفتاة بمسرحٍ تمثّـــل حالَيْ عِزّة وإباء

ولكن عارا أن تزيَّا رجالكم على مسرح التمثيل زِيَّ نساء

أقول لأهل الشرق قول مؤنِّب وإن كان قولى مُسخِطَ السفهاء

---

(١) البرحاء : الشدة والأذى ، أو الشر .

(٢) الأقياد : القيود .

(٣) الدنا : جمع دنيا .

ألا إن داء الشرق فى كُبَرائه ... فبُعْداً لهم فى الشرق من كُبَراء
وأقبحُ جهل فى بنى الشرق أنهم ... يُسَمُّون أهلَ الجهل بالعلماء
وأكبر مظلوم هو العلم عندهمْ ... فقد يَدَّعيه أجهلُ الجهلاء
لو اقتص أهل العلم للعلم منهم ... لَصَبَّ عليهم منه سَوطَ بلاء
ولاستأْصلَ الموتُ الوَحِيُّ نفوسَهم ... ونادى عليهم مُؤْذِنًا بفَناء (١)
ولكنَّ حلم الله أبقى عليهم ... فعاشوا ولو فى ذِلة وشقاء
لقد مزَّقوا أحكام كل ديانة ... وخاطوا لهم منها ثيابَ رِياء
وما جعلوا الأديان إلا ذريعةً ... إلى كل شَغْب بينهم وعِداء
فما علماء الجهل إلا مَسَاقم ... رمت جهلاء العلم بالقُوَباء (٢)
أَلَا ياشبابَ القوم إنى إلى العلى ... لَداعٍ فهل مَن يَسْتجيب دعائى
أَمَا آنَ للأوطان أن تنهضوا بها ... لإدْراكِ مجد وابتغاءِ عَلاء
فقد بُحَّ صوتى واستشاطت جوانحى ... وقل اصطبارى واستطال بكائى
على أنْ لى فيكم رجاء وإن يكن ... من اليأس مسدودا طريقُ رجائى
وما أنا فى وادى الخيال بهائم ... وإن كنت معدودا من الشعراء



(١) الموت الوحى : السريع .
(٢) القوباء : داء معروف .

نســـاؤنا

إلى صاحبة مجـلة الخدر

أَلَا خلّيانى فى الكلام من السجع ... ولا تَجريا فى القول إلا على الطَّبع
وإن أنا أرسلتُ الحديث فأصغيا ... وإلا فما يُجدى لسمعكما قرْعى
فإنى ما أطلعتُ شمسَ حقيقةٍ ... لمستمع إلا لتغرب فى السمع
ولست أبالى بعد إفهام سامعى ... أكان بخفضٍ لفظُ ماقلت أم رَفْع [1]
وإنى إذا قبّلت رأسًا ولم أجد ... به فضل عقل كان أجدر بالصَّفع
إذا كان علمُ الأصل عندى حاصلًا ... ففيمَ اهتمامى بعد ذلك بالفرع
فإن بان لى سير الكواكب لم أبَلْ ... أكان بجذْب ذلك السَّير أم دَفْع
شكوت إلى رب السموات أرضَه ... وما الأرض إلا من سماواته السَّبع
فقد جار فى الأرض البسيطة خَلْقُهُ ... على خلقه جوْرا إلى الحزن يستدعى
وإنَّ السموات العُلى لكثيرةٌ ... وإن لم نَعُدَّ اليوم منها سوى تسع
وإنى لَأَشْكو عادةً فى بلادنا ... رمى الدهر منها هَضْبة المجد بالصَّدْع
وذلك أنّا لا تزال نساؤنا ... تعيش بجهلٍ وانفصال عن الجمْع
وأكبرُ ما أشكو من القوم أنهم ... يَعُدّون تشديد الحجاب من الشَّرْع
أفى الشرع إعدامُ الحمامة ريشَها ... وإسكانها فوق الغصون عن السَّجْع
وقد أطلق الخلّاق منها جناحَها ... وعلّمها كيفَ الوُقوعُ على الزرع
فتلك التى ما زلت أبكى لأجلها ... بكاء إذا ما اشتدَّ أدّى إلى الصَّرْع
بكيتُ بلا دمع ومن كان حزنه ... شديدا بكى من غير صوت ولا دمع
فيا ربَّةَ الخدر اسمعى ما أقوله ... لعلَّ مقالى فيه شيءٌ من النفع

(١) الخفض والرفع : من مصطلحات النحو . ومراد الشاعر أنه لا يتأنق ولا يعرب فى عبارته . وليس مراده أنه يجوز رفع المنصوب أو خفضه ، ونصب المرفوع أو خفضه ، لأن ذلك لا يجوز فى الإنشاء الرفيع ، بل فى كلام العوام .

أيابنة « فندى » إنّ للمجد غايةً ... وإنّي في إدراكها باذلٌ وُسْعى
وإنى أرى في القوم بعضَ مخايل ... وأحذر من أن يَنْقَشِعْن بلا هَمْع[1]
فقد لا يُرَوِّينا السحاب بمائه ... وإن كان فيه البرق متصلَ اللمْع
يقولون لى إنّ النساء نوَاقصٌ ... ويُدْلون فيما هم يقولون بالسمع
فأنكرت ماقالوه والعقلُ شاهدى ... وما أنا في إنكار ذلك بالبِدْع
إذا النخلة العَيْطاء أصبح طَلْعُها ... ضعيفا فليس اللوم عندى على الطَّلْع[2]
ولكن على الجِذْع الذى هو نابت ... بمنبت سوء فالنقيصة فى الجذع
ووالله ما إن ضقتُ ذَرْعا بقولهم ... ولكنَّما قد ضاق من فعلهم ذرعى
أُمزق دعواهم إذا ماطعنتُها ... ولو أنها كانت من الدين فى دِرْع
ألا فاصدعى ياربّةَ الخدر الذى ... تَرَيْنَ من الآراء فى الردّ والرَّدْع
فأنت مثالٌ للكمال الذى حوى ... من العلم أسبابا تجلّ عن القطع
أدامك ربُّ الناس للناس حجَّةً ... على من نمى نقص النساء إلى الطبع

حرية الزواج عندنا

ظلموكِ أيتها الفتاةُ بجهلهم ... إذْ أكْرَهوك على الزواج بأشْيَبا
طمعوا بوَفْر المال منه فأخْجلوا ... بفضول هاتيك المطامع أشْعبا[3]
أفكوكبٌ نحسٌ يقارن فى الورى ... من سعد أَخْبية الغوانى كوكبا
فإذا رفضتِ فما عليك برفْضه ... عار وإن هاج الولىّ وأغضبا

---

(١) المخايل : جمع مخيلة ، وهى السحابة المبشرة بالخير ، ضربها مثلا للصفات التى تنبيء عن حسن الاستعداد فى الإنسان . والهمع : الإمطار .

(٢) العيطاء : المرتفعة . والطلع : الثمر .

(٣) وفر المال : المال الكثير . وأشعب : عربى يضرب به المثل فى الطمع ، كان فى عهد بنى أمية .

إنّ الكريمة فى الزواج لحرّةٌ ... والحر يأبى أن يعيش مُذَبْذبا

قلبُ الفتاة أجلُّ من أن يُشترى ... بالمال لكن بالمحبّة يُجتَبَى[1]

أَتُباع أفئدة النساء كأنها ... بعض المتاع وهنَّ فى عهد الصبا

هذا لعَمْرُ الله يأبى مثله ... من عاش ذا شرف وكان مهذّبا

بيت الزواج إذا بنوه مجدّدا ... بالمال لا بالحب عاد مخرّبا

يامن يُساوم فى المهور مغاليا ... ويميل فى أمر الزواج إلى الحِبَا[2]

أقصِرْ فكم من حرّة مُذ أُنْزلَتْ ... فى منزل الرجل الغنىّ بها نبَا

إن الزواج محبة فإذا جرى ... بِسوَى المحبة كان شيئا متعبا

لا مهرَ للحسناء إلا حبّها ... فبحبّها كان القِران محببا

خير النساء أقلّها لخطيبها ... مهرا وأكثرها إليه تحبُّبا

وإذا الزواج جرى بغير تعارف ... وتحبُّب فالخير أن نترهّبا

هو عندنا رمىُ الشِّباك بلُجّة ... أتصيب أخْبثَ أم تصادف أطْيبا

أو مثل مُحْتَطِبٍ بليْل دامسٍ ... أيَدُوسُ أَفْعى أم يلامس عقربا[3]

ولِقومنا فى الشرق حالٌ كلما ... زدتُ افتكارًا فيه زدت تعجُّبا

تركوا النساء بحالة يرثى لها ... وقضَوا عليها بالحجاب تعصُّبا

قل للألى ضربوا الحجاب على النِّسا ... أفتعلمون بما جرى تحت العَبا[4]

شَرَفُ المليحة أن تكون أديبة ... وحجابها فى الناس أن تتهذّبا

والوجه إن كان الحياء نِقابَه ... أغنى فتاة الحىّ أن تتنقبا

واللؤمُ أجمع أن تكون نساؤنا ... مثلَ النِّعاج وأن نكون الأذْؤُبا

هل يعلم الشرق أن حياته ... تعلو إذا ربّى البناتِ وهذّبا

وقضى لها بالحق دون تحكّم ... فيها وعلّمها العلوم وأدّبا

(١) يجتبى : يختار ويصطفى .

(٢) الحبا : المهر . وأصله : الحباء ، ممدود .

(٣) المحتطب : جامع الحطب . والدامس : الشديد الظلمة .

(٤) العبا : أى العباءة .

فالشرق ليس بناهض إلاّ إذا　　أدنى النساءَ من الرجال وقرّبا
فإذا ادّعيتَ تقدماً لرجاله　　جاء التأخّر فى النساء مكذّبا
من أين ينهض قائماً مَن نصفُه　　يشكو السّقام بفالِجٍ مُتَوَصِّبا[1]
كيف البقاء له بغير تناسُب　　والدهر خصَّص بالبقاءِ الأنْسبا
والشعر ليس بنافع إنشاده　　حتى يكون عن الحقيقة مُعربا
تلك الحقِيقَة للرجال أَزُفُّها　　ولها أقيم من القوافى موكبا

المرأة المسلمة

لم أرَ بين الناس ذا مَظْلَمَـهْ　　أحقّ بالرحمة من مُسْلِمَـهْ[2]
منقوصـــــــةٍ حتى بميراثها　　محجوبةٍ حتى عن المكرمه
قد جعلوا الجهل صِواناً لها　　من كل ما يدعو إلى المأْثمـه[3]
والعلم أعلى رتبــةً عندهم　　من أن تَلَقّاه وأن تَعَـلَّمه[4]
ما تصنع المرأةُ محبوسةً　　فى بيتها إن أصبحت مُعْدِمه
ضاقت بها العيشة إذ دونها　　سُدّت جميع الطُّرُق المُعلَمَه

* * *

كم فى بيوت القَوم من حُرة　　تبكى من البؤس بعينى أَمَه
قد لوّحت نارُ الطَّوَى وجهَها　　وأَعْمَل الفقْرُ به مِيسَمه[5]
عاب عليها قومُها ضِلّه　　أن تكسب القوت وأن تَطْعَمَه[6]

---

(١) السقام: المرض. والفالج: الشلل يصيب نصف الانسان طولا. والمتوصب: المريض.
(٢) المظلمة بكسر اللام: ما يطلبه المظلوم عند الظالم.
(٣) الصوان، بتثليث الصاد: ما يصان به الشيء ويحفظ.
(٤) من أن تلقاه، بتشديد القاف: أصله تتلقاه، حذفت منه إحدى التاءين.
(٥) الطوى: الجوع. ولوحت نار الطوى وجهها: أى غيرته وسفعته. والميسم: المكواة، وهى حديدة يكوى بها.
(٦) ضلة، بالكسر: وهى مفعول مطلق، أى عيب ضلة، والواو فى قوله «وأن تطعمه» بمعنى «،» وليست بعاطفة، لأنهم لا يعيبون عليها أن تطعم القوت.

من أيِّ وجهٍ تبتغي رزقها ... وطُرْقها بالجهل مُسْتَبهِمَه
وكيف والقَومُ رَأَوْا سعيها ... في طلب الرزق من المَلأَمَه

* * *

وكم فتاةٍ فقَـدت بَعْلَها ... من بعد ما قد وَلَدت تَوْءَمَه (١)
فانقطعت في العيش أسْبابُها ... وأصبحتْ للبؤسِ مُسْتَسلِمه
تَبيتُ لم تحمَد لِفَرْطِ الجوَى ... لا قمرَ الليـل ولا أَنْجُمَه
من حيث لا تملك من دهرها ... ما جَلَّ أو دقَّ ولو سِمْسِمه
جَفَّ على مُرضَعِها ثَدْيُها ... فاضطرَّها ذلك أن تَفطِمه (٢)
فعاش عيشَ الأم لم يُوفِه ... مَلبَسه الدهر ولا مَطعمه
فشبَّ منهوكَ القُوى مثلها ... يشكو من الدهر الذي أيْتَمَه (٣)

* * *

فهـذه حالةُ نِسْوانِنا ... وهي لَعَمْري حالة مؤلمه
ما هكذا يا قومُ ما هكذا ... يأمرنا الإسـلام في المُسْلِمه
فهل بكم من راحمٍ للنِّسا ... فهنّ أَوْلى الناس بالمَرْحَمه (٤)

---

(١) التوءمة : مؤنث التوءم ، وهو المولود مع غيره في بطن .

(٢) على مرضعها ، بصيغة المفعول : أي على طفلها المرضع . وقوله فاضطرها ذلك : أي فاضطرها جفاف ثديها .

(٣) منهوك القوى : أي خائر القوى ، هزيلا ضعيفا .

(٤) فهل بكم : أي فهل فيكم ؛ فالباء للظرفية بمعنى في .

التربية والأمهات(*)

هى الأخلاق تَنبت كالنباتِ ... إذا سُقِيَتْ بماءِ المَكْرُماتِ

تقوم إذا تعهَّدها المُربِّى ... على ساق الفضيلة مُثمِرات

وتسمو للمكارم باتِّساقٍ ... كما اتَّسقت أنابيبُ القَنَاة[1]

تُنْعِش من صميم المجد رُوحا ... بأزهار لها مُتَضوِّعات

ولم أرَ للخلائق من محلّ ... يُهذّبها كحِضن الأمهات

فحِضْنُ الأمّ مدرسة تسامتْ ... بتربية البنين أو البنات

وأخلاقُ الوَليدِ تقاس حُسْنا ... بأخلاقِ النساء الوالدات

وليس ربيبُ عاليةِ المزايا ... كمثل ربيبِ سافلة الصفات

وليس النبت ينبت فى جِنانٍ ... كمثل النبت ينبت فى الفَلاة

* * *

فيا صدرَ الفتاة رَحُبْت صدرا ... فأنت مَقَرُّ أسنى العاطفات

نراك إذا ضممتَ الطفل لَوْحا ... يفوق جميع ألواح الحياة

إذا استند الوليدُ عليك لاحتْ ... تصاويرُ الحنانِ مصوَّرات

لأخلاق الصبىّ بك انعكاس ... كما انعكس الخيالُ على المِرَاة

وما ضَرَبانُ قلبك غير درس ... لتلقين الخصال الفاضلات

فأوّل درس تهذيب السَّجايا ... يكون عليك يا صدر الفتاة

فكيف نظنّ بالأبناء خيرا ... إذا نشئوا بحضن الجاهلات

وهل يُرجَى لأطفالٍ كمالٌ ... إذا ارتضعوا ثُدِىَّ الناقصات

فما للأمهات جهلن حتى ... أتَيْن بكل طيّاش الحصاة[2]

(*) من الديوان الأول .

(١) القناة : الرمح وكل عصا مستوية .

(٢) الطياش : الذى لا يقصد وجها واحدا لخفة عقله . والحصاة : العقل والرأى ، يقال فلا ذو حصاة ، أى هو وقور . وماله حصاة ولا أصاة : أى رزانة . قال كعب بن سعد الغنوى :

وإن لسان المرء ما لم تكن له ... حصاة على عوراته لدليل

حَنَوْنَ على الرضيع بغير علم ... فضاع حُنُوُّ تلك المرضعات

* * *

أَأُمَّ المُؤمنين إليكِ نشكو ... مصيبَتَنا بجهل المؤمنات

فتلك مصيبةٌ يا أُمُّ منها ... « نكاد نغصّ بالماءِ الفرات »

تَخِذْنا بعدكِ العادات دينا ... فأَشْقى المسلمون المسلمات

فقد سلكوا بهنَّ سبيلَ خُسْرٍ ... وصَدّوهنَّ عن سبل الحياة

بحيث لَزِمْن قعرَ البيت حتى ... نَزَلْنَ به بمنزلة الأَدَاة[1]

وعَدّوهنَّ أضعف من ذباب ... بلا جنح وأهون من شَذاة[2]

وقالوا شِرْعَةُ الإسلام تقضى ... بتفضيلِ « الذين » على « اللواتى »

وقالوا إن معنى العلم شىءٌ ... تضيق به صدور الغانيات

وقالوا الجاهلات أَعَفُّ نَفْساً ... عن الفَحْشا من المتعلمات

لقد كذبوا على الإسلام كِذباً ... تزول الشُمُّ منه مُزَلْزَلات

أليس العلم فى الإسلام فَرْضاً ... على أبنائِهِ وعلى البنات

وكانت أُمنا فى العلم بحراً ... تحل لسائليها المشكلات

وعلّمها النبىّ أَجلّ علمٍ ... فكانت من أجلّ العالمات

لذا قال ارْجِعُوا أبداً إليها ... بثُلْثَىْ دينكم ذى البيّنات

وكان العلم تلقيناً فأَمْسَى ... يُحصَّل بانتياب المَدْرَسات[3]

وبالتّحرير من كتبٍ ضخام ... وبالقلم المُمَدّ من الدواة

أَلم نَرَ فى الحسان الغِيدِ قبلًا ... أوانسَ كاتبات شاعرات

---

(١) الأداة : الآلة ، يريد بها ما يستعمل فى البيوت كالآنية . والشاعر يقرع بذلك بعض من لا أخلاق لهم ، ممن أضاعوا حقوق المرأة ، وسلبوها ما منحها الله من المقام السامى ، غير ناظرين إلى ما ورد فيها من الآيات والأحاديث الفاضية بتكريمها ، وجعلها مساوية للرجل ، وجعله قواما عليها بواسطتها .

(٢) الشذاة : كسر العود .

(٣) هذا البيت وما بعده جواب لاعتراض مقدر ، تقديره أن النبى لم يعلم عائشة العلم بطريق تعليمها القراءة والكتابة ، بل بطريق التلقين .

وقد كانت نساء القوم قِدْماً ... يرُحْنَ إلى الحروب مع الغُزاة (1)

يكنّ لهم على الأعداء عَوْناً ... ويَضمِدن الجروح الداميات

وكم منهنّ من أُسِرَت وذاقت ... عذابَ الهُوْن فى أَسر العُداة

فماذا اليوم ضرّ لو التفتنا ... إلى أسلافنا بعض التفات

فهم ساروا بنَهْج هُدًى وسرنا ... بمنهاج التفرق والشَّتات

نرى جهل الفتاة لها عَفافاً ... كأنّ الجهل حصن للفتاة

ونحتقر الحلائل لا لجُرْم ... فنؤذيهنّ أنواع الأذاة (2)

ونُلزمهنّ قعر البيت قهراً ... ونحسبهنّ فيه من الهَنات (3)

لَئِنْ وَأَدُوا البناتِ فقد قَبَرْنا ... جميعَ نسائنا قبلَ الممات (4)

حجبناهنّ عن طَلَب المعالى ... فعشن بجهلهنّ مُهَتّكات

ولو عَدِمت طباعُ القوم لؤماً ... لما غدت النساء محجّبات (5)

وتهذيبُ الرجال أجلُّ شرط ... لجعل نسائهم متهذّبات

وما ضَرّ العفيفةَ كشفُ وجه ... بدا بين الأَعِفّاء الأُباة

فِدى لخلائقِ الأعراب نفسى ... وإن وُصِفوا لدينا بالجُفاة

فكم برزتْ بحيّهمُ الغوانى ... حواسرَ غير ما متريِّبات

وكم خِشْف بمَرْبَعِهم وظبى ... يمُرّ مع الجداية والمَهاة (6)

ولولا الجهل ثَمّ لقلتُ مَرْحَى ... لمن أَلِفُوا البَداوة فى الفلاة (7)

---

(1) أراد بهذا البيت وما بعده إقامة الدليل على عدم الحجاب فى صدر الاسلام .

(2) الحلائل : الزوجات .

(3) الهن : كناية عن كل اسم جنس ، ومعناه شيء ، ومؤنثه هنة ، وجمعها هنوات وهنات ، يريد بذلك أننا نحسب المرأة من جهلنا شيئاً من أشياء البيت .

(4) وأد البنت : دفنها حية .

(5) السبب فى تحجيب النساء : فساد طباع الناس ، فلو تجردوا عن لؤم الطبيعة لأبيح للمرأة كشف وجهها ، كما كانت فى زمن النبى وأصحابه .

(6) الخشف والظبى : الغزال ، والجداية والمهاة : الغزالة . وفى الكلام مجاز لا يخفى .

(7) ثم : هناك . مرحى : كلمة تقال عند إصابة الشيء ، كما أن برحى تقال عند الخطأ فيه .

المهجـــورة

أو مشهد الحسد فى الحزن

وبيضاء أغناها عن الحَلْى ثغرُها　　　بِسْمِطَيْن من دُرّ مُضيئيْن فى الثَّغْرِ (١)

إذا ابتسمت فى ظلمة اليأس أشرقا　　　فعُدنا من الآمال فى أنْجُم زُهر

نرى وجهها بدراً محاطاً من السَّنا　　　بصُبْحين من ثغر وضِىء ومن نَحْر

يذكِّرنى من مطلع الشمس شعرُها　　　ذوائبَ تُرْخَى من أشعتها الصُّفر



كشفت به ما كان من حجب العمى . . .

تراءت فأمَّا نفسُها فحزينةٌ　　　وأما مُحيَّاها فكالكوكب الدُّرّى

بدت فى حِدادٍ ترسل الطَّرْف وَانيا　　　يُغضّ على وَجْدٍ ويُفْتح عن سِحْر

رأيت بهــا بدرا تَرَدَّى دُجُنَّـة　　　غداةَ أميط السَّجْف من جانب الخِدْر (٢)

فكانت لها سودُ الجلابيبِ حلية　　　ولاعجبٌ أن الدُّجى من حِلَى البدر

تَبَسَّمُ حينا ثم تَجْهش للبُـكا　　　فمن لؤلؤ تُبدى ومن لؤلؤ تذْرِى (٣)

---

(١) السمط : العقد .　　(٢) الدجنة : الظلمة .　　(٣) أذرى الدمع : أسقطه .

كأن تَلاميحَ الأسى فى جبينها ... بقايا ظلامِ الليل فى غُرّة الفجر

وكم أبصرتْ عيناى لما تنهّدت ... تَموُّج بحر الحب من عاصف الهَجْر

فقد كان منها الصدرُ يعلو ويرتمى ... فيبعث بى شَجْوا يموج به صدرى

ومما شجا نفسى ذبول بخدها ... كما ذبلت فى بيتها باقةُ الزهر

ولما انقضى صبرى وقفت تجاهها ... أسائل عما ناب من نُوَب الدهر

فقالت وقد ألقت على الصدر كفّها ... تشد ضلوعا يَنْطَوِين على جمر

لك الخير من حُرّ يسائل حرةً ... شَكَت هجر بَعْلٍ لم يكُن بالفتى الحر

سقانى بكأس الحب حتى شربتُها ... ولم أَدْرِ أن الحب ضرب من الخمر

فلما رآنى قد سكِرت بحبه ... صحا قلبُه من حيث لم أصْحُ من سكرى

ألَا إن قلبى اليوم إذ مسَّه الجوَى ... وإذ مال بعلى فى هواى إلى الغدر

ليفزع ممن يدّعى الحبَّ قلبه ... كما فزعت قُمْرِيّة الروض من صقر

على أن قلبى لم يعد عنه صابرا ... ألَا لا أمَال الله قلبى إلى الصبر

إذا أشرقت شمسى تناسيت ذكره ... وإن جَنّ ليلى بثّ منه على ذِكْرِ

وإنى على ما نابنى من جفائه ... لأقنع منه بالخيال الذى يَسْرى

ولما شكت لى حُرْقَةً فى فؤادها ... ترقرق دمع العين فى خدها يجرى

أرى قطراتِ الدمع فى وَجَناتها ... فأَحْسِبها الياقوت رُصِّع بالدرّ

هنالك ألقت راحتيها بوجهها ... تكفكف أسرابا من الدمع بالعَشْر

وقالت وقد كان النشيجُ يَصُدُّها ... عن القول إلا عن كلام لها نَزْر

سأحمل ما قد حمّلتنى يد الهوى ... من الوجد حتى يحملونى إلى القبر

فقلت أما والله لو أنَّ لى يدا ... على كل حكم جاء من ظالم الدهر

لشدّدت فى زَجْر المحبين إن جفَوا ... وعاقبت منهم من يميل إلى الهجر

إلى الحجابيين

بمناسبة كتاب السفور والحجاب . للآنسة نظيرة زين الدين

قل للحجابيين كيف تروْنكُم ... من بَعْدِ سِفْرٍ للسُّفُورِ مُبِينِ
كشفتْ به ما كان من حُجُب العَمَى ... عنكم «نظيرةُ» بنت «زين الدين»
سِفْرٌ أقام على السفور أدلةً ... تركت ذُبَابَكُم بغير طَنين
يالاجئين إلى العناد خصومةً ... ما كان حصن عنادكم بحَصين
هل من نظير بينكم لنظيرة ... أو من فتيه مثلها وفطين[1]
هدمت نظيرة ما بَنَتْ عاداتكم ... من كل سجن للنساء مَهين
أَفتَمْكُثون على العناد وقد بدا ... من بعد ليل الشك صبح يقين
نحن السُّفُوريين أعلمُ بالذى ... شَرَعَ النبي محمد من دين
أَيكون ما شرع النبي محمد ... شيئاً يخالف شِرْعة التمدين
إن اعتزالكُم النساء ترفعا ... أمرٌ يناقض حِكْمَة التكوين
حتى رجال الصين تحترم النسا ... أَفَنَحْن تنقص عن رجال الصين
كلاَّ ولكنْ عادةٌ همجيَّة ... جعلتكم حربا لكل حَسين[2]

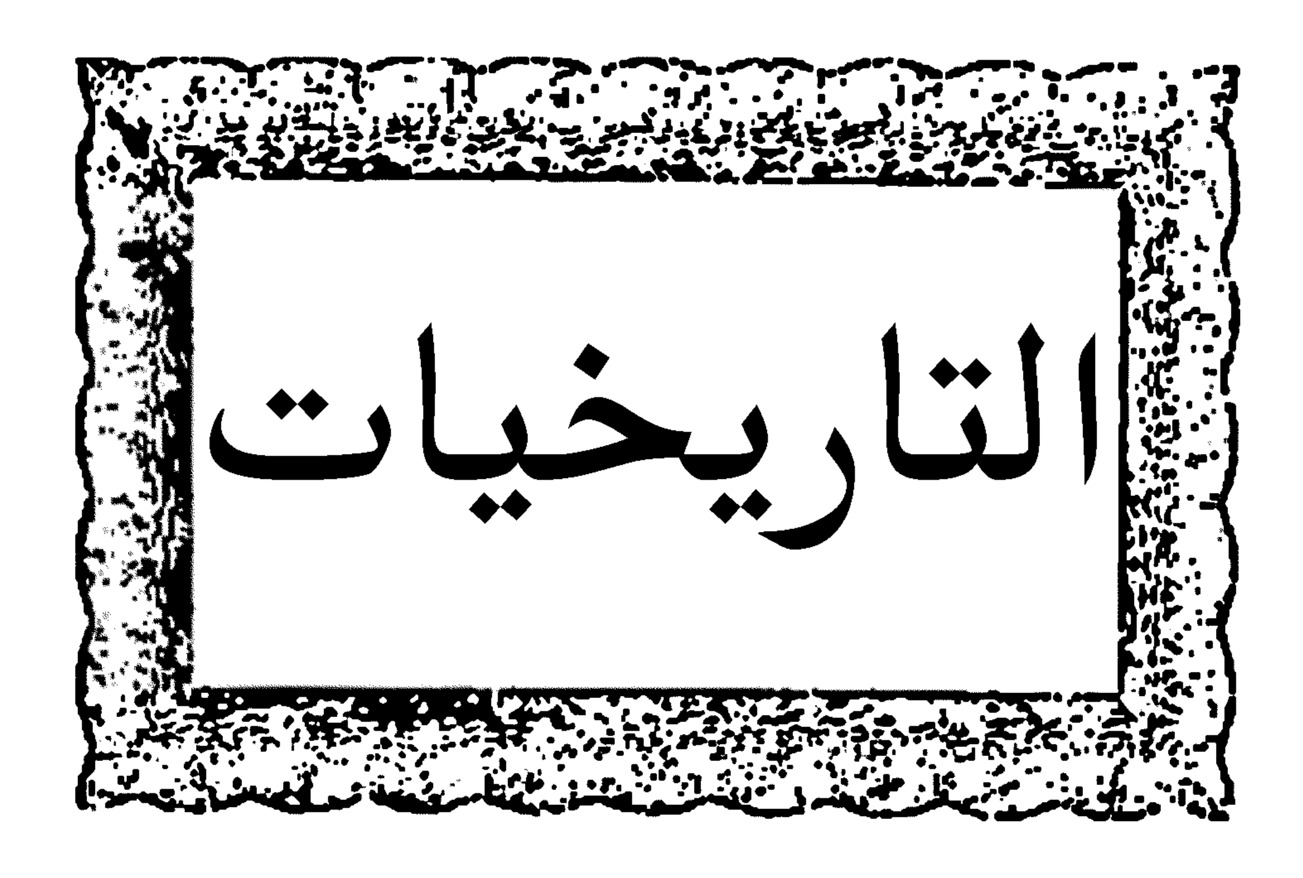
هوان المرأة عندنا

ما أَهْوَنَ على ذُكْراننا ... فلقد شجانى ذُلُّها وخُضُوعُها
ضَعُفَتْ فحُجَّتها البكاء لخصمها ... وسلاحها عند الدفاع دموعها
هى مُتْعة المستمعتين ولَيْتَها ... كانت لزاما لا يَجُوز مَبيعها
فوَلِيُّها عند الدفاع يبيعها ... وحَلِيلها عند الطلاق يُضيعها
وكلاهما متحكِّم فى أمْرها ... هذا يعريها وذاك يُجيعها

---

(١) الفطين : صاحب الفطنة .

(٢) الحسين : الْحَسن .


التاريخيات

ضلال التاريخ

أقول وطَرْفى فى المُحال مُحدِّقٌ أبا الدهر مَسٌّ أم بأهليه أوْلَقُ[١]

أما لِلُغَيْزاء الزمان مُفسِّرٌ فقد حار فيها الألمعىُّ المدقِّق[٢]

لقد خامرتْنى فى الزمان وأهله شُكوكٌ عليها يُعذَر المتزندِق[٣]

أرى الدهرَ فى أمرين يعمل دائباً صَناعَ اليدين فيهما يتأنّق[٤]

يُجدّد للموتى مناقبَ لم تكنْ لديهم وللأحياء يُبلِى ويُخلِق[٥]

فكم من قبور عظَّم الناسُ أهلَها بما لم يكن عند النُّهى يتحقَّق

ورُبَّ امرئ قد عاش يستقطرُ الثَّنا فلمّا قضَى سال الثنا يتدفَّقُ[٦]

سقى الدهرُ للأموات غَرْسَ مناقب بمَيْن فظلَّ الغَرْس ينمو فيبسُق[٧]

أرى كل ميت ما تقادمَ عهدُه تقامُ له سُوقُ الثناء فتنفُق[٨]

فأقربهُم عهداً أقلُّ غضاضةً وأقدمهم عهداً أغضُّ وأسمَق[٩]

كأنّ كراماتِ الفقيدِ بواسق يؤبّرها كَرُّ القُرون فتُعذِق[١٠]

إذا شَطّ جيلٌ خط من جاء بعده أكاذيبَ عنه بالثناء تُزوَّق[١١]

فما كتب التاريخ فى كل ماروَتْ لقرَّائها إلّا حديثٌ مُلفَّق[١٢]

---

(١) الأولق : الجنون .

(٢) لغيزاء : تصغير لغز . والألمع والألمعى : الذكى المتوقد .

(٣) خامرتنى : داخلتنى وذهبت بلبى . والمتزندق : من لا يؤمن بالآخرة ولا الربوبية .

(٤) رجل صنع اليدين وصناع اليدين وصنيع اليدين : حاذق ماهر فى العمل بهما .

(٥) مناقب : محامد . جمع منقبة .

(٦) يستقطر الثناء : يطلبه من الناس قطرة قطرة . وقضى : مات .

(٧) المين : الكذب . ويبسق : من البسوق : أى يعلو ويطول فى السماء ، كما تبسق النخلة .

(٨) تنفق : تروج . وقوله « ما تقادم » ما هنا : زائدة لا نافية ، لأن المعنى على التحقيق ، لا على النفى . يريد قد تقادم عهده .

(٩) الغضاضة : مصدر الغض ، وهو الطرى من النبات واللحم ونحوها

(١٠) يؤبرها : يلقحها ويصلحها . وتعذق : تثمر .

(١١) تزوق : تخلط وتموه .

(١٢) ملفق : مصنوع من عناصر غير متجانسة ، فهو كذب .

نظرنا لأمر الحاضرين فرابَنا فكيفَ بأمر الغابرين نُصدِّق [١]
وما صَدَّقتنا في الحقائق أعيُن فكيف إذن فيهن يَصْدُق مُهرَق [٢]
وهل قد خصِصنا دون من مات قبلنا
بخُبثِ السجايا ، شدَّ ما نتحمّق ! [٣]

☆ ☆ ☆

لعمرك أقصاني الزمانُ المفرِّقُ فهل أنا من بعد التشاؤم مُعْرِقُ [٤]
خليليَّ هل مَنْ بالرُّصافة عالم بأنِّي إلى من بالرُّصافة شَيِّق [٥]
بلادٌ إذا ما هبَّتِ الريحُ نحوَها تمنَّيْتُ لوْ أنى بها أتعلَّق
أبيتُ على شوق وقلبيَ مُوثَقُ بهمِّي ودمعى فوق خَدَّيَّ مُطلَق
إذا ما تذكَّرت العجوزَ بكيتُها بدمع به الأهداب تطفو وتَغْرَق [٦]
وما شَرَقى بالدمع ياأمُّ وَحْدَهُ ولكن بروحي عندذكراك أشْرَق
ويهفو بقلبي الشوق حتى كأنما تخطَّفه من بين جَنْبيَّ سَوْذَق [٧]
فيا أمَّ صبراً إنَّ لابنك همة إلى المجد ترمي أو إلى المجد تَسبق
تضايقَ عنها الدهر مُستعظِماً لها وأهلوه عنها يا أميمةُ أضيق [٨]
أكلِّف منها الدهرَ ما لا يُطيقه فليس بعارٍ أنني فيه مُخْفِق
لقد صَغُرَتْ بغداد عن أن تضمَّها وما وسِعَتْها بعد بغدادَ جِلِّق [٩]

---

(١) يقول : إذا قسنا أمر الماضين على ما نشاهده بأعيننا ، ضاعت الثقة بالتاريخ ، لأننا نرى بأعيننا أمورا لا يصدق التاريخ في ذكرها .

(٢) المهرق : نوع خاص من الصحف . كانوا يكتبون عليه كتب المعاهدات ونحوها .

(٣) شد ما نتحمق : ما أشد حماقتنا !

(٤) التشاؤم هنا : الذهاب إلى الشأم . ومعرق : داخل العراق . ويقال أشأم : فهو مشئم ، وأعرق فهو معرق .

(٥) شيق : مشتاق .

(٦) يريد بالعجوز أمه .

(٧) هفا بقلبه الشوق : ذهب به . والسوذق : الصقر أو الشاهين .

(٨) صغر لفظ أم ، تلطفا وتحننا إليها . (٩) جلق : دمشق .

ومنها :

أبتْ كتب التاريخ للحقّ مُلتقى ... فبينهما من زُخرف القول مَوبِق [1]

فإن شرّقت فى الحق فهو مغرّب ... وإن غرّبت فى الحق فهو مشرّق

تجور بها الأهواء جوراً وإنما ... على مُزْلقات المَيْن تمشى فتَزْلَق [2]

فيأيها التاريخ أغرقْ مُغالياً ... فما ضرّ بعد اليوم أنك مُغرق [3]

قتلتُ الورى خُبراً فليس بخادعى ... حديثٌ مُطرّى أو كلام مُنمّق [4]

ولى فى بنى الدنيا حَصاة رزينة ... إذا طاش حِلْم لاتطيشُ وتَنْزَقُ [5]

ومنها :

هذاذيكَ لا تحفِلْ مَقالَ مُؤرّخٍ ... ولا يستفزنْك الكلامُ المشقّق [6]

كِذاب على وجه الطّروس مُسَطّرٌ ... يَغصّ به العقلُ السليمُ ويَشْرَق

فدع عنك لغوَ الناطقين وخُذْ بما ... رواه من الآثار ما ليس ينطق [7]

فإن ذكروا النُّعمانَ يوماً فلا تَثِقْ ... بأكثرَ مما قال عنهُ الخَورْنَق [8]

فأصْدقُ منهم فى المسامع لهجةً ... ضفادعُ فى المستنقعات تُنقْنِق [9]

تنوّرتُ وجهَ الحقّ فى ظُلُماتِهِمْ ... فلمْ أرَ نوراً غير ذا يتألّق

ملكتُ من الدنيا حقيقةَ أهلها ... وإنى على الدنيا بها أتصدّق

---

(١) الموبق : الحاجز بين الشيئين . (٢) زلقت الرجل : دحضت وسقطت .

(٣) أغرق فى الشيء : أمعن فيه وأبعد . والمغالاة : المبالغة فى الشيء . يقول مخاطبا التاريخ : قد عرفناك مغاليا فى تقدير الأشياء ، فلا يهمنا ما تقول ما دمنا نعرف سجيتك .

(٤) التطرية : التزيين والتحسين ، وهى بمعنى التنميق .

(٥) حصاة : عقل . وتنزق : تطيش وتضل .

(٦) هذ هذا : أسرع ، وهذا ذيك : إسراعا بعد إسراع ، وهو من المصادر المنصوبة مثل حنانيك ، أى حنان بعد حنان . يقول أسرع ولا تتلبث عند قراءة التاريخ ، فما يستحق أن يوقف عنده . والكلام المشقق : الفصيح الذى ذهب فيه القائل مذاهب التجميل والتحسين .

(٧) يريد لا تعول إلا على ما تنطق به شواهد الآثار الصامتة .

(٨) الخورنق : من آثار ملوك الحيرة ، يريد لا تثق بأخبار الكتب ، وعول على ما ينطق به البناء من عظمة صاحبه . (٩) تنقنق : تصوت .

جالينوس العرب أو أبو بكر الرازى (*)

أَلاَ لَفْتَةَ منّا إلى الزمن الخالى ... فنغبِط من أسلافنا كلَّ مفْضال (١)

تَلَوْنا أناساً فى الزمان تقدَّموا ... وكم عِبْرةٍ فيمن تقــــدَّم للتالى (٢)

ألا فاذكروا يا قوم أربُعَ مجدكمْ ... فقد دَرَستْ إلَّا بقيةَ أطلال (٣)

تَطَلَّبتمُ صفوَ الحياة وأنتمُ ... بجهل ، وهل تصفو الحياةُ لجهَّال ؟

وما أنتم إلَّا كسكرانَ طافحٍ ... تحسَّى من الصَّهباء عشرةَ أرطال (٤)

مشى بارتعاشٍ فى الطريق فتارةً ... يقوم وأخرى ينهوِى فوق أوحال

يمدّ إلى الجدران كفَّ استناده ... فتقذفه الجدران قذفة إذلال

ويفتح للطرَّاق مُقلةَ حانق ... فيُغمضُها خَزْيان عن شتم عُذَّال

٭ ٭ ٭

رمى الدهر قومى بالخمول فلمتهمْ ... وأوسعتهم عَذلًا فلم يُجدِ تَعْذالى (٥)

فهاج البُكا يأْسى فلما بكيتهمْ ... بدمعى حتى بلّ دمعىَ سِرْبالى

نظرتُ إلى الماضى وفى العين حُمْرة ... كأنَّ على آماقها نضحَ جِرِيال (٦)

فشِمتُ بروقَ الأولين منيرة ... على أُفُق من ذلك الزمن الخالى (٧)

« تنوّرتها من أذرعاتَ وأهلها ... بيثربَ أدنى دارها نظر عال » (٨)

(*) من الديوان الأول .

(١) الغبطة : تمنى ما هو للغير من غير أن تريد زواله عنه .

(٢) تلونا : تبعنا .

(٣) الأربع : الديار . اندرست : امحت . الأطلال : آثار الديار .

(٤) تحسى : شرب . الصهباء : الخمر . (٥) العذل والتعذال : اللوم .

(٦) الآماق : جمع مأق ، وهو طرف العين مما يلى الأنف ، وهو مجرى الدمع من العـــين . النضح : رشاش الماء ونحوه . الجريال : صبغ أحمر .

(٧) شمت : نظرت . والشيم : هو النظر إلى البرق خاصة .

(٨) تنورتها : تبصرتها . أذرعات : بلد بالشام . يثرب : اسم المدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . أى نظرت إلى نارها وأنا بالشام وأهلها بيثرب والمعنى أن إفراط الشوق يخيلها لى ، فكأنى =

وقلّبتُ طرفى فى سماء رجالها ... وهم فوق عرشٍ للجلالة مِحْلال[١]
فآنست آثارا وهم سِلْك درّها ... وأبصرت أعمالًا وهم جيدها الحالى[٢]
ولما طَوَيتُ الدهر بينى وبينهم ... على بعد أزمان هناكَ وأجيال
قعدتُ بأوساط القرون فجاءنى ... «أبو بكْرٍ الرازى» فقمت لإجلال[٣]
فتًى عاش أعمالًا جساما وإنما ... تقدر أعمار الرجال بأعمالِ
حكيمٌ رياضىٌّ طبيبٌ منجّمٌ ... أديب وفى الكيْمياء حلّالُ إشكال
أتَى فيلسوفا للنفوس مهذّبا ... بأفضل أفعال وأحسن أقوال
لقد طبَّب الأرواح من داء جهلها ... كما طبّب الأجسام من كل إعلال

مولده :

تولد عامَ الأربعَين الذى انقضى ... لثالث قَرْنٍ ذى مآثر أزوالِ[٤]
إلى زكريًّا ينتمى ، إنه له ... أبٌ تاجرٌ فى الريّ صاحب أموال[٥]
على حينَ كانتْ بلدةُ الريّ غادةً ... إلى العلم تعطو جيدَها غيرَ مِعطال[٦]
مدارسُ بالشبان تزهو ودونَها ... كتاتيب للتعليم تزهو بأطفال

= أنظر إلى نارها . والبيت لامرىء القيس بن حجر الكندى ، من قصيدته التى مطلعها :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى ... وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

وقد ضمنه شاعرنا .

(١) المحلال : المكان الذى يحل كثيرا ، وهو صفة العرش .

(٢) آنست : أبصرت . الجيد : العنق . الحالى : المحلى بالقلادة ونحوها .

(٣) هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الحكيم ، صاحب الكتب المصنفة ، مات بالرى بعد منصرفه من بغداد سنة ٣١١ .

(٤) أزوال : جمع زول ، وهو العجب ، ومنه (سير زول) أى عجيب فى سرعته وخفته ، وهذا (زول من الأزوال) : أى عجب من الأعجاب ، والعامة عندنا تقول : زول ، بضم الزاى ، وهو خطأ .

(٥) الرى : مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن .

(٦) الغادة : المرأة الناعمة اللينة الأعطاف . تعطو : ترفع . المعطال : التى ليس فى جيدها حلى .

بهاجُلَّ درس القوم طِبٌّ وحكْمةٌ وفلسفة فيها لهم أىّ إيغال [١]
وكانت نفيسات الصنائع عندَهمْ يحاولها ذو الفقر منهم وذو المـال
وما كان هذا الحـال فى الرَّىّ وحـدَها
بل الحال فى البُلْدان طرًّا كذا الحال
فإنَّ هُدَى الإسلام أبْهَى فُتوحَه وآصلها للحد أحسن إيصال
و بدّلَ أبطال الحروب من الورَى بأبطالِ عِلْم للجهالة قُتَّال [٢]
فدارتْ رحى تلك العلوم وقُطْبُها ببغـدادَ مركوزٌ بربوة إجلال [٣]
وكانت يدالمأمون فى ذاك أخجلَتْ لسانَ العُلَى فى شكره أىَّ إخجال [٤]

منشؤه :

تدرّج فى تلك المدارس ناشئا مُتَرْجَمُنا يسعى بجدٍّ وإقبال [٥]
تعلّم فنَّ الصوتِ بادىء بدئِهِ ومارس تفصيلًا به بعد إجمال
فـكانت بموسيقى اللُّحُون دروسُهُ تَغَنَّى بأهزاج وتشدو بأرمال [٦]
وقد جاوز العشرين سنا ولم يكن لشىء سوى فن الغِناء بميَّال
فرام أبوه منـه تحويل عزمه بجذب إلى شغل التِّجَار وإدخال
فقال له دعنى مع العلم إننى إذا ما أمَتُّ الجهلَ أحييتُ آمالى
وهل يستطيع المرء شغلًا إذا غدَا له شاغل بالعلم عن كل أشغال

---

(١) الإيغال : مصدر أوغل فى الشىء ، بمعنى أبعد فى الذهاب فيه ، وبالغ ، وأسرع .
(٢) قتال : جمع قاتل .
(٣) الرحى : أصل معناها الطاحون . والقطب : حديدة فى الطبق الأسفل يدور عليها الطبق الأعلى .
(٤) المـأمون : هو عبد الله بن هرون الرشيد صاحب الأيادى البيض فى نشر العلم وترجمة الكتب العلمية باللغة العربية .
(٥) مترجمنا : أى الذى نذكر ترجمته ، يعنى أبا بكر الرازى .
(٦) الإهزاج : مصدر أهزج المغنى إذ أتى بالهزج ، وهو نوع من الأغانى ، فيه ترنم . وأهزج الشاعر : نظم شعرا من الهزج ، وهو بحر من بحور الشعر ، وزنه « مفاعيلن » أربع مرات . الأرمال : مصدر أرمل المغنى : إذا أتى بالرمل ، وهو لحن من ألحان الموسيقى .

هنالك استقى الرازى من العلم شربة   فجاد بإعلال له بعد إنهال (١)

سعى سعيه نحو التعلم بادئا   بعلم لدى أهل التفلسف ذى بال

وقد كان مفتاحَ العلوم تفلسفٌ   تفك به من جهلهم كلُّ أغلال (٢)

فزاول أنواع العلوم تنقلاً   بأبينِ أوضاحٍ لها غيرِ أغفال (٣)

نضا همةً فى العلم مشحوذة الشّبا

جلتْ ما لحرب الجهل من ليل قَسْطال (٤)

وقد أكمل الطبَّ المفيدَ قراءةً   على الطبرىِّ الحبر أحسنَ إكمال (٥)

سياحته :

ومذ جاوز الرازى الثلاثين واغتدى   مُدِلاً على أقرانه أىَّ إدلال (٦)

رأى من تمام العلم للمرء أنه   يَسيح بضربٍ فى البلاد وتجوال (٧)

وما العلم إلا بالسياحة إنها   لمن عملوا فى علمهم درسُ أعمال

فقام وشدّ الرحلَ والغرزَ وامتطى   لقطع الفيافى متنَ هَوْجاء شِملال (٨)

فجاء بلادَ الشام توًّا وجازها   إلى مصر فى وخدٍ حثيثٍ و إرقال (٩)

---

(١) الإعلال : السقى بعد السقى . الإنهال : السقى الأول .

(٢) الأغلال : القيود .

(٣) الأوضاح : جمع وضح ، وهو الضوء ، وبياض الصبح . الأغفال : جمع غفل ، وهو مالا علامة فيه توضحه وتبينه ، طريقا كان أو غيره .

(٤) نضا : جرد . مشحوذة : مسنونة . الشبا : جمع شباة ، وهى حد السيف . القسطال : الغبار ، أو هو خاص بغبار الحرب .

(٥) الحبر : العالم .

(٦) أدل على أقرانه إدلالا ، فهو مدل : بمعنى تاه عليهم وتعالى .

(٧) ضرب فى البلاد : سافر .

(٨) الرحل : مركب البعير . الغرز : ركاب الرحل من جلد ، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب . امتطى : ركب . الفيافى : الأراضى المقفرة . المتن : الظهر . الهوجاء : الناقة السريعة السير . الشملال : الناقة السريعة الخفيفة .

(٩) الوخد : سير البعير السريع . حثيث : سريع . الإرقال : الإسراع ، أو هو نوع من سير الخبب .

وخاضَ عُباب البحر للغرب قاصدا ... مواطنَ للاسلام لم يَسْلُها السالى (١)

ففيها اجتلاه العز مذ لاح طالعا ... لها كهلالٍ يُجتلَى عنـد إهلال (٢)

وحلَّ حلول البدر فى السعد نائلًا ... بقُرطبةٍ آماله ناعم البـال (٣)

وهبَّ هبوب الريح ثمَّـةَ ذِكْرُه ... يطيرُ على صيتٍ من العلم جوَّال

وودَّعها من بعد ذلك راجعاً ... إلى مصرَ لا توديعَ مُستنكِرٍ قال (٤)

ومنها إلى بغدادَ سافر قاطعا ... إليها الفلا ما بين حَـلٍّ وترْحال

فألقى عصا التسيار من عَرَصاتها ... بغرس عِرْفان ومَنْبِتِ إفضال (٥)

وبغدادُ كانتْ وهى إذ ذاك جنَّة ... بها العلم أجْرى منه أنهارَ سَلْسال (٦)

كأن رجالَ العـلم فى غُرُفاتها ... بَلابلُ تشدو غُدْوةً بين أدغال (٧)

فـكمْ مَحْفِل للـكُتْب فيه خِزانة ... وكم مَرْصَدٍ دان وكم مَرْقبٍ عال (٨)

ولما غـدا الرازى ببغدادَ باسطا ... من العلم أبواعاً له ذات أطوال (٩)

أقيمَ لمارَسْتانها عن كفاية ... رئيسا بتطبيبٍ وتدبير أحوال

فرتَّب مرضاه وأصلح شأنه ... بما كان لم يخطر لسابق أجيال (١٠)

وظلَّ به يسعى طبيباً مُمرِّضا ... ويبذل جُهدا لم يكن فيه بالآلى (١١)

---

(١) يريد بقوله مواطن للاسلام: بلاد الأندلس.

(٢) اجتلاه: نظر إليه.

(٣) قرطبة: مدينة عظيمة بالأندلس (أسبانيا) وسط بلادها، وكانت سريرا لملكها وقصبتها، وبها كانت ملوك بنى أمية، ومعدن الفضلاء، ومنبع النبلاء من ذلك الصقع، بينها وبين البحر خمسة أيام. وقد خرج منها كثير من أهل العلم والفضل والأدب.

(٤) قال: مبغض.

(٥) عرصاتها: ساحات ديارها.

(٦) السلسال: الماء العذب السهل الدخول فى الحلق، لعذوبته وصفائه.

(٧) الأدغال: جمع دغل، وهو الشجر الكثير الملتف.

(٨) المراد بالمرصد والمرقب هنا: المكان الذى ترصد فيه النجوم وترقب.

(٩) الأبواع: جمع باع، وهو قدر مد الذراعين، ويكنى به عن الشرف والفضل، كما هنا. ذات أطوال: ذات أفضال، وهو جمع طول.

(١٠) إن أبا بكر الرازى هو أول من وضع نظاما لترتيب المستشفيات وبنائها.

(١١) الآلى: المقصر.

ويُلْقِى السريريّات وهى مسائل — لدى سُرُر المرضى تُقرّر فى الحال[1]
فقد كان يلقيها على القوم ناطقا — بأوضح تِبْيان وأحسن إملال[2]

مآثره العلمية :

لقد أشغل الرازى ببغدادَ شغلهُ — عدا الطب فى الكمياء أعظم إشغال
فقضّى بها أيامه فى تجارب — وواصل أبكاراً لهنَّ بآصال[3]
فلقب فيها بالمجرِّب حرمة — تفردَ مخصوصاً بها بين أمثال
وأصبح مشهورا بأسنى مآثرٍ — من العلم لم يُسْبَق إليها وأعمال
فإن أبا بكر لَأَوّلُ مفصحٍ — إلى الناس بالدرس السّريرى مِقوال
وأولُ من أبدى لهم كيف يبتنى — ويفرش مارستانهم قصد إبلال[4]
وألّف فى المستشفيات مؤلّفا — تقصّى به فى وصفها دون إغفال[5]
ولا تنسَ للرازى الكحولَ فإنه — يجدِّد طول الدهر ذكراه فى البال
ومن عمل الرازى انعقادٌ لسكّرٍ — وما كان فى محصوله غيرَ سيّال

أخلاقه :

أرى العلم كالمرآة يَصْدأ وَجهُهُ
وليس سوى حُسْن الخلائق من رجال
أخو العلم لا يغلو على سوء خُلْقه — وذو الجهل إن أخلاقه حسُنت غال[6]
ولو وازنَ العلمُ الجبال ولم يكنْ — له حسنُ خُلْق لم يَزِن وَزنَ مِثقال

---

(١) سرر : جمع سرير .
(٢) الإملال : الإملاء يقال : أمللت الكتاب على الكاتب إملالا ، وأمليته إملاء .
(٣) الابكار : هو من طلوع الشمس إلى الضحى . الآصال : جمع أصيل ، وهو الوقت ما بين العصر إلى المغرب .
(٤) الابلال : مصدر أبل المريض بمعنى شفى من مرضه .
(٥) تقصى المسألة : بالغ الغاية فى البحث عنها .
(٦) يغلو : يكون غاليا . يقول : إن العالم السيء الأخلاق لا يعبأ به ، ولا تكون قيمته غالية . والجاهل الحسن الأخلاق غال ، معبوء به ، لحسن أخلاقه .

وإن المَسَاوى وهى فى خُلْقِ عالمٍ ... لأَقبحُ منها وهى فى خُلْق جُهَّال

ولكنما الرَّازى قد ازدان علمهُ ... بأحسن أخلاق وأشرف أفعال

خلائق غُرٌّ إن أردتُ بيانها ... بدأتُ بحرف الحاء والميم والدال

فتًى كان مملوء الجوانح رَحمة ... بكل هَزيلِ الجسمِ من سُقْمِ إقلال[(١)]

يزور بيوتَ البائسين بنفسه ... ويفتقد المرضَى بفحصٍ وتسآلِ

ويأتيهمُ بالمال والعلمِ مُسْعِداً ... لتطبيب أوجاع وتأمين أوجال[(٢)]

وما كان يقنو المال إلا لبذله ... لتعليم علم أو لإعطاء سُؤال[(٣)]

وكان حليفَ الجد لم يألُ جهده ... بدحض خصوم العلم من كل هَزَّال[(٤)]

فكم راح مخذولا به متطبِّبٌ ... سعى كاذبا فى طبه سَعى إضلال

وكان سليما فى العقيدة قلبُه ... بعيداً عن الإلحاد ليس بختَّال[(٥)]

وخلِّ تفاصيل الأُلى ينسُبونه ... لزيغٍ فقد أغناك عنهنَّ إجمالى[(٦)]

عوده إلى الرىّ :

ولما قضى الرازى ببغداد بُرْهةً ... مضى قافلا للرى شوقاً إلى الآل[(٧)]

فلما أتى تلك البلاد غدا بها ... طبيباً لدى المنصور صاحبها الوالى

وألف للمنصور إذ ذاك باسمه ... كتاباً حوى فى الطب أحسن أقوال

ولم تصفُ للرازى أواخرُ عُمْرِه ... وعاد أخا همٍّ شديد وَبلْبال

فقد عَمِيتْ عيناه من بعدُ واغتدى ... يجول من الفقر الشديد بأسمال[(٨)]

(١) الجوانح : الأضلاع تحت الترائب مما يلى الصدر ، كالضلوع مما يلى الظهر . الاقلال : الفقر .

(٢) الأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف .

(٣) يقنو : يقتنى .

(٤) الهزال : الكثير الهزل ، وهو ضد الجد .

(٥) الالحاد : الطعن فى الدين ، والانحراف عنه . الختال : الخداع .

(٦) الزيغ : الميل ، وكثر استعماله فى الضلال ، وهو الميل عن الحق .

(٧) البرهة : قطعة من الزمان طويلة ، واستعمالها للقطعة القصيرة منه كما درج عليه الكتاب اليوم خطأ محض . قافلا : راجعا . الآل : الأهل .

(٨) الأسمال : الثياب البالية .

وإن عداء الدهر شنشنة له يصول بها قهرا على كل مفضال (١)

ولما انتهى نحو الثمانين عمره قضى نحبه من غير مال وأنسال (٢)

ولكنه فى الناس خلّف بعده من العلم آثارا قليلة أمثال

فكم كتب أبقى بها الذكر فى الورى وألفها نسجا على خير منوال

وما ضرّ من أحيا له العلم بعده على الدهر ذكرا أنه ميت بال (٣)

وإنى وإن أطنبت فى بحر علمه لمقتصر منه على بعض أوشال (٤)

وها أنا أنهى القول لا لتمامه ولكن بعجزى عن نهوض بأجبال (٥)

وأجعل هذا الشعر مسكا ختامه بما قال فى بيتين معناهما حال

« لَعَمْرِى وما أدْرِى وقد آذَنَ البِلَى
بعاجِلِ تَرْحَالٍ إلى أينَ تَرْحالى »

« وأينَ محل الروحِ بعدَ خروجها
من الهيكل المنحلّ والجسد البالى » (٦)

---

(١) الشنشنة : العادة والطبيعة .

(٢) أنسال : جمع نسل ، وهو الولد والذرية .

(٣) يقول : ماذا يضر الانسان موته وبلاه إذا أحيا علمه له ذكرا خالدا مدى الدهر .

(٤) الأوشال : جمع وشل ، وهو فى الأصل : الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ولا يتصل قطره ولا يكون إلا من أعلى الجبل .

(٥) الأجبال : جمع جبل .

(٦) الهيكل : يطلق على معان ، منها الصورة والشخص .

الحرب فى البحر (*)

أو وقعة تو شيما بين الروس واليابان

سَعَّروها فى البحر حَرْبًا ضروسَا تأكل المالَ نارُها والنفوسَا (١)
قُرْبَ «جوشِيمَ» قدتصادم أسطو لان أردى اليابانُ فيه الروسا
يوم «طوغو» دها بأسطوله الرو س قتالًا وكان يومًا عبوسا
فحـداها بوارجًا تمـلأ البحـر وَقارا طَورا وطَورا بُوسَا (٢)
كل مخَّارةٍ إذا حَرّكت دُفَّـاعها خضخضتْ به القاموسا (٣)
مذ بنَوْها لهم كنيسة حـربٍ تخذتْ كلَّ مِدْفَعٍ ناقوسا
عَرْشُ بَلْقيس فى المناعةِ لـكنْ قد حكت فى احتشامها بلقيسا
ألبسوها من الحديد وِشاحا فتهادت على العُباب عَروسَا (٤)
وإذا تنشر البنود بنودَ النَّـصْر فيها تخالُها الطاوُسا
وإذا جَنَّهـا على البحر ليـلٌ أطلع الكهرباء فيهـا شُموسا (٥)
قد أبى بأسها الشديد سوى الفو لاذ دِرعًا لجسمها ولَبُوسا
سَيَّروا البرق بينهن رَسولًا صادقًا ليس يَعْرف التدليسا
فهو فيها لسانُ صدق يُؤَدِّى دُونَ سِلْك كلامَها المأنوسا
إنما سِلْكُه الأثير الذى را حَ بطِىّ اهـتزازه مَدْسوسا
جهَّزوها مَدافعًا فغرتْ أفْـواهَ نارٍ قد التقمن الشوسا (٦)

(*) من الديوان الأول .

(١) الضروس : المهلكة . (٢) حداها : ساقها .

(٣) الدفاع : الشىء العظيم يدفع به مثله . وأراد به ما يكون فى مؤخر الباخرة ليدفعها للسير ، وهو الذى تسميه العامة « الرفاس » . خضخضت : هيجت وحركت . القاموس : البحر ، ومعظمه ، ووسطه .

(٤) العباب : معظم الماء . (٥) جنها : سترها .

(٦) فغرت : فتحت . الشوس : جمع أشوس ، يطلق على الذى ينظر بمؤخر عينه تكبرا أو تغيظا ، وعلى الجرىء على القتال الشديد .

دَلَعت ألسنا من النار حُمْرا ويلَ من قد غدا بها ملحوسا
ترسل الموتَ فى قنابلَ كالشُّهْب ذَريعاً مستأصلًا عِتريسا[1]
طالما بانفجارها انفلقَ البحْر انفلاقاً مُذَكِّرًا عهدَ موسى

* * *

بثَّ أسطولَه فلبَّسه «طُوغُو» بأسطول خَصْمه تلبيسا
حيثُ قد أجفلت من اللُّجج الحِيتان تخشى من اللهيب مَسيسا
وعلا البحرَ مكفهرُّ غمامٍ من دُخان هَمَى ولكن بُوسَى[2]
ثار طَرّادُهُمْ بجيش بنسَّا فات سُفْنٍ لهم سَجَرْنَ الوطيسا[3]
كجبال ترى البراكينَ فيها تقذف الموت جارفًا والنحوسا
فأباحوهُمْ هُنالكَ قَتْلاً واغتناماً نفوسَهُم والنَّفيسا
فسَلِ اليم كم تضمَّنَ منهمْ مُغرَقًا فى عُبابه مغموسا[4]
هاجموهمْ وللهِياج سَعِير ملأتْ واسعَ الخِضمِّ حسيسا[5]
فكسوهُم من الهوان لَبوسا وسَقَوهم من المَنون كُئوسا
صَرَعَتْ فى الوَغَى لُيوثٌ من اليا بانِ أسطولَ خَصمِها مفروسا
فانتضَوْها عزائمًا ماضياتٍ طأطأ الروسُ دُونهنَّ الرُّءوسا[6]
وجلَوْها فى الرَّوْع بيضَ فِعَال أقرأتهم كُتْبُ الفَخار دروسا
إنَّ يومًا لهم تقضَّى بجُوشيما ليَوْمٌ بالذكر زان الطُّروسا
بات «طُوغو» يجنى الأمانىَ إذ با ت قَنوطا عدوُّه ويئوسا

(١) الذريع : من الخيل الخفيف السير . والواسع الخطو . ويقال : موت ذريع : أى فاش ، وقتل ذريع : أى فظيع . استأصله : قلع أصله . واستأصل القوم : قطع أصلهم . العتريس : من معانيه : الجبار الغضبان ، والغول الذكر ، والداهية ، والضاغط الشديد .

(٣) البوسى : ضد النعمى .

(٢) سجرن : أشعلن . الوطيس : التنور . يقال : حمى الوطيس ، كناية عن اشتداد الحرب .

(٤) اليم : البحر . (٥) الخضم : البحر .

(٦) انتضى حسامه : جرده .

قائد لم يَرِدْ لَظَى الحرب إلَّا ... مُصدِرًا رأيه لهـا جاسوسا[١]

تاه أسطولُه على اليمّ عُجْبا ... حين أضحى لمثـله مَرْءوسا[٢]

إن شيئا تقلَّد العقل سيفا ... لَحرِىٌّ بأن يكون رئيسا

ومليكا ولّى الأمور ذويها ... لجدير بملكه أن يسوسا

وسَلِ البرّ عنهمُ كم سَعَوْا فيـه خميسًا عرمرما فخميسا[٣]

رجلا يملأ الفضاء وخيلاً ... حملتْ نوغى الكُماة الشُّوْسا[٤]

صَوّبوها بنادقا تُطْلق المو ... ت رَصاصا به أبادوا النفوسا

هكذا شيَّدوا بناء المعـالى ... هكذا أحسنُوا لها التأسيسا

(١) لظى الحرب : نارها :

(٢) الضمير فى أضحى : عائد للأسطول . وفى مثله : راجع لطوغو .

(٣) الخميس : الجيش . والعرمرم : الكثير .

(٤) الكماة : جمع كمى ، وهو الشجاع . والشوس : تقدم معناها .

هلاكو[1] والمستعصم(*)[2]

هو الدهر لم يرحم إذا شدّ فى حربِ ... ولم يتّئد إما تمخّض بالخطْبِ[3]

يُزَمجر أحيانا ويضحك تارة ... فيظهرُ فى بُرْدَيْن للجدّ واللّعْبِ[4]

فلا هُوَ فى سَلْم فنأمنَ بطشَه ... ولا هو فى حرب فنقعدَ للحرب

يسالم حتى تأخذَ القومَ غِرةٌ ... فيهجم زحفا فى زَعازعه النُّكْبِ[5]

أرى الدهر كالميزان يصعد بالحصى ... ويهبط بالموزون ذو الثمن المُربى[6]

أدالَ من العُرْب الأعاجمَ بعدما ... أدالَ بنى عباسها من بنى حَرْبِ[7]

ولم أرَ للأيام أشنعَ سُبّةً ... لعمرك من مِلك العُلوج على العُرْبِ[8]

(١) هلاكو : هو هلاكو خان الطاغية الملعون ابن طلو بن جنكيز خان ملك التتر ، الذى أسر المستعصم بالخديعة ، ثم قتله وامتلك بغداد ، بعد أن قتل ما لا يحصى من العلماء والصلحاء وعامة الأهلين ، حتى فعل هو وجيوشه الجرارة الأفاعيل ، وضروب المنكر ، من قتل النساء والأطفال ، وشق بطون الحوامل ، وقتل الأجنة ، وركوب الفواحش ، وقد دام القتل والنهب فيها أربعين يوما ، ثم نودى بالأمان . والتتر شعوب من الترك ، مساكنهم بلاد الصين ، مما وراء نهر سيحون ، وهم أمم كثيرة .

(*) من الديوان الأول .

(٢) المستعصم : هو آخر خلفاء بنى العباس ؛ وكان ضعيف الرأى ، قد غلب عليه أمراء دولته ، لسوء تدبيره ، ولم تعلم كيفية قتل هلاكو له . وإنما يعلم أنه بعد أن انهزم جيش الخليفة ، خدع الخليفة بواسطة وزيره ابن العلقمى ، مدعيا أنه إن خرج إلى هلاكو ، فإنه يبقيه فى الخلافة ، فخرج إليه المستعصم ، فى جمع من أكابر أصحابه ، وفيهم العلماء والأماثل ، والسادة والمدرسون ، فلما تكامل جمعهم قتلهم التتر عن آخرهم .

وابن العلقمى هذا وزير المستعصم : هو الذى كاتب هلاكو بأن يحضر ويغزو بغداد ، انتقاماً من الخليفة وابنه أبى بكر ؛ لسبب سنذكره فى موضعه من القصيدة .

(٣) يتئد : يتمهل : تمخض بالخطب : أتى به وأظهره ، كأنه من المخاض .

(٤) يزمجر : يكثر الصخب والصياح والزجر . البرد : الثوب ...

(٥) غرة : غفلة . الزعازع : الشدائد من الدهر . النكب : جمع نكباء ، وهى ريح انحرفت عن مهاب الرياح ، ووقعت بين ريحين ، أو بين الصبا والشمال .

(٦) المربى : الزائد .

(٧) يقال : أدال الله بنى فلان من عدوهم : أى جعل الكرة لهم عليهم ؛ وأدال الله زيدا من عمرو : أى نزع الدولة من زيد ، وحولها إلى عمرو . والمراد بالأعاجم : هم التتر . بنو حرب : هم بنو أمية ، وقد انتصر العباسيون عليهم ، وانتزعوا الملك من أيديهم ، كما انتصر التتر على بنى العباس ، وأخذوا الملك منهم .

(٨) السبة : العار . العلوج : جمع علج ، وهو الرجل الضخم من كفار الأعاجم .



صفت لبنى العباس أحْواضُ عزهمْ ‏ ‏ ‏ زمانا وعادتْ بعدُ مُخلبةَ الشِّربِ [١]

عَنَت لهم الدنيا فساموا بلادَها ‏ ‏ ‏ بعدل أضاء الملك فى سالف الحُقْب [٢]

فكانوا طفاح الأرض عزًّا ومنعةً
خلائفَ ساسوا بالسيوف وبالكُتْب [٣]

لقد ملكوا مُلكا بكت أخرَياتهُ ‏ ‏ ‏ بدمع على المستعصِم الشَّهْم مُنْصَبِّ

تشاغل باللذات عن حَوْط ملكه
فدارت على ابن العَلْقمىّ رحَى الشَّغْب [٤]

أطال هجوداً فى مضاجع لهوه
على ترَفٍ والدهر يقظانُ ذو ألْب [٥]

---

(١) مخلبة : فاسدة ذات حمأة ، يقال : أخلب الماء : إذا كان ذا خلب ، أى حمأة .

(٢) الحقب : الدهر .

(٣) الطفاح : الملء ، هو طفاح الأرض : ملؤها .

(٤) الشغب : تهييج الشر .

(٥) الألب : التدبير على العدو من حيث لا يعلم .

لقد غرَّه أن الخطوبَ روابض ولم يدرِ أن الليثْ يَرْبُض للوثْب[١]

فكان كمروانَ الحمارِ إذِ انقضتْ به دولة مدَّت يدَ الفتح للغرب[٢]

* * *

جَرَتْ فتنةٌ من شيعة الكَرْخ جلَّحتْ

على شِيعة فى الكَرخ بالقتل والنَّهْب[٣]

فقامتْ لدى ابن العَلْقَمِىِّ ضغائن تحجَّرن من تحت النِّياط على القلب[٤]

فأضمر لِلمستعصم الغَدْر وانطوى

على الحِقد مدفوعا إلى الغِش والكذب

وخادَعه فى الأمر وهْوَ وزيرهُ مُواربةً إذ كان مستضعَف الإرب[٥]

فأبعد عنه فى البلاد جنودَه وشتَّتهم من أوْب أرْض إلى أوب[٦]

ودسّ إلى الطاغى هُلَاكُو رسالة مُغلغَلة يدعوه فيها إلى الحرب[٧]

وقال له إن جئت بغداد غازيا تملَّكتها من غير طعن ولا ضرب

فثار هُلَاكو بالمغول تؤمُّه

كتائبُ خُضْر تضرب السهلَ بالصعب

وقاد جيوشاً لم تمرَّ بمُخْصِبٍ من الأرض إلا عادَ ملتهبَ الجدْب

---

(١) روابض : الربوض للفرس والسبع والبقر وغيرها : مثل البروك للابل .

(٢) مروان الحمار : هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، وهو رابع عشر خلفاء بنى أمية وآخرهم ، قتل فى كنيسة فى بوصير ، من أعمال مصر ، بعد أن انهزم فى الزاب ، طعنه إنسان برمح سنة ١٣٢ هـ وبموته انقضى ملك بنى أمية فى المشرق .

(٣) جلح عليه : أى أقدم عليه إقداما سديدا وكاشفه بالمداوة ، وخلاصة هذه الفتنة : أن وزير المستعصم كان شيعيا ، وكان أهل الكرخ شيعة أيضا ، فجرت فتنة بين السنية والشيعة ، فأمر أبو بكر بن المستعصم ، وركن الدين الدوادار العسكر ، فنهبوا الكرخ ، وهتكوا النساء ، وركبوا منهن الفواحش ، فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمى ، وكاتب التتر ، وأطمعهم فى ملك بغداد ، وسعى فى تفريق جيش المستعصم عن بغداد إلى آخر ما ذكرناه فى ترجمة المستعصم .

(٤) النياط : الفؤاد ، وعرق نيط به القلب إلى الوتين ، فاذا قطع مات صاحبه .

(٥) الإرب : الدهاء . (٦) الأوب : الجهة .

(٧) الرسالة المغلغلة : المحمولة من بلد إلى بلد .

جُيوشٌ تردالهضْب في السيرصَفْصفا وتغْرُكُ في تسيارها الجَنبَ بالجنب
فما عتمتْ حتى بنتْ بغُبارها سَماءً على أرض العراق من التُّرب
ولما أبادت جيش بغدادَ هالكًا أعلى رَغْم فتح الدين قائده النَّدْب
أقامتْ على أسوار بغدادَ بُرهةً تعَضُّ بها عَضّ الثِّقاف على الكَعْب
تضايق عليها بالحِصار خِناقُها وغَصَّت بكرب يا لَهُ اللهُ من كرب
وقد حُمّ فيها الأمْن بالرُّعْب فانبرتْ
له رُحَضَاءٌ من عيون أولى الرُّعْب (١)
هناك دعا المستعصِم القوم باكيا بدمعٍ على لَحْيَيْهِ مُنْهَمِلٍ سَكْب
فأبدى له ابن العَلْقَمِيّ تحزُّنَا
طَوى تحتهُ كَشْحًا على المكْر والخَلْب
وقال له قد ضاق بالخطب ذَرْعنا وأنتَ ترى ما المغول من الخطب
فكم نحن نبقى والعدوّ محاصِرٌ نذِل ونشقَى في الدفاع وفي الذَّبّ
وماذا عَسَى تجدى الحصونُ بأرضنا وهم قد أقاموا راصدين على الدَّرْب
فدع « يا أمير المؤمنين » قتالهم على هُدْنة تبقيك ملتئَم الشَّعب
ولسنا «وإن كانت كبارا قصورُنا» تردُّ هُلاكو بالقتال على العَقْب
فهادنْه واخرجْ في رجالك نحوَهُ وصاهرْه واشدُد منه أزرَكَ بالقرْب
وإلّا فإن الأمر قد جدَّ جِدُّه وليس سوى هذا لصَدْعِك من رَأْب

* * *

فلما رأى المستعصمُ الخَرْق واسعا وأنْ ليس للداء الذى حلَّ من طِبّ
مشى كارها والموتُ يُعْجِل خَطوَه يؤُم لفيفا من بنينَ ومن صحْب

---

(١) الرحضاء : عرق يتصبب عقيب الحمى . ومعنى البيت : أن الأمن لما صار محموما بالرعب ، كانت رحضاؤه الدموع المنسكبة من عيون المرعوبين .

وراح بعقد الصلح يجمع شمله ... كمن راح بين النون يجمع والضب (١)

فأمسكه رهنا وقتل صحبه ... هلاكو ولم يسمع لهم قط من عتب

وأغرى ببغداد الجنود كما غدا ... بأدماء يغرى كلبه صاحب الكلب

فظلت بهم بغداد ثكلى مرنة ... تفجع بين القتل والسبى والنهب

وجاسوا خلال الدور ينتهبونها ... وصبوا عليها بطشهم أيما صب

وأمسى بهم قصر الخلافة خاشعا ... متهتكة أستاره خائف السرب

و باتت به من واكف الدمع بالبكا ... عيون المها شقراء منزوعة الهدب

وراحت سبايا للمغول عقائل ... من الآلاء لم تمدد لهن يد الثلب

لقد شربوا بالهون أوشال عزها ... وما أسأروا شيئا لعمرك فى القعب

فقلص ظل كان فى الملك وارفا ... وأمحل ملك كان مغلولب العشب

* * *

لقد بات إذ ذاك الخليفة جائعا ... على الخسف مرقوبا بأربعة غلب

وخارت قواه بالسعار لمنعه ... ثلاثة أيام عن الأكل والشرب (٢)

فقال وقد نقت ضفادع بطنه ... ألا كسرة يا قوم أشفى بها سغبى (٣)

فقال هلاكو عاجلوه بقصعة ... من الذهب الإبريز واللؤلؤ الرطب (٤)

وقولوا له كل ما بدا لك إنها ... لآلىء لم تعبث بهن يد الثقب

ألست لهذا اليوم كنت ادخرتها ... فدونك فانظر هل تنوب عن الحب

وكنت بها دون المماليك معجبا ... وفاتك أن المقت من ثمر العجب

---

(١) النون : الحوت . والضب : حيوان يعيش فى البر والمعنى : أنه راح يجمع بين الضدين .

(٢) السعار : الجوع .

(٣) نقت : صوتت . والكسرة : اللقمة . والسغب : الجوع .

(٤) الإبريز : الخالص . واللؤلؤ الرطب : أى المستخرج من البحار .

ولو كنتَ في عزّ البلاد أهنتها … وأنزلتَ منها الجندَ في منزلٍ خِصْبِ
لما أكلتك اليومَ حربي وإن غدتْ … تذيبُ لظاها عنصرَ الحجرِ الصُّلْبِ
سأبذلها دون الجنود أزيدهم … صِيالًا بها فوق المطهَّمة القُبِّ [1]
وسوف وإن لم يبقَ إلّا حديثنا … تميز ملوكُ الأرض دأبك من دأبي [2]

* * *

هنالكَ وانطُّوِى أفتَى بقتله … قَرَوه بقتل آدِبٍ أفْجَع الأدْب
أشار هُلَاكو نحو عِلْجٍ فتَلَهُ … فخرَّ صريعًا لليدين وللجَنْبِ [3]
فأُدْرِج في لِبْدٍ وديس بأرجُلٍ … إلى أن قضَى بالرَّفْس ثَمَّةَ والضَّرْبِ [4]
وقد أَثْخَنَتْ بغدادَ من بعد قتله … جُروحٌ بَوارٍ جاءه بالحِجج الشُّهْبِ [5]
وما اندملت تلك الجروح وإنما … ببغداد منها اليوم نَدْبٌ على نَدْبِ [6]

---

(١) صيالا : شدة واستطالة . والمطهمة : يريد الخيل المطهمة ، وهى البارعة الجمال . والقب : جمع أقب ، وهو : الضامر ، وهو من صفات جياد الخيل ، وخاصة خيل الحرب .

(٢) الدأب العادة والطريقة .

(٣) العلج : واحد العلوج ، وهو الرجل الضخم من كفار الأعاجم . وتله : صرعه .

(٤) أدرج : لف .

(٥) أثخنت : أوجعت فآلمت . والحجج : السنون . والشهب : جمع شهباء ، وهى البيضاء ، كناية عن سنة الجدب والقحط والجوع .

(٦) الندب : أثر الجرح ، جمعه ندوب . واندمل الجرح : التأم وبرأ .

أبو دلامة والمستقبل (*)

قضت المطامع أن نطيل جدالَا ... وأبَيْنَ إلّا باطلًا ومِحالا [1]

فى كل يوم للمطامع ثورةٌ ... باسم السياسة تستجيش قتالا [2]

ما ضرَّ من ساسوا البلاد لوَ انهم ... كانوا على طلب الوفاق عِيالا [3]

أمِنَ السياسة أن يقتّل بعضُنا ... بعضا ليُدرِك غيرُنا الآمالا

لادرَّ درُّ أولِى السياسة إنهم ... قتلوا الرجال ويتّموا الأطفالا

غرسوا المطامعَ واغتدوا يَسْقونها ... بدم هُريق على الثرى سَيّالا

نثروا الدماءَ على البطاح شقائقا ... وتوهموها الرّوضة المحلالا [4]

تفنى الجيوشُ ولا ضغائن بينها ... سبقتْ ولا تِرةً ولا أذْحالا [5]

قالوا كرهت الحربَ قلتُ لأنها ... دارت لتغتصب الحقوق ألالَا [6]

وأجلتُ فكْرى فى الحروب فلم أجد ... أبدا لهن سوى الخمور مِثالا

طاشتْ منافعها الصّغارُ عن الورَى ... ورَستْ مآثمها الكبارُ جبالا

ماأجشعَ الحربَ الضَّروسَ فإنها ... تحسو النفوسَ وتأكل الأموالا

كم سحَّ من رَهَج الحروب على الرُّبَا ... وَبْل الدماء فزادها إمحالا

لولا الحروب ومُحْرِقات صواعق ... منها لأبقلت الربا إبقالا

(*) من الديوان الأول .

(١) المحال : المكر والكيد والاحتيال .

(٢) تستجيش : أى تعد جيشا . أو هو من جيشان القدر إذا غلت واضطربت . وقتالا: منصوب على أنه مفعول لأجله ، أى لأجل القتال .

(٣) عيالا : جمع عيل . يريد متسكاين .

(٤) الروضة المحلال : التى يحلها الناس كثيراً ، ويطئونها ، وضدها روضة أنف : أى لم توطأ بعد.

(٥) الأذحال : جمع ذحل ، وهو بمعنى الترة .

(٦) الألال : كسحاب : الباطل ، وهو هنا نائب عن المفعول المطلق ، أى اغتصابا باطلا .

قبحت بنا الأرض الفضا وماحوت في غير ما زمن الفِطَحْلِ جَمالا[1]

* * *

أبنى السياسة إن سَلَكْتُم بالورَى طُرُق الرشاد فعلّموا الجهّالا
إن جرّتِ الحربُ الكمالَ لأمة فالعلم أحرَى أن يجُر كمالا
إنّ الحياة كثيرة أعمالها فدَعُوا الأنام وحاربوا الأعمالا
وتقحّموا حرب الحياة فإنها للحرّ أضيق مأزِقاً ومَجالا[2]
واستلئموا زَرَد الوفاق وأشرعوا فيها تعاونكم قناً ونصالا[3]
واقْنُوا لكم بيض المساعى شُزّبا تجرى رعالًا للمنَى فِرعالا[4]
واعلوا على صَهَواتهنّ رواكضاً للمَكْرُمات تُسابق الآجالا
ودَعُوا صيالًا فى الملاحم إن فى هذى الحياة ملاحما وصيالا[5]
أوَ كلّما طمِع القوىّ شراهةً أكل الضعيفَ تحيُّفاً واغتالا[6]
لا غروَ أن يلدَ الزمانُ بمرِّه كأبى دُلامة من بنيه رجالا[7]
إذ راح يقتل بالعواطف قِرنه قَتلا أدام حياته وأطالا
إذ جهّز «المنصور» جيشاً قادهُ «رَوْح» يريدمع «الشُراة» قتالا[8]
فمضى وفيه أبو دُلامة مُكرَهاً للحرب أخرج كى يُصيب نكالا

---

(١) زمن الفطحل : زمن قديم قبل أن يخلق الناس على الأرض .

(٢) تقحموا الحياة : خوضوا شدائد الحياة ومصاعبها . والمأزق : مضيق الحرب .

(٣) استلئموا : البسوا اللأمة ، وهى الدرع . وأشرعوا : ارفعوا . القنا . جمع قناة ، وهى الرمح . والنصال ، جمع نصل ، وهو حديدة السيف والرمح ونحوهما .

(٤) شزبا : جمع شازب ، وهو الضامر من الناس أو الخيل من غير هزال . والرعال : جمع رعيل ، وهو الجماعة من الخيل .

(٥) الملاحم : جمع ملحمة ، وهى الحرب ، والوقعة الشديدة .

(٦) تحيفا : جورا وانتقاصا . واغتال حقه اغتيالا : أخذه .

(٧) لا غرو : لا عجب .

(٨) الشراة : هم الخوارج . وروح : قائد من قواد أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى .

حتى إذا ٱلتقت الجيوش وعُبِّئت صفًّا وصفًّا يَمْنةً وشمالا

بَرَز الكمىّ من الشُّراة مُجرِّدا للسيف يطلب من يُطيق نِزالا[1]

فأجال رَوْحٌ فى الجنود لحاظه والقوم ينتظرون منه مَقالا[2]

فدعا إليه أبا دُلامة قائلا يا ليثُ دونكَ ذلك الرِّئبالا[3]

فجرى إليه أبو دُلامة هازلا ثم استقالَ فلم يكن لِيُقالا[4]

فشكا لِرَوْحٍ جوعه فأزاده بدَجاجتين ، وحثّه استعجالا[5]

فانصاع من عَجَلٍ وسمّط زاده ومضى يخُبّ لقرْنه مختالا[6]

* * *

فأتى وقد شهَرَ الكمىُّ بوجهه سَيفا يَروع غراره الأغوالا[7]

فدنا إليه أبو دُلامة قائلاً مَهْلاً فأغمِد سيفَك القَصَّالا

إنى أتيت وما أتيت مقاتلاً من لَسْتَ أطلب عندَه أذحالا

فاسمع مقالة من أتاك ولم يكن فيما يقول مُخادعا محتالا

واعلم بأنى لا أخاف مَنيّتى جُبْنا ولا أتهيّب الأبطالا

لكن أرى سفك الدماء محرَّما وأعيذ رأيكَ أن تراه حلالا

أمِن المروءة أن نُريق دماءنا سَفَها لطامع طامع وضَلالا

---

(١) الشراة : جمع شار ، وهم الخوارج ، لقب لهم . والنزال : ملاقاة الأقران فى الحرب .

(٢) لحاظه : نظره بلحاظ عينه ، وهو فى مؤخرها .

(٣) الرئبال : الأسد .

(٤) استقال : طلب الإقالة ، أى الخروج من مأزق الحرب .

(٥) أزاده : زوده ، أى أعطاه زادا .

(٦) انصاع من عجل : انفتل راجعا . وسمط زاده : من التسميط ، وهو التعليق . يريد أنه علق الزاد على حصانه . والخبب : ضرب من السير متقارب الخطو ، فى سرعة خفيفة . والقرن : الذى ينازلك فى الحرب . ومختالا : من الخيلاء ، وهى العجب .

(٧) الكمى : البطل . وشهر السيف : رفعه . والغرار : حد السيف . والأغوال : جمع غول ، وهو حيوان منكر الخلقة ، توهم العرب أنه يغتال الناس فى الأسفار ونحوها .

هل كنتَ من قبل اللقاء رأيتني ... يوما وهلْ منى لقيتَ نكالا
أمْ هل طرقتُ خيام قومك جانيا ... أمْ هل خَرَبْتُ بحيِّهم آبالا[1]
ماذا جرى بيني و بينك قبل ذا ... مما يجرُّ خصومةً وجِدالا
حتى شَهَرْتَ عليَّ سيفك تبتغي ... ضَرْبا يُقَطِّع مِنِّيَ الأوصالا
فأَرْبأْ بنفسك أن تكون من الأُلى ... زحفوا جنونا للوغى وخَبالا

* * *

فرأى الكَمِيُّ مقاله متعاليا ... حقاً وكل حقيقة تتعالَى
فعنا وأذعن للحقيقة مغمدا ... سيفا أجادته القُيُون صِقالا[2]
ولَوَى العِنان من المطَهَّم قائلاً ... رُح بالأمان فلا لقيتَ وَبالا
فمشى إليه أبو دلامة مُخْرِجا ... زادا تعلَّق بالسُّموط مُشالا
ودعاه يا بن أولى المكارم راشدا ... أكرم أخاك بوقفةٍ إمهالا
إني لأَرجو أن تكون مؤاكلي ... في ذا الشِّواء ألا تحبُّ إكالا
فتدانيا متخالفين وأقبلا ... وهما على فرسيهما إقبالا
حتى إذا أكلا شواء أدبرا ... بعد الوَداع ووليا الأكفالا[3]

* * *

رجعا فسار أبو دلامة ظافرا ... والمهر يُجْفِل تحته إجفالا[4]
حتى إذا وافى الأميرَ وقام عن ... كَثَب ترجَّل دونه إجلالا
وغدا يقول وكان رَوْحٌ ضاحكا ... إني كفيتُك قِرْنيَ الرِّئبالا
وقتالَه بالقول لا بمهنَّدِي ... والحربُ أحرى أن تكون مَقالا

---

(١) خربت : سرقت : والخارب : اللص .

(٢) عنا : خضع وانقاد . والقيون : جمع قين ، وهو صانع السيوف وكل شيء من حديد والصقال : الجلاء والصقل .

(٣) الأكفال : جمع كفل ، بتحريك الفاء ، وهو مؤخر الحصان عند ذيله .

(٤) يجفل : يسرع العدو .

وأُخذتُ فى الهيجا عليه مَواثِقا ... ألاَّ يعود يُنازلُ الأبطالا

* * *

إن الهواتفَ لا تزال بِمسْمعٍ ... منّى تقول إذا شكوت الحالا

لا تيأَسَنَّ فللزمان تنفُّس ... فارقبه أن يتبدّل الأبدالا

والدهرُ طاهٍ سوف يُنضِج أهله ... بالحادثاتِ يزيدها إشعالا(١)

إن الدهور وهن أمهر سابك ... سترد أضداد الورَى أشكالا

حتى كأنى بالطِّباع تبدَّلتْ ... غيرَ الطباع وزُلْزِلتْ زِلزالا

وكأنى ببنى الملاحم أصبحوا ... لأبى دُلامةَ كلهم أمثالا(٢)

أطلال العلم*

أو المدرسة النظامية فى بغداد

قَوَّضَ الدهرُ بالخراب عِمادِى ... ورمتْنى يداه بالأنكادِ

كم أنادى وليس لى من مجيب ... واضياعاه جهرةً كم أنادى

ضعضع الدهرُ من بنائَى أركا ... نا شِداداً طالت على الأطواد(٣)

طالما رفرفتْ من العلم رايا ... ت فخار مِني على بغداد

كنتُ للعلم روضة باكرت أز ... هارَها الغرّ بالعِهاد الغَوادى(٤)

وجميع الأنام تضرب أكبا ... د المطايا كى تجتنى أورادى(٥)

---

(١) الطاهى : الذى يطهو الطعام ، وهو الطابخ ينضج الطعام .

(٢) يريد أن الزمان المستقبل كفيل بأن يجعل من أبنائه من يأبى أن يرق الدماء ظلما وعدوانا ، فلا يجيب دعوة الحرب التى لا عدل فيها ولا رحمة .

(*) من الديوان الأول .

(٣) الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل العالى . (٤) الغوادى : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ غدوة أو تمطر غدوة . والعهادة جمع عهد ، وهو المطر بعد المطر .

(٥) الأوراد : جمع ورد ، والمراد به هنا : الجزء الذى يقرؤه العالم من العلم ، أو القارىء من القرآن فى المرة الواحدة .

فالغزالىُّ سلْه بى وأبا إسْـــحاق عما حويتُ من إرشاد[1]
سَلْهَ إذ فى طلابىَ الإبلُ النُّجْــبُ تُحَفّى مَضروبة الأكباد
فرمتنى صواعق الدهر فانهدَّ بنائى وصرت بعض الوِهاد
فبكتنى من السماء دَرارِيــــها وكانت تُعَدّ حُسّادى

* * *

أهل بغدادَ ما لأعينكم تُغْـــمِض عنى كأنكمْ فى رُقاد
أهلَ بغداد هل ترِقّ قلوبٌ منكمْ راعها انقضاض عِمادى
رقَّ حتى قلبُ الجماد لفقدِى فلْتَكُونَنْ قلوبُكم من جَماد
أفلا تُنجِدون مدرسة العلْـــم وعهدى بكم أُولِى إنجاد
أين ما شِيدَ من نظامىٍّ رَبْعى فلقد كان نُجْعة المرتاد
أين تلك العلوم وهى التى كا نت ربوعى تُذِيعها فى البلاد
كيف قضَّت خيامَها زعزعُ الدّهـــرِ وكانت رصينة الأوتاد[2]
أقفرتْ سُوحها وقد نُعِى العلْـــم فلاحت تجُرُّ ثوبَ الحِداد
وتوارتْ بالجهل ظلما وكانت خافقا فوقها لواء الرشاد
أيها الدهر كلَّ ما شئت فافعل إذ حدا فى ركائبى غيرُ حاد
ورعانى من راح من ظلمه العدْ ل فقيدا ميعاده فى المَعاد
فرّقوا جمع أمة قبلهم كا نت لعمرى وحيدة الإتحاد

---

(١) أبو إسحاق : هو إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى الفيروزابادى ، كان من مشيخة بغداد ، وإمام المذهب الشافعى بها ، تولى النظامية ولم يزل بها إلى أن مات ، ومن تآليفه : المذهب والتنبيه فى الفقه ، واللمع وشرحها فى أصول الفقه ، والنكت فى الخلاف ، والتبصرة والمعونة ، والتلخيص فى الجدل . ولد سنة ثلاث وتسعين ، أو خمس وتسعين وثلاث مئة (ابن خلكان) .

(٢) قضت خيامها : أذهبتها ، من قضى . والمشهور فى هذا : قوض الخيام أى هدمها .

في سلانيك[*]

قالها عندما زحف جيش سلانيك إلى الآستانة بقيادة محمود شوكت باشا، وذلك لقمع الحركة الرجعية التي حدثت في ٣١ مارس سنة ١٩٠٨

لقد سمعوا من الوطن الأنينا ... فضجّوا بالبكا له حنينا
وناداهم لنصْرته فقاوموا ... جميعاً للدفاع مسلّحينا
ثاروا من مَرابضهم أسوداً ... بصوت الإتحاد مُزمجرينا[1]
شَبابٌ كالصوارم في مَضاءٍ ... يُرَوْن ، وكالشموس مُنوَّرينا
سلانيكُ الفتاة حَوَتْ ثراءً ... بهم فقضتْ عن الوطن الديونا
لقد جمعوا الجموع فمن نصارَى ... ومن هُودٍ هناك ومسلمينا
فكانوا الجيش ألّفَ من جُنودٍ ... مجنّدةٍ ومنْ متطوعينا
تراهم فيه متحدينَ عزْماً ... وما هم فيه متحدين دينا
هي الأوطان تجعل في بنيها ... إخاءً في محبتها رصينا
وتتركهم أولي أنفٍ كِباراً ... يَرَوْن حياة ذي ذل جنونا
وإن الموتَ خير من حياة ... يظلُّ المرء فيها مستكينا[2]

* * *

مَشَوا والوَالداتُ مُشيّعاتٌ ... خرجنَ وراءهمْ والوالدونا
يَقُلْن وهنَّ من فرح بواكٍ ... وهم من حزنهم متبسّمونا
على الباغين منتصرين سيروا ... وعُودُوا للديار مُظَفَّرينا
ولا تُبقوا الذين قد استبدوا ... وراموا كيدَنا وتخوّنونا[3]
فإن لم تُنقذوا الأوطانَ منهم ... فلستمْ يا بنين لنا بنينا
فقد هاجوا على الدستور شرّاً ... بدار الملك كي يستعبدونا

(*) من الديوان الأول .
(١) الزمجرة : صوت فيه غلظ وجفاء .
(٢) مستكينا : خاضعا ذليلا .
(٣) تخونونا : خانونا ولم يرعوا حقوقنا .

هم الأشرار باسم الدين قاموا فعاثوا في المواطن مُفسدينا
فما تركوا من الدستور (شُورَى) ولا أبقوا لنغمته (طنينا)[1]

* * *

وكم قد قُلْن من قول شَجيٍّ لهمْ فتركتهم متهيِّجينا[2]
ومذ حان الوَداع دَنَوْن منهم فقبَّلْن الصوارمَ والجفونا[3]
وما أنسى التي بَرَزَتْ وقالتْ وقد لَفَتوا لرؤيتها العُيونا
ألا يا راحلين لحربِ قومٍ لِئام ضيَّعوا الوطن الثمينا
خذوني للوغَى معكم خذوني ممرِّضةً لجرحاكم حَنونا
وإن لم تفعلوا فخذوا ردائي به شُدُّوا الجُروح إذا دَمينا

* * *

ولمَّا جدَّ جِدُّهم استقلُّوا على ظهر القِطار مسافرينا
فطاروا في مراكبه سِراعًا بأجنحة البُخار مُرَفْرِفينا
وظلَّ الجيشُ صُبحًا أو مساءً تسير جموعه متتابعينا
فلم يَتَصرَّمِ الأسبوعُ إلَّا وهُمْ برُبا فَرُوقَ مخيِّمونا
هنالك قمتُ مرتحلًا إليهم لأبصر ما أؤمِّل أن يكونا[4]

* * *

وباخرةٍ علت في البحر حتى حكت بعُبابه الحِصْنَ الحصينا
يؤثر جريها في البحر إثرا تكادُ به تظن الماء طينا
فتتركُ خلفها خطًّا مديدا بوجه البحر يمكث مستبينا
ركبتُ بها على اسم الله بحراً غدا بسكون لجُته رهينا

---

(١) يشير إلى ما حل بجريدة طنين إذ ذاك، وبمحل إدارتها، من الهدم والتخريب في تلك الحادثة.

(٢) الشجي، بوزن فعيل: ذو الشجو، وهو الحزن.

(٣) الصوارم: السيوف. والجفون: جمع جفن، وهو الغمد.

(٤) لما حدثت حادثة ٣١ مارس في الآستانة، كان الرصافي في سلانيك، فلذلك قال: هنالك قمت . . . الخ.

فرحنا منه ننظر في جمال يعز على الطبيعة أن يهونا
ومرأى البحر أحسن كلّ شيء إذا لبست غواربُه السكونا[1]
كأنك منه تنظر في سماء وقد طلعت كواكبُها سفينا

* * *

أتينا دارَ قُسطنطين صُبحا وقد فُتِحَتْ لهم فتحاً مُبينا
وظلّ الجيشُ جيشُ الله يشفي بحدّ سيوفه الداء الدفينا
فأزْهق أنفس الطاغين حتى سقاهم من عَدالته المنونا
وردَّ الخائنين إلى جزاء أحلَّهمُ المقابرَ والسجونا
وحطوا قصر يَلدِزَ عن سماء له فانحط أسفل سافلينا
وأصبح خاشع البُنْيان يُغْضِي عُيونا عن تطاوله عمينا
خلا من ساكنيه وحارسيه فلم تر فيه من أحدٍ قَطِينا[2]
هوى عبدُ الحميد به هُوِيّاً إلى درك الملوك الظالمينا
وأنزِل عن سرير الملك خَلْعاً وأفْرِد لا نديمَ ولا قرينا
فسيق إلى سلانيكَ احتباساً له كي يستريح بها مصونا
ولكن كيف راحة مستبدٍّ غدا بديار أحرار سجينا
يراهمْ حول مسكنه سِياجا ويعجز أن يُنيمَ له عُيونا
وموت المرء خير من مُقامٍ له بين الذين سَقَوْه هُونا

* * *

لقد نقض اليمينَ وخان فيها فذاقَ جزاءَ من نقضَ اليمينا
وقد كانت به البُلدان تشقى شقاءَ من تجبّره مُهِينا
فكم أذكى بها نيرانَ ظلمٍ وكم من أهلها قتل المئينا

---

(١) الغوارب: جمع الغارب، وهو في ذوات الخف ما بين السنام والعنق، وفي الكلام استعارة.
(٢) قطينا: أي قاطنا وساكنا.

وكان يدير من سفه رَحاها بجَعْجعة ولم يُرِهَا طَحِينا[1]
وقد كانت به الأيام تمضِي شُهورًا والشهور مضتْ سنينا
ولما ضاق صدرُ الملك يأسًا وصارَ يُردد الوطنُ الأنينا
أتى الجيشُ الجليل له مُغيثًا فصدَّق من بنى الوطن الظنونا
وأضحَى سيفُ قائده المفدَّى على الدستور محتفظا أمينا
حماه من العداة فكان منه مكانَ الليث إذْ يحمى العرينا
وأسقط ذلك الجبارَ قَهْرًا وأنبأه بصارمه اليقينا
فقرّت أعين الدستور أمْنًا وشاهتْ أوجه المتمردينا[2]

وقفة عند يلدز (*)

قالها عقب خلع عبد الحميد وإرساله إلى سلانيك سجينا

لِمَنِ القصر لا يجيب سؤالى آهلاتٌ رُبُوعُه أم خوالى ؟
مُشْمَخِرّ البناء حيث تراءى باليًا مجدُه بِلَى الأطلال
لم تصبْه زلازل الأرض لكن قد رمته السماء بالزلزال
وكسته الأيام بالصمت لمَّا نَطَقَتْ فيه حادثاتُ الليالى
فتراءتْ أبكارُه شاحباتٍ باكياتٍ بأعين الآصال

* * *

أيها القصرُ إيهِ بعض جوابٍ لا تكن ساكتًا على تَسْآلى[3]
ليت شعرى والصمت فيكَ عميق ذاكر أنت عهدَهم أم سال ؟

---

(١) الجعجعة : صوت الرحى ونحوها . وفى المثل : أسمع جعجعة ولا أرى طحنا ؛ يضرب للرجل الذى يكثر الكلام ولا يعمل ، وللذى يعد ولا يفعل .

(٢) شاهت : قبحت . والمتمردون : المتجبرون الظالمون .

(*) من الديوان الأول .

(٣) إيه : هات .

ما تداعَى منك البناء ولـكن ... قد تداعى بناء تلك المعالى (١)
كنتَ كلَّ البلاد فى الطول والعرْ ... ض وكل العباد فى الأعمال
كنتَ مأوَى العُلَى ، مَثار الدنايا ... مَهبِط العز ، مَصدَر الإذلال
كنت جُبًّا وأىَّ جُبٍّ عميق ... بالغًا للنفوس والأموال
مَوْرِد الخائنين كنت وكانت ... منك تُدْلِى مطامع العمال
قصرُ عبد الحميد أنت ولكن ... أين يا قصرُ أين عرشُ الجلال
أين خاقانك الذى كان يُدعَى ... قاسِمَ الرِّزق ، باعثَ الآجال
ما أرَى اليوم ذلك المجدَ إلّا ... كخَيال يمر بعد خيال
هل وقوفى على مبانيك إلّا ... كوقوفى على الطلول البوالى (٢)

* * *

قد تخَوَّنتنا ثلاثين عاما ... جئت فيها لنا بكل مُحال (٣)
تلك أعوام رِفعة للأدانِى ... تلك أعوام حِطَّةٍ للأعالى
تلك فيها جرت به نقطة سَوْ ... داء تبقى بجبهة الأجيال
يَثِبُ العدل طافرا كلما مَـ ... ـرَّ عليها مُشَمِّرَ الاذيال
ملأتْ خطة الزمان شَنارا ... فأبتْها كلُّ العصور الخوالى (٤)
وكأنى أرىٰ اضطراب نفوسٍ ... كنتَ تغتالها وأىَّ اغتيال
أسمع الآن فيك ما كان يعلو ... من أنين لها ومن إعوال
حائمات على الذى فيك أبقيـ ... ـن دفينا من الرُّفات البالى
تلك يا قصر أنفس أنفت منـ ... ـك فطارت إلى سماء المعالى
وترَّقت إلى ذؤابة أعلى ... كوكب فى سمائه جوّال

---

(١) تداعى البناء : انهار وسقط بعضه فى أثر بعض .
(٢) الطلول : جمع طال ، وهو الشاخص البارز من آثار الديار عند العرب .
(٣) تخوننا : تعهدتنا .
(٤) الشنار : العيب والعار .

وهى اليوم أحرقتك بشُهْب ... قذفتها عليك ذات اشتعال
لم يضع مجدُها وإن هى أمستْ ... ضائعات الأشلاء والأوصال

* * *

كيف ننسى تلك الخطوب اللواتى ... لقِحَت منك حَرْبُها عن حِيال [1]
يوم كنا وكان للجهل حكم ... خاذلٌ كلَّ عالم مِفضال
آمِر من عتوّه كلَّ أمر ... يغرس البغضَ فى قلوب الرجال
أفأصبحتَ نادما أيُّها القصـــرُ تبالى بالقوم أم لا تبالى ؟
لم تفدك النـدامة اليومَ شيئا ... قُضِى الأمر فاصطبر باحتمال
وعَزاءً فلست أولَ قصر ... نكَّسَ الدهرُ من ذُراه العوالى
قد تداعى من قبلُ إيوانُ كسرى ... بعد أن طالَ شاهقات الجبال [2]
وكأينْ من قصر مُلك ترَامى ... ساقطا بالملوك والأقيال [3]
فابقَ ياقصرُ عابس الوجه كيما ... يصبحَ الملك باسم الآمال
وتعثَّر فلا لعاً لك حتى ... ينهض العدل ناشطا من عقال [4]
إنما نحن أمة تدرأ الضيـــم وتأبى أن تستكين لوالى
أمة سادت الأنام وطابت ... عنصرا من أواخر وأوالى [5]
فإذا ما غلا الغَشوم نهضنا ... فقذفناه ســــافلا من عال
نملأ الأرض إن مَشَينا لحرب ... بزئير الغضنفرا لرئبال
وإذا ماغلا المليك رددنا ... هُ ذليـــلا يقاد بالأغلال [6]

---

(١) لقحت الناقة : ضربها الفحل فحملت . والحيال : عدم الحمل . يريد إنك هيجت تلك الحرب بعد أن كانت ساكنة .

(٢) طال شاهقات الجبال : أى زاد عليها فى الطول والارتفاع .

(٣) الأقيال : جمع قيل ، وهو الملك الصغير يتبع الملك الكبير ، كبعض ملوك الولايات فى إمبراطورية كبيرة .

(٤) لالعاله : لا أنعشه الله إذا سقط .

(٥) أوالى : أصلها : أوائل ، أخرت الهمزة بعد اللام ، ثم سهلت .

(٦) غلا : تجبر وجاوز الحد فى الظلم . وفى الأصل : غل ، بغين ولام مشددة ، ولا أراه إلا محرفا عن غلا ؛ أو عن علا ؛ بمعنى تكبر .

نحن من شُعلة الجحيم خلقنا | لأولى الجَوْر لا من الصلصال
يا ملوك الأنام هلّا اعتبرتم | بملوك تجور فى الأفعال
ليس عبد الحميد فردا ولكن | كم لعبد الحميد من أمثال
فاتركوا الناس مُطْلَقين وإلّا | عِشْتُمُ مُوثَقين بالأوجال[1]
هل جنيتم من التجبّر إلا | كلَّ إثْم عليكم ووبال

تموز الحرية[*]

إذا انقضى مارْتُ فاكسر خلفه الكُوزَا
واحفِل بتمّوز إن أدركت تمّوزا[2]

أكْرِمْ بتمّوزَ شهرًا إنّ عاشره | قد كان للشرق تكريما وتعزيزا
شَهْرٌ به الناس قد أضحت محررة | من رق من كان يقفو إثر جنكيزا
سَلْ أهلَ باريزَ عن تموزَ تلْقَهُم | يوما به كان مشهوداً لباريزا
كانت لهم فيه لما ثار ثائرهم | بسالة هَدّتِ البستِيلَ مبْزوزا[3]
وإنّ تمّوز شهر قام فيه لنا | على البقاع لواء العز مركوزا
فى شهر تموز صادفنا لما وَعَدَتْ | بيض الصوارم بالدستور تنجيزا
هى المساواة عمّتنا فما تركت | فضلا لبعض على بعض وتمييزا
أمستْ لنا قسمة بالملك عادلة | حُكماً وكانت على علّاتها ضيزى[4]
كنا من الجَوْر عميانا وليس لنا | من قائدين ولم نملك عكاكيزا

---

(١) يريد : إنكم إن لم تطلقوا المحكومين أحرارا من إسار ظلمكم وجوركم ؛ فإنكم تعيشون أبدا على خوف وتربص وانتظار للشر ممن ظلمتموهم .

(*) من الديوان الأول .

(٢) يشير إلى أن مارت شهر مشئوم ، لحدوث الحادثة الرجعية فيه ؛ وأن تموز شهر ميمون ، لأن إعلان الدستور كان فى تموز .

(٣) مبزوزا : مغلوبا . وفى المثل ، من عزبز : أى من قوى تغلب وانتصر .

(٤) قسمة ضيزى : أى جائرة .

حتى نهضنا إلى العلياء تقدُمُنا   عصابة بَرَّزَت فى المجد تبريزا

إن تلقهم تلقَ منهم فى الوغى جبلا   أو هِجتهم للمنايا هِجت راموزا

قوم إذا طَعِموا فى حومة تخذوا   قِصاعهم من قُحوف القوم لا الشيزى[1]

قمنا على المَلك الجبّار نقرعهُ   بالسيف مُنصَلتا والرمح مهزوزا[2]

حتى تركناه فى هَيجاء مُعْضِلة   ألقتْ ضِرَاما على الطاغين مأزوزا

إنا لنأبى على الطاغي تهضُّمَنا   حتى نُهَوِّز فى الهيجاء تهويزا[3]

ونأكل الموت دون العز نمضغه   كمضغنا التمر بَرْنيا وسُهريزا[4]

لا عاش من لا يخوض الموت مرتضيا   بقاءه بعصىّ الذل موكوزا[5]

رَاعتْ سلاطينَك دارًا كُلَّكَ فانتبهتْ   من ذاك طِهْران تخشى أمر تبريزا

حتى غدت وهى فى تموز ناكسة   رايات شاهٍ رماه الخلع مجنوزا[6]

فالشاه فى شهر تموز هوى وكذا   عبد الحميد هوى فى شهر تموزا

يا شهر تموز لا راعتك رائعة   ولا لقيتَ من الأحداث إرزيزا[7]

يا شهر تموز قد زينت رايتنا   بالعدل توشية فيها وتطريزا

من لى بأنجم هذا الأفق أنظمها   قصائدا فيك مدحا أو أراجيزا

أو أنحتُ الماس أقلاما مُعَرَّضة   أمدها ذَهَبًا فى الطِّرس إبريزا

وأجعل الجوَّ فى تَمُّوز أمدحه   طرسا أجادته كف النُّور ترزيزا[8]

---

(١) القحوف هنا : عظام الجماجم . والشيزى : نوع من الخشب تصنع منه الجفان .

(٢) نقرعه : بالقاف : نعلو فرعه : وهو رأسه . وفى الأصل : نقرعه .

(٣) هوز تهويزا : مات موتا .

(٤) البرنى : بفتح الباء : ضرب من التمر أصفر مدور . والسهريز بالسين والشين : بضمهما وبكسرهما : نوع من التمر : معرب .

(٥) موكوزا : مدفوعا مطعونا .

(٦) الشاه : الملك فى لغة فارس . والمجنوز : المحجوز المستور .

(٧) الإرزيز : الرعدة .

(٨) يقال : رززت لك الأمر ترزيزا : أى وطأته لك .

المجلس العمومى (*)

يا شرقُ بشراكَ أبدى شمسكَ الفَلَكُ ... وزال عنك وعن آفاقك الحَلَكُ

أضحى بك القوم أحرارًا قد اعتصموا ... من النجاة بحبــــل ليس يَنْبتك (١)

نادٍ به القولُ عن أهليــه مستمَع ... والحق متبع ، والأمر مشترك

نادٍ إذا نفرت عنا الأمور به ... لهن يُمَدّ من نسج النُّهى شَرَكُ

يُصطادُ فيه شَرودُ الحق عن كَثَبٍ ... كالماء يُصطادُ فى ضَحْضاحه السَّمَكُ

إن السحائبَ لم تظهر بوارقُها ... ما لم يكن للقُوَى فيهن مُعترَكُ

وللتــدابير حرب لا يخيب بها ... قوم بمستنقع الآراء قد برَكوا

هذا هو المجلس الرحْب الذى وسعت ... أحكامُه الناسَ من عاشوا ومن هلــكوا

هو السماء التى تعلو السماء بها ... تبدو من العدل فى آفاقها حُبُك (٢)

دارت بها شمس عز الملك حيث لها ... حرية العيش برجٌ والنهى فَلَكُ

قد أصبح الأمر شُورَى بيننا فيه ... على الرعيــة لا يستأثر المَلِك

وأصبح الناس فى قُرْبَى وإن بعُدت ... أديانهم ، ما بهم حقد ولا حَسَكُ (٣)

هذا الذى جاءنا الدين الحنيف به ... وحيًا من الله مبعوثا به المَلَكُ

هــذا به نهض الإسلام نهضَته ... من قبلُ إذ قام يستولى ويمتلك

ياقوم قد حانَ حينٌ تسخرون به ... ممن بكم سخِروا من قبــلُ أو ضحِكوا

مات الزمان الذى من قبلُ كان به ... يحيا امرؤٌ لم يكن فى السعى ينهمك

هلا نظرتم لما فى الغرب من سَنَن ... كلٌّ به سائرٌ طَلْقا ومُنْسلِك

---

(١) ينبتك : ينقطع . (٢) حبك جمع حبيكة ، وهى الطريقة .
(٣) حسك الصدر : حقد العداوة ؛ يقال : إنه لحسك الصدر .

لم تَلْقَ للحق وجهاً فيه مُحْتقراً ولم تجد حُرْمةً للعلم تُنْتَهك
في الغرب أصوات علم يبعثون بها مَنْ في القبور فهل في سمعكم سَكَك[1]
فشمِّروا يارجالَ الشرق عن هِمَمٍ حجابها عند أهل الغرب مُنْهتك
ولستُ أطلبُ منكم فعلَ ما فعلوا ولا أحاول منكم ترك ما تركوا
بل فاذكروا أوليكم كيف قد سلفوا ثم اسلكوا في المعالي أية سلكوا
واستخلصوا عسجدَ المجد الذي بلغوا سبكاً على قالب العلم لذي سبكوا
لاعذر للشرق عند الغرب بعدئذ إن لم يتم له شأوه الدَّرَك[2]
واستنجدوا العلم إنّ العلم شِكَّته في حومة العيش تبلى دونها الشِّكك[3]
أما المدارس فلتُرفع قواعدها حتى تقوم وطود الجهل مؤتفك[4]
منابع العلم إن غاضت بمملكة فاضت بسيل الدواهي حولها بِرَك[5]
من شاد مدرسة للعلم هدّ بها
سجناً لمن أفسدوا في الأرض أو فتكوا[6]
وكم أثارت رياح الجهل من سحب تهطالهن دمٌ في الأرض منسفك
فالعلم والجهل كل البَوْن بينهما هذا الفسوق وذاك الفوز والنُّسُك[7]
ضِدَّان ما استويا يوماً ولا اجتمعا وهل تُرى يتساوى النورُ والحَلَك
نادوا البِدارَ البِدارَ اليومَ إنكم ياقومُ ساهون حيث الأمر مرتبك
كم رُدِّدت كلمات الناصحين لكم حتى لقد ملّ من مَضْغ لها الحَنَك

---

(١) السكك ، بوزن سبب : الصمم .   (٢) الدرك : اللحاق .
(٣) الشكك : جمع شكة ؛ وهي السلاح .
(٤) مؤتفك : منقلب . يقال : ائتفكت بهم الأرض : انقلبت .
(٥) الدواهي : المصائب .
(٦) يتضمن هذا البيت معنى الحكمة المشهورة : من فتح مدرسة أغلق سجناً .
(٧) النسك : العبادة . أي أن العلم هو العبادة الحق ، قال تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) .

ياقوم قد طلعت شمس الهدى وبها للناس قد وضحت من رشدهم سكك

وأنشد الشرق مسروراً يؤرخها

« حرية الملك أهدى شمسها الفلك »

يوم العروس

زفّت إلينا العروسُ وزوجُها الأنكليسُ (١)

زُفّتْ إلينا زفافاً فيه الشقا والنحوس

المَهْرُ منّا دماء والعروس حرب ضَروس

كم مُزِّقَتْ حُرُماتٌ وكم أضيعتْ نفوس

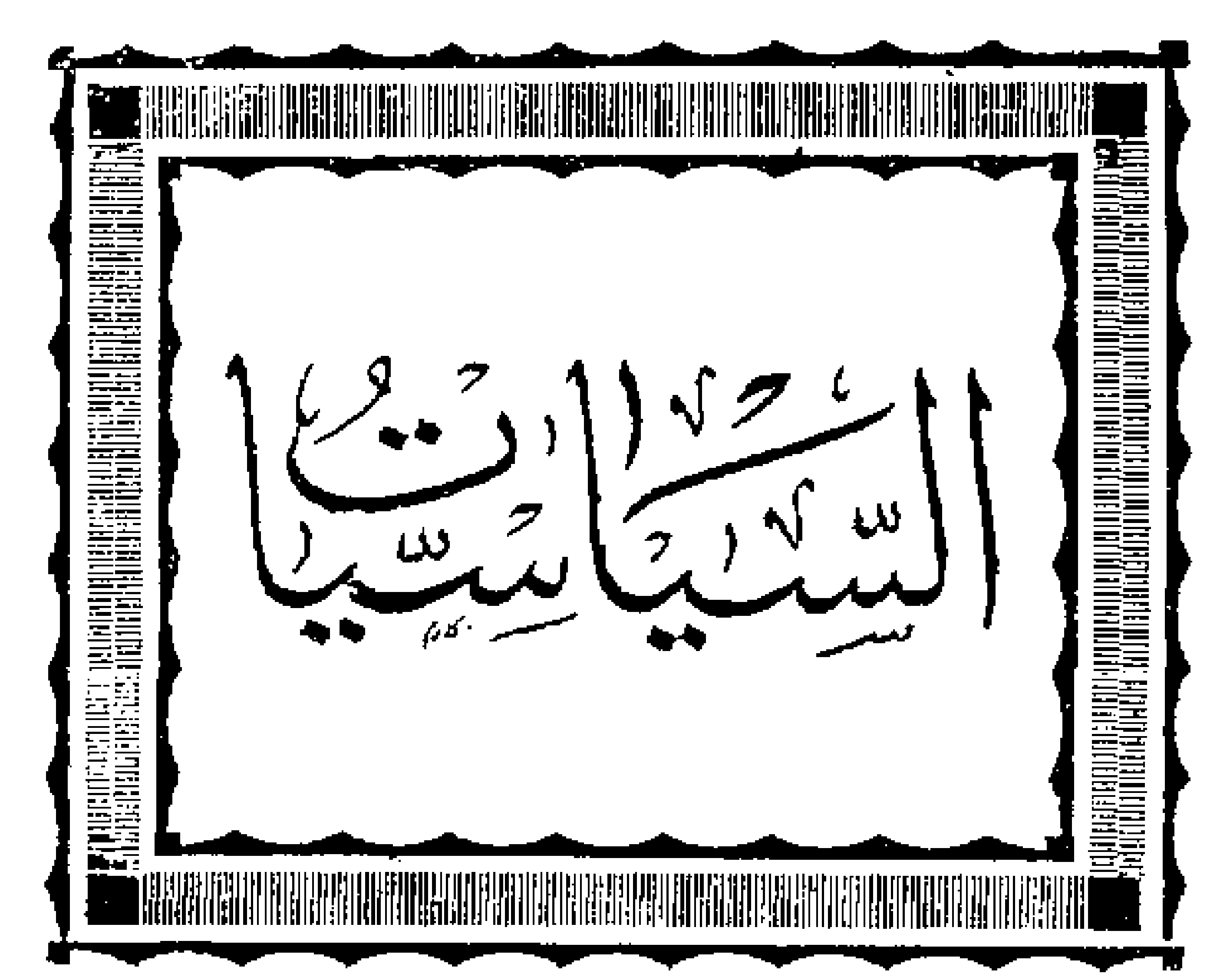
وكم أديرت علينا من المنايا كئوس

وكل هذا لتحظى بالبعْل تلك العَروس

يوم العروس لعَمري يوم كريهٌ عَبوس

---

(١) الأنكليس والأنقليس ، بفتح الهمزة : سمك شبيه بالحيات ، رديء الغذاء .


السياسات

إلى الأمة العربية(١)

هو الليلُ يُغريه الأسَى فيطولُ ... ويُرخي وما غيرُ الهموم سُدُولُ(٢)
أبيتُ به لا الغاربات طوالعٌ ... عليَّ ولا للطالعات أُفولُ
ويَنشُر فيه الصمت لبداً مضاعفا ... فتطويه مني رَنَّة وعَويلُ(٣)
ولي فيه دمع يلذَع الخدَّ حرُّه ... وحزن كما امتد الظلامُ طويلُ
بكيت على كل ابن أروع ماجد ... له نسب في الأكرمينَ جليلُ
يُليحُ من الضيم المذلِّ بغُرَّةٍ ... لها البدر تِربٌ والنجوم قبيلُ(٤)
من العُرْب : أمّا عِرضه فموفر ... مَصون ، وأمّا جسمه فهزيلُ
له سلف عزّوا فبزّوا نباهةً ... ولم تعتوِرهم فترة وخمولُ(٥)
وساروا بنهج المكرُمات تقلُّهم ... قلائصُ من سعيٍ لهم وحُمولُ

(١) مثل شبان العرب في الآستانة رواية وفاء السموءل في مسرح (تبه باشي) الكبير ، الكائن في حي (بك أوغلي) ، وطلبوا إلى الرصافي أن يحضر وينشدهم شعرا ، فقال هذه القصيدة يعارض بها لامية السموءل المشهورة وقد أنشدهم إياها في المسرح المذكور ، وكان المكان غاصاً بمن كان في الآستانة من رجال العرب ، وكثير من رجال الترك .

(٢) يغريه : يحضه . أي أن الأسى يحض الليل على الطول فيطول .

(٣) اللبد ، بكسر فسكون : كل شعر أو صوف متلبد . وتمهيداً لبيان معنى البيت نقول : إن الصوت إنما ينقله إلى سمع السامع تموج الهواء ، فإذا حال بين السمع وبين تموج الهواء حائل يمنع وصول ذلك التموج إلى السمع ، انقطع الصوت ولم يسمع ، واللبد أمنع حائل لوصول التموج إلى السمع ، إذ ليس فيه على الخلل ما يمكن أن ينفذ فيه الهواء . وعليه فقد شبه الشاعر الصمت وهو عدم الصوت الكائن في الليل ، بلبد منشور على الأطراف ، قد حال بين السامع وبين كل صوت ، فلا ينقل إليه الهواء بتموجه صوتا ، لأن هذا اللبد المنشور قد أحاط به من جميع أطرافه ، فمنع وصول كل صوت إليه . ووصف اللبد بكونه مضاعفا ، ليكون أبلغ في منع الصوت ، ثم قال : « فتطويه مني رنة وعويل » أي لأنه لا يسمع في الليل إلا صوت بكائه وعويله ، فكأن بكاءه يطوي ذلك اللبد المنشور ، فيعود يسمع صوت البكاء والرنين . وحاصل المعنى : أنه لا صوت في ذلك الليل سوى صوت بكائه فيه .

(٤) يليح : أي يخاف ويحاذر ، والباء في قوله بغرة ، للمصاحبة ، أو هي للتعدية ، على تضمين يليح معنى يحيد ويعدل ، فيكون المعنى :يحيد مليحا من الضيم بغرة .

(٥) عزوا فبزوا : أي غلبوا فسلبوا . ونباهة : تمييز للنسبة ، وهو محول عن الفاعل .

وكانوا إذا ما أظلم الدهر أشرقتْ به غُرَرٌ من مجدهم وحُجول
أولئك قوم قد ذَوَى روضُ مجدهم ولم تسر فيه نَسمة وقَبول
وقد أعطشته السُّحْب حتى لقد علَتْ على الزُّهْر منه صُفرة وذُبول
رعى الله من أهل الفصاحة مَعشرا لهم كان فوق الفرقدين مَقيل
تراَمى بهم ريب الزمان كأنما له عندهم دون الأنام ذُحول
فأمستْ من العُمران خِلوا بلادهمْ فهن حزُونٌ قَفْرة وسُهول
وعادتْ مغانى العِلم فيها دوارساً تُجرّ بها للرامسات ذُيول[1]
وقوّضتِ الأيام بنيانَ مجدِها فربعُ المعالى بينهنَّ مَحُول[2]

٭ ٭ ٭

نظرتُ إلى عَرض البلاد وطولها فما راقنى عَرض هناك وطول
ولم تبد لى فيها معاهدُ عزّها ولكن رسومٌ رَثّة وطُلول
نظرتُ إليها من خلال ذوارف من الدمع طرفى بينهن كَليل
فكنت كراءٍ من وراء زجاجة بعينيه كيما يستبينَ ضئيلُ[3]
ولم أتبيّن ما هنالك من عُلًى لكثرة ما قد دبّ فيه نُحول
هنالك حنيت الظهر كالقوس رابطاً بكفّى على قلب يكاد يزول
وأوسعتُ صدرى للكآبة فاغتدتْ بأرجائه تحت الضلوع تَجُول
وأرسلت دمع العين فانهل جارياً له بين أطلال الديار مسيل
أأمنع عينى أن تجودَ بدمعها على وطنى ، إنى إذن لبخيل

---

(١) تجر : بالبناء للمفعول ، وذيول : نائب الفاعل ، والرامسات : الرياح ، وسميت رامسات : أى دافنات ؛ لأنها تدفن الآثار بهبوبها .

(٢) محول ؛ بفتح الميم : أى مجدب .

(٣) شبه نفسه وهو ناظر إلى الديار من خلال الدموع الذوارف ؛ برجل وضع على عينيه زجاجة ينظر من ورائها ؛ والمراد بالزجاجة ما تسميه العامة اليوم بالنظارة أو بالعوينات .

فإن تعجبوا أن سال دمعى لأجله ... فإنّ دمى من أجله سيسيل[1]

وما عشتُ أنى قد تناسيتُ عهده ... ولكنّ صبرى فى الخطوب جميل[2]

وإنّ امرأً قد أثقل الهمُّ قلبه ... كقلبى ولم يلقَ الرّدَى لحمول

أفى الحق أن أنسَى بلادىَ سَلوةً ... وما لىَ عنها فى البلاد بَديل

أقول لقومى قول حيران جازع ... تَهيج به أشجانه فيقول

متى ينجلى ياقوم بالصبح ليلكم ... فَتذهبَ عنكم غفلة وذهول ؟

وينطق بالمجد المؤثل سعْيكمْ ... فيسكتَ عنكم لائم وعذول

تريدون للعلْيا سبيلًا وهل لكمْ ... إليها وأنتم جاهلون سبيل

أناشدكمْ أين المدارسُ إنها ... على الكون فيكم والحياة دليل

وأين الغنىُّ المرتجَى فى بلادكم ... يجود على تشييدها ويطول[3]

بلادٌ بها جهل وفقر كلاهما ... أكول شروب للحياة قتول

أجَلْ إنكم أنتم كثير عديدكم ... ولكن كثير الجاهلين قليل

ولو أن فيكم وحدةً عصبيّةً ... لهان عليكم للمَرام وصُول

ولكن إذا مستنهض قام بينكمْ ... تلقّاه منكم بالعناد جهول

وأى فريق قام للحق صَدّه ... فريق طَلوب للمحال خَذول

وإن كان فيكم مصلحون فواحد ... فَعول وألف فى مَداه قَئُول

على أن لى فيكمْ رجاءً وإن أكنْ ... إلى اليأس أحيانا أكاد أميل

ألستمْ من القوم الألى كان علمهُم ... به كلُّ جهل فى الأنام قَتيل[4]

لهمْ هممٌ ليس الظباةُ تَفلها ... وإنْ كان منها فى الظّباة فلول

---

(١) أن فى البيت : مصدرية ؛ وهى وما بعدها مجرورة بلام محذوفة ؛ هى صلة لتعجبوا ؛ والتقدير : فان تعجبوا لأن سال دمعى .

(٢) وما عشت أنى : أى لأنى ؛ فحذف الجار ؛ وحذفه قبل أن وأن قياس .

(٣) يطول . من الطول . بفتح الطاء : أى ينعم ويتفضل .

(٤) به : صله قتيل . وكل جهل : مبتدأ . وقتيل : خبره . والجملة فى محل نصب خبر كان .

ألا نهضةً علميَّـــــةً عربيةً فتُنْعَش أرواح بهـا وعقول

ويَشْجُعَ رِعديدٌ ويعتزَّ صاغر ويَنْشَط لِلْمَسعى الحثيث كسول (١)

فإن لم تقم بعـد الأناة عزائم فعَتْبِي عليـكمْ والملام فُضُول

شكوى إلى الدستور (٢)

شِكاية قلب بالأسى نابض العِرْقِ إلى قائم الدستور والعـدلِ والحقِّ

ملوكٌ على كل الملوك ثلاثة لها الحكم دون الناس في الفَتْقِ والرَّتْقِ (٣)

وأُقسم أنِّي لا أكون لغيرها مطيعا ولو من أجلها ضُربت عُنْقي

فهل أيها الدستورُ تَسْمَع شاكيا بك اليوم يرجو أن يرى نهضة الشرق

لقد جئتَ من أُفق الصوارم طالعاً علينا طلوع الشمس من مُنتهى الأُفْقِ (٤)

فصادفتَ منَّـا أمّة قد تعشّقتْ لقاءك حتى جاوزت مَبلغ العشق

ولم تُبْدِ عُنْفا حين جئت وإنما هتفنـا جميعـا بالوفاق وبالرفق

وظلنا نُرجِّى منك للخَرْق راقعا ولـكنْ تراخَى الأمر متَّسِع الخرق

بك اليومَ أشقانا الأُلى أنت مُسعدٌ لديهم فيـا لله لِلْمُسْـعِدِ المُشْقِي (٥)

نراك بأيديهم على الخلق حُجّـةً وأنت عليهم حُجة لا على الخلق

قد استأثروا بالحـكم وارتزقوا به وسَدُّوا على من حولهم مَنبع الرزق

(١) الرعديد: الجبان، والصاغر: الذليل.

(٢) نشرت هذه القصيدة في المؤيد بمصر سنة ١٣٢٧ هجرية. قالها لما سقطت وزارة حلمي باشا، وقامت بعدها وزارة حقي باشا، ينتقد بها خطة الاتحاديين عقب الدستور، أيام كانوا يؤلفون الوزارات من غير رجالهم. ويجعلونها تابعة في أعمالها لما يصدره مركزهم العمومي من الأوامر والنواهي. فرجال الوزارة هم المسئولون تجاه الأمة. والأمر فيما يفعلونه للاتحاديين.

(٣) أي لا طاعة إلا لهذه الأمور الثلاثة: الدستور. والعدل. والحق. فهي الملوك على كل الملوك. ولها الحـكم في كل أمر.

(٤) يريد بطلوع الدستور من أفق الصوارم: أنه أعلن حكمه بقوة السيف. على ما هو معلوم من ثورة الاتحاديين في سلانيك.

(٥) قوله «بك اليوم أشقانا الخ». أي اتخذوك آلة لاستئثارهم بالحـكم. فـكأنك آلة بأيديهم لسعادتنا وشقائنا. واللام الأولى في قوله «فيالله للمسعد»: مفتوحة. وهي لام المستغاث به. والثانية: مكسورة. وهي لام المستغاث له.

كأنّا لهم شاءٌ فهم يحلبوننا ... وكم مخضوا أوطاننا مَخْضة الزِّق (١)

وهم يأخذون الزُّبْد من بعد مَخْضها ... ولم يتركوا للساكنيها سوى المَذْق (٢)

أترضى بأن تختص بالحكم مَعشراً ... وتُصبح للباقين حِبراً على رَقّ (٣)

وهم يَرِدون الصفو منك ولم نَرِد ... سوى نغبةٍ من بعض سؤرهم الرَّنق (٤)

فما نحن إلّا كالظِّماء وإنهم ... كساقٍ يُرينا الماء عذبا ولا يَسقِى

ألم تر أنّا طولَ عهدِكَ لم نَقُمْ ... نسابقُ أهل المجد فى حَلْبة السَّبْق (٥)

ولم نك نَدْرِى لاهتضام حقوقنا ... أنحن من الأحرار أم نحن فى رِقّ ؟

ولم نستفد إلّا سقوط وزارةٍ ... وتأليف أخرى مثل تلك بلافَرْق

وماضرَّهم لو أسلكوا نَهْج سَيرِهِمْ ... وساروا بمنهاج التبصّر والحِذْق

ألم يُبصروا للعدل غيرَ طريقهمْ ... فإن طريق العدل من أوضح الطرْق

وماذا عسى يُجدى سقوط وَزارة ... إذا لم تقم أخرى على العدل والصدق

مضى كاملٌ من قبل حلمى وإن جرى ... كما جرَيا حَقّى فمثلهما حقى (٦)

وما الهَمُّ عندى بالذى قد ذكرتُه ... وإن كان يشجينى ويدعو إلى الزَّعق

ولكن وراءَ السِّتر كفٌّ خَفِيَّةٌ ... تزحزحُ من شاء عن الأمر أو تبقى (٧)

ولولا يدٌ شدّت لسانى بِنِسعة ... لَبُحت بسرٍّ كالشجا هو فى حَلْقى (٨)

---

(١) قوله « مخضوا أوطاننا » : أى استدروا خيرها بمخضها . وتقليب الأمور فيها . كما يمخض الزق ، وهو السقاء ، ومخض الزق : تحريكه بعد وضع اللبن فيه . لاستخراج الزبد .

(٢) المذق : هو اللبن الممزوج بالماء . المستخرج منه زبدة .

(٣) الرق . بفتح الراء : الصحيفة البيضاء . والحبر : المداد . والمراد بكونه حبرا على رق : أنه لا حكم له . وأنه غير معمول به .

(٤) النغبة . بفتح النون وبضمها : الجرعة . والسؤر . بالضم : بقية الماء التى يبقيها الشارب فى الإناء . الرنق . بفتح فسكون : الكدر .

(٥) حلبة السبق : هى الدفعة من الخيل فى الرهان خاصة . يقال : هو يركض فى كل حلبة من حلبات المجد .

(٦) كامل وحلمى وحق : أسماء وزراء فى الدولة العثمانية .

(٧) يشير بهذا البيت إلى ما كان عليه الاتحاديون إذ ذاك . من تدبيرهم الأمور من دون أن يتقلدوا المناصب . فهم العاملون . وغيرهم المسئول . فهم فى ذلك كالعامل من وراء ستار .

(٨) النسعة . بالكسر : حبل من أدم . والشجا : عظم يعترض فى الحلق . وهو عندهم مثل للأمر المزعج .

فيأيها الدستور فاقض بما ترى ... وأبرق ولكن لا تكن خُلّب البرق

ولسنا نُريد اليوم حُكماً عليهمُ ... ولكن نناديهمْ وندعو إلى الحق

تعالَوْا إلى أمرٍ نساويه بيننا ... وبينكم في الجِلِّ منه وفي الدِّق[1]

فإن يفعلوا هذا فيامرحباً بهم ... وإلّا فياسُحْق المعاندِ من سُحْق

سنطلب هذا الحقَّ بالسيف والقنا ... وشيبٍ وشبّان على ضُمَّرٍ بُلْق[2]

بكلّ ابن حرب كلما شدّ هزّها ... بعزم من السيف المهنّد مشتق

تراه إذا ما عبّس الموت وجهه ... بوجهٍ يُلاقى الموت مبتسمٍ طَلْق[3]

من العُرب مطبوعُ الطِّباع على العُلَى ... بديعُ معانى الحسن فى الخَلق والخُلق

فى معرض السيف[4]

هىَ المُنَى كثغور الغِيد تبتسم ... إذا تطرّبها الصَّمْصامة الخَذِم[5]

دَعِ الأمانىَّ أو رُمْهُنَّ من ظُبةٍ ... فإنما هنّ من غير الظُبى حُلُمْ

والمجدَ لا تبنه إلّا على أُسُسٍ ... من الحديد وإلّا فهو منهدم

لو لم يك السيف رَبَّ الملك حارسَه ... ما قام يسعى على رأس له القلم

من سلّه فى دُجى الآمال كان له ... فجرا تَحُلُّ حُباها دونه الظُّلَم[6]

---

(١) الجِل والدق . وكلاهما بالكسر : الجليل والدقيق . أى العظيم والحقير .

(٢) أى على خيل ضمر بلق ، جمع ضامر ، وهو القليل اللحم ، الدقيق ، وجمع أبلق ، وهو الذى فيه سواد وبياض .

(٣) تراه : تبصره . وقوله « بوجه » فى موضع الحال من ضمير المفعول فى تراه ، والباء : للمصاحبة ، فكأنه يقول : نراه مصاحبا لوجه مبتسم عندما يعبس الموت .

(٤) لما قام الإصلاحيون فى بيروت يطالبون الدولة العثمانية بالإصلاح ، قال الرصافى هذه القصيدة يؤيدهم بها ، ويدعو جميع العرب إلى الانضمام إليهم . ثم إنهم لما عقدوا مؤتمرهم المشهور فى باريس ، تبين للرصافى أنهم ليسوا على هدى من أمرهم ، فرد عليهم بقصيدة كتبها تحت عنوان (ماهكذا) . وستأتى هذه القصيدة .

(٥) تطربها : حملها على الطرب ، قال الشاعر : « ولم يتطربنى بنان مخضب » .

(٦) « تحل حباها » بضم الحاء : جمع حبوة . وهى اسم بمعنى الاحتباء . وتطلق على مايحتبى به الرجل من ثوب أو عمامة . لم ويقال « حل فلان حبوته » : إذا نام ، كما يقال : عقد حبوته : إذا قعد . والمراد بكون الظلم فى هذا البيت تحل حباها ، أنها تزول دون ذلك الفجر .

والعلم أضيع من بَذْر بمَسْبخة ... إن لم تُجَلله من نَوْء الظُّبى دِيَم[1]

إن الحقيقة قالت لى وقد صدقت ... لا ينفع العلم إلاّ فوقه عَلَم

والحق لا يُجتنى إلاّ بذى شُطَب ... ماء المنيَّة فى غَرْبيه منسجم[2]

إن أسمعتْ ألسُنُ الأقلام ظالمها ... بعضَ الصرير كمن يبكى وينظلم

فللحسام صليل يرتمى شررًا ... مفتّقًا أذْنَ من فى أذْنه صَمَم[3]

هب اليراعةَ رِدْء السيف تأزره ... فهل على الناس غير السيف محتكم[4]

فالعلم ما قارنته البيض مَفْخَرةٌ ... والحق ما وازرته السمرُ محترم

وإنما العيش للأقوى فمن ضعفت ... أركانه فهو فى الثاوين مخترَم

والعجز كالجهل فى الأزمان قاطبةً ... داءٌ تموت به أو تُمسَخُ الأمم

والمجدُ يأثلُ حيث البأس يَدعمه ... حتى إذا زال زال المجد والكرم[5]

وإنَّ شأوَ المعالى ليس يُدركه ... عزْمٌ تسرّب فى أثنائه السأَم[6]

* * *

آهًا فآهًا على ما كان من شَرَفٍ ... لليَعْرُبيّين قد ألوى به القِدم

أيّام كانوا وشملُ المجد مجتمع ... والشَّعْب ملتئم والملك منتظم

كانوا أجلّ الورَى عزًّا ومقدُرةً ... إذا الخطوب بحبل البغى تُحْتَزَم

وأرْبَط الناس جأشا فى مُوافقةٍ ... من شدة الرُّعْب فيها ترْجُف اللِّمَم

قومٌ إذا فاجأتهمْ غُمّة بدَروا ... وأوفزتهم إلى تكشيفها الهِمَم[7]

---

(١) قوله « بمسبخة » : صفة لمحذوف ، أى بأرض مسبخة ، وهى التى تكون سبخة ، أى ذات سباخ ، وهى الأرض التى تحرث ولا ينمو فيها زرع . « إن لم تجلله » : أى لم تعمه . يقال : جال المطر الأرض : إذا عمها وطبقها .

(٢) « بذى شطب » : صفة لمحذوف ، أى بسيف ذى شطب . والشطب : جمع شطبة ، وهى طريقة السيف فى متنه . وقوله « فى غربيه » أى فى حديه . والضمير : يعود إلى السيف .

(٣) الصليل : صوت وقع السيف .

(٤) الردء : العون والناصر ، وتأزره : تقويه .

(٥) يأثل : أى يتأصل . ومنه يقال : مجد أثيل : أى أصيل . وقوله (يدعمه) : أى يسنده ويقويه .

(٦) شأو المعالى : أى مداها وغايتها . وتسرى : دخل .

(٧) بدروا : أسرعوا . وأوفزتهم أعجلتهم .

عَلى الحصافة قد لِيثت عمائمهمْ ... وبالجزامة شُدَّت منهم الحُزُمُ (١)

قَضَوا أعاريبَ أقحاحاً وأعقبهم ... خَلْف هم اليوم لا عُرْبٌ ولا عَجَمُ (٢)

جار الزمان عليهم فى تقلّبه ... حتى تبدَّلتِ الأخلاقُ والشِّيَم

دَبّ التباغض فى أحشائهم مَرَضاً ... به انبرتْ أعظمٌ منهمْ وجفّ دم

فأصبح الذلّ يمشى بين أظهرِهمْ ... مَشْىَ الأمير وهم من حوله خَدَم

فأكثرُ القوم من ذُلّ ومَسْكنة ... تلقَى الذبابَ على آنافهم يَنِمُ (٣)

كم قد نحتُّ بهم فى اللوم قافية ... من الحفيظة بالتقريع تحتدم

وكم نصحتُ فما أسمعتُ من أحد ... حتى لقد جفَّ لى ريقى وكلَّ فم

* * *

ياراكبًا مَتْن مُنْطادٍ يطير به ... كما يطيرُ إذا ما أُفزِعَ الرَخَمُ (٤)

يمرّ فوق جَناح الريح مُخترقا ... عَرْض الفضاء ويعلو وهو مُعتزم

يعلو إلى حيث يستجلى العيانُ له ... ماغمّة الأفْقُ أو ما وارتِ الأكَم

حتى إذا حَطّ منقضًّا على بلدٍ ... ينقضّ والبلد الأقصى له أمَم

أبلغ بنى ...طى عنى مُغلغَلَة ... فى طيّها كَلِم فى طَيّها ضَرَم

ما بالهمُ لم يُفيقوا من عَمايتهم ... وقد تبلج أصباحُ المنى لهم

إلى متى يَخْفِرون المجدَ ذمّته ... أليس للمجد فى أنسابهم رَحِم (٥)

ومن يَعِشْ وهو مِضْياع لفُرصته ... ذاق الشقاء وأدمى كفه الندم

وكل من يدّعى فى المجد سابقةً ... وعاش غير مَجيد فهو متهم

---

(١) قد ليثت ، بالبناء المجهول : أى قد لفت .

(٢) أقحاح : جمع قح ، بالضم ، وهو الخالص من كل شىء . يقال : هو أعرابى قح ، أى خالص . والخلف ، بسكون اللام : الجيل ، بعد الجيل ، ولا يستعمل إلا فى السوء . يقال : هؤلاء خلف سوء ، فاذا كان صالحا قيل خلف ، بفتح اللام .

(٣) ونم الذباب ينم : إذا سنح . ومصدره الونيم .

(٤) المنطاد : آلة تركب ، ويطار بها فى الهواء ، ويسمى بالبالون . والرخم : طائر أبقع يشبه النسر فى الخلقة . والواحدة منه رخمة .

(٥) خفر فلانا : أى نقض عهده ، وغدر به ، يقال : خفرت ذمة فلان ، وذمته فى البيت : بدل اشتمال من المجد ، فكأنه قال : إلى متى تخفرون ذمة المجد .

ما هكذا (*)

أصبحتُ أُوسِعهم لَوْما وتَثْريبا ... لمَّا امتطَوْا غارب الإفراط مركوبا

وأهبتْ منهمُ الأهواء جارية ... إلى التفرّق ألهوباً فألهوبا(١)

وأرسلوهنّ مُرْخاةً أعنّتها ... يُوغِلْن فى الأمر إحضارا وتقريبا(٢)

فأرْهَجوا الشر حتى إن هَبوته ... مدّتْ سُرادقَها فى الُّلوح مضروبا(٣)

رامُوا الصلاح وقد جاءوا بلائحةٍ ... خرقاء تترك شمل الشعب مشعوبا

قد كلَّفوا شَطَطاً فيها حكومتَهم ... وخالفوا الحزمَ فيها والتجاريبا

عدُّوا النصارى وعدوا المسلمين بها ... ونحن نعهدُهم طُرًّا أعاريبا(٤)

قد حكَّموا الدينَ فيها فهىَ مُعربة ... عمَّا يكون لدعوَى القوم تكذيبا

مَن مُبلغُ القوم أن المصلحين لهم ... أمسَوْا كمن لبس الجلباب مقلوبا(٥)

ما بالهم وطريق الحق واضحة ... لا يسلكون إلى الإصلاح مَلْحوبا(٦)

(*) لما أطلع الشاعر على لائحة الإصلاحيين فى بيروت ، ورأى فسادها ، قال هذه القصيدة يؤنبهم ويفند رأيهم فى ذلك ، وفى عقدهم مؤتمراً فى باريس .

(١) ألهبت منهم الأهواء : فى الكلام استعارة بالكناية ، حيث شبه الأهواء بالخيل العادية . ومعنى ألهبت : اجتهدت فى عدوها حتى أثارت الغبار . والألهوب : اسم بمعنى الإلهاب .

(٢) الضمير فى أرسلوهن : يعود إلى الأهـواء التى شبهها بالخيل فى البيت المتقدم . ويوغلن يسرعن ويبعدن . والإحضار والتقريب : ضربان من عدو الخيل ، وفى البيت كله تخييل الأهواء المشبهة بالخيل .

(٣) أرهجوا الشر : أى أثاروا رهج الشر ، أى غباره . والهبوة : الغبرة . واللوح ، بضم اللام الهواء بين السماء والأرض .

(٤) يقول : نحن نعدهم عربا متمسكين بالعربية ، فلم جاءوا فى لائحتهم هذه بأحكام تختص بالمسيحيين ، مع أن كلا الفريقين عرب .

(٥) أى أمسوا ضحكة للناس ، حيث فعلوا ما أضحك منهم الناس ، إذ أفسدوا وهم فى طلب الإصلاح ، فصاروا كمن لبس جلبابه مقلوبا . جاعلا أسفله أعلى ، وأعلاه أسفل . فصارت الناس تهزأ به . وتضحك منه .

(٦) ملحوبا : أى واضحا . وهو صفة وصوف محذوف . أى طريقا ملحوبا .

أفي مصالح دنياهم وهم عَرَبٌ ... جاءوا على حسب الأديان ترتيبا
ما ضرّهم لو نَحَوْا في الأمر جامعةً ... تنفي الكنائس عنها والمحاريبا
لكنهم أمّــة تأبى مشاربُهم ... إلّا التعصُّبَ للأديان مشروبا
قد حاولوا الحقَّ واشتطوا بمطلبه ... حتى بدا وجهه كالليل غِرْبيبا(١)
قد يطلب الحقَّ طيّاشٌ فيُبطله ... ما كل طالب حق نال مطلوبا
قاموا يريدون إصلاحاً فقمت لهم ... استنطق الشعر تأهيلاً وترحيبا(٢)
ورحت احثّهم حَدْواً بقافيــة ... غازلتُ في صدرها الآمال تشبيبا
حتى إذا مَخَضُوا آراءَهم ظهرتْ ... للناس زُبدتهـــا ثأياً وتخبيبا(٣)
ساروا وسرت فكان السير مختلفا ... يرمي لوجهين تشريقا وتغريبا
كانوا أحقَّ البرايا مَطْلَباً فغدَوْا ... من أبطل الناس في الدنيا مطاليبا
راموا انشقاق العصا بالشَّغْب ملتهباً ... والحِقْد مضطَرِماً والضغْن مشبوبا(٤)
إني لأبصر في بيروتَ قائبةً ... للشر مُوشِكَة أن تخرجَ القُوبا(٥)
أو أُكْرَةً من «دِيناميتٍ» إذا انفجرَتْ ... فنارها تَنْسِفُ الشُّبّانَ والشِّيبا
وقد رأيت أناساً واصلين بها ... وهم بباريزَ مِلْبارودِ أنبوبا(٦)
وآخرينَ بمصرٍ يطلبون لها ... تفرقاً يجعل المغمور مخْروبا

---

(١) اشتطوا : تباعدوا عن الحق . وجاوزوا القدر . والغربيب : الأسود .

(٢) يشير بهذا البيت والذي بعده إلى قصيدة « في معرض السيف » التي كتبها قبل هذه القصيدة يدعو القوم إلى الانضمام إليهم في طلب الإصلاح .

(٣) الثأى : الضعف ، والركاكة . والتخبيب : الغش والإفساد .

(٤) الشغب بفتح فسكون . وقد تحرك الغين : تهييج الشر .

(٥) القائبة : البيضة . والقوب : الفرخ . والمعنى ظاهر .

(٦) ملبارود : أصله من البارود . فحذفت نون من الجارة . واتصلت بالمجرور خطأً . وقد جاء استعمالها كذلك في شعر الأقدمين . وجملة : « وهم بباريز » معترضة . وأنبوبا : مفعول لواصلين . وملبارود : حال من أنبوبا .

ويترك الناسَ في دهياء مظلمة | يرتدّ منها بياض الشمس حُلْبوبا[1]
قل للعريسيّ والأنباء شائعة | والصُّحْف تَرْوي لنا عنه الأعاجيبا
عـلامَ تعقد في باريز مؤتمرا | ما كنت فيه برأي القوم مندوبا
وهل تعمَّد «حقي العظم» فَعْلَته | لمّا نمى خبراً «للطّان» مكذوبا[2]
إذ راح يستنجدُ الإفرنج منتصفاً | كأنه حَمَل يستنجِدُ الذيبا

* * *

خافوا التذبذبَ في أعمال دَولتهم | من أن يَجُرَّ على الأوطان تخريبا
وكان خوفهم حقّاً لوَ انهُمُ | لم يعدِلوا عن طريق الحقّ تنكيبا
لكنهم جاوزوا نَهْجَ الصواب إلى | وادي تُهُلِّكَ فاستقصوا به الحُوبا[3]
ولم يُبالوا بما أبدوه من جَنَف | أن يُمسِيَ الوطنُ المحبوبُ محروبا
فهم كمن فرّ من قُطْر يبلله | ثم انتحى السيلَ أو جاء الميازيبا
لو كان في غير باريز تألُّبُهُمْ | ما كنتُ أحسبهم قوماً مذا كيبا
لكنّ باريز ما زالتْ مطامعها | ترنو إلى الشام تصعيداً وتصويبا
ولم تزل كلَّ يوم من سياستها | تلقي العَراقيل فيها والعراقيبا
هل يأمن القومُ أن يحتلّ ساحتَهمْ | جيش يَدُكُّ من الشام الأهاضيبا

* * *

يا أيّها القوم لا يغرركُمُ نفر | ضجّوا بباريزَ إفسادا وتشغيبا
جاءت رسائلهمْ بالشر مُغْرِيةً | تفنّنَ في المكر أسلوبا فأسلوبا

---

(١) الحلبوب : الأسود الحالك . يقال : أسود حلبوب وسحكوك وغربيب .

(٢) لما عقد المتهوسون من العرب مؤتمرهم في باريز ، أرسل حقي العظم إذ ذاك بمصر تلغرافا إلى جريدة الطان الباريزية ، يطلب فيه من الحكومة الفرنسية أن تتدخل في أمر سورية . ففي هذا البيت وما بعده إشارة إلى هذا التلغراف الذي أرسله حقي العظم .

(٣) وادي تهلك . بضم التاء والهاء وتشديد اللام المكسورة : هو الباطل . ويستعمل ممنوعا من الصرف .

فطالعوهن بالأيدى مطالعة ... تسطو عليهن تمزيقا وتأريبا[1]
إن يصدقوا إنهم لايبسون سوى ... مَحْضِ النصيحة فى الدّعوى جلابيبا
فسوف يقرع كُلٌّ سنّهُ ندماً ... ويُسْبلُ الدمعَ فى الخدين مسكوبا

فى ليلة نابغية[2]

خاضَ الدُّجَى وظلامُ الليل مختلطُ ... صوتٌ به الوجدُ مثلُ السيف مُخترطُ[3]
يَبُثُّ فى الليل حُزنا لو أحسّ به ... لبان فى لِمَّتيه الشيبُ والشّمَط[4]
أبديهِ منقبضا منه على شَجَن ... فيملأ الليلَ إرنانا وينبسطُ
أرسلتُ منه أنيناً فات أوّله ... سمعى وآخرُه بالقلب مرتبط
والليل أرسل وَحْفا من غدائره ... كأنه بثُريّا الأُفْق يمتشط[5]
والنجم فى القبّة الزرقاء تحسبه ... فرائداً وهى من فَيْروزَج سَفَط[6]

(١) قوله « فطالعوهن بالأيدى » المطالعة : إنما تكون بالعيون لا بالأيدى . ولكنه أراد أن يقول : مزقوهن . فنزل التمزيق منزلة المطالعة . تهكما واستهزاء . وقال طالعوهن بالأيدى . ففى الكلام استعارة تبعية مصرحة . حيث حذف المشبه . وذكر المشبه به . وأثبت له ما يلائم شبه . وهو قوله بالأيدى . ثم اوضح مراده بقوله مطالعة إلى آخره .

(٢) لما نشر الرصافى قصيدته « ما هكذا » التى انتقد بها دعاة الإصلاح واللامركزيين ، ضج له ضجيج القوم ، وأخذت صحفهم تشنع عليه الأمر ، وترميه بما هو منه براء وخلاء ، فبلغه الخبر وهو إذ ذاك فى الآستانة ، فبات له قلق الحشا ؛ فكتب هذه القصيدة وكأنه كان فى ليلة نابغية ، ولذا عنون القصيدة بهذا العنوان .

(٣) مختلط : أى معتكر شديد السواد ، فاختلاط الظلام : شدة سواده ، كأنه كر بعضه على بعض ، وامتزج حتى تضاعف . والوجد : الحزن . ومخترط ، بصيغة المفعول : أى مسلول .

(٤) يبث : ينشر . وضمير الفاعل المستتر فى يبث يعود إلى الصوت ، وضمير الفاعل فى أحس يعود إلى الليل . والشمط : بياض الشعر ، فعطفه على المشيب من قبيل عطف التفسير .

(٥) قوله « وحفا من غدائره » : الوحف ، بفتح فسكون : الشعر الكثير الأسود الحسن . والغدائر : جمع غديرة وهى الذؤابة . وأراد بغدائر الليل سدول ظلامه ، فشبه الليل بحسناء أرسلت ذوائبها ، لتسرح شعرها وتمتشط ، وجعل الثريا كالمشط فى يدها .

(٦) الفيروزج : حجر كريم ، يكون بلون السماء . وهو المعروف بالفيروز (معرب) . والسفط فتحتين : وعاء مقعر مستدير كالقفة . أكثر ما تستعمله النساء لوضع حليها . ومنه قولهم : « يوجد فى الأسقاط . ما لا يوجد فى الأسفاط » .

كم قلتُ والليلُ جَثْلُ الشعر فاحِمُه ... شِعْرًا به كاد فرع الليل ينمعط (١)

ينجاب ليل العمى عن قلب سامعه ... كالفجر إن لاح فالظلماء تنكشط (٢)

لهفى على حِكَمٍ ما زلت أنثرها ... دُرًّا ثمينا وما فى القوم ملتقط

ضاع الدواء الذى قد كنتُ أُوجِرُهُ ... مَن ليس يشرب أو من ليس يستعط (٣)

تقول لى أن غبطتُ القومَ تجربتى ... لا تَغْبِطَنَّ فما فى القوم مغتبَطُ

* * *

قُلْ للألَى نطقوا بالضاد مُدَّغَمًا ... لم يُدْغِم الضَّادَ آباءٌ لكم فَرَطوا (٤)

أيَحْسُن اللحنُ إذ آباؤكم فَصَحوا ... أم يحسن العجز إذ آباؤكم نَشِطوا

فيكمْ غُلُوٌّ وتقصير وبينهما ... ضاع المراد أأنتم أمّة وَسَط

إنّى ابتُليتُ بقوم يَبْعَرون على ... أعقابهم ، وإذا عَنَّفتهمْ ثَلَطوا (٥)

شطُّوا بأقوالهم حتى لقد غَضِبوا ... إذ قلت يا قومُ فى أقوالكم شَطَط (٦)

فبدِّلوا القولَ إن صحّت عزائمكم ... فِعلًا وإلّا فإنى يائس قَنِط

قد حِرْت فى الأمر : إنى حين أُسْخِطهم
يَرْضَوْن عنى وإن أرضيتهمْ سَخِطوا

فاز الذى كان فى أحواله وَسَطا ... فالمرْءُ يُعْقَى وإن الحُلوَ يُسْتَرَط (٧)

---

(١) الجثل ، بفتح فسكون من الشعر : الكثير اللين . والفاحم : الأسود . والفرع : الشعر التام . وينمعط : يتساقط ويتمرط . والمراد بفرع الليل : ظلامه ، وبانمعاطه : انجلاؤه وإضاءته .

(٢) ينجاب : أى ينشق وينجلى . وتنكشط : تنكشف وتزول .

(٣) قوله « أوجره » . تقول : أوجرت المريض الدواء : إذا صببته فى فيه . ويستعط : يدخل السعوط فى أنفه . والسعوط : الدواء الذى يستعط .

(٤) المراد بكون الضاد مدغما : النطق به كالدال المفخمة المدغمة ، وكذلك تنطق به العامة اليوم فى سورية . وقوله « فرطوا » : أى سبقوا وتقدموا .

(٥) يبعرون : أى يرمون رجيعهم بعرا ، وهو رجيع ذات الخف . وقوله « ثلطوا » : أى سلحوا سلحا رقيقا . يقال للانسان إذا رق نجوه : هو يثلط ثلطا . ومعنى البيت : إنى إذا لمتهم على خطئهم الصغير ، فبدل أن يكفوا عنه يأتون بخطأ أكبر .

(٦) شطوا بأقوالهم : أى جاروا وأفرطوا . والشطط ، محركة : مجاوز القدرة والحد .

(٧) يعقى ، بالبناء للمفعول : أى يكره ويعاف ويلفظ . وهذا الشطر من البيت يتضمن المثل المشهور : « لا تكن حلوا فتسترط ، ولا مرا فتعقى » .

قل للأعاريب قد هانت مكارمكمْ ... حتى ادّعاها أناس كلهم نَبَط(١)

برئتُ للعُرب العرباء من فئةٍ ... يُنْمَوْن للعُرْب إلا أنهم سَقَط(٢)

أينَ المكارم إن هم أصبحوا عَرَبا ... فإنها فى طباع العُرب تُشترَط

إن يغمِطونى لأنى جئت أنهضهم ... فأىّ مستنهِضٍ ذى نجدة غمَطوا(٣)

هُمْ كالضفادِع فاسمعهمْ إذا رَطَنوا ... فما هُنالك إلاّ اللّغو واللّغط(٤)

يستنثِرون صَغارا من معاطسهم ... ولا يبالون أَنْ قالوا وأن ضَرَطوا

العارُ يرحل معهم أينما رحلوا ... والخِزى يهبط معْهم أينما هبطوا

من كل أشْوَهَ لاحت من مغامزه ... فى وجه كل حياة حوله نُقَط

قد رثَّ عَرْضاً وإن جدّت مآزرُهُ ... من كل مُخزِية فى وجهه شَرَط(٥)

تراه يشخر عند الأكل من جَشَعٍ ... كأنما هو عند الأكل يمتخِط

الخَلْق كالخطِّ لا تقرأ لئامَهم ... واشطب عليهم بنعلٍ إنهم غلَط

إن رُمت تشبعُ من مجد فكُلْ همماً ... كأكلك السّمن ملبوكا به الأَقِط

نفسى تجيش لأمرٍ لو صدعت به ... لزُلزلت دونه البُلْدان والخطط

---

(١) النبط ، بالتحريك : جيل من العجم ، ويستعمل أيضا فى أخلاط الناس وعوامهم .

(٢) قوله « إلا أنهم سقط » السقط بالتحريك : ما لا خير فيه ، والخسيس الرذل من كل شىء .

(٣) إن يغمطونى : أى يستحقرونى ويزدروا بى .

(٤) رطنوا : أى تكلموا بالأعجمية . ومراده بالأعجمية هنا : اللغة العامية ، فانها أعجمية بالنسبة إلى الفصحى . واللغو : ما لا يعتد به من الكلام . واللغط ، بالتحريك : أصوات مبهمة غير مفهومة .

(٥) الشرط : بالتحريك : العلامة .

آل السلطنــــة

هم يعدُّون بالمئات ذكوراً　　وإناثا لهم قصورٌ مُشاله[1]

ولهم أعبدٌ بها وإماء　　ونعيم ورفعة وجلاله

تركوا السعى والتكسُّب فى الدنـيا وعاشوا على الرعية عاله[2]

يتجلى النعيمُ فيهم فتبكى　　أعيُن الـ ـى من نعيم البطاله

يأكلون اللُّباب من كدِّ قوم　　أعوزتهم سخينة من نخاله[3]

فكأن الأنام يشقون كدًّا　　كى تنال النعيمَ تلك السُّلاله

وكأن الإله قد خلق النـا　　س لمحيا آل السلاطين آله

نعموا فى غضارة الملك عيشا　　وحملنا من دونهم أثقاله

فإذا صاوَلَ العـدو خرجنا　　دونهم للوغى نردُّ صياله[4]

وإذا هم جرّوا الجرائرَ يوماً　　فعلينا تكون فيها الحماله[5]

وإذا ما استهلَّ فيهم وليدٌ　　فعلينا رضاعه والكفاله[6]

قد رضينا بذاك لولا عتوٌّ　　أظهروه لنا على كل حاله

ما بهم ما يميزهم عن بنى السُّـوقة إلَّا رسوخهم فى الجهاله[7]

هم من الناس حيث لو غُربل النـاس لكانوا نُفايةً وحثاله

ومن الجهل حيث لو صُوِّر الجهـل لكانوا بين الورى تمثاله

حمّلونا من عيشهم كل عبء　　ثم زادوا أصهارهم والكلاله[8]

---

(١) مشالة : مرفوعة عالية .　(٢) العالة جمع عائل ، وهو الفقير . والمراد به هنا : الكل الذى يعتمد على غيره ، ولا يسعى لنفسه .　(٣) سخينة : طعام أو حساء يتخذ من دقيق وتمر ، يؤكل أيام الجهد . والنخالة : ما يبقى فى المنخل بعد نخل الدقيق من قشر الحب .

(٤) المصاولة : المواثبة . وفى الأصل : وإذا ما صال . تحريف

(٥) الحماله : ما يتحمله المحاربون من ديات القتلى .

(٦) استهل : صاح عند الولادة .　(٧) السوقة : من عدا الملك من الرعية .

(٨) الكلالة : ذوا القرابة غير الوالد والأولاد . يريد من ليسوا شديدى القرابة .

فكفينا أصهارَهم مُؤْنة العيش   فكانوا ضِغْثاً على إبالهْ[١]

تلك والله حالة يقشعِرّ الحق   منها منها وتشمئز العدالهْ

هى منهم دناءة وشَنار   وهى مِنّا حماقة وضلالهْ

ليس هذا فى مذهب الإشتراكيّة   إلا من الأمور المُحالهْ

وهو فى الملة الحنيفية البيضاء   كفرٌ بربنا ذى الجلالهْ

الوطن والأحزاب[٢]

متى نرجو لغُمّتنا انكشافا   وقد أمسى الشِّقاق لنا مَطافا

ملأْنا الجو بالجدل اصطخابا   وكنا قبلُ نملؤه هُتافا[٣]

وما زلنا نهيم بكل وادٍ   من الأقوال نرسلها جُزافا[٤]

ونُرْجِف فى البلاد بكل رُعْب   يَهُز فرائص الأمن ارتجافا[٥]

ونتّهم الحكومةَ باعتساف   ونحن أشدُّ ظالما واعتسافا

وكم من ناعب فى القوم يدعو   بوشك البين تحسبه الغُدافا

تَباكَينا على الوطن اختداعاً   فأنْبتْنا بأدمعنا « الخلافا »[٦]

(١) الضغث : ما يملأ الكف من قضبان أو حشيش أو شماريخ . والابالة : الكومة الكبيرة منه.

(٢) قال الرصافى هذه القصيدة عند ما سقطت وزارة الاتحاديين ، وقامت وزارة أحمد مختار باشا الغازى ، وذلك قبل الحرب البلقانية ، وكان الخلاف بين الاتحاديين والائتلافيين فى أشد حالاته .

(٣) الجدل ، بالتحريك : شدة الخصومة . والاصطخاب : اختلاط الأصوات واشتدادها . والهتاف : الصياح . وأراد بالاصطخاب : الصوت فى الشر ، وبالهتاف : الصوت فى الخير . وفى الجملة الثانية حذف ، دل عليه قوله بالجدل فى الجملة الأولى ، وتقدير الكلام : وكنا قبل نملؤه بالوفاق هتافا .

(٥) قوله « نرسلها جزافا » : أى معدولا بها عن منهج الصواب ، كالبيع الذى يكون مجازفة ، بلا كيل ولا وزن .

(٥) نرجف : أى نخوض فى الأقوال السيئة ، والأخبار المرعبة ، التى تجعل فرائص الأمن مهتزة مرتجفة . وارتجافا فى البيت مفعول مطلق ، سلط عليه عامل من معناه ؛ أو هو نائب عن المفعول المطلق ، على حذف مضاف . وفى قوله « فرائص الأمن » استعارة مكنية .

(٦) الاختداع : بمعنى الخدع ، وهو فى البيت مفعول لأجله . وفى قوله « فأنبتنا بأدمعنا الخلافا » تورية ، فان الخلاف هو التخالف . والخلاف أيضا : شجر ، وهو صنف من الصفصاف .

أجاعتنا المطامع فاختلفنا ... لنملأ في موائدنا الصِّحافا

ولكنّا من الوطن المُفَدّى ... نَخيط على مطامعنا غِلافا[1]

* * *

أرى أنف الحوادث مُشمخِرًّا ... غدا يتشمَّم الحدَث الجُرافا[2]

ويُوشك أن يمزِّق مَنْخِريه ... عُطاس يملأ الدنيا رُعافا

فهل لوزارة « الغازى » اقتدارٌ ... تردّ به الهَزاهز والثِّقافا[3]

* * *

أقولُ ولو يسوء القومَ قولى ... بيانا للحقيقة واعترافا

قد اختلف البريةُ واختلفنا ... فكنا نحن أسوأها اختلافا

فلا تَغْرُرْكَ أحزاب شِداد ... بأنّ لهم أقاويلًا لِطافا

فإن بواطن القوم اختراصٌ ... وإنْ أبدتْ ظواهرُهم عَفافا

وما اختلفوا لمصلحةَ ولكنْ ... ليأكلَ أقوياؤُهمُ الضِّعافا

هو الدينارُ مُنيةُ كل راج ... وبُغيةُ كل من دأب احترافا

نَحُجُّ لأجله بيتَ المخازِى ... ونكثِر حول كعبته الطوافا

ترى كل الأنام به سُكارى ... وغيرَ هواه ما ارتشفوا سُلافا

نُحِبُّ سواه فى الأفواه جارٍ ... ولكن حبه بلغ الشِّغافا

هو الحرب التى زحفت إليها ... كتائب كل من طلبوا الزِّحافا

وكمْ قدّرت فى أمَل مُخاف ... فأمن صوتُه الأمل المُخافا

إذا خطب الوضيع به المعالى ... أقام له بنو الشَّرَف الزِّفافا

أرَى الأحزابَ من طمع وحرص ... قد اخترقوا إلى الفِتن السِّجافا

---

(١) يريد : إنا اختلفنا للمطامع ، ولكننا نغطى مطامعنا بغطاء من حب الوطن ، ونجعلها فى غلاف منه ، تمويها وسترا لمطامعنا .

(٢) الجراف : الجارف . يقال : سيل جراف .

(٣) الهزاهز : الحروب والفتن التى تهز الناس . والثقاف : هو المضاربة بالسيوف على الرءوس . ووزارة الغازى : هى وزارة أحمد مختار باشا الغازى . وفى هذا البيت وما قبله كهانة وتنبؤ عن المستقبل ، بالأخبار عن وقوع حروب وفتن ، وقد وقعت بعد ذلك حرب الأمم البلقانية مع الدولة العثمانية .

تجانف بعضهم في الرأي بعضاً وبئس الرأيُ ما التزمَ الجتافا[1]
لئن خطَّأتُ من راموا «اتحاداً» فما صوّبتُ من راموا «ائتلافا»
فإن مشاربَ العدوان منها كِلا الحزبين يرتشف ارتشافا
وهم كأولى الديانة كلُّ حزب يراه أحق بالحق اتصافا[2]
وماذا نفع أقوال سمانٍ إذا أفعالهم كانت عجافا
وأنى يُصلح الأوطانَ قوم بها أشتى تدابُرُهم وصافا
فكن منهم على طرَف بعيدا وحاذرْ أن تكون لهم مضافا
فهمْ كالبحر يهلك راكبوه ويسلمُ منه من لزم الضفافا

عند سياحة السلطان [3]

قلْ للحكومات في البلقان هل علقتْ آمالكمْ من مواعيدٍ بإنجازِ
إن الذي تضمرون اليوم من طمعٍ أمسى لأشعب يعزو مثله العازي
لم تعرفوا مُذ لمستم عرق نخوتنا إذ قد لمستم بكفٍّ ذات قفّازِ
إنا نعرف لغزاً في سياستكم وما السياسة إلا بيتُ ألغازِ
ألم تروْا أننا مُستوفزون لكمْ إذ نحن منكمْ على حذرٍ وأوفازِ[4]
زار المليك بلاد الروم حيث غدا يُلقِي الدسائسَ منكمْ كلُّ همّازِ[5]

---

(١) قوله « يجانف بعضهم في الرأي بعضا » : أي ينفصل بعضهم عن بعض ، انفصالا منطويا على بغض وعداوة .

(٢) أي أن هذه الأحزاب السياسية يشابهون أهل الأديان المختلفة ؛ إذ كل منهم يرى نفسه على الحق ، غيره على الباطل ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

(٣) لما أخذت حكومات البلقان تشتعل بإيقاد الفتن السياسية في مقدونية وبلاد الألبان، وخرج السلطان رشاد إلى البلاد المذكورة سائحا سياحة سياسية ، وقال الرصافي هذه القصيدة ، وقد رفعها إلى السلطان ، فأجازه عليها بساعة من ذهب ، ذات سلسلة ذهبية .

(٤) مستوفزون : متهيئون للوثوب عليكم ،وفسر ذلك بقوله « إذ نحن منكم الخ ... » . يقال: نحن على أوفاز، أي حد عجلة . أو على سفر قد أشخصنا ، والأوفاز: جمع وفز ،وهو العجلة .

(٥) الهماز ، كشداد : العياب الطعان

فزال كل فساد كان منتشرا ... من عهدكم بين إغراء وإيعاز

حتى اطمأنت قلوب الناس هادئة ... وكل قلب لكم من غيظه نازى[1]

وأصبح المترجى من سطاهكم ... يرنو إليكم بطرف ساخر هازى

ولاعبت نسمات الحب ألوية ... من الرشاد أقيمت فوق أنشاز[2]

يا أيها الملك السامى بحكمته ... والمبدل الناس من ذل بإعزاز

قد عى فى وصف ما أوتيت من حكم ... كلا كلامى إطنابى وإيجازى

غزوت غزو سلام دون غايته ... غزو الحروب فأنت الفاتح الغازى

ملكت بالعفو والإحسان أفئدة ... كانت إلى السيف فيها بعض إعواز

وأنت لو شئت إرهابا لجئتهم ... بصارم لنواصى القوم جزاز[3]

لكنما جئتهم بالعفو تأخذهم ... والعفو أفضل ما يجزى به الجازى

فاغمد سيوفك إن العفو منصلت ... واهنأ بشعب محب غير منحاز[4]

بالترك بالروم بالألبان قاطبة ... بالأرمنيين بالبلغار باللاز

أما بنو العرب فالإخلاص يرفعهم ... إلى مقام على الأقوام ممتاز

إذ هم عماد لعرش أنت ماسكه ... فاضرب بغاث العدا منهم بأبواز

ورض بهم كل صعب ، إنهم فئة ... تبغى الصدور ولا ترضى بأعجاز

وهم ركاز العلى لو زرت أرضهم ... يوما لأركزت فيها أى إركاز[5]

إن يعجز الأمر عن شىء فهم سند ... لو كنت مسنده منهم بعكاز

وإن خشيت على البلدان جنتها ... فنط بها من نهاهم بعض أحراز[6]

---

(١) نازى : أى واثب ، اسم فاعل من نزا ينزو ، بمعنى وثب .

(٢) أنشاز : جمع نشز ، بالتحريك ، وهو المكان المرتفع .

(٣) جزاز : فعال من الجز ، بمعنى القطع . والنواصى : جمع ناصية ، وهى مقدم الرأس . وجز الناصية فى كلامهم : كناية عن القهر والإذلال .

(٤) غير منحاز : أى غير عادل ولا حائد . وتقدير الكلام غير منحاز عنك . فحذف الصلة من الجار والمجرور لضيق المقام ، ولدلالة الكلام عليها .

(٥) الركاز : ما ركزه الله فى المعادن من ذهب وفضة . يقال : أركز الرجل : إذا وجد الركاز ؛ ومعنى البيت ظاهر .

(٦) أحراز : جمع حرز : وهو العوذة التى تكتب ، وتعلق على الإنسان من العين والفزع والجنون .

وسيفُ ماسكك إن رثّتْ حمائلُه ... أغنوْكَ فى رأبها عن كل خرّاز[1]

زر أيُّها الملكُ المحبوب مَوْطِنهم ... ولو زيارةَ عَجْلان ومُجتاز

وانظر إليـه بعين منك شافيةٍ ... ما نابه اليومَ من جهل وإعواز

أشئِمْ وأعرِقْ ورُح بعد مُحْتجزا ... وأيمِنَّ بعــزم غير هَزْهَاز[2]

ماذا على ملك الدستورِ من وطنٍ ... لو جال منهُ بأطراف وأجواز

الحق والقوة

أرَى الحقَّ لم يغشَ البلادَ وإنما ... مشى ضارباً فى الأرض تلفظُه الطُّرْقُ

فيُصْبِح فى أرض ويُمسى بغيرها ... وَحيداً فما يُؤْويه غرب ولا شرق

توطَّنَ قفرَ الأرض مبتعداً بها ... إلى حيثُ لا إنْس ولا طائر يزقو

وقد يهبط الأمصارَ وهو محجَّب ... ويظهر أحيانا كما أومضَ البرْق

ومن عجَبٍ أن الوَرَى يدْعونه ... وهم من قديم الدهر أعداؤه الزُّرْق

أعدُّوا له فى البرِّ والبحرِ قوةً ... إذا ظهرتْ ينسدَّ من دونها الأُفْق

وطــاروا بطياراتهم يمْطرونه ... قذائفَ من نار كما أَمْطرَ الوَدْق[3]

° ° °

يقولون إن الحق فى الخلق قوة ... تذلّ لهــا الأعناقُ قهراً وتندق

فما باله يُمسِي ويصبح شاكياً ... ولا يتحاشَى عن ظُلامته الخلق

إلى الله نشكو الأمر من مَدَنيَّةٍ ... تعارَضَ فى أوصافها الكِذْبُ والصِّدْق

وكم قد سمعنا ساسة الغربِ تدَّعِي ... بأشياء من بُطْلانها ضَحك الحَق

(١) فى رأبها : أى فى إصلاحها . والضمير يعود إلى الحائل . والخراز : فعال من الخرز ، وهو خياطة الجلود .

(٢) احتجز الرجل : أتى الحجاز . وأيمن : أتى اليمن . وكذلك أشأم وأعرق : أتى الشام والعراق . وقوله « بعزم غير هزهاز » أى غير مضطرب .

(٣) الودق المطر كله : شديده وهينه .

فهم منعوا رقَّ الأسير وإنما أجازوا لهم أن يشملَ الأممَ الرِّق
ألم تر في القطر العراقيّ أمّةً من الأسر مشدودا بأعناقها رِبْق
قد اختطّ فيه السيف للقوم خِطةً من العُنف لم يعرر بساحتها رفق
وأوجرهم سمّا من الذل ناقعا بكأس من العُدوان ليس لها مَذْق
فدجلة من وقع الشوائب أصبحت تُعاف ، لأن الماء في حوضها رَنْق
وإن الفرات الغمرَ أمسى وماؤه من الضيم غَوْر ما لأوشاله عُمْق

° ° °

رعى الله بين الواديين مَواطنا إذا ذُكرت يهتزّ بي نحوها عشق
قَضَيت بها عصر الشباب فلي بها خواطر لم يسمح بإفشائها النطق
فلا تعجبوا من أنني عند ذكرها أنوح عليها مثلما ناحت الوُرْق
وأني إذا أبصرتها مستضامةً يكاد لها قلبي من الحزن ينشق
ألم ترها قد أصبحت من إسارها تُليح بطرفٍ في لواحظه العِتق
تجرّ قيود الذلّ راسفةً إلى تكاليفِ حكم في سياسته المحق
وَيحلُب شطريها العدوّ ضرائبًا ويَمْخَضها دَرًّا كما يُمْخَض الزِّق
سلام على وادي السلام الذي به تفاقم هول الخطب واتسع الخرق
سنفديه حتى لا حياةٌ عزيزة ونبذل حتى لا نفيسٌ ولا عِلق
ونُدرِك فيه ثأرنا بكتائب لها نسبٌ من صلب يَعْرُبَ مشتق
وإن الليالي بالخطوب حوامل ولا بُد يومًا أن سيأخذها الطَّلْق
فتنتجُ حربًا ما يبوخ سعيرها وتستن في ميدانها الدُّهم والبُلْق
بكل أخي عزم كأن مَضاءه مُشَطَّبة بيضٌ ومسنونة زُرْق
تُلفَّفُ رايات العلى بسواعد لهن بتصريف القنا في الوغى حِذق
فإما المنايا نستطبُّ بطبّها وإما مُنًى فيها يَتم لنا السبق
إذا نحن لم نملك على الدهر أمْره فلا دام فينا نابضا للعلى عِرق

صبح الأماني (١)

تبلّج أفقُ الشرق من بعد ما اغبرّا ... وكشّر عن صبح الأماني مُفْتَرّا (٢)
ولو كان صُبْحاً ناصع اللون سرّني ... وبرّد حرّاً كان في كبدي الحرّى
ولكنه صُبْحٌ يلوح لناظري ... بحاشية الزرقاء كالدم محْمرّا
أراه كوجه الغادة الخود راقني ... بحسنٍ ولكن قد تجهّم وازورّا (٣)
لمحت تباشير المُنَى من خلاله ... ضئالا كمهولكٍ غدا يشتكي الضُّرّا (٤)
ولم أدرِ لمّا استبهمتْ أُخْرَياتُه ... أأطمع أم أستشعر اليأس مضطرا
ولو كنتُ أدري ماوراء احمرارِه ... لسرّى عن النفس الكئيبة ماسرّى (٥)
ولكنه ورّى عواقب أمـــــرِه ... فزادت شكوك النفس من أجل ماورّى
يهامسُني بالوعد قولا مُجمْجَماً ... كأنْ هو يخشى أن أذيع له سرّا (٦)
وأني لأخشى أن أكون بوعده ... وإن أسفرت أوضاحه الغرّ مغترّا

---

(١) نشرت الجرائد مقالا لشكرى غانم بباريس ، صرح فيه بالتبرؤ من الأمة العربية ، قائلا إننا معاشر السوريين أو اللبنانيين لسنا بعرب ، وإن تكلمنا بالعربية ، وإنما نحن فينيقيون . فقال الرصافي هذه القصيدة يرد على شكرى غانم .

(٢) يشير بقوله « تبلج أفق الشرق » إلى حكومة دمشق العربية وكنى عنها بافترار الشرق عن صبح الأماني .

(٣) شبه هذا الصبح في عدم وضوحه وصدقه ، بوجه الغادة الحسناء ، الذي فيه تقطيب وبسور ، فهو على حسنه متجهم للناظرين ، أي كالح . ومزور عنهم : أي منحرف .

(٤) تباشير المنى : أوائلها التي تبشر بها . وضئال : جمع ضئيل ، وهو الدقيق الحقير . والمهولك : المضنى الذي أضعفه المرض .

(٥) قوله «لسرى عن النفس» : أي لكشف عنها الهم . وقوله «ولكنه ورى» في البيت الذي بعده : أي ولكنه أخفى عواقب أمره .

(٦) يهامسني بالوعد : أي يكلمني به همسا . والهمس : الصوت الخفي . وقوله «قولا مجمجما» : أي قولا غير مبين . وهو منصوب على أنه مفعول مطلق ، مسلط عليـــه عامل من معناه ، وهو يهامسني .

وما كل صبح يرتجي الناس خيره ... ولا كل ليل مظلم يضمر الشرا

فإن كنت يا صبح الأماني صادقا ... بوعد فحيا الله طلعتك الغرا

* * *

خليلي هل من عاذر في قصيدة ... أقول بها حقا وإن قلته مرا

أرى هبوة سوداء في الجو أسبلت ... حجابا بآفاق العراقين ممترا(١)

وأرخت بأرض الشام منها على الربا ... سدولا بها جو السماء قد اغبرا

ومدت على بيروت منها غيابة ... بها عاد وجه الأفق أسفع مكدرا(٢)

وما هي إلا عارض من تناكر ... به مربع الآمال أقفر واقورا(٣)

ترى القوم فيه نوءهم متخاذل ... وآماهم أمست كتيبتها فرى(٤)

* * *

عجبت لقوم أصبحوا ينكروننا ... وقد عرفونا في الزمان الذي مرا

هم أسمعونا نعرة عربية ... فدوى صداها في المسامع مضطرا(٥)

فكم من خطيب قام فيها مثرثرا ... فطرى لنا من يابس القول ماطرى(٦)

وكم شاعر قد أرخص الشعر دونها ... وكم قلم فوق الطروس بها صرا(٧)

وكنا أجبناهم إليها إجابة ... بها قد تركنا جانب الدين مزورا

رجاء اتحاد في طريق سياسة ... تعم مراميها بني يعرب طرا

---

(١) الهبوة : الغبرة . وأسبلت حجابا : أي أرسلته وأرخته . وقوله ممترا : أي مارا بآفاق العراقين ، وهو اسم فاعل من امتر ، افتعل من المرور ، يقال امتر به أي مر به .

(٢) الغيابة : كل ما أظل الانسان من فوق رأسه . كالغبرة والسحابة ونحو ذلك . وأسفع : ذو سواد وشحوب ومكدر : أي كدر ، وهو اسم فاعل من اكدر كاحمر . بمعنى كدر .

(٣) أقفر : خلا من السكان . واقور : ذهب نباته .

(٤) قوله « نوءهم متخاذل » : أي ضعفاء غير متفقين ولا متناصرين : وقوله « أمست كتيبتها فرى » بضم الفاء . وتشديد الراء : أي منهزمة .

(٥) النعرة : الصوت بالخيشوم ، ودوى صداها : أي سمع له دوى . ومضطرا : مصطخبا .

(٦) مثرثرا : أي مكثر الكلام ، وطرى ، من التطرية : أي جعله طريا .

(٧) صر القلم صريرا : سمع له صوت عند الكتابة .

فقد حان أن يخضلّ غصنُ اعتزازنا ... ويرجع بعد اليُبس رطبا ويخضرّا
نصبنا خياشيم الرجاء لِريحهم ... فهبّت لنا نكباءُ عاتيةً صِرّا[1]

* * *

لعمرى لقد ساء الكرامَ ابنُ غانم ... بباريسَ إذ قد قال ما يُخجِل الحرّا
نفى عن مَناميه العروبةَ وادّعى ... جُزافا وخلّى منهج القوم وابترّا[2]
وهل حسبوا أن العرُوبة فى الورَى ... من العَرّ حتى أنكروا ذلك العَرّا[3]
كأن لم يقم من بينهم ناعرٌ بها ... ولم يكُ ضَرّانا بها أمسِ مَن ضَرّا[4]
فما أحَدٌ منهم وفَى بعهوده ... ولا أحَدٌ منهم بما قال قد برّا
وكان غَروراً كل ما حالفوا به ... وشر الحليفين الذى خان أوغرّا
وعاد الذى كنا نؤمّل منهمُ ... إلى غير ما كنّا نؤمّل مُنجرا
وقد صوّحت تلك الأمانىُّ كلُّها
فحاكت نباتَ الأرض إذهاجَ مصفرّا[5]
وأصبح فينا شامتًا كلُّ من غدا ... لأبناء قَنْطوراءَ يغضب مُمْقَرّا[6]

(١) نكباء منحرفة عن مهاب الرياح ، وعاتية : شديدة العصف ، مجاوزة الحد ، وصرا ، بكسر الصاد ، وتشديد الراء : أى شديدة البرد .

(٢) نفى عن مناميه : أى عن مناسبه . والعروبة : العربية . ابتر : من الإبترار ، وهو الاعتزال والانفراد عن الأصحاب .

(٣) العر بالفتح : العيب .

(٤) قوله ضرانا بها : أى أغرانا ، يقال : ضراه بكذا تضرية : أى ألهجه به ، وأغراه ، وعوده إياه .

(٥) قوله صوحت تلك الأمانى : أى يبست وجفت .

(٦) أبناء قنطوراء : الترك . وقوله ممقرا : أى ناتئا عرقه ، يقال امقر الرجل امقرارا : إذا نتأ عرقه ؛ ويكون ذلك عند الغضب .

نواح دجلة

قالها بعد سقوط بغداد فى أثناء الحرب العامة ، جوابا عن قصيدة للشاعر التركى الشهير سليمان نظيف بك :

هِىَ عينى ودمعُها نضَّـاحُ . كلُّ حُزنٍ لمائها يمتاحُ
كيف لا أذرف الدموع وعِزِّى بيد الذل هالك مُجتاح
قد رمتنى يدُ الزمان بخطبٍ جَلَلٍ ما لليـــله إصباح
حيثُ غَمَّت علىَّ وجه سَمائى ظُلُماتٌ تخفَى بها الأشباح
وتوارَى عن أعينى مضمحِلًّا شرَفٌ فى مواطنى وضَّاح
يومَ أمسيتُ لا حُماةَ تذود الضّـــيم عنى ولا ظُبًى ورماح
فأنا اليومَ كالسفينة تجرِى لا شِراعٌ لهـا ولا مَلَّاح
ضِقت ذرعًا بمحنتى فتراءتْ قِيدَ شِبرٍ لِىَ الفِجاج الفِساح
أخرسَ الحزن مَنْطقى بنحيب ألسنُ الدمع فيه ذُلْق فِصاح
نُحْتُ حتى رثى العدوّ لحالى واعترانى من العويل بُحَاح
فمياهى هى انسكاب دموعى وخريرى هو البكا والنُّواح
أوَ مَا تبصرُ اضطرابى إذا ما خَفَقَتْ فى جوانبى الأرواح
ليس ذا الموجُ فىّ مَوْجًا ولـكن هو منى تنهّـــد وصياح
إن وجـدى هو الجحيمُ ولولا أدمعى أحرقتنىَ الأتراح
لو درى منبعى بما أنا فيــه من أسًى جف ماؤه الضَّحْضَاح[1]
علّه قـــد درىَ بذاك فهذا هو باكٍ ودمعُـه سفّاح .

* * *

أين أهل الحِفاظ هل تركونى نُهبةً فى يد العدو وراحوا
برِحوا وادى السَّلام عِجالًا أفجِدٌّ بَرَاحهُمْ أم مُزاح

(١) الضحضاح : الذى ليس بعميق .

ما هُم يَبْعُدون عنى انتزاحًا وعزيزٌ منهمْ على انتزاح[1]
أوَ مَا يعلمون أن حريمى للمعادين بعدهم مستباح
فلئن يبعدوا فإن فؤادى لَإليْهِمْ بوده طمَّاح
تركونى من الفراق أقاسى ألمًا ما تطيقه الأرواح
لو رأونى سَبْيًا بأيدى الأعادى لبكوا مثلما بكيت وناحوا
لا مسائى بعد البعاد مساء يوم بانوا ولا الصباح صباح
أتمنى بأن أطير إليهم بجَناحٍ وأين منى الجناح
أنا أدرى بأنهم بعد هجرى لم يذوقوا غمضًا ولم يرتاحوا
بل هم اليوم عازمون على الزحـ ـف بجيش به تغَصّ البِطاح[2]
إن تَأَنَّوْا فرَبضة الليث تأتى بعدها وَثبة له وكِفاح
كيف يُغْضُون عن إغاثة وادٍ زانه من ودادهم أوضاح
فعليه من فخر عثمان تاج وله راية الهلال وشاح
أنا باقٍ على الوفاء وإن كا نتْ بقلبى ممن أحب جِراح
فإليهمْ ومنهمُ اليوم أشكو بلِّغيهم شكايتى يا رياح

---

(١) الانتزاح : النأى والبعد .

(٢) تغص : تمتلىء . والبطاح : جمع بطحاء ، وهى الأرض اللينة السهلة .

بعد براح الشـــام

قد صحّ عزمكَ والزمانُ مريضُ حتّامَ تذهبُ فى المُنَى وتَئيضُ[١]
ما بالُ همّك فى الفؤاد كأنهُ عَظْم بقلقَل فى حشاك مَهيضُ[٢]
كم بتَّ مُعتلِجَ الهموم بليلةٍ ما للظلام بفجرها تقويضُ[٣]
طنّت بمَسمعِك الهواجسُ فى الدُّجَى
فَنفَتْ كَراكَ كما يَطِنُّ بَعُوضُ[٤]
تنبو جنوبُك عن فِراش ناعم فكأن مضجعَك الدميثَ قَضِيضُ[٥]
وكأنّ جنبك بالجوى متقرّحٌ وكأن قلبك بالهموم رَضيضُ[٦]
كَبُرت لنفسك فى الحياة لُبانة ضاقت سماوات بها وأروضُ[٧]
ما زلتَ تقتحمُ المهالكَ دونها فالهولَ تركبُ والصِّعابَ تَروضُ[٨]
لله أنت فأىَّ هـــولٍ تمتطى أم أىَّ مُعتَرَكِ الخطوب تخوضُ

* * *

ولربّ قافيـــةٍ كمؤتلِق السنا يجلو الشكوكَ يقينها الممحوضُ[٩]
صرّحتَ فى إنشادها بحقيقةٍ فات الأنامَ بمثلها التعريضُ[١٠]

---

(١) آض يئيض أيضا : رجع .
(٢) هيض العظم : كسر بعد الجبور ، فهى ميض .
(٣) معتلج الهموم : شديدها . تقويض الخيمة ونحوها : هدمها . شبه الظلام بالخيمة .
(٤) الطنين : صوت الذبابة ونحوه . كأن الهواجس من كثرة معاودتها له ، صارت ذات طنين ، فأزالت عنه النوم .
(٥) نبا جنبه عن الفراش : لم يوافقه فتركه . والدميث : الوثير اللين . والقضيض : الحصى الصغار .
(٦) الجوى : الحزن . ومتقرح : ذو قروح ، وهى الجروح . والرضيض : فعيل بمعنى مفعول ، أى مرضوض ، أى مكسور .
(٧) كبرت : عظمت . واللبانة : الحاجة . والأروض : جمع أرض .
(٨) تقتحم المهالك : تلقى نفسك فيها . وتروض : تسوس وتذلل .
(٩) السنا : الضوء . والممحوض من المحض ، وهو الخالص .
(١٠) التعريض : أن تشير إلى الشىء من طرف خفى ، تجمجم ولا تصرح .

ولقد أَجّرنى القريضُ عِنانَهُ ونحا بِىَ المِضمارَ وهو مَروض [1]
وأتى المدَى يوم السِّباق مجلِّيا يجرى سَبُوحٌ خلفه ورَكوض [2]
قد كنتُ أُنبِط للقريض قريحة بمفاخر العرب الكرام تَفِيض [3]
ولكم وقفت من السياسة موقفا مَحيايَ فيه على التوَى معروض [4]
مستنهضا بالشعر قومى للعلى إذ كان فيهم فترة ورُبوض [5]
أيَّامَ لم ينطق بذلك شاعر قبلى ولم ينشَد هُناك قريض
حتى إذا دار الزمانُ مَدارَه خاب القريضُ وعاد وهو جَريض [6]
وغدا ينازعنى الحَرُورةَ شاعر ما كان حُرًّا شعره المقروض [7]
ويبزّنى ثوبَ الأمانة خائن كأبى براقشَ طبعه المرفوض [8]
كم مدَّعٍ دعوايَ فى وطنيَّة أنا كنتُ أبنيها وكان يَقوض [9]
من كل عبدٍ فى السياسة باعَهُ وشَرَاه هذا الدرهم المقبوض
تَعَسِ المُخاصِم إنْ لى لقصائدا طَرْف المعاند دُونَهنّ غَضيض [10]
فإذا ادَّعيتُ فهن فى دَعوايَ لى حُجَجٌ دوامغُ ما لهنَّ دُحوض [11]

---

(١) أجرنى الفرس عنانه : أسلس لى قياده . والمضمار : الميدان تضمر فيه خيل السباق . والمروض : المدرب على الجرى فى السباق .

(٢) المجلى من خيل السباق : السابق المتقدم . والسبوح : الفرس الخفيف فى عدوه ، كأنه يسبح فى الهواء . والركوض : الشديد العدو .

(٣) أنبط البئر : حفرها . وتفيض: يغزر ماؤها حتى يسيل على الجوانب .

(٤) توى يتوى توى من باب فرح : هلك . يريد : وقفت فى السياسة مواقف كثيرة تعرضت فيها حياتى للحمام .

(٥) فترة : فتور . وربوض الغنم : بروكها على الأرض ، يريد الكسل والقعود عن المساعى الشريفة .

(٦) الجريض : غصص الموت . وفى المثل « حال الجريض دون القريض » .

(٧) الحرورة ، بفتح الحاء ، كالحرية والحرورية ، والحرارة والحرار : وهى العتق والنفاسة .

(٨) يبزنى : يسلبنى . وأبو براقش : حيوان لا يزال جلده يتلون ألوانا فى ضوء الشمس .

(٩) يقوض : يهدم . والذى فى معاجم اللغة : يقوض بتشديد الواو .

(١٠) غضيض : مغضوض ، أى مكسور . (١١) دحضت حجته : بطلت

وسَلِ اليَراعَ يُجِبكَ عنى ناطقا ... بمقال صِدْق ليس فيه غموض (١)

* * *

لمّا تكرّهنى الأراذلُ سرّنى ... أنّى إليهم يا أُميمَ بغيض (٢)

ولقد برئت إلى الوفاء من امرىء ... عهد الصداقة عنده منقوض (٣)

وجزيتُ كل صنيعة بمثالها ... إن الصنائع فى الرجال قروض (٤)

لا تطلبنّ من الزمان حقيقةً ... ما للحقيقة فى الزمان وَميض (٥)

وإذا مَخَضْتَ من الليالى صَرْفها ... أبدى العجائبَ صرفها الممخوض (٦)

وحوادث الأيام مثل نسائها ... فى الحُكم تَطْهُر تارةً وتحيض

ولربما أنتجنَ كل كريهة ... سوداء تقنأ فى وَغاها البِيض (٧)

قد ساء مُنقلَب البلاد بأهلها ... فانحطّ أوْجُ واشمخرّ حَضيض (٨)

ذهب الحياء فكم رأينا صاغراً ... قد جاء وهو لِمذْرَويه نَفوض (٩)

وقِح تعامى عن مَدانس عرضه ... فزهاه عُجْبا ثوبه المرحوض (١٠)

غلب الشقاء على الأنام فخيرهم ... دَثّ وقَطْر شُرورهم إغريض (١١)

---

(١) اليراع : جمع يراعة ، وهى القصبة التى تبرى للكتابة .

(٢) تكرهنى : كرهنى . وأميم : مرخم أميمة ، تصغير أم .

(٣) نقض الشىء المفتول كالحبل : إذا نكثه وحله .

(٤) الصنيعة : المعروف . والصنائع قروض : لأن المرء لابد أن يجزى بعمله ، فكأن الجميل رض يرد إليه ولو بعد حين .

(٦) المخض : وضع اللبن فى السقاء وتحريكه لاستخراج الزبد منه . يريد إذا اعتبرت بحوادث الدهر رأيت ما يدهشك ، فكم نعمة فى ثوب نقمة ، وكم نقمة فى ثوب نعمة .

(٧) تقنأ تحمر . والوغى : الحرب ، وأصله أصوات الأبطال ، فى ساعات النزال . والبيض : السيوف ، جمع أبيض .

(٨) الأوج : أعلى الشىء . والحضيض : أسفل الجبل . واشمخر : علا وارتفع .

(٩) الصاغر : الذليل الحقير . والمذروان : مثنى مذرى ، وهو طرف الألية . ونفوض : محرك . أى كم حقير ذليل جاء يستطيل على غيره ويهدده .

(١٠) الوقح : الجرىء السيىء الأدب . وتعامى : تظاهر بأنه أعمى وليس كذلك . والمدانس : جمع مدنس ، وهو الدنس . وزهاه : ملأه . والمرحوض : المغسول .

(١١) الدث : أضعف المطر وأخفه . جمعه دثاث . والاغريض : قطر كبار .

كيف السعادة في الحياة والورى | في قوس كل ضغينة تنبيض (١)
أم كيف تبتدع المعالي أمة | في العلم قل نصيبها المفروض
لن تعدم الدنيا الشقاء بأهلها | ما دام ملك في البلاد عضوض (٢)
ويح الذكاء فقد تأخر أهله | حتى تقدم من قفاه عريض
أخزى البلاد مفاسداً بلد به | مقيت الأديب وأكرم العربيض
وإذا الفتى قعدت به أفعاله | أعيـاه بالنسب الرفيع نهوض
والمرء إن عدمت سجيته العلى | لم يبعثه إلى العلى تحريض

تحية الريحاني

شكوى العامة

هذه هي القصيدة التي أنشدها الرصافي في حفلة أقامها المعهد العلمي تكريماً لأمين الريحاني ، عند قدومه بغداد في أيلول سنة ١٩٢٢

إن العراق بعرضه وبطوله | وبرافديه وباسقات نخيله
يهتز مبتهجاً بمقدم ضيفه | ويبش مبتسماً بوجه نزيله
ومرحباً والشكر في ترحيبه | ومؤهلا والحمد في تأهيله
بربيب لبنان ، بريحانيه | بكبير معشره ، بفخر قبيله
بالعبقري ، بفيلسوف زمانه ، | بأديب أمته ، بداهي جيله
بأصح أحرار الأنام تحرراً | في فكره ، وبقوله ، وبقيله
إنا نبجل منه خير مبجل | تبجيل كل الفضل في تبجيله
أأمين جئت إلى العراق لكي ترى | ما فيه من غرر العلى وحجوله

---

(١) الضغينة : الضغن والحقد . والتنبيض : يقال نبض قوسه نبضاً : إذا جذب وترها ثم أرسله لترن وتصوت . وهذا من قول المتنبي :

كلما أنبت الزمان قناة | ركب المرء في القناة سنانا

(٢) ملك عضوض : أي يعض عليه بالنواجذ ، حرصاً عليه ، يقتل في سبيله الابن أباه والأب ابنه.

عفـوا فذاك النجم أصبح آفلا والقـوم محتربون بعـد أفوله(١)
أوَ ما ترى قطر العـراق بحسنه قـــد فاق مقفره على مأهوله(٢)
أمّا الحيا فيـه فذيّاك الحيا لـكن مسيل الماء غير مسيل
وربيعه ذاك الربيع وإن شكا من جهل ساكنه اشتداد محوله(٣)
فأقم به ولاك الغنى بفراته عن قطر مصر وعن موارد نيـله
ورغيد عيش تحت ظل نخيـله وأنزل على وادي السـلام ممتعا
يشفي من المشتاق حرّ غليله(٤) والثم به ثغـر الطبيعة باسما
هبّ النسيم فجسّ نبض عليـله(٥) وترقبن أسحاره حتى إذا
وانشق أريج شماله وقبـوله وانظر محاسن أرضــه وسمائه
والحسن فيـه دقيقه كجليله فالجو فـه منـيرة أوضاحه
وكواكب الإكليل من إكليله والليل فيـــه مكلل بمرصع
بالشمس تشرق في وجوه سهوله وترى النهار به كذهنك واقدا
بنظيره ومسلسلا بمثيـــله وترى ضياء الشمس فيه مغلغلا
فـكوقفة الباكين بين طلوله وإذا وقفت بدارس من مجده
غرب الدموع بجانبي منديله وانحب كانحب الحزين مكفكفا
وعليه جرّ الدهر ذيل خموله فلقد عفا المجد القديم بأرضه
فانظر حديد الطرف غير كليله وإذا نظرت إلى قلوب رجاله
مدّ الشقاق بهـا حبالة غوله(٦) تجد الرجال قلوبها شتى الهوى

---

(١) محتربون : يحارب بعضهم بعضا ، لذهاب نور العز الذي كان يهـديهم . والأفول غروب الـكواكب .

(٢) أي أن إقليم العراق يقل فيه العمران ، بحيث إن الأراضي البور فيه أكثر من الأراضي الخصبة العامرة

(٣) المحول : الجدب . (٤) حر غليله : شدة عطشه .

(٥) أي المسأله عن علته ، وابحث في مظاهر تأخره .

(٦) الحبالة الشبكة ينصبها الصائد في طريق الصيد ليقتنصه بها . والغول : شيء توهمه العرب كأنه حيوان بشع يسكن القفار ، ويهلك من يظفر به من الأناسي .

متناكرين لدى الخطوب تناكراً — يعيا لسان الشعر عن تمثيله
فالجار ليس بآمنٍ من جاره — والخِل ليس بواثق بخليله
والدينُ فيه يقولُ ذو قُرْآنه — قولا يُحاذر منه ذو إنجيله
وإذا تأوّل قولهم متأوِّلٌ — صرفوه بالتكفير عن تأويله
وإذا تكلّم عالم فى أمرهم — خَفَرُوا ذِمام العلم فى تجهيله
حالٌ لو افتكر الحكيم بكنهه — طول الزمان لعيّ عن تعليله[1]
من ذا يبدّله فإن قوارعى — يئست لعمر الله من تبديله[2]
والجهل لا يُبقى على أربابه — كالسيف ليس براحم لقتيله
أأمينُ لا تغضبْ علىّ فإننى — لا أدّعى شيئا بغير دليله
من أينَ يُرجَى للعراق تقدُّم — وسبيل ممتلكيه غيرُ سبيله
لاخيرفى وطن يكون السيف عنـــد جبانه ، والمال عند بخيله
والرأى عندَ طريده ، والعلم عنـــد غريبه ، والحكم عند دخيله
وقد استبد قليله بكثيرة — ظُلماً ، وذلّ كثيره لقليله
إنى إذا جدّ المقال بموقف — فضّلت مُجْمله على تفصيله
وإذا المخاطب كان مثلك واعياً — أغنى اختصار القول عن تطويله
يا من يكتِّم فضله متواضعاً — والناس مجمعة على تفضيله
شكواىَ بحت بها إليك وليس فى — شكوى الزميل غضاضة لزميله
إن المريض ليستريح إذا اشتكى — ممـا به لطبيبه وخليله
وكذا الحزينُ إذا تهيّج حزنه — يَبْكى فيسكنُ حُزنُهُ بعويله
إني لآنَف أن أبوح بمضمَرى — إلّا لمقتدر على تحصيله
ولدىّ إن وصل الحبيب تمسُّكٌ — بالعز يمنعُ فاىَ من تقبيله

(١) كنه الشيء : حقيقته .

(٢) قوارعى : جمع قارعة ، وهى الكلمة الشديدة ، تقرع الآذان بشدتها .

بعد النزوح

قالها في بيروت سنة ١٩٢٢ كان قد خرج من بغداد على ألايعود إلى العراق

هيَ المواطن أدنيها وتقصيني ... مثلُ الحوادث أبلوها وتُبليني (١)

قد طال شكواي من دهر أكابده ... أما أصادف حُرًّا فيه يُشكيني

كأنني في بلادي إن نزلتُ بها ... نزلتُ منها ببيت غير مسكون

حتى متى أنا في البلدان مغترب ... نوائب الدهر بالأنياب تُدميني

فتارةً في المواصي فوق مُوقَرَةٍ ... وتارةً في الطوامي فوق مشحون (٢)

كم أغرقتني الليالي في مصائبها ... فعمتُ فيهن من صبري بدُلفين (٣)

أنا ابن دجلة معروفًا بها أدبي ... وإن يكُ الماء منها ليس يرويني

قد كنت بلبلها الغرِّيد أُنشدها ... أشجى الأناشيد في أشجى التلاحين

حيث الغصون أقلَّتني مُكلَّلة ... بالورد ما بين أزهار البساتين

فبينما كنت فيها صادحًا طربًا ... أستنشق الطيبَ من نفح الرياحين

إذ حل فيها غُراب كان يُوحشني ... وكان تنعابه بالبين يؤذيني (٤)

حتى غدوت طريدًا للغراب بها ... وما غدوت طريدًا للشواهين (٥)

فطرتُ غير مبالٍ عند ذاك بما ... تركت من نرجس فيها ونسرين (٦)

* * *

ويلٌ لبغداد مما سوف تذكره ... عني وعنها الليالي في الدواوين

---

(١) أبلوها : أختبرها . وتبليني : تنال مني وتضعفني .

(٢) المواصي : جمع موصاة ، وهي الصحاري المقفرة . والموقرة : الناقة التي حملت عليها الأوقار ، وهي الأحمال الثقيلة . والطوامي : جمع طامٍ ، وهو البحر . والمشحون : صفة لمحذوف ، أي الفلك المشحون .

(٣) الدلفين : حيوان بحري ، يحمل الغرقى إلى الشواطىء . ولعله هنا يريد سفينة تشبه الدلفين في صورتها .

(٤) تنعابه : صياحه . والبين : الفراق .

(٥) الشواهين : جمع شاهين ، وهو من جوارح الصيد .

(٦) النرجس : زهرة جميلة ، والنسرين : ريحان عبق الرائحة .

لقد سَقَيتُ بفيض الدمع أربُعَها ... على جوانب ودٍ ليس يَسْقِيني
ما كنت أحسِب أني مذ بكيتُ بها ... قومى بكيت على سوف من يُبكّيني
أفى المروءة أن يعتزّ جاهلها ... وأن أكون بها فى قبضة الهُون
وأن يعيش بها الطُّرْطور ذا شمم ... وأن أُسام بعيشي جَدْعَ عِرنيني[1]
تالله ما كان هذا قطُّ من شيمى ... ولا الخياة على النّكراء من ديني
ولست أبذل عرضى كى أعيشَ به ... ولو تأدمتُ زَقُّوماً بغِسْلِينِ[2]
أغنت خشونة عيشى فى ذَرَى شرفى ... عما أرى بخسيس العيش من لين[3]
عاهدت نفسيَ والأيام شاهدة ... ألّا أقرَّ على جَوْر السلاطين
ولا أصادقَ كذاباً ولو مَلِكاً ... ولا أُخالط إخوان الشياطين
أمّا الحياة فشيءٌ لا قرارَ له ... يحيا بها المرء موقوتاً إلى حين
سيّان عندى أجاء الموت مُخْتَرِماً ... من قبل عشرين أم من بعد تسعين
ما بالسنينَ يُقاس العمر عندىَ بل ... بما له فى المعالى من تحاسين
لو عشت ستين عاماً لاستعضت بها ... ستين مكرُمةً بل دون ستين
فإنما أطول الأعمار أجمعها ... المكرُمات من الأبكار والعُون
إنّ اللئيمَ دَفينٌ قبلَ ميتته ... وما الكريم وإن أوْدى بمدفون
وليس من عاش فى ذلّ بمغتبَطٍ ... ولا الذى مات فى عزّ بمغبون

* * *

ما كنت أحسب بغداداً تُحلّئنى ... عن ماء دجلتها يوماً وتظمينى[4]
حتى تقلّد فيها الأمر زِعْنفة ... من الأناس بأخلاق السراحين[5]

---

(١) أسام : أكلف . والجدع : القطع . والعرنين : مقدم الأنف .

(٢) تأدمت : اتخذت إدامى . والادام ما يؤكل بالخبز والزقوم : شجرة يطعم منها أهل النار المعذبون . والغسلين : ما يسيل من أجسام أهل النار من صديد ونحوه .

(٣) ذرى شرفى ، بفتح الذال : ظله وجانبه .

(٤) تحلئنى : تمنعنى وتطردنى .

(٥) الزعانف جمع زعنفة ، وهم أراذل القوم . والسراحين : جمع سرحان ، وهو الذئب .

ما ضرّنى غير أنى اليوم من عرَب ... لا يغضبون لأمر ليس يرضينى

تالله ما ضاع حقّى هكذا أبداً ... لو كنتُ من عجَمٍ صُهْبِ الغَثانين (١)

علامَ أمكث فى بغدادَ مُصْطبراً ... على الضراعة فى بُحبوحة الهُون (٢)

لأجعلنّ إلى بيروتَ مُنْتَسَبى ... لعلّ بيروتَ بعد اليوم تُؤْوِينى (٣)

خابت ببغداد آمال أؤملها ... فهل تخيب إذا استذرت بصَنِّين (٤)

فليتَ سوريةَ الوطفاءَ مُزْنتُها ... عن العراق وعن واديه تُغنينى (٥)

قد كان فى الشام للأيام مُذْ زمنٍ ... ذنبٌ محته الليالى فى فِلَسْطين (٦)

إذ كان فيها النشاشيبىّ يُسعفنى ... وكنت فيها خليلاً ناسكاً كينى

وكان فيها ابن جَبْر لا يقصّر فى ... جَبْر انكسارِ غريبِ الدار محزون

إن كان فى القدس لى صَحْبٌ غطارفة ... فكَمْ ببيروتَ من غرّ ميَامين

---

(١) الصهب : جمع أصهب ، وهو أصفر اللون . والعثانين : جمع عثنون ، وهو شعر الذقن .

(٢) الهون : الهوان والذل . (٣) تؤوينى : تضمنى وتسكننى .

(٤) صنين : اسم جبل فى لبنان .

(٥) الوطف : استرخاء فى جوانب السحابة ، لكثرة الماء . ومزنة وطفاء : كثيرة الماء .

إلى هربر صموئيل

ألقى يهودا محاضرة تاريخية ، ذكر فيها مدنية العرب في الغرب والشرق . ولما أتمها قام هربر صموئيل ، المندوب السامي من قبل إنكلترة في فلسطين ، وألقى على القوم خطابا مؤنقا ، وعدهم فيه مواعد سياسية سر بها الحاضرون الذين كانوا قد حضروا بدعوة من راغب بك النشاشيبي رئيس بلدية القدس ، فقال الرصافي في هذه القصيدة ، مسجلا بها ما قاله المندوب . وشاكرا له على ذلك .

خطابُ يهودا قد دعانا إلى الفكرِ ... وذكّرنا ما نحن منه على ذُكْرِ
ومجدَ ما للعُرْب في الغرب من يد ... وما لبني العبّاس في الشرق من فخر
لدى مَحفِل في القدس بالقوم حافل ... تبوّأه هِربرْ صَمُوئيل في الصدر
دعاهم رئيسُ القدس ذو الفضل راغبٌ ... إليه فلبّوْا دعوةً من فتًى حُرّ
فأمسَوا وفي ليل المحاق اجتماعُهُمْ ... يَحُفُّون من هِربَرْ صَمُوئيلَ بالبدر
فيا ليلةً كادتْ وقد جلّ قدرُها ... تكون على عِلّاتها ليلةَ القدر
ولمّا تناهى من يهودا خطابُه ... وقد سرّنا من حيث ندري ولا ندري
تصدّى له هربر صموئيل ناطقاً ... بسحر مقال جلّ عن وَصْمة السحر
فصدّق ما للعُربِ من تالد العُلى ... وما لَهُمُ في العلم من خالد الذكر
وزاد بأن أوما إلى ما لصنعهم ... على صخرة البيت المقدس من أثْر (١)
وقال وقد أصغى له القوم إننّا ... سنرأب ما أثأته منكم يدُ الدهر (٢)
ونُنهضُكُم في مَنهج العلم نهضةً ... مقوِّمة ما اعوج فيكم من الأمر
فكانت لهذا القول في القوم هِزّة ... سرورية من دونها هِزة السكر

* * *

(١) أوما : أصله أومأ : أشار برأسه . والأثر : الأثر .

(٢) نرأب : نصلح . وأصله من الرؤبة ، وهي القطعة من الخشب أو الخزف يصلح بها الإناء المكسور . وأثأته : أفسدته .

حنانيك ياهربرت صموئيل كم لنا ... على الدهر من حق مُضاع ومن وِتر (١)
لنا قلبَ الدهر الخئون مجنّه ... وكرّ علينا لابساً جِلْدة النِّمْر (٢)
وأغرى بنا الأحداث مبتكراً لها ... فلم يأتنا إلّا بحادثة بكر
وقد أفنت الأيّام كل عَتادنا ... سوى ماورثنا من إباء ومن صبر (٣)
فلسناو إن عضّتْ بنا اليومَ نابُها ... نَقَرّ على ذلّ وننقادُ عن ذُعر (٤)
فمن سامنا قسراً على الضيم يلقنا ... مصاعيبَ لانُعطِى المَقادةَ بالقَسْر (٥)
لنا أنفس تحيا بثروة عزّها ... وإن نشأتْ بين الخَصاصة والفقْر (٦)
إذا نحن عاهدنا وَفَيْنا ولم تكن ... إذا ما ائتُمِنَّا جانحين إلى الخَتْر (٧)
فإن شئت ياهربرت صموئيل فاختبر ... خلائقَ منّا لا تميل إلى الغدر

* * *

وعدتَ فأمسى القوم بين مُشكّك ... ومنتظر الإنجاز منشرح الصدر
فكذّبْ وأنت الحرّ مَن ساء ظنّه ... فقد قيل إن الوعد دين على الحر
ولسنا كما قال الألى يتْهمُونَنا ... نُعادى بنى إسرائيل فى السرَ والجهر (٨)
وكيف وهم أعمامنا وإليهم ... يَمُتّ بإسماعيلَ قِدَماً بنو فِهْر
وإنى أرى العُرْبِيَّ للعُرْب ينتمى ... قريباً من العِبْرىّ يُنمَى إلى العِبر
هما من ذوى القُربى وفى لغتيهما ... دليل على صدق القرابة فى النجْر
ولكنّنا نخشى الجلاء ونتقّى ... سياسة حكم يأخذ القوم بالقهر
وهل تُثبِت الأيامُ أركان دولة ... إذا لم تكن بالعدل مشدودة الأزْر
وها أنا قبل القوم جئتك معلناً ... لك الشكرَ حتى أملأ الأرض بالشكر

(١) حنانيك : تحنن مرة بعد مرة . والوتر : الذحل .
(٢) المجن : الترس يتقى به المحارب قرنه . وقلب المجن : كناية عن الاستعداد للمنازلة فى الحرب . ويقال أيضا : تنمر فلان لفلان . أو لبس له جلد النمر : إذا كاشفه بالعداوة .
(٣) العتاد : ما يعده الانسان للشدائد من وسائل المقاومة . والاباء : الأنفة من الضيم والذل .
(٤) نقر نسكن ونطمئن . والذعر : أشد الخوف .
(٥) مصاعيب : جمع مصعاب . وهو الذى لا ينقاد . والقسر : القهر والاذلال .
(٦) الخصاصة : الفقر والحاجة . (٧) الختر : الخيانة .
(٨) يتهموننا . بسكون التاء : مخفف من يتهموننا بتشديدها . لأجل الشعر .

مظاهر التعصب فى عصر المدنية

قالها بعد ماألقى الجنرال غورو على المسلمين خطابه المشهور فى بيروت

رُويدكَ «غورو» أيهذا الجنيرَال ... فقد آلمتْنا من خطابكَ أقوالُ

أتيتَ بلاد الشرق من بعد هُدْنةٍ ... قد اضطربتْ فى المسلمين بها الحال

فجاء إليك ابن «الدنا» وهو مسلم ... يكيل الكَ الوُدَّ الصميمَ ويكتال

وقام خطيبًا معربًا عن عواطفٍ ... لقومك تكريمٌ بهنَّ وإجلال

فقمتَ له فى مَحْفِلِ القوم خاطبًا ... تجرّ ذيول الفخرِ عُجبًا وتختال

فذكّرتهُ أهل الصليبِ وحربَهمْ ... إذ انبعثت منهم إلى الشرق أبطال

وقلتَ عن الإفرنج قومِك إنّهم ... لأبطالِ هاتيكَ المعارك أنسال

فحرّكت حزنًا كان فى الشرق ساكنًا ... وجدّدتَ عهدًا منه فى الشرق أوجال

أسأت إلينا بالذى قد ذكرته ... من الأمر فاستاءت عصور وأجيال

ذكرت لنا الحربَ الصَّليبية التى ... بها اليومَ قد تمّت لقومك آمال

وتلك لعمرى قرْحة قد نكأْتَها ... بما قلْته فاهتاج بالشرق بَلْبال[1]

فيا عَجبًا من أمّه قدتَ جيشها ... تشابَهَ كَرْديناها والجِنيرال

ولو أننا قلنا كما أنت قائلٌ ... لأنحى علينا بالتعصُّب عذّال

وقالوا لنا أنتم أولو جاهليةٍ ... وإن خالفوا وجهَ الصواب بما قالوا

فلا تصمِنَّ الحرب بعد انقضائها ... بما هو للدنيا وللدين إخجال[2]

ولا تنس فضل الشرق إذ كان ناصرًا ... لقومك فيما أحرزوه وما نالوا

---

(١) القرحة : الجرح . ونكأتها أزلت ما عليها من قشرة . فدميت ثانية .

(٢) والبلبال . الخاطر . فلا تصمن : فلا تحدث وصمة وهى العيب .

فقد قادت الأعرابُ نحو عدوّكم خيولاً لها في حومة الحرب تجوال

وقامت لكمْ منهمْ بمكةَ راية لكمْ فُتحتْ فيها من القدس أقفال

لقد أغضبوا البيت الحرامَ وربَّه وهم بمقام البيت لا شك جُهَّال

ولو أن عهد المسلمين كعهدهم قديماً لحالت دون ذا النصر أهوال

ولكنهمْ باعوا الديانة بالدُنا فحالت لعمرى منهم اليوم أحوال

لذلك قام ابن «الدَنا» عن دناءة يحابيك فيما فيه للقوم إذلال

ولا تحسبَنْه مخلصا فى مَقاله ولكنه فى مكسب المال محتال

فكان قتيلًا بالمطامع عِزّه فذل وإن الحرص للعزّ قتّال

* * *

خليليَّ قوما بى نطأطئْ رءوسنا لدى جَدث تعنو لمن ضمّ أجبال

لدى الجدث الفرد الذى فيه قد ثَوَى

من الملك الفَرْد ابن أيّوبَ رِئبال(١)

فنبكى على الأوطان حول رِجامه كما قد بكت من فقدها الأمَّ أطفال(٢)

ونستنزف الدمع الغـزير لتربه كما استنزفت دمع المحبين أطلال

حنانيك ياقبرَ ابن أيوب فانصدع لينهض ثاوٍ فى مَطاويك مِفْضال

إليكَ صلاحَ الدين نشكو مصيبة أُصيب بها قلب العُلَى فهو مُغْتال

ودارتْ رءوس القوم فيها توجُّعًا وحُزْنا كما دارت بسكران جرْيال(٣)

وقطبت الأيام حتى تشابهت بها غُدُوات كالحات وآصال

وأمسى حِمَى الإسلام تنتاب رَوضه فترعاه من سرج المُعادين آبال(٤)

---

(١) الجدث : القبر . وثوى : نزل وأقام . والرئبال : الأسد .

(٢) الرجام : جمع رجمة . وهى الأحجار توضع على القبر ليعرف بها .

(٣) الجريال : الخمر . (٤) آبال : جمع إبل .

ولســـون

بين القول والفعـــــــل

قال قولًا به استحقّ احتراماً وتعدّاه فاستحق مَلاماً

رجلٌ قد تنكّب الحق قوساً ومن البُطْل ظلّ يرمى سهاما[1]

كان منه المقال نورا فلما حان حِين الفِعال كان ظلاما

خاض حرب العدا بقول حرٍّ فاق فيها المهنّد الصّمْصاما

وبذا عرّف الورى أنّ قول الـــمرء فى الحرب قد يفوق الحساما

إذ غدا ناطقا بعَرْقد واشنـــطون نطقاً شفى به الأسقاما

معربا عن مبادىء محكَماتٍ ساميات تحرّر الأقواما

قال حرّية الأنام هى الغا ية لى فى الوغَى فَغَرّ الأناما[2]

فاشرأبّ الورى إليه وظنّوا أنهم سوف يبلغون المراما[3]

واطمأنّت له القلوب بفوزٍ يغتدى فى فم الزمان ابتساما

شام منه الورى بَوارق غَيمٍ من وراء البحر المحيط ترامى

فتصدّى لغيثه كل قومٍ قد شكوا غُلّةً بهم وأُواما

ثم خابتْ ظنونهم فيه لمّا مرّ فى الجوّ خُلَّباً وجَهاما

* * *

مدّ وِلسون فى السياسة حَبْلًا جمع النقض فيه والإبراما

فلبعض الأنام كان عِصاما ولبعض الأنام كان خِصاما

ملأ الدهر فى فَيومةَ فخرًا وبأَزْميرَ أخجل الأياما

---

(١) تنكب القوس ، وضعها على منكبه ، استعداداً للحرب .

(٢) غر الأنام : خدعهم وغشهم .

(٣) اشرأب الورى إليه : مدوا أعناقهم تطلعا إليه .

إنّ أزميرَ صَـيّرت ما لِواسو ... ن من الفخر فى فَيومة ذَاما[١]

فهل الحق عنده فى سوى الغر ... ب حقيرٌ أقلّ من أن يُحامَى[٢]

أمْ هل الشرق وحده فى الأقاليــــ ... ـم مُباحٌ أن يُستَبى ويُضاما[٣]

أمْ هل القومُ عاهدوا الله فى أنْ ... لَا يُراعوا للمسلمين ذِماما[٤]

مالهم أرهقوا بنى الشرق ظاما ... وعلى التُرك أشْـلَوُا الأَرواما[٥]

فاستباحوا حريم أزمير نَهْباً ... واستحلُّوا من الدماء حَراما

حيث جاسُو خلالها بجنودٍ ... ركِبَتْ فى عُتُوّها الآثاما

* * *

أيُّهـا المجلس الرباعىّ مَهلًا ... فلقد جُرت فى الأمور احتكاما

أنت سكرانُ خمرةِ النصر فاحذر ... حين تصحو ندامة ولِواما

لك عين ترى السُّها فى الدياجى ... وعن الشمس فى الضُّحى تتعامى[٦]

أو لم تدرِ أن للدهر عينـا ... إن تنم عين أهله لن تناما

لا تكن تابعا هوى النفس فيما ... أنت فيــه تقرر الأحكاما

فهوى النفس قد يُضِـلُّ ذويه ... فيَطيشون فى الورى أحلاما

ويرون الجُسـامَ أمراً صـغيراً ... ويرون الصغير أمراً جُساما

لا يغرنَّك الزمان إذا ما ... لك أبدى بشاشة وابتساما

كم أشال الزمان أعلام قومٍ ... فى الذُّرا ثم نكَّس الأعلاما[٧]

مثلما دار للفرنج على الجِرْ ... مَن حربا فأدركوا الإنتقاما

* * *

أيُّها المسلمون لستم من الغر ... ب بحال تستوجبون احتراما

---

(١) الدام : العيب . (٢) يحامى : أى يحامى عنه ويدافع .

(٣) يستبى : يجعل سبيا . ويضام : يذل .

(٤) الذمام : الذمة والعهد . (٥) أشلى الكلاب على الصيد : سلطه عليه ليصيده .

(٦) السها : نجم صغير لا تكاد تراه العين لبعده .

(٧) أشال : رفع . ونكس الأعلام : خفضها وقلبها .

إنما أنتمُ لدى الغـرب قومٌ ... خُلِقوا عن سوى الشرور نياما

فإذا ما وسِعْتُمُ الناسَ حِلماً ... عــدّه الغَرب شِرَّة وعُراما[1]

وإذا ما ملأتم الأرض عدلًا ... عُدّ جَوْراً أو مفخراً عُدّ ذاما

وإذا ما فعلتم الخــير يوما ... حسبوه جنايةً وأثاما[2]

وإذا زلّةً لكم دفَنَ الدهْــرُ ... أملوا بنبشها الأقلاما

وإذا ما افترى عليكم عدوّ ... أيّدوه وصدقوا الأوهاما

وإذا ماجنى عليكم أُناسٌ ... سكنوا عنهمُ ومَرّوا كِـراما

كم بأرض البلقان منكم قتيلٌ ... وأيامى مُضاعة ويتامى

نثر الظالمون فى الأرض منهم ... جثثا تملأ الفضاء وهاما

لو أتينا تلك البـلاد رأينا اليـــوم ... منهم جماجما وعظاما

ما نضا للدفاع عنهم بنو الغر ... ب حُساما ولا أحاروا كلاما

إن تــكن هــذه السياسة عدلًا ... فإلى الظلم نشتكى الآلاما

رحم الله أمة أصبح الغــر ... بُ يرى كل ذنبها الإسلاما

---

(١) عراما : عتوا وطغيانا .   (٢) الأثام : الإثم .

يامحب الشرق

أنشدت فى حفلة كبيرة أقامها الحزب الوطنى فى بغداد لتكريم المستر كراين الثرى الأمريكى الشهير . بمناسبة مجيئه إلى بغداد سنة ١٩٢٩ .

يامحبَّ الشرق أهلًا بك يا مِسْتِر كِرايِنْ
مَرْحبًا بالزائر المشهور فى كل المدائن
مَرْحبًا بالقادم المشكو ر فى هذى المواطن
فضلكم بادٍ على الشر ق وشكر الشرق عالن
كم لكم من وَقَفات دونه ضِدَّ المُشاحِن

* **

جئت يا مستر كِرايِنْ فانظر الشرق وعايِنْ
فهو للغرب أسيرٌ أسرَ مَديون لدائن
إن هذا الشرق والغر ب لَمَغبونٌ وغابن
فترى الشرق تجاه الـغرب يسعى سعى ماهن
وترى الغرب عليه واقفا موقف خائن
مُنكِرا منه المَزايا مُوجِدا فيه المَطاعن
غاصبا منه الموانى شاحِنا فيه السفائن
حافرا فيه المعادِنْ نابشا فيه الدفائن[1]
فهو يمتصُّ دماءَ الشـرق من كل الأماكن
باذرا من كيده فى أهله بَذْرَ الضغائن
حاكما فيه على أهليه حُكْمَ المتهاوِن
جاعلاً فى رجله قيد الوَنَى والقيد شائن[2]

(١) المعادن : المناجم . (٢) الونى : الفتور والخمول .

فترى الشرق لهــذا ماشيا مشية واهن
أفهـذى يا محبَّ الشَّـرْق أفعال المُهادِن[١]
أين ما قـد قاله وِلْـسُنُ يا مستر كراين[٢]

* * *

لم يكن ولسن فردا إن فى الغرب وَلاسن
فعَلامَ الغـربُ لا ينفكّ للشرق مُضاغِن
كم يسومُ الغربُ أهلَ الشَّـرْق خَسْفا ويخاشن
وإلى كم ساسة الغرب تُداجى وتُداهن[٣]
كم وكم نسمع منهم قولَ خَـدَّاع ومائن[٤]
إن فى الشرق تُجاه الغرب نيرانا كوامن
سوف ينشق حجاب الدهر عنهـا بالدواخن[٥]
وإذا قامت حروب من بنى الشرق طواحن
فمنِ المسئول عن ذَلك يا مستر كِراين

* * *

وإذا تسـأل عمَّا هو فى بغداد كائن
فهو حكم مَشْرِقىّ الضَّـرْع غربىّ المَلابن[٦]
وطنىّ الإسم لكنْ إنكليزىّ الشَّناشن[٧]

(١) المهادن : المسالم الذى بينك وبينه هدنة .
(٢) الرئيس ولسن : كان رئيس حكومة الولايات المتحدة الأمريكية عند ما وضعت الحرب العظمى الأولى أوزارها . وله شروط خاصة لدخول أمريكا الحرب ضد ألمانيا . قبلتها دول الحلفاء قبل نهاية الحرب . ولكنها لم تنفذ بعدها .
(٣) داجى فلان فلانا بالعداوة : ساتره بها . وأخفاها عنه . وتداهن : تظهر خلاف ماتضمر .
(٤) مائن : كذاب مخادع . (٦) الدواخن : جمع دخان على غير قياس .
(٦) الملبن : قالب يوضع فيه اللبن . يريد أن الحكم فى بغداد تنفذه رجل من الشرق ، ولكن أعماله غربية أجنبية .
(٧) الشناشن : جمع شنشنة . وهى الطبيعة والخليقة السجية .

عربىّ أعجمىّ مُعْرِب اللهجة راطن
فيه للإيعاز من لندن بالأمر مكامن
هو ذو وجهين وجه ظاهر يتبع باطن
قد ملكنا كل شىء نحن فى الظاهر لكنْ
نحن فى الباطن لا نملك تحريكا لساكن
أفهذا جائز فى الغرب يا مستر كراين

إلى بطل الشرق الأكبر

قالها عقب انتصار الغازى مصطفى كمال على اليونان سنة ١٩٢٣

سَمِى المصطفَى لا زلت تعْلُو ... إلى أوْج يطاول كلّ أوْجِ
فدُرْ كالشمس فى فَلَكِ المعالى ... وحُلَّ من الكمال بكل بُرْج
نُصرتَ على بنى يونانَ نصراً ... أقام الغربَ فى هَرْج ومَرْج (١)
وأطلع فى سماء الشرق شمْساً ... تفيض عليه أنواع الترجّى (٢)
فَسَرَّ المخلصين وكلَّ حرٍّ ... وساء الخائنين وكل سمج (٣)
وما اليونان كُفؤكَ فى نِزال ... وإن مَلئوا السهولَ وكلَّ فَجّ
ولكن قد غلبتَ جيوش قوم ... أذلّوا بالبوارج (٤) كلَّ لُجّ
تركت جيوشهم من فَرْط رُعب ... تَعاهَدُ للهزيمة كلَّ نَهْج (٥)
إذا ذكروا سُماكَ ولو مناما ... تحاموا ذكره بسوى التهجّى (٦)
لئلا يَسْمعوه فيعتريهم ... ضَنَى داءين من شَلَل وفَلْج
همُ اليونانُ ألأمُ كل قوم ... وأخوف فى الوغى من فَرْخ قَبْج (٧)

(١) هرج ومرج : فتنة واختلاط واضطراب .
(٢) أنواع الترجى : أى الرجاء . وهو ما يتوقع له من الخير الكثير بعد النصر .
(٣) السمج والسميج : القبيح .
(٤) البوارج : السفن الحربية الكبيرة .
(٥) النهج : الطريق الواسع الواضح .
(٦) سماك ، بضم السين : اسمك .
(٧) القبج : نوع من الطير يسمى الحجل والكروان .

أرقُّ سجيةً منهم وأرقى　　حَميرُ الوحش سارحةً بمَرْجِ[١]

فلا تغررْكَ أوجُهُهمْ بَياضا　　فإنّ طِباعهم كطباع زَنْجِ

وجوه قد حكَين الثلْج لونا　　ولكن فاتهنّ نقاءُ ثلْجِ

فيا أمضَى الورى رأيا وسيفا　　وأعرفَهم بمصعَد كلّ أوْجِ

لقد أنقذتَ من أزميرَ خَوْدا　　تُسام الخسفَ في يد كلّ عِلْجِ

وقمت على البلاد مقام عيسى　　على مَرضاه من عُمْيٍ وعُرْجِ

فعالجتَ الفتوق بحسن رَتْقٍ　　ولاءمت الخروق بحسن نَسْجِ[٢]

ورحت إلى التجدد فى المعالى　　تقود الناهضين بها وتزجى

وتخطب فى الجموع بيوم حَفْلٍ　　كما خطب النبيُّ بيوم حَجّ

وتأتيك الوفود من الأقاصى　　لتسمع قول مِدْرَهِها المِثَجِّ[٣]

فقودُك للعقول بيوم سَلْمٍ　　كقودك للجيوش بيوم هَيْجِ[٤]

لقد جدّدت للأوطان عهدا　　تجارِى فيه أوطانَ الفرنْجِ

لتبتدرَ الشعوبُ إلى المعالى　　وتبلغَ ما تريد وما ترجِّى

وتَنْهجَ مَنهجَ العُمْران فيها　　بها للناس من دَخْلٍ وخَرْجِ

وأنت اليوم حارسُها المُفَدَّى　　تحوط أمورها من كل هَرْجِ

وتبتدرُ المُلِمَّ إذا عراها　　فتعرَوْرِى الجواد بغير سَرْجِ[٥]

إذا ذُكر الهبوط فأنت مُعْلٍ　　وإن خيف الهُبوط فأنت مُنجِ

وتشرب أنت كأس المجد صِرْفا　　ويشربها سواؤك ذات مَزْجِ

---

(١) المرج : أرض ذات كلأ ترعى فيه الدواب .

(٢) الفتوق : جمع فتق . وهى الأحداث والفتن والقلاقل .

(٣) مدره القوم : المحامى عن أحسابهم . والمثج : الفصيح الغزير المادة كالماء الغزير . الذى يصب كلامه صبا .

(٤) الهيج : الحرب .　　(٥) تعرورى الجواد : تركبه عريا من غير سرج ولا أداة .

تجاه الريحانى (هى النفس)

أنشدها فى حفلة أقيمت فى بيروت لأمين الريحانى، بعد رجوعه من سياحته فى بلاد العرب:

هِىَ النفس أغشَى فى رضاها المعاطبَا ... وأحمل منها بين جَنبىَّ قاضبَا[1]

تُكلّفنى أن أخبِطَ الليلَ بالسُّرَى ... وأن أمتطِى فيه من الهول غاربا[2]

وتنهضنى للمجد بالعزم ماضيا ... وبالهمّ مِقلاقا وبالرأى صائبا

ولم ترضَ إلّا كالجبال معزّةً ... ولم تهوَ إلا كالشموس مناقبا

إذا أنا أنزلت النجوم لأرضها ... أبَتهنّ إلّا أن يكنّ ثواقبا[3]

وترفُضُ منى كلَّ عيش مُنعَّم ... إذا ازورَّ ذاك العيش بالذلّ جانبا

ولم تبغِ لى إلّا الحقيقة بغيةً ... ولم ترض لى إلا الكريمَ مُصاحبا

تقول إذا أوردتُها ماء مِذْنَب ... رِدْ البحرَ بى غمرا وخلّ المَذانبا[4]

وإنّى لأشكوها إليها تظلّماً ... فأرجعُ عنها بعد شكواىَ خائبا

على أنّ لى منها حصاةً رزينةً ... قتلتُ بها كل الأمور تجاربا[5]

لقد تَعِبَت فيما تروم من العلى ... كذلك نفس الحرّ تلْقَى المتاعبا

ألم ترَ ما لاقى ابنُ لُبنان فى العُلَى ... من الأين لمّا ساح فى الأرض ضاربا

تيممَ من بعد الحجاز تِهامَةً ... وراحَ إلى صنعاءَ يُزْجِى الركائبا

وجاء إلى أرض العراق مُبَجَّرًا ... وكرّ إلى نجد يجوب السَّباسبا[6]

---

(١) المعاطب: المهالك. وأصل القاضب: السيف القاطع، شبه نفسه بالسيف فى مضائها.

(٢) خبط الليل: سار فيه على غير هداية. والسرى: سير الليل. وغارب البعير: ما بين سنامه وعنقه.

(٣) ثواقب: جمع ثاقب. وهو المضىء.

(٤) المذانب، جمع مذنب كمنبر: وهو كهيئة الجدول.

(٥) الحصاة: العقل.

(٦) السباسب: جمع سبسب. وهو القفر والمفازة.

ليجمع من أبناء يَعْرُبَ شملَهم ... ويقضيَ حقًّا للمواطن واجبا
أخو همّة لو مدّ باعاً إلى العلى ... لأوشك منها أن ينال الكواكبا
له قلمٌ عزّ القرائحَ شاعرا ... كما ابتزّ فُرْسان البلاغة كاتبا[1]

* * *

لقد زُرتَ نجداً يا أمينُ فقل لنا ... أتذكر من أخبار نجد جوائبا[2]
فما حالةُ الإخوانِ فيها فإنّنا ... نرى الناس عنهم يذكُرون الغرائبا
فهل كفّروا من ليس يُرسل لحيةً ... وهل فسّقوا من ليس يُحفي الشواربا[3]
وما أنا من قوم يدينون باللّحى ... ولم يقبلوا إلّا من الحلق تائبا
ودعْ عنك أخبار العراق فإنني ... لأعلم منها ما يفوق العجائبا
فويحا لأهل الرافدين إذا انطوَوا ... على اليأس من نور يَشُقّ الغياهبا[4]
ألا عَدِّ عما فى العراق فإننى ... أراه بأخلاق الزمان مَعايِبا
مَعايبُ لو أنى هتكت سِتارها ... لأرسلتُ منها للمعاند حاصبا[5]
فلا تحسبنْه أنه ذو حكومةٍ ... ولو ضربوا ظُلْماً عليه الضرائبا
لئن ألّفوا بالكذْب فيه وزارةً ... فإن بها للكاذبين مآربا
وإنى لأهوى الفجر إن كان صادقا ... وتنكر عينى الفجرَ إن كان كاذبا

* * *

تبسّم لُبنانٌ بعَوْد أَمينه ... وأضحى لأذيال المَسَرّة ساحبا
أخا الفضل قد آنستَ لُبنان حاضرا ... كما كنت قد أوحشتَ لبنان غائبا
وما أنت إلا البدرُ يُبهج طالعاً ... ويُحْزِن آفاقَ المواطن غاربا
يُحيّيكَ فى بغداد إذ جئتَ قادما ... يُحيّيكَ فى بيروتَ إذ جئت آئبا

---

(١) عز القرائح : غلبها . وابتز : فاق وغلب .
(٢) الجوائب : جمع جائبة وهى الأخبار تجوب الأرض من بلد إلى بلد .
(٣) إحفاء الشارب : الأخذ منه .
(٤) فويحا : رحمة . والرافدان : دجلة والفرات . والغياهب : جمع غيهب ، وهو الظلمة .
(٥) الحاصب : الريح تحمل الحصباء . وهى صغار الحجارة .

في المدرسة الحربية

أيها القومُ ما لكمْ في جُمودِ ... أوَ ما يَستفزّكمْ تفنيدي[1]

كلما قد هززتكم لنهوضٍ ... عُدْتُ منكمْ بقسوة الجُلْمود[2]

طال عَتْبي على الحوادث فيكمْ ... مثلما طال مَطْلُها بالوعود

فمتى سعيكم وما ذا التواني ... وإلى كم أحثُّكم بالنشيد

أنا غِرّيد شاردات القوافي ... أفلم يُشْجِكُمْ بها تغريدي[3]

كنت قبلًا أُثْني عليكم لأني ... أبتغي الحثّ بالثناء الحميد

فاتقوا اليوم صولةً من يَرَاعٍ ... واقف في مواقف التنديد[4]

أيها القومُ نحن في عصر علمٍ ... جعل الحرب في طِرازٍ جديد

جعل الحرب تُدرَس اليوم فنًّا ... مغنيا عن شجاعة الصنديد

إن للعلم في حروب بني العصْـــرِ لَبأْسا يفوق بأس الحديد

إذ بدا بأْسه الأشدّ فأنسى ... كل بأس من الحديد شديد

أيها القومُ فادخلوا المعهد الحَرْ ... بيّ طَوْعا وانْضُوا ثياب الجمود[5]

واستعدوا لردّ كل عدوّ ... أنكر الحق ناقضا للعهود

وأعِزّوا الملك الذي نبتغيه ... بجنود مَبثوثة في الحدود

قد دعتكم أوطانكم فأجيبوا ... دعوة الآمرينَ بالتجنيد

نحن لا نقصد الحروب ولكن ... نبتغي الذّود عن تراث الجدود

أرأيتم مُلكا بغير جنود ... إنما الملك قائم بالجنود

فاجمعوا الجيش في العراق ليرعَى ... ما به من طريفكم والتليد

---

(١) يستفزكم : يزعجكم ويحركـكم . والتفنيد : اللوم وتضعيف الرأى .

(٢) الجلمود : الصخر القوى .

(٣) تغريدى : غنائى . والقوافى الشاردة : السائرة فى الآفاق .

(٤) ندّدت به تنديدا : أسمعته القبيح ، وشتمته ، وشهرته ، وسمّعت به .

(٥) انضوا : اخلعوا .

(٦) الطريف والطارف : الحديث . والتليد والتالد : القديم الموروث .

ويردّ العدوَّ عنكم ويحمى عيشكم من شوائب التنكيد
لا تقرُّوا على الهوان وأنتم عرَب من بنى الاباة الصِّيد[1]
يكرهون الحياة إلا حياةً ذات عزٍّ ببأسهم صَيْهود[2]
أشرف الموت عندهم هو موت فى صُهَا الخيل تحت خَفْق البنود[3]
وأعزُّ الأعمار عمر قصير تحت ظلٍّ من السيوف مديد
وأذلُّ الحياة عندى حياةٌ قد أهينت حقوقها بجحود

العلم والعلم

لواعجُ الهمّ فى جَنبىَّ تضطرمُ والهمُّ مقداره من أهله الهِمَمُ[4]
كم قد أذاقنىَ الأيامُ من حُرَقٍ من فوقها أَسَفٌ من تحتها ألم
أ كلما قلت شعرا قال سامعه نارٌ تفوه بها للناس أم كَلِم ؟
ما بالُ شعرك مثل النار مُلتهبا يذكو ، على أنه كالماء مُنْسَجِم
إنّا لنعجب من شعر تؤججه نارا ولم يحترق فى كفّك القلم
لا تعجبوا فالأسَى فى النفس ملتهبٌ والعزم متقدٌ والهمُّ محتدم[5]
استبردَ النارَ من حرَّت عزائمه واستصغر الخطبَ من فى نفسه عِظَم
وكيف يصبح من دنياه فى دَعَة من بات فى نفسه الآمال تزدحم

* * *

---

(١) الأباة : جمع آب ، وهو الذى يأبى الضيم . والصيد : جمع أصيد ، وهو الذى يرفع رأسه عن الناس كبرا .

(٢) أصل الصيهود : الشديد الحر ، والمراد هنا الحياة القوية .

(٣) صها الخيل : جمع صهوة ، وهى الظهر .

(٤) اللواعج : جمع لاعج ، وهو الذى يتحرك فى النفس . ويضطرم : يتقد ويشتعل . يقول : إن الهموم بقدر الهمم .

(٥) احتدمت النار : اتقدت .

أما المُعزَّان فى الدنيا فإنهما ... هما على ما أراه العِلم والعَلَم
كلاهما ضامن للنَّاس حُرْمتهم ... هذا له الحكم أو هذا له الحِكَم
من لم يك العَلَم الخفَّاق شارتَهم ... فليس يُجديهم العِلْم الذى علموا
وليس ينفع قومًا لا علوم لهم ... أنْ يُنْشَر العَلَم الخفَّاقُ فوقَهم
فالعلم فى أمَّة ليست بحاكمة ... كالسيف يحمله فى الحرب منهزم
والعلمُ أوهنُ من أن يُستطالَّ به ... إن لم تقمْ من سيوف تحته دِعَم (١)
ما أحسن العَلَمَ الخفَّاق منتصبا ... به تشير إلى استقلالها الأمم

* * *

قد علمتنى الليالى فى تقلُّبها ... أنّ الموفَّق فيها السيفُ لا القلَم
وأن أصدق برق أنت شائمه ... برق تبسَّم عنه الصارم الخَذِم
وأخصب الأرض أرض لا تَسُحُّ بها ... إلّا من النقع فى يوم الوَغَى دِيَم
من كان يُكذِّبنى أن الحياة مُنًى ... فليس يُكْذبنى أن الحياة دَم
وأنه فى كلا الحالين منبعها ... يدور فى الجسم أو فى الأرض ينسجم
وأنه وهو فوق الأرض منتثر ... كمثله وهو تحت الجَوْف منتظم
إنى أرى المجد فى الأيام قاطبة ... إلى عَبيط دم المحيا به قرَم
فالمجد يَنْبُت حيث العلم منتشر ... من حيث تعترك الأبطال والبُهَم (٢)
والمجد أعطى الظُّبَى ميثاق معترف ... أن ليس يضحك إلَّا حين تَبْتَسِمُ

* * *

فلْيذهَب اليأسُ عنى خاسئا أبدًا ... إنى بحبل رجائى اليومَ مُعتَصِم (٣)
ولست ممن إذا يسعى لحادثة ... يسعى وأرجله بالخوف تصطدم

---

(١) دعم : جمع دعمة : بمعنى الدعامة .

(٢) البهم : جمع بهمة ، بوزن غرفة ، وهو البطل الذى لا يعرف قرنه من أين يناله ، لقوته وشدة حذره .

(٣) خاسئا : مبعدا طريدا .

لا تسأمنّ إذا حاولت منزلةً ... فيها يرفّ عليك المجدُ والكرَمُ
فالعيش تستبشع الأذواق مَطْعَمه ... إذا تسرّب في أثنائه السأَم
وكن صَليباً إذا عَضّتك حادثة ... تعضُّ منك بعُود ليس ينعَجِم[1]
إن الخصال التي تسمو الحياة بها ... عَزم، وحَزم، وإقدام، ومُقْتحَم[2]
لا يَكْسِب النفْسَ ما ترجوه من شرفٍ ... إلّا الإباء وإلّا العز والشمَم
لا يُونستّك أن الحرّ محتقَرٌ ... عند اللئام وأن الوغْد محترم[3]
فالعقلُ يتّهم الدهرَ المسيء بذا ... وما يَعيبك أنّ الدهر متّهم
هذى ملامتُكمْ يا قومُ فاستمعوا ... منها إلى كَلِمٍ في طيّها حِكَم
قد أُنشِدُ الشعر تعريضاً بسامعه ... فهل وعى ما أردت السامعُ الفَهِم

السجايا فوق العلم وفوق العلم

وقد نظم الشاعر الكبير الأستاذ الرصافي هذه القصيدة الاجتماعية الجبارة، جوابا عن قصيدة الشاعر الأمير عادل أرسلان: وقد كان الأمير عادل أرسلان اطلع على قصيدة الأستاذ الرصافي «العلم والعلم» التي ينصح بها الأمة العربية، ويحضها على الجهاد في سبيل الحرية، فنظم قصيدة يعارضها بها.

عِلْمٌ يُعزّزه من دَوْلة عَلَمُ ... في كل عصر به قد سادت الأمَمُ
ودولة القوم لم تثبت قواعدُها ... إلا بأنّ سجاياهم لها دِعَم[4]
فليس للعلم مهما اعتزّ جانبه ... نفع إذا ما السجايا الغُرّ تنعدم
إذا استحالتْ سجايا القوم فاسدة ... فليس ينفعهم علم ولا عَلَم
وليس يَخْتلُّ حبلُ الملك مضطربا ... إلا إذا اختلّت الأخلاق والشِّيَم
لولا سجايا على حُب العلى جُبِلتْ ... ماسادت الناسُ لا عُرب ولا عجم

(١) ينعجم: يتأثر بالعجم، وهو العض بالأسنان. (٢) مقتحم: اقتحام الصعاب.
(٣) الوغد: اللئيم الحقير. (٤) دعم: جمع دعمة، وهي الدعامة.

لاخيرَ فى العيش يغدو فيه صاحبُهُ   وأنفه باحتمال الذل مُزْدَلِم[1]

ما بالُ قومى على الإرهاق قد صبَروا   كأن أشهُرَ قومى كلّها حُرُم[2]

قد أنهضتهم إلى العلياء وَحْدَتُهُمْ   واليومَ أقعدهمْ عنها أن انقسموا

كان التعاون غَرْزا فى غرائزهم   حازوا به الشرف الوَضّاح واغتنموا

ثم اغتدَوا بعد حين فى جوانحهمْ   نارُ التخاذل بالشَّحْناء تضطرم[3]

قد زال رُوح التّفادى منهمُ ونما   رُوح التّعادى إلى أن ماتت الهمم

ألقَى التخاذل ضَعْفا فى عزائمهم   فالأجْنبىّ عليهمْ ظلّ يحتكم

تعاظموا لعظام يفخرون بها   وهل يكون بعظمٍ رِمّةٍ عِظَم[4]

* * *

داء التأخر منا فى خلائقنا   فقد فشا الداء حتى استفحل السَّقَم

كانت خلائقنا للعز ضامنة   حتى فسدن فزال العزُّ والشَّمَم[5]

وأصبحتْ عندنا الغاياتَ تابعة   إلى هوى النفس فيما شأنه عَمَم[6]

نمشى من الجهل فى ظلماء ظالمة   بليّتاها علينا الظُّلْم والظُّلَم

حرية الفكر فينا غير جائزة   والحرُّ منا مُهانٌ ليس يحترم

* * *

لادَرَّ دَرُّ رجال الدين إنهمُ   قد أظهروا فيه منهمْ غير ما كتموا

واستعملوه كما تهوَى مآربهم   كأنه ليس إلا آلةً لهمُ

تالله ما كان فى الإسلام من حرج   على الأنام ولا فى نهجه غَمَم[7]

بل كله جاء تيسيرًا وتبصرة   للعاملين وأحكامًا بها حِكَم

(١) مزدلم : مقطوع .

(٢) الأشهر الحرم : التى حرم العرب فيها القتال وهى ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب .

(٣) الشحناء : العداوة والخصام . وتضطرم : تتقد وتشتعل .

(٤) عظم رمة : أى عظم بال .

(٥) أصل الشمم : ارتفاع فى قصبة الأنف . والمراد : العز .

(٦) أمر عمم ، تام عام .

(٧) الغمم ، بالتحريك : أن يسيل الشعر حتى يضيق الوجه والقفا . والمراد هنا : ضيق الطريق .

لكنما القوم ظلوا جامدين على ... ما منه قد وَهِموه بئس ما وَهِموا

إذا سلكتَ إلى الإصلاح مَسلكه ... فأنت فى رأيهم بالكفر مُتَّهَم

و إن تصادَمْتَ بالعادات تُنكِرها ... فأنت فى زَعمهمْ بالدين تصطدم

و إن أتيتَ ببرهانٍ فأعجزهم ... لم يحسنوا الردَّ بل من عجزهم شَتَمُوا

و إن تقُل لهمُ قولاً لتُقْنعهم ... شدُّوا عليك وردوا قبلما فهموا

خلائقٌ كظلام الليل من يرَها ... يقل بأمثال هذى تُمْسَخ الأمم

* * *

لله دَرُّ بنى معروفَ إذ صبَروا ... على التجالد ما كلُّوا ولا سئموا

أخلَوا منازلهم للكرّ ثانيةً ... كالأسد ترتد خَلْفا ثم تقتحم

ولازموا القفرَ ، عاشوا فى مجاهله ... عيش القناعة لا حُلْو ولا دَسِم

بذاك حُبُّهمُ الأوطانَ يأمرهمْ ... إذ هُمْ بسيماء حبِّ المواطنِ اتَّسموا

باتت دمشقُ لهم ترنو نواظرُها ... كما رنا للطبيب المدنَفُ السَّقِم

أيامَ لم يبقَ من بيت بغُوطتها ... إلا ذكَتْ فيه نار أو أُرِيق دم

ثم انضوى بعدما اجتيحت معالمُها ... منها إلى جمعهم أبطالها البُهَم

فاستقتلوا فى سبيل الذَّودِ عن وطن ... صِينت له من قديم عندهم ذِمَم

كانوا أشد مَضاءً من صوارمهم ... فليس يَثْنيهم ثانٍ إذا هجَموا

عند الهجوم كموج البحر تبصِرُهُمْ

وكالجبال الرَّواسى همْ إذا التحموا

صَلَّتْ سيوف بأيديهم بسِلنَ دَمًا ... حتى حكين الغوادِى حين تهْتزِم (١)

* * *

(١) صلت صليلا : صوتت . والغوادى : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ فقط غدوة . وتهتزم : من الهزيم ، وهو صوت الرعد .

من مُبْلِغ الأمير الشَّهْمِ مألُكَةً ... كالشمس تُشْرِق إلا أنها كَلِمُ(1)

إلى فتى آلِ رَسْلانَ الأُلى رسختْ ... فى مَعدِنِ المجدِ من قِدْمٍ لهم قَدَمُ

لبعضهم شهرة بالسيف واحدة ... و بعضهم شهرتاه السيف والقلم

كعادل وشَكيبٍ فى أكفهما ... جال اليَراع وصال الصارم الخَذِمُ(2)

صبرا فديتك فالعُقْبَى وإن بعدت ... للصابرين وعُقْبى الخائن الندم

ولم يَفُتْكَ نجاح فى محاربة ... أقل ما حزت فيها المجد والكرم

ياعادلًا كاسمه لا تنسَ مَظْلِمتى ... عندى خصوم وما عندى لهم حَكَمُ(3)

الحرية فى سياسة المستعمرين

ياقومُ لا تتكلّموا ... إنّ الكلامَ محرَّمُ

ناموا ولا تستيقظوا ... ما فاز إلّا النُّوَّمُ

وتأخروا عن كل ما ... يقضى بأن تتقدّموا

ودَعُوا التفهّم جانبًا ... فالخيرُ ألّا تفهموا

وتثبتوا فى جهلكم ... فالشرّ أن تتعلّموا

أمّا السياسة فاتركوا ... أبدًا وإلّا تندموا

إن السياسة سرّها ... لو تعلمون مُطَلْسَمُ(4)

وإذا أفضتم فى المبا ... حِ من الحديث فجمجموا

والعدلَ لا تتوسّموا ... والظلمَ لا تتجهّموا(5)

من شاء منكم أن يعيـــش اليومَ وهْو مكرّم

فليُمْسِ لا سمعٌ ولا ... بصرٌ لديه ولا فم

(1) المألكة والألوكة : الرسالة يؤديها الرسول بلسانه .

(2) سيف خذم ومخذم ، بكسر الميم : أى قاطع .

(3) المظلمة ، بكسر اللام : اسم ما أخذ منك من الحقوق ظلما .

(4) مطلسم : أى مكتوم . (5) تجهمه : تلقاه بالغلظة والوجه الكريه .

لا يستحق كرامةً ... إلا الأصم الأبكم
ودَعوا السعادة إنما ... هي في الحياة توهم
فالعيش وهو منعَّم ... كالعيش وهو مذمَّم
فارضَوا بحكم الدهر مهـ ... ـما كان فيه تحكّم
وإذا ظُلِمتم فاضحكوا ... طربًا ولا تتظلموا
وإذا أُهِنتم فاشكروا ... وإذا لُطِمتم فابسموا
إن قيل هذا شهدُكم ... مُرٌّ، فقولوا: علقم
أو قيل إن نهاركم ... ليلٌ، فقولوا: مُظْلِم
أو قيل إن ثِمادكم ... سيلٌ، فقولوا: مُفْعَم(1)
أو قيل إن بلادكم ... يا قوم سوف تُقسَّم
فتحمَّدوا، وتشكَّروا ... وترنَّحوا، وترنَّموا(2)

غادة الانتداب

دَعْ مزعجَ اللوم وخَلِّ العتابْ ... واسمع إلى الأمر العجيب العُجابْ(3)
من قصة واقصة غُصة ... تضحك بل تدعو إلى الانتحابْ(4)
في الكرخ من بغدادَ مرَّت بنا ... يومًا فتاة من ذوات الحجاب
لَبَّتُها مُوقَرة بالحِلَى ... وكَفُّها مُشْبَعة بالخِضاب(5)
ووجهها يَطْمِس سَحْناءه ... عنا ظلام من سواد النِّقاب(6)

---

(1) الثماد: جمع ثمد، بالتحريك، وهو الماء القليل. والمفعم بكسر العين: المالىء. وبفتحها: المملوء.

(2) الترنح: التمايل على الجانبين، من سكر أو فرح. والترنم: رفع الصوت بالغناء.

(3) العجاب: صفة كالعجيب.

(4) واقصة: اسم فاعل من وقصه: إذا دق عنقه. والمراد أنها مؤلمة أشد الألم والغصة: مايعترض في الحلق من طعام أو شراب أو عظم، فيسده. والانتحاب والنحيب: البكاء بصوت طويل ممدود.

(5) اللبة: موضع القلادة. وموقرة: محملة.

(6) سحناء الوجه وسحنته، بفتح السين فيهما: لونه وحاله وهيئته.

تمشي العِرَضْنَى فى جلابيبها ... مِشية إحدى المُومِسات القِحاب[١]

تختلب الناسَ بأوضاعها ... وكل ما يصدُرُ منها خِلاب

قد وضعت تاجًا على رأسها ... يلمَع فى الظاهر لَمْعَ الشِّهاب

يحسَب من دُرٍّ بتمويهه ... وهو إذا حققته من سِخاب[٢]

كاسية الجسم أرقَّ الكُسَى ... مَوْشِيَّةُ الثوب بوشى كَذاب

قد غولِط الناس بأثوابها ... فى أنها من معمَل الإنتخاب

وهى لَعمرى دونَ ما ريبةٍ ... منسوجة فى منسج الإغتصاب

فالغش فى لُحمَتِها والسَّدَى ... وكلّ ما يدعو إلى الارتياب

قال جليسى يوم مرَّت بنا ... مَنْ هذه الغادة ذات الحجاب ؟

قلت له تلك لأوطاننا ... حكومة جاد بها الانتداب

تحسبها حسناء من زيّها ... وما سِوى (جُنْبول) تحت الثياب[٣]

ظاهرها فيه لنا رحمة ... والويلُ فى باطنها والعذاب

مصابنا أمسى فظيعاً بها ... يا ربِّ ما أفظع هذا المصاب

تالله قد حق لنا أننا ... نحثو على الأرؤس كلَّ التراب[٤]

---

(١) مشى العرضى : أى لم يستقم فى مشيه ، وإنما سار فى ميل واعتراض من فرط نشاطه وبغيه. والمومسات : جمع مومس ، وهى البغى . والقحاب : جمع قحبة ، وهى المومس . وأصل القحبة : السعلة . وهى من الكنايات ، لأن المومس تسعل ، كأنها تدعو الى نفسها بذلك .

(٢) السخاب . ككتاب : خيط ينظم فيه خرز ، تلبسه الصبيان والجوارى .

(٣) جنبول : علم على جنس الانجليزى .

(٤) حثا التراب يحثوه حثوا ، ويحثيه حثيا : هاله ورماه .

الفيل والحمل

أنشدها يخاطب بها الزعيم الهندى محمد على ، وقد كان مدعوا معه في مأدبة أقامها له الأستاذ الثعالبي عند مروره ببغداد سنة ١٩٢٩ .

إليكَ زعيمَ الهند أُوردُ هٰهنا — سُؤالًا له أرجو الجوابَ تفضلا
فنحن هنا في مجلس ذى أمانة — فلم يَخْشَ فيه الحُرّ أنْ يتقوّلا
إذا ما سمعتُ الهند في قول قائل — تخيلتُ فيلًا بالحديد مُكبَّلا
تزجيه كفّ الأجنبي مُسَخّرًا — فيمضي بأعباء الأجانب مُثْقَلا[1]
ويَبْرُكُ أحيانًا على الأرض رازحًا — له أنّة من ثِقَل ما قد تحمّلا[2]
وينْخَسُ أحيانًا فتعلوه رَجْفَةٌ — فيمضي على رَغْم القيود مُهَرْوِلا[3]
وإنى أظن الفيل صاحبَ قوة — تكون له لو شاء من ذاك موئلا
فلو قام هذا الفيلُ واستجمع القوى — لهزّ بها شمّ الجبال وقَلْقَلا[4]
ولو لم تكن بالفيل عندى علاقة — لما رمتُ عن هذا جوابًا مفصّلا
لنا حَمَل وهو العراق نظنه — غدا من وراء الفيل للذئب مأكلا
فإن ينجُ هذا الفيل من قيد أسره — نجونا وإلا أصبح الأمر معضلا[5]
فإن لم يكن هذا صحيحًا فما الذى — ترون سوى هذا عليه المعوّلا
ومن بعد هذا يا محمد إننى — أحييك باسم الناهضين إلى العلا

---

(١) تزجيه : تسوقه وتوجهه .
(٢) رزح تحت الحمل يرزح رزحا : أن من ثقله .
(٣) النخس : الشك بالإبرة ونحوها . والمهزول : الذى يمشى الهرولة ، وهى مشية سريعة .
(٤) شم الجبال : الجبال العالية . (٥) أعضله الأمر : غلبه .

دمشق تندب أهلها

أنشدها فى حفلة أقيمت فى بغداد لجمع الاعانات
لمنكوبى سورية سنة ١٩٢٦

بكت فى ظلام الليل تندب أهلها ... بصوت له الصخر الأصم يلين
وباتت وقد جل المصاب حزينة ... لها فى ضواحى الغوطتين أنين
تئن وقد مد الظلام رواقه ... وخيم صمت فى الدجى وسكون (١)
إذا هى مدت فى الدجنة صوتها ... تميد له فى الغوطتين غصون (٢)
وتلهب منه فى الفضاء شرارة ... فتبصرها فى الرافدين عيون (٣)
وتهبو له فى ساحل النيل هبوة ... أبو الهول منها واجد وحزين (٤)

* * *

ومن بعد وهن أشرق البدر طالعا ... فأسفر منها عارض وجبين (٥)
فأبصرت منها الوجه أزهر مشرقاً ... بخديه سر للجمال مصون
جمال بديع بالجلال متوج ... له سبب فى المكرمات متين
وبرقعها حزن فكان لوجهها ... مكان من الحسن المهيب مكين
فتاة جثت فى الأرض تبكى وحولها ... صريع على وجه الثرى وطعين
فضمت إلى الصدر اليدين وعينها ... تقاذف منها بالدموع شئون
وقد شخصت نحو السماء بطرفها ... لها كل آن زفرة وحنين
وما أنس لا أنس العشية أنها ... تورم منها بالبكاء جفون
وأن غزير الدمع خدد خدها ... فلاحت من الأشجان فيه فنون

---

(١) الرواق : بضم الراء وكسرها : الفسطاط والقبة وموضع الجلوس .
(٢) الدجنة : الظلام . تميد : تميل . والغوطتان : أرض تضاف إلى دمشق ، وهى من بساتين الدنيا .
(٣) بلاد الرافدين : هى العراق . (٤) هبا يهبو ، كعلا يعلو : سطع .
(٥) العارض : جانب الوجه . والجبين : من منبت الشعر الرأس إلى الحاجبين .

ولما انقضى صبرى تراميتُ نحوها … كما ترتمى بالعاصفات سفين

وقلتُ لها : مَنْ أنت رُحماك إننى … لك اليوم خِلٌّ صادق وأمين

فقالتْ وقد ألقت إلىّ بنظرة … عن القصد فيها مُعْرِب ومُبين

أنا البلدة الثَّكْلَى دمشق ابنة العُلَى … أما أنت فى مَغْنَى دِمشق قَطِين[1]

ألم ترَ أبنائى يُساقون للردَى … فمنهم قتيل بالظُّبَا وسجين[2]

فأين أُباة الضيم من آل يَعْرُب … ألم يأت منهم ناصرٌ ومعين

فقلت لها لبيك يا أمُّ إنهمْ … سيأتيك منهم بارز وكَمِين[3]

سندرك فيك الثأرَ من أنفس العِدا … ونُوقد نار الحرب وهى زَبُون[4]

* * *

فهــذى دمشق يا كرام وهذه … أحاديثُ عنها كُلّهنّ شُجُون[5]

(١) الثكلى من النساء : التى فقدت زوجها أو أولادها . وقطين : قاطن .

(٢) الردى : الهلاك ، ردى يردى : من باب فرح . والظبا : جمع ظبية ، وهى حدة السيف .

(٣) بارز وكمين : أى ظاهر وخفى .

(٤) الزبون : المدفوع . يقول ناقة زبون ، وحرب زبون ، أى تدفع الناس إلى الهلاك كما تزبنهم الناقة بخفها .

(٥) الشجن : الهم والحزن . والجمع : شجون وأشجان . والشجون أيضا : تطريب الحمامة ونوحها .

معترك الأهواء

قالها يمثل حالة الصحف فى الآستانة عقب الهدنة للحرب العامة :

أرى الأتراكَ فى دار الخلافهْ ... تمادَوا فى الخصومة والسخافهْ (١)

غدَوا يتطاعنون بكل هُجْرٍ ... من القول المخالف للشَّرافه (٢)

فما عملت رماح الخط فيهم ... كما عملته أقلام الصحافه (٣)

ترى كُلاً تهيَّأ للترامى ... وشمَّر عن سواعده لحافه (٤)

وأترع كفه حَمأً نتيناً ... ليَلْطَخَ وجه من يُبْدِى خلافه (٥)

تراهم مُزْبدين لهم شدوق ... كشدقَىْ حالب شربَ النُّشافة (٦)

لهم صَخَب كعَرْبدة السكارى ... وقد شربوا المطامع كالسُّلافه (٧)

على حين العدوُّ بهم محيط ... يذيقهم المذلَّة والمخافه

سفينة ملكهم فيها خُروق ... وهم لايحسنون لها القلافه (٨)

وقد وقفتْ بدُرْدُورٍ شديد ... ولم تأمن من الموج انقذافه (٩)

وليس لها هنالك من عَريفٍ ... يُقوِّمها بسكَّان العَرافه

عجِبت لهم إذ اختلفوا بملكٍ ... يكون الإختلاف عليه آفه

---

(١) السخافة : أن يكون نسج الثوب رقيقا واهيا .

(٢) الشرافة : الشرف ، وكلاهما مصدر شرف الرجل : إذا علا فى الدين أو الدنيا .

(٣) الخط : بلد فى البحرين تصنع فيه الرماح الجياد .

(٤) اللحاف هنا : ما يلتحف به المرء من ثوب فوق الثياب ، كالمعطف والكساء ونحوهما .

(٥) الحمأ : الطين .

(٦) المزبد : البعير الذى خرج الزبد حول فمه ، وهو الرغوة ، من شدة الهياج . والنشافة : الرغوة التى تعلو لبن الابل والغنم إذا حلب .

(٧) الصخب : ارتفاع الصوت فى الجدال ونحوه ، وعربدة السكران : سوء خلقه وحركته المضطربة . والسلافة : الخمر .

(٨) قلف السفينة خرز ألواحها بالليف . وجعل فى خللها القار . والقلافة : اسم تلك الصناعة .

(٩) الدردور : موضع فى وسط البحر يجيش ماؤه ، لا تكاد تسلم منه سفينة ، يقال : لججوا فوقعوا فى الدردور . قال الجوهرى : هو الماء الذى يدور ويخاف منه الغرق .

كأنى إذ أراهم فى احتراب ... علاثٍ يطلب الغرب انتسافه

أرى كبشين ينتطحان جهلاً ... لدى الجزّار فى دار الضيافه

خصامٌ يضحك السفهاء منه ... ويبكى منه أربابُ الحصافه

وإنّ تدابرَ الأقوام شىء ... يئول إلى الندامة والأسافه

نفثة مصدور (١)

خليلىّ هل من منصتٍ فأبثّه ... شجونَ فتًى يشكو الأليمَ من البثّ (٢)

فإنى سئمت العيش فى عنفوانه ... ويسأم مثلى كلُّ مخترثٍ حرْثى

أقول وليل الغرب ليس بنائم ... أما لنيام القوم فى الشرق من بعث

لقد جاح هذا الشرقَ بعد اعتزازه

جوائحُ أودتْ منه بالكرْش والفرْث (٣)

فساء من الإملاق والجهل خلقُه ... وصار سمينُ القوم يبطش بالغثّ (٤)

وعادَ هزيلاً تجدُه متلفعاً ... بسحْقٍ دريسٍ من مفاقره رثّ (٥)

وهبّتْ هوجُ الرياح فلم تدعْ ... من العلم جِذراً فوقه غيرَ مجتثّ (٦)

---

(١) قال الرصافى هذه القصيدة وهو فى الآستانة ، وأنشدها شبان العرب فى المنتدى الأدبى .

(٢) البث : أشد الحزن . وقوله فأبثه شجون فتى : الضمير : مفعول أول ، وشجون : مفعول ثان ، أى فأطلعه على شجون فتى .

(٣) جاح هذا الشرق : أى استأصله . وجوائح : فاعل جاح ، وهى جمع جائحة ، وهى النازلة العظيمة التى تجتاح كل شىء . والكرش : لكل مجتر من ذوات الخف والظلف : بمنزلة المعدة للانسان . والفرث : السرجين ما دام فى الكرش . ومعنى قوله « أودت منه بالكرش والفرث » : أنها ذهبت منه بما عز وبما هان ، فضرب الكرش والفرث مثلا للجليل والحقير .

(٤) الاملاق : الفقر . وأراد بسمين القوم : قويهم . وبالغث : ضعيفهم .

(٥) متلفعا : ملتحفا . وسحق فى قوله « بسحق » صفة لمحذوف ، أى بثوب سحق ، وهو البالى من الثياب . والدريس : الخلق ، وكذلك الرث . والمفاقر : وجوه الفقر ، لا واحد لها . وقيل : واحدها فقر ، على غير قياس .

(٦) هوج الرياح : هى التى لا تستوى فى هبوبها ، وتقلع البيوت ، واحدها : هو جاء . وجذر الشىء : أصله . ومجتث : أى مقتلع .

أرى غَثياناً فى النفوس وهل ترى نفوسا على خُبْث المطاعم لاتغثى
فيا قومنا أين المساواة عندكم فقد طال عنها فى مواطنكم بحثى ؟
وأينَ مواثيق الأُخوّة إننى أرى حبلها فى كل يوم إلى النَّكْث؟
وإنّ بصدرى للقريض لفورةً يزيد بها من طول غفلتكم نَفْثى (١)
أراكمْ فأهجو ثم أطرق ذاكراً أوائلكم قَبلا فأندبُ أو أرْثى
وأبكى على المجد الذى كان دونه على رَبَتيه الدهرُ من خشية يجْثى
يقولون إنّ الإرْثَ فى الخَلْق سُنَّة فهل بطلت فى خَلْقكم سنة الإرث؟
فهلا ورِثتم ثُلْثَ ذاكَ الذى بنَوا من المجد، لا، لا، بل أقل من الثُّلْث!
قَعَدتم وقاموا واستكنتم وفاخروا بعزّ على وجه البسيطة مُنبَثّ
وما أتعبَ المستنهضيكم فإنهمْ يَحثّون منكم للعُلى غير مُحتَثّ
أما والعلَى واهاً لها من أليّة عدمتُ العُلى إن بتّ منها على حِنْث
لأحتقرنَّ الموتَ فى معرك المنَى وأسْتُرُ أفق اليأس بالرّهج الكَثّ (٢)
وأركب متن الهول دُون لُبانتى ولستُ   أبالى بالكوارث (٣)
وأجْرى بمستنّ الخطوب مشمِّراً وأخبط ليلَ المزعجات بلا لَبْث
ولولا إبائى أن أخاطب ماجنًا كتبتُ هجاء الدهر بالقلم الثُلْث (٤)

---

(١) افورة : أى حدة وغضبا . وقوله نفثى : أى نفخى من الغضب : تقول : هو ينفث على غضبا : أى كأنه ينفخ من شدة الغضب .

(٢) الرهج : الغبار . والكث : الكثيف .

(٣) الكوارث : الشدائد . وكرثها : اشتدادها .

(٤) القلم الثلث : أصله قلم الثلث وهو الذى يكتب به فى ثلث الطومار ، والطومار : نوع من الورق ، متفق على مقدار طوله وعرضه وهذا من اصطلاح كتاب الدواوين . وقد جرى الشاعر على أسلوب عامة المتكلمين . فجعل الثلث وصفا للقلم . يريد القلم . العريض .

إخفاء الذمم

أو عبد العزيز شاويش

قالها فى الآستانة عند ما أسلمت وزارة أحمد مختار باشا الغازى الشيخ عبد العزيز شاويش إلى الحكومة المصرية :

إنى عهدتك لا تكون يئوسا ... مهما لقيت مصائبا ونحوسا

كم قد صدمت النائبات بهمة ... جعلت لها الصبر الجميل لبوسا

غدروك ياعبد العزيز وإنما ... غدروا الشهامة فيك والناموسا[١]

ما أسلموك إلى الخديو وإنما ... قد أسلموا شرفا لهم قدموسا[٢]

هدموا بأيديهم قواعد مجدهم ... فهوى وأصبح رسمه مطموسا

وأحق شىء بالرثاء لدى الورى ... شرف بأرجل أهله قد ديسا

وأقل أبناء الزمان حمية ... من كان بيت نزيلهم مكبوسا[٣]

قد أخجلوا علم الهلال بفعلهم ... هذا فأصبح رأسه منكوسا

وغدا بنوه وإن تقادم فخرهم ... عند الفخار يطأطئون رءوسا

ماهنت أنت وإنهم بفعالهم ... هانوا لدى أهل الحفاظ نفوسا

جارت سياستهم عليك فأغضبت ... أهل العدالة سائساً ومسوسا

لو كان هذا الشعب يعرف نفسه ... لأقام حربا من جراك ضروسا[٤]

ولو أن أخلاق الرجال صحيحة ... ما كان حقك عندهم مبخوسا

إن العلى همست إليك بسرها ... ولقد فهمت كلامها المهموسا

فنهضت بين المسلمين تلمهم ... وتجد منهم مخلقا ودريسا[٥]

---

(١) الناموس : وعاء العلم .
(٢) القدموس : القديم .
(٣) المكبوس : الذى يهجم عليه ويفتش .
(٤) من جراك : من أجلك .
(٥) تلمهم : تجمعهم حول غرض واحد . وتجدد : تجدد . والمخلق : البالى . الدريس : الدراس البالى .

فرماك منهم حاسدوك بمُهمة ... مَلَئُوا القضاء بزُورها تدليسا

إن يمقتوك فإنّ حبك لم يزل ... فى قلب كل موحِّد مغروسا

والشمسُ تشهدُ أنّ فضلك مثلها ... يحيى النفوس ويقتل الحنديسا[1]

ياليتَ شعرى أىُّ كأس مرّةٍ ... لك أدهقوا إذ جرعوك البُوسا[2]

وبأى سلسلة رَمَوك مكبَّلا ... وبأى سجن غادروك حبيسا[3]

قد بتَّ من جزَعى عليك منجِّما ... فى الليل عنك أسائل البِرْجيسا[4]

إن يسجُنوك فإن ذكرك مطلَق ... يجنى الثناء ويقطِف التقديسا

أو يوحشوك بقعر سجنك مفْردا ... فالحقُّ عندك قد أقام أنيسا

ولئن لقيتَ أذىً فكم من مصْلح ... لقِىَ الأذاة مفَجّعا متعوسا

ضَحِكتْ وُجوه الترَّهات ولم يزل ... وجه الحقيقة فى الأنام عَبوسا[5]

---

(١) الحندس : الظلام : والحنديس : الحندس ، وقد أشبع كسرة الدال ، فوجدت الياء ، كقول الآخر : « نفى الدراهيم تنقاد الصياريف » . والأصل : الصيارف .

(٢) ليت شعرى : ليتنى أشعر وأعلم . وأدهقوا : ملئوا ، وكأس دهاق : مملوءة . وجرعوك : سقوك شيئا فى إثر شىء . والبوس : البؤس .

(٣) غادروك : تركوك . حبيسا : أى محبوسا .

(٤) البرجيس نجم ، قيل : هو المشترى .

(٥) الترهات : جمع ترهة ، وهى الباطل .

ياسين باشا

قالها بلسان أحد المتظاهرين ، وكان إذ ذاك فى دمشق ، لما دبرت حكومة الشام العربية بواسطة رجال الانكليز مكيدتها الملومة لياسين باشا الهاشمى ، فأخذوه واعتقلوه فى الرملة ، وكان ذلك قبل دخول الفرنسيين بلاد الشام .

ياسينُ إنكَ بالقلوب مُشَيَّعُ ... أفأنتَ للوطن العزيز مُوَدِّعُ
أخـذوكَ يا بطلَ المعامع غِيلةً ... بيد الخداع ومثلهم من يَخدعُ (١)
ولوَ انهم تركوا الخِدَاع وحاولوا ... لُقياك أعجزهم إليـك المَطلَعِ
أوَ ليس يَدْرى آخذوكَ بأنهم ... هاجوا بمأخذك الخطوبَ وزعزعوا
أينَ الذِّمام ونحن من حُلَفائهم ... سَرْعان ما نقضوا العهود وضيَّعوا
أفيجهلون بأننا من أمّـةٍ ... فى المجد تأمر من تشاء فَيسمع
لا تجزعَنَّ فانْ خلفك أمَّـةً ... تمشى كمشيك للعَلاء وتتبع
إن أخرجوك من المواطن مُكرَهًا ... فالشعب خلفك هائج لا يَرجع
أو غيّبوك فإنَّ أمرك حاضر ... أو ثبَّطوك فإنَّ جيشك مُسْرِعِ
فلَنَملأنَّ بك البلادَ هزاهزًا ... حتى يضيق بها الفضاء الأوسع (٢)
ولَننهضنَّ إلى الهياج بهمة ... شمّاء يبصرها الجبان فيشجُع
ولَنَسْعَرنَّ معامعاً يَصْلَوْنَها ... ورءوسهم فيها لسيفك رُكَّع
وَلَنَرْمينهم بمعضلةٍ إذا ... تُرمَى الجبال بمثلها تتصدع
ونقودها خرساءَ يُنطقها الرَّدَى ... فيصيلُ صمصامٌ ويَصرخ مِدفع (٣)
يارَاحلا عنا بكيد عدونا ... أبشرْ فإنك عن قريب ترجع

(١) المعامع : جمع معمعة ، وهى المعركة . والغيلة : الخيانة والغدر .
(٢) الهزاهز : الفتن والثورات التى تهز الناس وتقلقهم .
(٣) خرساء : كتيبة خرساء .

كيف نحن في العراق؟

أيكفينا من الدُّولات أنّا ... تعلّق في الديار لنا البُنودُ
وأنّا بعد ذلك في افتقار ... إلى ما الأجنبيُّ به يجود
تجوز سيادة الهنديّ فينا ... وأمّا ابن البـــلاد فلا يَسود
إذنْ فالهند أشرف من بلادي ... وأشرف من بني قومي الهنودُ
وكم عند الحكومة من رجال ... تراهم سادة وهم العبيد
كلابٌ للأجانب هُمْ ولكن ... على أبناء جلدتهم أسود
وليس الإنكليز بمُنقذينا ... وإن كُتبتْ لنا منهم عهود
متى شفق القويُّ على ضعيف ... وكيف يعاهد الخرفانَ سِيد
ولكن نحن في يدهم أسارى ... وما كتبوه من عهد قيود
أما والله لو كنا قرودا ... لما رضيتْ قرابتَنا القرود

في طريقي إلى حلب

جئتُ إلى الدير ضحى يوم الأحدْ ... أقصدُ منه حلبا فيمن قصدْ
فاعترضتني شرطة ذات رصدْ ... تطالب تصديق جوازي في الصَّدَدْ[١]
فعاقني ذاك من اليوم لغدْ ... كأنني والغيظ في قلبي اتّقدْ
سفينة أمسكها ماء جمدْ ... حتى لقد يئستُ من فتح السَّدَدْ[٢]
وقلت من يأسي وقد قل الجلدْ ... كأن من يمر من هذا البلدْ
يمر زحفا بين أشداق الأسدْ ... لولا كرامٌ أدركوني بالمددْ
لكنت أبقى زمنا من غير حد ... ياصاحبَ الشرطة ما هذا اللَّدَدْ[٣]

---

(١) الشرطة : رجال النظام والحفظ . والرصد : المكان ترصد فيه الداخلون إلى البلد والخارجون منه ، أي يرقبون ويفتشون . والصدد : الطريق .

(٢) السدد : مجاري الماء .

(٣) اللدد : شدة الخصومة والجدال .

لم أدر جِدٌّ فعلُكم أم هو دَدْ ... فإن أجنادك جاءوا بالفَنَدْ(١)

إذ فيَّ عاثوا عيثَ ذئب في نَقَدْ ... تعاوَرَتْني منهمُ يدٌ فيَدْ(٢)

أقادُ كالقاتل قِيدَ للقَوَدْ ... حتى ثيابي فتّشوها والجسدْ(٣)

كأنني سارق مال مُفتَقَدْ ... ما أنا ممن جرَّ جُرْماً فشرَدْ

ولست ممن سِيمَ حقاً فجَحَدْ ... كلّا ولست جانياً على أحَدْ

لكنما الأمرُ لديهم قد فسَدْ ... والحكم قد جار عليهم واستبَدْ

فالقوم : أما حظهم فقد رقدْ ... عنهم ، وأما سعدهم فقد خمَدْ

منهم ، وأما نحسُهم فقد وقَدْ ... وقد أضاعوا مجدهم إلى الأبَدْ

وقدْ وقدْ ، وقدْ وقدْ ، وقدْ وقدْ

حكومة الانتداب

أنا بالحكومة والسياسةِ أعرَفُ ... أألامُ في تفنيدها وأُعنفُ(٤)

سأقولُ فيها ما أقول ولم أخفْ ... من أن يقولوا شاعر مُتطرِّف

هذى حكومتنا وكلُّ شموخها ... كَذِب ، وكل صنيعها مُتكلَّف

غشَّتْ مظاهرها ومُوِّهَ وجهُها ... فجميع ما فيها بَهارج زُيَّفُ(٥)

وجهان فيها باطن متستر ... للأجنبيّ وظاهر متكشف

والباطن المستور فيه تحكم ... والظاهر المكشوف فيه تَصَلُّف(٦)

* * *

علم ودستور ومجلس أمة ... كلٌّ عن المعنى الصحيح مُحرَّف

أسماء ليس لنا سوى ألفاظها ... أما معانيها فليست تُعرَف

---

(١) الدد : اللعب واللهو . والفند : ما يلامون عليه .
(٢) عاثوا : أفسدوا . والنقد : ضرب من صغار الغنم ، كالمعز .
(٣) القود : القصاص .
(٤) تفنيدها : لومها ومعاتبتها . والتعنيف : أشد اللوم
(٥) البهرج : الذي يروقك مظهره ، ولا تسرك حقيقته . (٦) تصلف : تكبر .

مَن يَقرإِ الدستورَ يعلمْ أنه ... وفقاً لصكِّ الإنتداب مُصَنَّف
من ينظرِ العَلَمَ المرفرِف يلقَه ... فى عز غير بنى البلاد يُرَفْرِف
من يأت مجلسنا يصدِّقْ أنهُ ... لمراد غير الناخبين مُؤَلَّف
من يأت مُطَّرَدَ الوزارة يُلْفِها ... بقيود أهل الإستشارة تَرْسُف(١)

* * *

أفهكذا تبقى الحكومة عندنا ... كالما تمَوَّه للورَى وتُزَخْرَف
كثرت « دوائرها » وقلَّ فعالها ... كالطبْل يَكْبُرُ وهو خال أجوف
كم ساءنا منها ومن وزرائها ... عمل بمنفعة المواطن مُجْحِف(٢)
تشكو البلاد سياسة مالية ... تجتاح أموالَ البلاد وتُتلِف(٣)
تُجْبَى ضرائبها الثقال وإنما ... فى غير منفعة الرعية تُصْرَف
حكمت مشدَّدة علينا حكمها ... أما على الدُّخَلاء فهى تخَفَف(٤)
ياقومُ خلوا الفاشسيّة إنها ... فى السائسين فظاظة وتعجرُف(٥)
للإنكليز مطامع ببلادكمْ ... لاتنتهى إلا بأن تتبلشفوا(٦)

* * *

بالله ياوزراءنا ما بالُكمُ ... إن نحن جادلناكُمُ لم تنصفوا
وكأنّ واحدكم لفَرْط غُروره ... ثَمِل تميل بجانبيه القَرْقَف(٧)
أفتقنعون من الحكومة باسمها ... ويفوتكم فى الأمر أنْ تتصرفوا

---

(١) المطرد : مكان الاطراد ؛ وهو الجرى والتتابع . يريد الميدان أو الطريق الذى تجرى فيه الوزارة . وترسف : تمشى مشى المقيد .

(٢) مجحف : جائر على منفعة أهل البلاد .

(٣) تجتاح : تهلك . والجائحة : الآفة المهلكة .

(٤) يريد بالدخلاء : الأجانب النازلين بأرض العراق من غير العرب .

(٥) تعجرف : خشونة .

(٦) تبلشف يتبلشف ، فعل أخذه الشاعر من لفظ البلشفية ، وهى مذهب سياسى واقتصادى ينافى الرأسمالية ، وهو النظام السائد الآن فى روسيا وشرق أوربا .

(٧) القرقف : الخمر .

هذى كراسىّ الوزارة تحتكمْ ... كادتْ لِفَرْط حيائها تتقصَّف
أنتم عليها والأجانب فوقكم ... كلٌّ بسلطته عليكم مُشْرِف
أيُعَدّ فخرا للوزير جلوسُه ... فرحًا على الكرسىّ وهو مكتَّف

* * *

إن دام هذا فى البلاد فإنه ... بداومه لسيوفنا مُسْتَرعِف[1]
لابدّ من يوم يطول عليكم ... فيه الحساب كما يطول الموقِف
فهنالكم لم يغن شيئا عنكم ... ألسُن تقول ولا عيون تَذْرِف
الشعب فى جزَع فلا تستبعِدوا ... يوما تثور به الجيوش وتَزْحف
وإذا دعا داعى البلاد إلى الوَغَى ... أتظن أن هناك من يتخلَّف
أيذِلّ قوم ناهضون وعندهم ... شَرَف يُعزّز جانبيه المُرْهَف[2]
كم من نواص للعِدَا سَنَجُزُّها ... ولِحًى بأيدى الثائرين ستُنْتَف[3]
إن لم نضاحك بالسيوف خصومَنا ... فالمجد باكٍ والعُلَى تتأفَّف[4]

* * *

زُرْ رَدْهَة التاريخ إن فناءها ... للمجد من أبناء يعرُبَ مَتْحَف[5]
قد كان للعرب الأكارم دَوْلة ... من بأسها الدول العظيمة ترْجُف
عاش الأديب منعمًا فى ظلِّها ... والعالم النحرير والمتفلسف
أيام كان المسلمون من الورَى ... فى ظلّها لهم المحلُّ الأشرف
ثم انقضى عهد العُروبة مُذْ غدا ... عنها الزمانُ بسعده يتحرّف[6]

---

(١) مسترعف : مسبب للرعاف ، وهو سيلان الدم من الأنف ومن حد السيف .

(٢) المرهف : السيف أو السنان المشحوذ .

(٣) النواصى : جمع ناصية ، وهى الشعر فى مقدم الرأس . ونجز : نقطع .

(٤) نضاحك خصومنا بالسيوف : أى نمازحهم بالسيوف ، وفى الكلام استعارة .

(٥) الردهة : المكان المتسع بين البيوت ، وهى ما نسمه الآن بلسان العصر « صالة » يريد أن المكان الذى يدرس فيه التاريخ يحوى من أخبار العرب ومفاخرها ما تحويه المتاحف ودور العاديات من مجد الأمم القديمة .

(٦) يتحرف : ينحرف .

حتى تقلّص بعدُ من سلطانها ظلٌّ بأقصى المَشْرِقين مُوَرّف[1]
وغدتْ ممالكها الكبيرةُ كلها لسهام كل دُويلة تَسْتَهدِفْ[2]
فبنو العُروبة أصبحوا فى حالة منها العُروبة لا أبالك تأنَف
والمسلمون بحالة من أجلها تالله ضَجَّ بما حواه المُصْحَف

الوزارة المذنبة

دارَ ذا الدهرُ مَدارَهْ فرأى الناسُ ازوراره[3]
كلُّ فعل الدهر فعلٌ فيه للحُرّ إثارهْ
أهلَ بغدادَ أفيقوا من كَرى هذى الغَرارة[4]
إن ديك الدهر قد با ض ببغدادَ وزاره
شأنها شأنٌ عجيبٌ قصّرت عنه العباره
هى للجاهل عزٌّ ولذى العلم حقاره
مَلَّكَ البدوُ بها الأمْـــر على أهل الحضاره
كم لها من هَفَوات تسلُب الطَّوْدَ وَقاره
حبّبت للوطنى الْـحُرَّ أن يهجُر داره
بيع للأطماع فيها حقّكم بيع الخساره
فكأن الحكم والعد ل بها قِطٌّ وفاره
كم وزير هو كالوِز ر على ظهر الوزاره
مُقحَمٍ لو كان لفظا شخصه كان استعاره
ووزير مُلْحَق كالذ يل فى عَجْز الحماره[5]

(١) مورف : متسع . (٢) تستهدف : تصير هدفا وغرضا .
(٣) ازوراره : أعوجاجه .
(٤) الغرارة : الغفلة وقلة الفطنة للشر ، وعدم البحث عنه . والمراد الجهالة بشئون السياسة والحياة.
(٥) عجز ، بسكون الجيم ، مخفف من عجز بضمها ، وهو المؤخر .

ذَنَبٌ أصبح للحُكـــم به أقبحُ شاره
ذَنْبٌ يستوجب الإخـــلاصُ والصدقُ انبتارَه[1]
قلْ لأرباب الوزاره عَذَلا أضرمتُ ناره
أنتمُ الأصنامُ لولا نَزَقاتٌ مُستطاره[2]
أحُلُوم كفَراشٍ وقُلوب كحِجاره[3]
أم جُيوب زرها الدهْـــر على كل دَعاره[4]
أم وجوه لو بدت للشـــمس لم تَنْشر حراره
أمع الذلة كِبْر أم مع الجُبْن جَساره
كيف لا تخشَوْن للأحـــرار في البطش مَهاره
يا بني الأوطان هُبُّوا وانفُضوا هذي الغَراره
إن وجه الحق باد كسراج في مَناره
أدركوا الحق فقد شُنَّـــتْ على الحق الإغاره
لا تَسل عنه وَزير القـــوم واسأل مُستشاره
فوزيرُ القوم لا يَعـــمل من غير إشاره
وهْو لا يملك أمرًا غـير كرسيِّ الوزارة
يأخـذُ الراتبَ إمّا يبغ الشهرُ سِراره[5]
ثم لا يَعرفُ من بَعْـــدُ: خرابٌ أم عماره
حدِّثِ النـاس الـــلؤم عن هذي الخُشاره[6]
فلعـلّ الدهرَ منهم بدم يغسِل عاره

(١) انبتاره: بتره وقطعه.
(٢) النزقات: جمع نزقة، وهي المرة من النزق. وهو الطيش والخفة.
(٣) حلوم كفراش، أي طائشة، لا تعرف، كما لا تعرف الفراشة، ما يضرها وما ينفعها لأنها تتهافت في النار، فتحرق نفسها.
(٤) الدعارة: الفجور والخيانة.
(٥) السرار: الظلام الذي لا يظهر فيه القمر آخر الشهر.
(٦) الخشارة والخشار: الرديء من كل شيء، وخص اللحياني به رديء المتاع.

يوم الفلوجه

أيها الإنجليز لن نتناسى بغيَكُمْ فى مساكن الفَلوجه[١]
ذاك بغى لن يَشْفِيَ الله إلا بالمواضى جريحَه وشَجيجه[٢]
هو كَرْب تأبى الحميّة أنا بسوى السيف نبتغى تفريجَه
هو خطب أبكى العراقين والشام وركنَ البَنيَّةِ المحجوجَة

٭ ٭ ٭

حلها جيشكم يريد انتقاماً وهو مُغْرٍ بالساكنين عُلُوجه[٣]
يومَ عاثت ذئاب آثور فيها عَيْثَة تحمل الشَّنار سَميجه[٤]
فاستهنتمْ بالمسلمين سِفاهًا واتخذتمْ من اليهود وَليجَه[٥]
وأدَرتمْ فيها على العُزل كأساً من دماء بالغدر كانت مَزيجه
واستبحتم أموالَها وقطعتم بين أهل الديار كل وَشيجه[٦]
أفهذا تمدّنٌ وعلاء شعبكم يدعى إليه عروجَه
أمْ سَكِرتمْ لما غلبتم بحربٍ لم تكن فى انبعاثها بنضيجة
قد نَتَجْنا لَقوحَها عن خِداج فلذاك انتهت بسوء النتيجة[٧]
هل نسيتم جيشا لكم مُبْذَعِرًّا شهدت جيشه سواحل إيجَه[٨]
وهوى بانهزامه حصن أقريطَ وأمسَى قذًى على عين فيجه[٩]
سوف ينأى بخِزيه وبعار عن بلاد تريد منها خُرُوجه

---

(١) الفلوجة : قرية على الفرات . وقريتان عند بغداد : الفلوجة الكبرى والفلوجة الصغرى ، وأصل معنى الفلوجة : القرية من قرى السواد .

(٢) الشجيج : المشجوج .

(٣) مغر : مسلط محرض . والعلوج : جمع علج ، وهو الرجل الضخم من كفار العجم .

(٤) الشنار : العجيب والعار . والسميج : القبيح .

(٥) وليجة : بطانة .

(٦) الوشيجة : العلاقة التى تربط بين أبناء الأسرة أو البلدة ، من دين أو لغة أو دم أو وطن .

(٧) نتج الناقة : ولدها . واللقوح : الحامل . والخداج : نزول المولود قبل استكمال مدة الحمل

(٨) المبذعر : المتفرق . وسواحل إيجه : أى بحر إيجه ، وهو بين بلاد الأناضول وبلاد اليونان .

(٩) أقريط : يريد أقريطش ، جزيرة جنوبى بلاد اليونان .

لا تغرّنكم شِباكُ كبارٌ أصبحت لاصطيادنا منسوجهْ
لستمُ اليوم في الممالك إلا جُعَلاً تحت صدره دُحروجة[1]

* * *

وطن عشت فيه غير سعيد عيش حرّ يأبى على الدهر عوجَه
أتمنى له السعادة لكن ليس لى فيه ناقة منتوجه[2]
أخصب الله أرضه ولوَانى لست أرعى رياضه ومُروجه
كل يوم بعزه أتغنّى جاعلا ذكره عزّه أهزوجه[3]
ما حياة الإنسان بالذل إلا مرّةٌ عند حسوها ممجوجه
فثناءًا للراقدين وشكراً وسلاماً عليكِ يا « فلُوجه »

الانكليز فى سياستهم الاستعمارية

لقد جمع الدهر المكايدَ كلها بقِدر كبير صيغ من مَعدِن الخُبْثِ
وصبَّ عليها من بثار صرُوفه سِجالا من الكِذب المموّه والحِنثِ
وأنقع فيها ما يعادلُ ثلثها من المكْر بل ماقد يزيد على الثُلْثِ
وفتَّتَ أرطالا من الغَدر فوقها وعالَجَها بالدقّ والدّلْك والدعْثِ[4]
وأوقد نارًا للخديعة تحتها تزيد على نار الغَضَى أو على الرِّمْثِ[5]
فغارت مليًّا فيه ثم تصعدتْ بخارا بأنْبيقٍ من السحر والنَّفْثِ[6]
فصاغَ طِباع الإنكليز من الذى تقاطر فى الأنبيق كالمطر الدّثّ[7]

---

(١) الجعل : ذكر الخنافس . والدحروجة : كرة يكورها من خرئه ، يدحرجها ويجرى وراءها .
(٢) منتوجة : والدة .
(٣) الأهزوجة : واحدة الأهازيج ، وهى نوع من نظم القريض يتغنى به .
(٤) الدعث : مصدر دعث أى دقق التراب على وجه الأرض بالقدم أو باليد .
(٥) الغضى : شجر جزل ، ناره قوية . والرمث : شجر يشبه الغضى لا يطول ، ولكن ينبسط ورقه .
(٦) الأنبيق : جهاز معروف يستعمل فى التقطير .
(٧) المطر الدث : الضعيف الخفيف .

دع اللومَ واسمع ما أقولُ فإننى … قتلت طباع التّيمسيّين بالبحث

كأنهم والناسَ عُثّ وصُوفةٌ … وهل يستقيم الصوف فى عَيْثة العُثّ (1)

فكم حرثوا فى أرض مستعمراتهم … مظالمَ سُودًا كن من أفظع الحرث

وكم أيقظوا والناس فى الدّور نومٌ … بهافتنا كالدَّجن يَهْمى على الوَعث (2)

وهم يأكلون الزُّبدَ من مُنتجاتها … ويُلقون للأهلين منهن بالفَرْث (3)

فيَحْظَوْن منها بالنفائس دونهم … ويُعطونهم منها السَّقيط من الخُرْثى (4)

زُرْ الهند إن رمت العِيان فكم ترى
على الأرض من غُبْرٍ هناك ومن شُعْث

* * *

يقولون إنا عاملونَ لسعدكم … ولم يعملوا غير الكوارث والكَرْث (5)

فكم بعثوا فى الشرق حربًا ذميمة … تمثل فى أهوالها ساعة البعث

وكم أرسلوا دسًّا جواسيسَ مكرهم … على الناس يشتدون بالنبش والنَّبث

وهم سلبوا أرض العراق سمينها … ولم يتركوا للقوم فيها سوى الغثّ (6)

إذا ما رأيت القوم فى فخّ مكرهم … رَقَقْتَ لهم تبكى على القوم أو ترثى

فلا ترجُ فى الدنيا وفاء لعهدهم … فلا بد فى الأيام للعهد من نَكْث

وما الحكم إلا عندنا كمِطَثّة … رَمَوها إلينا كى يَرَوْا لعبة الطّث (7)

---

(1) العث : حشرة تلحس الصوف .

(2) الدجن : الغيم . الوعث : المكان السهل الكثير التراب ، تغيب فيه الأقدام .

(3) الفرث : السرجين ما دام فى الكرش .

(4) السقيط : سقط المتاع . والخرثى : أردأ متاع البيت .

(5) كرثه الأمر كرثا : اشتد عليه .

(6) الغث : المهزول ، وهو ضد السمين .

(7) الطثة : لعبة للصبيان ، يرمون بخشبة مستديرة عريضة ، يدقق أحد رأسيها نحو القلة .

بين الانتداب والاستقلال

سَلِ الإنكليزيّ الذى لم يزل لهُ بِدَسْت وزير الداخلية مقعدُ[1]
أأنتَ وزيرٌ أم عميدُ وزارة نراك إليها كل يوم تَرَدَّد
فها أنت مُلقاة إليك أمورُنا تَحُلّ لنا ما شئت منها وتعقِد
وتأخذ منا راتباً كموظَّف وهذا لعمر الله أنكى وأنكد
أنَحْمِلُ منك اليوم عِبْءَ تحكم وندفع فيه الأجرَ منا ونَنقُدُ
وما شأن ذَيّاك السَّفير الذي له على الجانب الغربى قصرٌ مشيَّد
وكانت لكم من قبل فينا استشارة فزالت ولكن دام منكم تَرَصُّد
تبدلتمُ استقلالَنا بانتدابكم ولكنْ على وجه لنا هو مُعْبِد[2]
خلقتم لنا من كل عهد مموّه قيوداً بها استقلالنا يتقيَّد
إلى أن غدا استقلالنا ضُحكة الورَى به ساخر كل امرىء ومندِّد
وصار كسيف قاطع فى أكفكم يجرَّد للإرهاب طورا ويُغمَد
غررتمْ به الأغرار والله شاهد على أنه فى الحكم لفظ مجرد[3]
وهل يستقل الشعبُ فى حكم نفسه إذا لم يكن فى حكمه يتفرّد
فما هو إلا المَيْن فيكمْ أعانكمْ عليه رجال خائنون وأيدوا
وماسكت الأحرار عن مُخْزِياتكم فكم أبرقوا غيظاً عليكم وأرعدوا
ولاتعجبوا أن يَمقُتَ الشعبُ دأبكم فيظهر وهو الساخط المتمرد
رُويداً فإن رمتم من الشعب وُدَّه فخلوا له الأمر الذى يتقلد
وكونوا له عونا على ما يُهِمّه يكن لكم عونا على ما يُعَدَّد
وإلا فأنتم ظالمون وإنما أخو الظلم مأخوذ بما يتعمَّد

(١) الدست : صدر البيت ، وعند المتأخرين ، الديوان ومجلس الوزارة والرياسة .
(٢) معبد : مذل . (٣) لفظ مجرد : أى خال من المعنى .

بني وطني

بني وطني ماذا أؤمل بعد ما ... تفشت سمايات لكم بالتجسس

أقول لمن قد لامني في تشددي ... على كل تدليس أتى من مدلس

لو اسود وجه المرء من قبح فعله ... لما كنت تلقى عندنا غير مدفس (١)

ولو نال بالإخلاص مثرٍ ثراءه ... لما كنت تلقى بيننا غير مفلس

نحاول عزا بابتذال نفوسنا ... فنشري خسيساً بالثمين المقدس

ومن جهلنا استنكارهُنا في معاشنا ... شقاءً نزيها(٢) للنعيم المدنس

سأرحل عنكم للذي قد أقامني ... على موحش من أمركم غير مؤنس

أبيت لنفسي أن تحل مكانة ... من العيش إلا فوق عز مؤسس

ولو أن هذا الصبح كان انبلاجه ... بغير شروق الشمس لم يتنفس

فلا أبتغي بالذل عيشا مرفهاً ... ولو عشت في العزى بفول مدمس (٣)

وما أنا كابن العبد إذ عانق الردى ... لجدوى أبتها رغبة المتلمس (٤)

إذا ابتسمت لي عفتي ونزاهتي ... فلست أبالي بالزمان المعبس

أقابل أخلاق الرجال بمثلها ... وأعرف منهم وجهها بالتفرس

فأغوي لمن يغوي وأقسو لمن قسا ... وأظهر كالغطريس المتغطرس

ولست أجازي المعتدي باعتدائه ... ولكن بصفح القادر المتحمس

وما أنا من أهل الدعارة وإنما ... ولا من أولي حمل السلاح المسدس

ولكن لي فيكم يراعا إذا شدا ... أتاكم بكاف من علاه ومخرس

---

(١) المدفس : الذي اسود وجهه من غير علة . (٢) كذا بخط الشاعر : يريد شقاء خالصا .

(٣) الفول المدمس : معروف في مصر . واشتقاقه من دمس الشيء في الأرض : إذا دفنه وخبأه ، وإنضاج الفول بدفنه على مستوقد الحمامات طريقة معروفة في مصر .

(٤) ابن العبد : طرفة بن العبد البكري الشاعر العربي الجاهلي المشهور ، والمتلمس : جرير بن عبد المسيح شاعر معروف ، ولهما قصة في وفادتهما على عمرو بن هند ، ومنادمتهما أخاه قابوس (أنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة) .

وما خالق الأكوان إلا المهندس … وإن جلّ عن تعريفه بالمهندس[١]

تجلى على أكوانه بصفاته … وأغلس فيهم كنهه كل مُغلس[٢]

وأقبسهم نوراً شديداً جلاؤه … فساروا به كالعُمْى فى كلّ حِنْدس

وألبسهم حمر الغرائز فاغتَنَوْا … بحمرتها عن كل ثوب مُوَرَّس[٣]

وما مُقْبِس عند النهى غيرُ قابس … ولا لابس عند النهى غيرُ مُلْبِس

فأيّان جال الطرف لم ير غيره … إذا كان فى ألحاظه غيرَ مُبْلِس[٤]

حقيقة مخلوقاته لم تكن سوى … حقيقته دع عنك حَدْس المحدّس

إلا أننى للكائنات موحـــد … ولو أرغمت كلُّ المذاهب مَعْطِسى[٥]

يوم سنغافورة

أطالوا الحرب طاحنة زَبُونا … فعـــدوا بالشهور لها السّنينا

وقد زحفت لهم فيها جيوش … تجاوزت الألوف مع المئينا

لقد خربوا البلاد ودوخوها … وجُنُّوا فى تناحرهم جنونا

ولم تُرد الشعوب لها اتقادا … فأوقد نارَها المُتَرَأِّســونا

أولاك هم الجُناة بهـــا علينا … أولاك هم البغاة الطامعونا

إذا ذكر الورى جَشعا وحرصا … فشرشل أكبر المتجشعينا

وما زُرْفِلْتُ فيها غـــير جانٍ … يُزَوِّر فى إطالتها المُيُونا[٦]

أعانَ على الهِياج وقال حيدِى … حيادِ فأعجب المتكذبينا[٧]

(١) الأبيات من هنا إلى آخر القصيدة فى الفلسفة ، وليست من السياسة فى شىء .

(٢) أغلس : أبهم وأخفى .

(٣) حمر الغرائز : كذا بخطه ، ولعله يريد الغرائز المعجبة ، فان الحمرة شعار الحسن .
والورس : المصبوغ بالورس ، وهو الزعفران .

(٤) المبلس : من الابلاس ، وهو الحيرة .

(٥) المعطس : الأنف .

(٦) يزور : يعد ويهيء . والميون : جمع مين ، وهو الكذب .

(٧) الهياج : الحرب والشر . وحيدى حياد : كلمة يقولها الهارب من شيء يخافه .

فما دعواه فى الحيوان إلا ... كدعوى العفة المتهتكونا
كذلك ساسة الأقوام فيما ... به عن رأيهم يتفوهونا
خداع لا يراه ذووه شيئاً ... ولا يعسى به أحد مشينا

° ° °

بسنغافورة اليابانُ شبّوا ... على أعدائهم حرباً طحونا
لهم فيها طوائر صاعقات ... لها قصفٌ تدكّ به الحصونا
رواعدُ تملأ الآفاق رعبا ... وترسل فى تهزّمها المنونا
تزلزلت الحصون بها وكانت ... تطاول فى مناعتها القرونا
حصون تستخف بكل طودٍ ... وتستعشى بروعتها العيونا[1]
لقد سكتت مدافعها وجومًا ... لجيش حل مَرْصَفها الحصينا[2]
على بحر بلجته أقاموا ... لغَلْق البحر من نار كمينا
وقد بثوا البوارجَ فاسبطرتْ ... تجول به فوارِدَ أو ثُبينا[3]
ترى الحياتِ فيه قد اشرأبتْ ... تردد فوقه نظرا شَفُونا[4]
وتطفو تارةً وتغوص أخرى ... وتبدى من تماقلها فنونا[5]
وتضرب بالزعانف جانبيها ... فتنقلب الظهور بها بطونا[6]
بحيث يقول من يدنو إليها ... لعل بهنّ صَرْعاً أو جنوناً[7]

° ° °

وبحر الهند أصبح فى اضطراب ... يُرجّمُ فى عواقبه الظنونا[8]
أيُفتَح بابه فيكونَ حرا ... لمن يُزجِي بلجته السفينا

(١) تستخف : تهزأ ، والطود : الجبل العالى ، وتستعشى : تنسبها إلى العشا ، وهو سوء البصر ، يريد أنها لشدة ارتفاعها لا تكاد تراها العيون ، فكأنها صارت عشيا لا تبصر .
(٢) المرصف : رصيف الميناء ، حيث ينزل المسافرون ، وتفرغ السفن وتشحن .
(٣) اسبطرت : استطالت ، وفوارد : مفردات ، وثبين : جماعات .
(٤) الشفون : النظر إلى الشيء نظر المتعجب منه .
(٥) يقال : تماقل الرجلان فى الماء : إذا تغاطا . (٦) الزعانف : أجنحة السمك .
(٧) كذا بخط الشاعر ، وفى نسخة أخرى بغير خطه : « بحيث يقول ثمة من يراها » .
(٨) يرجم الظنون : يرمى بالظنون على غير تثبت ، ودون نظر صحيح .

ويُمسِي الهندُ عنـدئذ طليقا من الأثر الذى قطع الوَتينا[١]
فبُشرى للبلاد إذن وبشرى لمصرٍ والعـراق بما هَوِينا[٢]
فسوف تكف عنهن الليالى مطامعَ ساسـةٍ متحكمينا

* * *

هنالك حفرة الأطماع يُمْسِى خِداعُ الإنكليز بهـا دفينا
وتحتـدم الحفائظ فى البرايا فتُضرم فوق مَدفنـه أُتُونا[٣]
وتتسع السـياسة للتصافى فيستصفى الخدينُ بها الخدينا
ويصبح كل تمويه وغش لأنظار الـبرية مستبينا
ويصبح كل خدّاع كذوب رجيما فى سياسـته لعينـا
ويصبح كل شعب مستقلا عزيزا لن يذلَّ ولن يَهُونا[٤]
ويمسى النـاس قاطبة سواءً بدين أخوَّة متـدينينا
يُعاون بعضهم بعضا ويُؤْوِى قويُّهم الضعيف المستكينا[٥]
تسير بهم شرائعُ عادلات إلى أوج السعادة مرتقينا
سواء لا يفرقهم لسان ولا دين به يتعبدونا[٦]
فما من سائد أو من مَسُود ولا من دائن يُربى الديونا
ويصبح كل مُحْتَرَثٍ مُشَاعا لمن فيه ثَوَوا متَوَطِّنينا[٧]
وما أهلُ البلاد سوى عيال على العمل الذى هم يحسنونا[٨]

---

(١) الوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه .
(٢) فى نسخة : « لمصر وللعراق » .
(٣) الحفائظ : جمع حفيظة ، وهى الغضب . والأتون : موضع النار .
(٤) فى نسخة : « كل قطر » فى موضع كل شعب .
(٥) فى نسخة : المستعينا وفى موضع ، المستكينا . (٦) فى نسخة جاء هذا البيت قبل سابقه .
(٧) جاء هذا البيت فى نسخة بغير خط الشاعر ، متقدما على موضع هذا بخمسة أبيات ، وبالرواية الآتية :

ويصبح كل مزدرع مشاعا لمن هم أرضـه متوطنونا

والمحترث والمزدرع : موضع الحرث والزرع . والمشاع : الشائع بين الناس لا يختص به أحد . وثوى بالمكان : أقام وتوطن .
(٨) فى نسخة : « وليس بنو البلاد سوى عيال » . . . الخ

نحن والحالة العالمية

صاح إن الخُطوبَ فى غَلَيانٍ ... فبماذا يُطَرِّق المَلَوان[1]

جلّ رب الأنام فى كل يوم ... هو من كبريائه فى شان

خالق الكون ذو الجلال قديم ... واحد عنده القرون ثوانى

كل ما ضمّ ملكه كلماتٌ ... وإليه انتهت جميع المعانى

نسمع اليوم للخطوب أزيزا ... كأزيز القدور فى الفوران

إننى مُبصرٌ تباشير صبح ... مستفيضٍ على ظلام الأمانى

ليس تلك الدماء فى الحرب إلا ... شفقا من ضيائه الأُرْجوانى

إننى أستشف من غِيَرَ الدهر ... انقلابا يَعُمّ كل مكان

سيلوح الدانى به وهو قاص ... ويلوح القاصى به وهو دان

ويكون المُعَزّ غير مُعَزّ ... ويكون المهان غير مُهان

وسيغدو الضعيف محترم الحق ... ويُمْسِى الظلوم فى خسران

والثريا ستعتلى فى أمان ... من عَداء العَيُّوق والدَّبَران[2]

وستبدو أم النجوم رءوما ... يتدانى من ثَوْرِها الفرقدان

يتجلى رب السماوات والأر ... ض علينا بعدله والحنان

فيبوء « المستعمرون » بخسر ... وتضىء البلادُ بالعُمران

* * *

معشر العُرب أين أنتم من القو ... م إذا ما تم انقلاب الزمان

أَنِيامٌ والدهر يفتح فيكم ... من جَدِيدَيْه مقلَتَىْ يقظان

نقض القوم عهدكم قبل هذا ... واستخفوا بحفظه فى حَوانى[3]

واستهانوا بالوعد إذ أخلفوه ... واستغلوا دفائن الأوطان

---

(١) يطرق : أصل الطرق : الاتيان ليلا . ولم أجد فى المعاجم التطريق بهذا المعنى الذى يريده الشاعر . والملوان : الليل والنهار .

(٢) الثريا ، والعيوق ، والدبران : أسماء نجوم ، وكذلك الثور والفرقدان .

(٣) الحوانى : الضلوع ، جمع حانية .

وأقاموا بهـا قواعد جوٍّ ... لاحتشاد الجنود والطيران

ثم بثوا بهـا العيون يَعيثو ... ن فسادا فى سُوحِها والمبانى[1]

ثم ساروا بحكمها سَير فُلْكٍ ... هم بها آخذون بالسُّكَّان

كل هـذا وأنتمُ مستقلو ... ن بِزَعْمٍ من عندهم وامتنان

قَيَّـدوكم لنفعهم بعهود ... ناطقات من أمركم بلسان

أوثقوكم بهـا إسارا وقالوا ... ليس هذا لـكم سوى إحسان

ليس تلك العهود ياقومُ إلا ... كعهود الذئاب للحُملان

أفلا تذكرون فى أوّليكم ... أنَفاً من مَسيسهم بهوان

يوم ساروا والعز فيهم يماشِى ... حزبهم بالمُشَطَّبِ الهندوانى[2]

وتعالت راياتهم خافقـات ... فى جيوش عنَا لهـا الخافقان

فانهضوا اليوم مستجدّين مجداً ... كالذى كان دونه القمَران

إن للمجد فى المسـاعى محَلاًّ ... عاليـا لا يُحله المتوانى

° ° °

قل لمن رام صَدْعَنا بشقاق ... أنت كالوعل ناطح الصَّفْوان[3]

وَيك إن الإسلام أوجد فينا ... وحـدة مثل وحدة الرحمن

فاعتصمنا منها بحبلٍ وثيق ... هو حبل الإخاء والإيمـان

ليس معنى توحيدنا الله فى الملّـــة ... إلا اتحادنا فى الكيان

فلهذا نعم ! لهـذا ، لهـذا ... نحن دِنّا بوحـدة الدَّيان

وحـدة لا يفُلّها المتوالى ... من صروف الدهور والأزمان

وحدة جاءنا من الله فيهـا ... مرسَل بالـكتاب والفُرقان

فهدانا بهـا إلهٌ قـديم ... واحد ، عنده القرون ثوانى

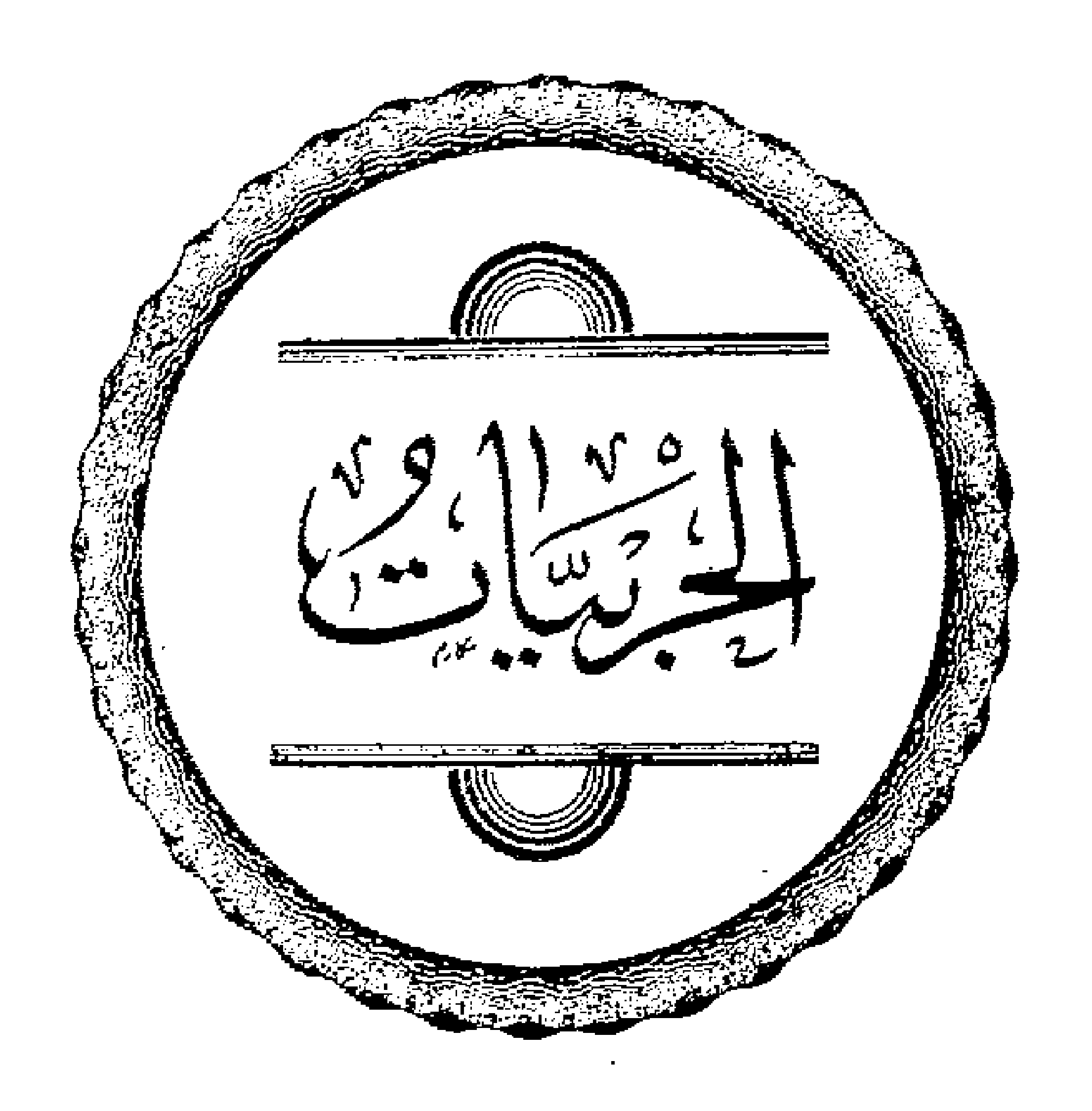
ماترى سلطة علينا لخلق ... غير سلطان خالق الأكوان

---

(١) سوحها : جمع ساحة ، وهى الأرض الفضاء لا بناء به تكون بين الدور .

(٢) المشطب : السيف ذو الشطب ، وهى الطرائق . والهندوانى : المنسوب إلى الهند .

(٣) الصفوان : الحجر الشديد الأملس .



وجدنا للرصافى عدة قصائد قالها فى حروب مختلفة ، كحرب الطليان فى طرابلس الغرب ، والحرب البلقانية ، وكالحرب العامة ، فرأينا أن نثبتها هنا على حدة ، تحت عنوان الحربيات .

إلى الحرب

ألا انهَضْ وشمِّرْ أيها الشرقُ للحربِ
وقبِّلْ غِرار السيف ، واسلُ هوَى الكُتْبِ (١)

ولا تغترِرْ أَنْ قيلَ عصرُ تمدُّنٍ — فان الذي قالوه من أكذبِ الكذْبِ (٢)

ألستَ تراهم بين مصرَ وتونسٍ — أبا حُواجِمي الإسلام بالقتْل والنهب

وما يُؤْخذ الطَّليان بالذنب وحدهُمْ — ولكن جميعُ الغرْب يؤخَذُ بالذنب (٣)

فإني أرى الطليانَ منهمْ بمنزلٍ — يُعدُّ «وهُمْ يُغرونهُ» منزلَ الكلب (٤)

فلولاهُم لم يَنْقُضِ العهدَ ناقضٌ — ولا ضاع حقٌّ في طرابُلُسِ الغرب

بلاد غدت في الحرب تندُبُ أهلَها — فتبكي وتستبكي بني التُّرك والعُرْب

قد اغتالَها الطَّليانُ وهْيَ بمضجَعٍ
من الأمْن لم يقْضِضْ برعب على الجنْبِ (٥)

---

(١) شمر : فعل أمر من شمر الرجل تشميرا إذا مر جادا ، أو هو من شمر للأمر : إذا أراده . وغرار السيف : حده . والمراد من قوله « وقبل غرار السيف » : أي عول على السيف ، لأنه أصدق أنباء من الكتب .

(٢) قوله « أن قيل » : أي بأن قيل .

(٣) قوله جميع الغرب أي : جميع أمم الغرب .

(٤) أغرى الكلب بالصيد : أي حضه عليه وأرسله . والمعنى : أن منزلة الأمة الطليانية من سائر أمم الغرب ، كمنزلة الكلب من الصياد الذي يغريه ، ويحضه على الصيد . وتحرير المعنى : أن أهل الغرب لو لم يوافقوا الطليان على ما أرادوا ، لما هجموا علينا . وقد أوضح هذا المعنى بالبيت الذي بعده .

(٥) قوله « يقضض » يقال : أقض عليه المضجع يقض إقضاضا إذا خشن وترب ، وتحقيق معنى قولهم أقض المضجع : أنه صار فيه القضض ، وهو فتات الحصى والتراب ، وإذا أقض المضجع امتنع النوم ، ومعنى البيت أن الطليان قد أخذوا طرابلس الغرب على غرة ، فهجموا عليها وهي نائمة في مضجع الأمن ، الذي ما أقض على جنبها بالرعب . وتحرير المعنى : هي في مضجع مدمث بالأمن لم يخشوشن بالرعب .

فما انتبهتْ إلّا لصرخة مِدْفَعٍ ... وما نهضتْ إلا إلى موقف صَعْبِ

فأمستْ وأفواه المَدافع دونَها ... تمجُّ عليها النارَ كالوابلِ السَّكْبِ

صواعق من سُحب الدخان تدكّها ... وتَنسفها نسفَ الزلازل للهضْبِ

غدتْ ترتمى فيها عَشيا و بُكْرةً ... فلا يابساً أبقت ولم تُبق من رَطْبِ

وما إن شكا من عَضّة الحرب أهلُها ... ولكنهم شاكون من عَضّة الجَدْبِ (١)

فما خفقتْ عند الهِياج قلوبُهمْ ... ولا أخذت أعصابَهم رَجفة الرُّعب

ولكن جرتْ نُكْبُ الرياح بأرضِهم

فجرّتْ عليها كَلْكَل الحِجَجِ الشُّهْبِ (٢)

* * *

يَعِزّ علينا أهلَ بَرْقة أنكُمْ ... تدور عليكم بالدمار رَحَى الحرْب

وأَنَّا إذا ما تستغيثون لم نجدْ ... إليكم على بُعد المسافة من دَرْب

وقد عَلِمَ الأعداء أنّ سيوفَنا ... تَململُ في الأغماد شوقا إلى الضرب

ولكن هو البحرُ الذى حال بيننا ... فلم نستطع زَحفاً على الضُّمَّر القُبِّ (٣)

ولولاه فاجأنا العدوَّ بفَيلق ... يَبين ضُحًى من هوله مَطْلع الشُّهْب

فيابحرُ فاجمُدْ أو فَغُر إنّ جيشنا ... عليك غدا كالبحر يزْخَرُ بالعَتْب

ويا سُحْب هلّا تنزلين فتحملي

إلى الحرب جيشا ينشر النقعَ كالسُّحب

---

(١) عضة الحرب : شدتها ، على المجاز . وكذلك عضة الجدب ، أى المحل . ويجوز أن تروى الثانية غصة ، بمعجمة فمهملة . يشير بهذا البيت إلى ما كان فى طرابلس الغرب من الجدب والقحط فى تلك الأيام . وقد أوضح هذا البيت بالبيتين اللذين بعده .

(٢) قوله « نكب الرياح » : جمع نكباء ، وهى الريح المائلة عن مهبها ، ونكب الرياح عندهم من دواعى الجدب والمحل . والحجج : جمع حجة ، وهى السنة . والشهب : جمع شهباء : يقال سنة شهباء ، أى مجدبة لا خضرة فيها .

(٣) الضمر : جمع ضامر ، وهو من الخيل : القليل اللحم ، اللاحق البطن . والقب : جمع أقب ، وهو الدقيق الخصر من الخيل .

ويا ريحُ قد ضِقنا فهل لك طاقة — بحمل منايانا إلى المركَ الرَّحْب
إلى خير أرض داسها شرُّ مَعْشر — بأرجلِهم قُطِّعْنَ من أرجُلٍ جُرْب

* * *

أَمَا والعُلَى يا أرضَ بَرْقة إننا — لَنشْرَق مِن جرّاكِ بالبارِدِ العَذْبِ(١)
نراكِ على بُعد نُسامين ذِلّة — فيحزُننا أنْ لم نكنْ منكِ بالقُرْب
وما نحن إلا الليث شُدّتْ قيودُه — وأُلقِيَ حيًّا شِبله في فم الذئب(٢)
يرى الشبلَ مأكولا فيزأر مُوثَقا — ويضرب كفّيه على الأرض للوثب
فلا يستطيع الوثبَ إلا تمطِّيا — وزأْرًا وإنشابَ المخالب بالتُرب
ويأهل بَنْغازِى سلام فقد قضَتْ — صوارمُكم حقّ المَواطِن في الذَّبّ
حَمَيتم حِمى الأوطان بالموت دونَها — وذاك بما فيكم لهنّ من الحب
ومن مُبلِغٌ عنا السَّنُوسِيَّ أنّه — يَمُدّ هٰذا الصَّدْعِ منه يدَ الرَّأْب
فإنا لنرجو أن يقود إلى الوغَى — طلائع من خيل ومن إبِلٍ نُجْب
فيحمى بلاد المسلمين من العِدَا — وينهضَ كشّافًا لهم غُمّةَ الخَطْب
فإنّ حشا الإسلام أصبح داميا — إلى الله يشكو قلبُه شدّة الكَرْب
فقمْ أيها الشيخ السنوسيُّ مدركا — جنودَ بنى عثمان فى الجبل الغربى
وكن أنت بين الجند قطبَ رحَى الوَغى — وهلْ مِن رحًى إلا تدور على قُطْب

* * *

ويا مَعْشرَ الطلْيان قُبِّحتَ مَعْشرًا — ولا كنتَ يا شعبَ الخنائث من شَعْب
تركتَ وراءَ البحر مَزْحف جيشنا — وأجّجت نارا فى طَرابُلُسِ الغَرْب

(١) من جراك بتشديد الراء : أى من أجلك .

(٢) بهذا البيت وما بعده ضرب الشاعر مثلا لحالة الأمة العربية تجاه حرب الطليان فى طرابلس الغرب ، فشبه حالتها بحالة الليث الذى وصفه فى الأبيات .

أتحسبُ هاتيكَ الديارَ وقد خلَتْ من الجند تخلو من ضراغمة غُلْبِ (١)

فما هى إلا أرض أكرم معشر
من العُرْب لم تُنبت سوى البَطَل النَّدْبِ

سترجع عنها بالفضيحة ناكصاً وتذكرك الأيام باللعن والسَّبِّ

مشيتم إلينا مُعجبين بجمعكمْ تظنّون حربَ المسلمين من اللّعِبِ

فلما حللتم أرضنا ذقتمُ الرَّدَى بأسيافنا حتى صحوتم من العُجْبِ

سنُلبسكم ثوبَ الْهَزائك ضافياً ونحملكمْ منها على مركب صَعْبِ

ونستمطرُ الأهوال حتى تُخيضَكم بسيل دم فوق البسيطة مُنصبِّ

وما دعوة «البابا» لكمْ مستجابة فقد أغضبَت طغواكم غَيْرة الرَّبِّ

أجَلْ إنكم أغضبتم الله فاتقوا
وإن رضيت تلك الحكومات فى الغرب

* * *

أيا زعماء الغرب هل من دلالة لديكم على غير الخديعة والكذْبِ

تقولون إن العصر عصرُ تمدّن أمِن ذلكم قتل النفوس بلا ذنب

ألم تبصروا القتلى تمجّ دماءها
على الأرض والجرحى يئنّون فى الحرب

أفى الحق أم فى العلم ألّا يسوءَكم ويخجلَكُمْ شَنُّ الإغارة للغصْبِ

وهل أغلفت هذى العلوم قلوبَكمْ بأغطية قُدَّت من الحجَر الصُّلْبِ (٢)

كذبتم فإن العصر عصرُ مَطامع تُقَدُّ لها الأوداج بالصارم العَضْبِ

فلا تُغضبوا الإسلام إن سيوفه مَواضٍ كما قد كنّ فى سالف الحُقْبِ (٣)

---

(١) الضراغمة : جمع الضرغام ، وهو الأسد . والغلب : جمع الأغلب ، وهو من صفات الأسد ، ومعناه الغليظ العنق .

(٢) أغلفت قلوبكم : أى جعلت لها غلافا . والأغطية : جمع غطاء . وقدت : أى قطعت واشتقت . وحاصل المعنى : ما بال هذه العلوم التى توصلتم بها إلى المدنية قد جعلت قلوبكم فى غلاف من الحجارة ، حتى أصبحت غلفا لا تعى ولا ترق .

(٣) الحقب : أصله الحقب بضمتين ، ثم خففه الشاعر . ومعناه : الدهر .

فى طرابلس

هو النصْر معقود برايتنا الحَمْرَا ... على أنه فى الحرب آيتنا الكبرى
حليفان من نصر مبين وراية ... به وبها نعلو على غيرنا قَدْرا
لئن أدبر «الطّلْيان» عند كِفاحنا ... فإن لهم فى بطش شجعاننا عُذْرا
فإنّا لقومٌ إن نهضنا لحادث ... من الدهر أفزعنا بنهضتنا الدهرا
نَدُكُّ هضابَ الأرض حتى نثيرها ... غباراً على أعدائنا يكثح الذعرا[1]
ونأكل مُرَّ الموت حتى كأننا ... نلوك به ما بين أضراسنا تمرا[2]
فسَلْ جيش «كانيفا» بنا كيف قوّمتْ ... شِفارُ مواضينا خدودَهم الصُّعْرا[3]
وكيف هزمناهمْ فولّوا كأننا ... وإياهُمُ أسدُ الشَّرَى تطْرُد الحُمْرا
وكم قد نثرنا بالسيوف جماجمـا ... نظمنا بها فوق الثرى للعدا شِعْرا
وما جزعى للحرب يحمَى وطيسها ... ولكن لأرواح بها أُزْهِقَتْ صبرا[4]

* * *

لكِ اللهُ يا قتلَى طرابُلس التى ... بها حكَّم الطّليان أسيافهم غَدْرا
أداموا بها قتل النفوس نكايةً ... إلى أن أصاروا كل بيت بها قبرا
ولما أحاط المسلمون بجيشهمْ ... فعاد الفضاء الرَّحْب فى عينه شبرا
تقهقر يبغى فى الديار تحصنا ... ففر بها من خشية الموت واستذرى[5]

(١) يكثح الذعر : أى يسفيه ويذروه ، فيرميه عليهم .

(٢) نلوك : أى نمضغ ونعلك .

(٣) الصعر : جمع أصعر ، وهو ذو الصعر ، وهو الميل ، يقال : صعر خده إذا أماله عن النظر إلى الناس ، تهاونا وكبرا .

(٤) قوله « يحمى وطيسها » : أى تشتد . والوطيس : التنور ، ويطلق على المعركة ، وحمى الوطيس : كناية عن اشتداد الحرب . وقوله « أزهقت صبرا » : أى قتلت صبرا . يقال للرجل قتل صبرا : إذا شدت يداه ورجلاه ، وأمسكه رجل آخر حتى يضرب عنقه ، أو حبس حتى يقتل . يشير بهذا البيت إلى ما فعله جند الطليان فى مدينة طرابلس ، من الفتك بأهلها الضعفاء .

(٥) استذرى : استتر واختبأ .

وأصبح يُنْكِى أهلها من تَغَيُّظٍ فيقتلهم صَبرا ويُرهقُهم عُسرا[١]
فأوسعهم بالسيف ضَرْباً رقابهم وآنافهم جَدْعاً وأجوافَهُمْ بَقْرا[٢]
وما ضرّ « كانيغا » اللعينَ لوَ أنه تَقَحَّم في الهيجاء عسكرَنا المَجْرا[٣]
أيُحجِمُ عنا هارباً بعُلُوجه ويبغى بقتل الأبرياء له فخرا[٤]
وهل حسبُوا قتلَ النساء شجاعةً وقد تركوا عند الرجال لهم ثأرًا
لقد شَجُعوا والموت ليس له يد ولم يشجُعُوا والموت يَطعنُهم شَزْرًا[٥]
يعِزّ على أسيافنا اليومَ أنها تقارع قوماً قرعُهم بالعصا أحْرَى[٦]
ولم تك لولا الحربُ تعلو سيوفُنا رءوساً ترى مِلءَ القُحوف بها عِهْرًا[٧]
ومن مُبكِيات الدهر أو مضحكاته لدى الناس حُرٌّ لم يكن خصمه حُرًّا

* * *

لَئِنْ «أيها القتلَى» أُريقتْ دماؤكم فما ذهبتْ عند العِدَا بعدَكم هَدْرا
سَنثأر حتى تسأمَ الحربُ ثأرنَا ونقتلُ عن كلِ امرىء أنفساً عَشْرا
وإنى لتغشانى إذا ما ذكرتكم لواعجُ حزْنٍ ترتمى فى الحشا جمْرا[٨]

---

(١) ينكى أهلها : أى يقهرهم بالقتل والجرح ويرهقهم عسرا : يكلفهم إياه .

(٢) أوسعهم ضربا : أى أكثر ضربهم ، فضربا : تمييز محول عن المفعول ، وأصل الكلام : أوسع ضربهم ، أى أكثره ، ورقابهم بدل من الضمير ، بدل بعض من كل . وآنافهم جدعا : معطوف على ما قبله ، أى وأوسع آنافهم جدعا . والجدع : قطع الأنف . والبقر : شق البطن .

(٣) تقحم عسكرنا : أى هجم عليه ، وهو مأخوذ من تقحم الفرس النهر : إذا دخله ، ورمى نفسه فيه بشدة . والمجر : الكثير .

(٤) الاحجام : ضد الاقدام . والعلوج : جمع علج ، بكسر فسكون ، وهو الرجل الضخم من كفار العجم .

(٥) يطعنهم شزرا ، وهو الطعن من جانب اليمين أو الشمال .

(٦) قوله « قرعهم بالعصا أحرى » : أى ليسوا بأحرار ، بل هم عبيد وقد قيل :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامه

(٧) القحوف : جمع قحف ، وهو عظم الرأس المجوف . والعهر : الفجور .

(٨) اللواعج : جمع لاعج ، واللاعج من الحزن : الشديد منه المحرق .

على أنَّ قُرص الشمس عند غروبها ... يذكرني تلك الدماء إذا أحمرا
فأبكي تُجاه الغَرْب والبـدر لائح
من الشرق حتى أُبـكيَ الشمْسَ والبَدْرا
ويأهل هاتيكَ الديارِ تحيـةً ... توفّيكم الشكْرَ الذي يرْأس الشكْرا
فقد قمتمُ للحرب دون بلادكم ... تذودون عن أحواضها البغيَ والنُّكْرا
وثُرتم أسوداً في الوغى يَعْرُبية ... غدا كل سيف في براثنها ظُفْرا(١)
تراها لدى الحرب العَوَانِ مُشيحةً ... تُهمْهِمُ حتى تَنْطِقُ الفَتْكةَ البِكْرا(٢)
ولو أنّ كفي تستطيع تناوُشا ... فتبلغ في إبعادها الأنجمَ الزُّهْرا
لرتّبْت منها في السماء قصيدةً ... لـكمْ واتخذت البدرَ في رأسها طُغْرا
وخلّدتها آياً لـكم سَرْمَدية ... مدائحها تستوعب الكون والدهرا

* * *

يقولون إن العصرَ عصرُ تمدن ... فما باله أمسى عن الحق مزورّا
إلى الله أشكو في الورى جاهلية ... يَعُدّون فيها من تمدنهم عصرا
أتتنا بثوب العلم تمشي تبختراً ... إلى الخير لكن قد تأبّطت الشرّا
فلا تلتمظ في مدحها مُتَمطّقاً ... فإن أظهرتْ حُلوا فقد أبطنت مُرّا
لقد مَلَكَ الإفرنج أرض مراكش ... وقد ملكوا من قبلها تونس الخضرا

---

(١) البراثن : جمع برثن ، وهو من السبع بمنزلة الاصبع من الانسان .

(٢) مشيحة : أي جادة ، أو مقبلة على الحرب ، مانعة لما وراء ظهرها ، وتهمهم : أي تردد زئيرا في صدورها . يقال همهم الأسد : إذا سمعت له دويا . والفتكة البكر : التي لم تسبق بمثلها .

(٣) قوله « فلا تلتمظ » : الالتماظ كالتلمظ ، تتبع الطعم والتذوق . وقوله متمطقا : من التمطق وهو أن يصوت الآكل باللسان والغار الأعلى ، وذلك عند استطابته المأكول ، فيلصق لسانه بنطع فيه مع صوت .

ففاجأنا الطَّلْيان من بعد مُلكهم ... لكي يسلبونا في طرابُلُس الأمرا
وقالوا ألم تأتِ الفرنجةُ تونساً ... وهذي جيوش الإنكليز أتت مصْرا
فخلّوا لنا ما بين هذي وهذه ... وإلا قسرناكم على تركها قسْرا
فقلنا لهم إنّا أحقّ بملكها ... فقالوا: ولكن زنْد قوّتنا أورى
أهذا هو العصر الذي يدعونه ... فسُحْقًا له سحقًا ودفْرًا له دفْرًا[1]

أدرنة [2]

أدِرْنةُ مهْلًا فإن النّظى ... سترعَى لكِ العهدَ والموْثقا
وداعًا لمغناك زاهي الرُّبا ... ودَاعًا ولكن إلى الملْتقى

* * *

عزاءً لمسجدك الجامع ... أفارقَ محرابُهُ المنبرا
وهل في مُصلَّاه من راكع ... يجيب المؤذّن إن كبّرا
فيا لَسقوطك من فاجعٍ ... به فُجِعَ الدهرُ أمّ القرى[3]
وقبرَ النبوّة في يثربٍ ... ومثوى ضجيعيه مثوى التقى
ومن في البقيع ومَنْ في قُبا ... ومن شهدوا الفتح والخندقا[4]

* * *

رُوَيدًا أدرنة لا تجزعي ... وإنْ قد أمضَّك هذا الأذى[5]

---

(١) سحقا له : أي بعدا . ودفرا له : أي نتنا .

(٢) هذه القصيدة قالها الرصافي لما سقطت « أدرنة » ، وأخذها البلغار ، وذلك في الحرب البلقانية الثانية .

(٣) قوله يالسقوطك : النداء هنا للتعجب ، واللام فيه مفتوحة كلام المستغاث ، ولا مانع من جعل النداء للاستغاثة ، وحينئذ تكسر لامه على أن تكون لام المستغاث لأجله ، والمستغاث محذوف .

(٤) البقيع : مقبرة بالمدينة المنورة ، دفن فيها كثير من الصحابة ، ومنهم عثمان بن عفان . وقبا : موضع قرب المدينة نزل به النبي صلى الله عليه وسلم عند ما هاجر إليها ، وبنى فيه مسجدا يعرف بمسجد قباء ، وقوله ومن شهدوا الفتح : أراد بالفتح فتح مكة . وبالخندق ، يوم الخندق في المدينة ، وهو يوم مشهور .

(٥) رويدا : أي مهلا . وأمضك : أي أوجعك وآلمك .

إذا أنتِ بالسيف لم تُرجَعى ... فلا حبَّـذاَ العيشُ لاحبَّذا
ألا أنتِ «ألزاسُنا» فاسمعِى ... ونحن الفَرنسيس مِنْ بَعْد ذا(١)
سـلامٌ على قُطرِكِ المُجتَبى ... سـلام على أفْقِك المُنْتقَى
أيُمْسِى لِسِرْكِ العِدا مَلْعَبـا ... وكان لتوحيـدنا مَعبقَا

* * *

لقد حلَّ فيهـا لواءٌ مُريبْ ... حلولَ الحقـارة بين الجَلالْ(٢)
فظلّتْ بأدمعها والنحيبْ ... تنـوحُ على نجمِها والهـلالْ
أَنَنْسَى أدرنةَ عمـا قريبْ ... إذن لا بلغنا العُلَى والـكمالْ
فسوفَ على الرغم من أورُبّاَ ... نقوم لهـا فَيلقا فَيلقا
فتُبـكِي هَزاهِزُنا المَـغْربا ... وتُضْحك أسيافُنا المَشْرِقا(٣)

* * *

أرى الدهرَ أنهض كلَّ العدا ... على حينَ قد قعدَ المسلمونْ
فكمْ جرّعونا كئوس الرَّدَى ... ونحن على كيدهم صابرون
أيحسُنُ ياقـومُ أن نقعُدَا ... وقدْ آن أن يَنهض القاعدونْ
فَسيـلُ المصائب غَطَّي الزُّبَى ... وغَيْمُ النوائب قـد طبقّا(٤)
وأوشـكتِ الأرض أنْ تُقلبَـا ... وصُبحُ القيامةِ أن يَفْـلِقا

* * *

دع الغربَ يَنعم فى بالهِ ... وإنْ لقيَ الشرقُ منه الـكُروبْ
ولا تسألنْـه بأفعـالهِ ... فعهدُ التمدنّ عهد كـذوبْ
فنحن اغتررنا بأقوالهِ ... ولـكنّنا بعـد هذى الحروبْ

---

(١) «ألزاس» : مقاطعة من بلاد فرنسة ، كانت قبل الحرب عند الألمان . يقول يخاطب أدرنة : أنت ألزاسنا ، أى أنت عندنا بمنزلة الألزاس عند الفرنسيين ، لا ننساك كما لم ينسوها .

(٢) لواء مريب : أى مقلق ومزعج . (٣) هزاهزنا : أى وقائعنا وحروبنا .

(٤) قوله «فسيل المصائب غطى الزبى» : أى اشتد الأمر ، حتى انتهى إلى غاية بعيدة . والزبى ، بالزاى المعجمة ، كالربى بالراء المهملة : وزنا ومعنى .

سنأبي عليه أشــــدّ الإبا   فإما الفَناء وإما البقــا
ونركبُ من عَزمنا مَرْكبا   ونرقى وإنْ صَعُب المــرتقى

* * *

لقد آنَ يا قومُ تركُ الوَنَى   وتركُ الشِّقاق وتركُ الدَّدِ[1]
إلى كم نكابد هذا العَنا   ونخبِطُ فى جهلنا الأسود
وبالعــــلمُ من قبل نِلْنا المنى   وفزنا من العيش بالأرغد
ولكنما العلمُ قد غرّبا   فلا عيش إلا إذا شرّقا
فهبُّوا إليــه هبوب الصَّبا   عسى أن يَسُحَّ ويغدَوْدقا

الجيش بقائده[2]

أو هزيمة «لولا برغاز»

يامَوْطنا ما انتضيناها مُهَنَّدةً   إلّا لردع الأعادى عن إهانته
ولا ركبنا مَنايانا مُطَهَّمةً   إلّا لنكسِب عِزاً من صيانته
سَقياً ورعياً لروض منك ذى أَنَقٍ
قد كادت الحربُ تُذْوِى غصنَ بانته[3]
تاللهِ لم ينكسر فى الحرب عَسكرنا   من أَجل قِلَّته أو من جَبانته
وكيف وهو تفوق الطَّيْسَ كثرتُه   وتستعيرُ الرَّواسى من رَزانته[4]

---

(١) الدد : اللهو واللعب .

(٢) قال الرصافى هذه القصيدة لما انكسر الجيش العثمانى فى معركة « لولا برغاز » وذلك فى الحرب البلقانية العثمانية ، وكان قائد الجيش العثمانى إذ ذاك ناظم باشا ، الذى قتله الاتحاديون فى الآستانة .

(٣) قوله « ذى أنق » بفتحتين : أى ذى نبات حسن معجب . وهو فى الأصل مصدر ، فسمى به النبات المذكور . وتذوى : تذبل .

(٤) الطيس : كل ما فى وجه الأرض من التراب والقمام ، والكثير من الرمل وغيره . والمراد به هنا مجرد الكثير .

لكنّ قائده ما كان يمأنه ... ولا يبالى بأمر من معانته (١)

حتى لقد نفدت فى الحرب عِينته ... بحيث لم يبق سهم فى كنانته (٢)

فظل يرسف فى النيران مرتبكا ... مستفرغاً كل جُهدٍ من متانته (٣)

حتى غدا جلّه للنار مأكلةً ... وما تزحزح شبرا عن مكانته

ولا استكان لهول الحرب من فَرَقٍ ... بل كان يَفْرَق من هول استكانته (٤)

فخاض غمرَ المنايا صابرا وأبى ... على الفرار انغمارا فى مهانته

ليس الفرار لجند المسلمين ألا ... إنّ الفرار لكُفر فى ديانته

وكيف يَغلِب جيش كان قائدُه ... يَحُفّه بجيوش من خيانته

فالجيش تلتهمُ النيرانُ أنفسَه ... وقائد الجيش لاهٍ فى مَجانته (٥)

أقام فى القَصْف والأجناد طاوية ... معاقرا بهناء بنتَ حانته (٦)

صَبْحان غَبقانَ فى أقصى مُعسكرِه ... مُحرورقا بين رَهْط من بطانته

تلقاه من بين ذاك الرَّهْط فى مَرَح ... كأنه الجأبُ ينزو بين عانته (٧)

لَهفى على الجيش جيش المسلمينَ فقد ... قضى ولم يقضِ شيئا من لُبانته

---

(١) قوله « ما كان يمأنه » أى ما كان يقوته . يقال مأن القوم يمأنهم مأنا : إذا احتمل مؤونتهم أى قوتهم . والمعانة : العون كالمعونة .

(٢) قوله « نفدت عينته » العينة بالكسر : مادة الحرب ، وهى ما تسميه العامة اليوم بالمهمات الحربية .

(٣) يرسف : أى يمشى متثاقلا مشى المقيد . وقوله « فى النيران مرتبكا » : أى ناشبا فيها مضطربا .

(٤) استكان : ذل وخضع . « ومن فرق » بفتحتين : من خوف . ومعنى البيت أنه ما ذل ولا خضع لهول الحرب ، بل كان يرى الاستكانة لذلك هولا ، فهو يخاف من هذا الهول لا من هول الحرب .

(٥) فى مجانته : أى فى لهوه ولعبه .

(٦) أقام فى القصف : أى فى الأكل والشرب واللهو .

(٧) الجأب : الفحل الغليظ من حمر الوحش ، والعانة : القطيع من حمر الوحش .

الوطن والجهاد (١)

يا قومُ إنّ العِدا قد هاجموا الوَطَنا
فانْضُوا الصوارمَ واحْموا الأهلَ والسَّكَنا (٢)

واستنفِروا لعدوّ الله كُلَّ فتًى ... ممن نأى فى أقاصى أرضكم ودَنا
واستنهِضُوا من بنى الإسلام قاطبةً ... من يَسْكُنِ البدوَ والأرياف والمُدُنا
واستقتلوا فى سبيل الذود عن وَطَنٍ ... به تقيمون دِينَ الله والسُّنَنا
واستلئموا للعِدَا بالصبر واتخذوا ... صدقَ العزائم فى تدميرهم جُنَنا (٣)

واستنكِفوا فى الوغَى أن تَلْبَسُوا أبدًا
عارَ الهزيمة حتى تَلْبَسُوا الكَفَنا

إن لم تموتوا كِراما فى مواطنكم ... مُتُّمْ أذلّاءَ فيها مِيتةَ الجُبَنا
لاعُذرَ للمسلمين اليومَ إن وَهَنُوا ... فى هَوْشة ذلّ فيها كل من وَهَنا (٤)
ولا حياة لهم من بعدُ إن جَبُنوا ... كلّا وأىّ حياةٍ للذى جَبُنا
عار على المسلمين اليوم أنّهم ... لم ينقِذوا مصر أو لم ينقذوا عَدَنا

❊ ❊ ❊

قلْ للحُسَيْنَيْنِ فى مصرٍ رُوَيْدَكما ... قد خنتما اللهَ والإسلامَ والوطنا (٥)
شايعتما الإنكليزَ اليومَ عن سَفَهٍ ... تالله ما كان هذا منكما حَسَنا
قد بعتما الدينَ بالدنيا مُجازفةً ... فكنتما فى البرايا شَرَّ من غُبِنا

---

(١) قال الرصافى هذه القصيدة عند دخول الدولة العثمانية فى الحرب العامة الكبرى يستنهض المسلمين إلى الجهاد فى سبيل الذود عن الوطن .

(٢) السكن ، بالتحريك : كل ما يسكن إليه وفيه ، ويستأنس به .

(٣) استلئموا : تدرعوا . وقوله : « جننا » جمع جنة ، بالضم ، وهى كل ما وقى من سلاح .

(٤) فى هوشة : الهوشة : الفتنة والهيج والاضطراب . وأراد بها الحرب العامة .

(٥) يعنى بالحسينين : حسين كامل ووزيره حسين رشدى .

لاتفرحا بالوسـامين اللذين هما ... طَوْقا إسارة مِصْرٍ فيكما اقترنا[1]

قد مثّـلا منكما للناس قاطبةً ... عجلًا أضلّ الورَى من قبلُ أو وَثنا

ما ازدان صدراكما شيئا بحملهما ... بل أصبحا فى كلا صدريكما دَرَنا

إن الحميــةَ لم تنظر بمقلتها ... إلى وِساميكما إلا بَكَتْ حزَنا

ما كان أغلاهما إذ قد غدتْ لهما ... خزائن النيل فى أيدى العدا ثمنا

ستندمان ولا يُجديكما أبدًا ... أن تَقرعا السن أو أن تقبضا الذقَنا

هذى جيوش بنى التوحيد زاحفةً ... على العدا وعلى من ضلَّ مفتتنا

لترسلنَّ عليـكم كل راعدةٍ ... تهمِى الدماءَ وتمريها ظُبًى وقَنا

حتى تعودَ إلى مصر كرامتها ... ويَطهُرَ النيل من ماء به أجِنا

* * *

لازلتَ يا وطن الإسلام منتصرًا ... بالجيش يزحف من أبنائك الأمَنا

يرد عنك يدَ الأعداء خاسرةً ... ويكشف الغمَّ عن أُفْقَيك والمِحنا

سعدَيْكَ من وطن جلّت مفاخرُه ... عن الزوال فلا تخشى بِلًى وفَنا

تالله إنّ معاليكَ التى سَلَفتْ ... تُعيى الفصاحة والتبيانَ والألْسُنا

كم قد أقمتَ على الأيام من شرَفٍ ... لنا وأنبتَّ من نَبْع العُلَى غُصُنا

إنّا نحبّك حُبًّا لا انتهـاء له ... يستغرق الأرضَ والأكوان والزمَنا

نفديك منّـا بأرواح مطهَّرة ... أخلصن لله فيك السر والعَلَنا

إذا دهتْك من الأيام داهيـةٌ ... فلا رعى اللهُ عَينا تألفُ الوَسَنا

وإن فُتِنتَ بإحدى المزعجات نُرِق ... منّـا الدماءَ إلى أنْ نُخْمِد الفِتَنا

فقَرَّ عينا وطِبْ نفسا وعش أبدا ... وفُز بما شئت من حمْدٍ وطيبِ ثنا

---

(١) يشير إلى الوسامين اللذين أهدتهما الحكومة الانكليزية إذ ذاك إلى حسين كامل وحسين رشدى .

ورُبَّ مُسْتَصْحَبٍ لى قال يخبرنى ... إنَّ العدوَّ إلى أرض العراق دَنا
فقلت : دعْ عنك هذا ، إنه خبرٌ ... سواه يبعث فى أحشائىَ الشَّجَنَا
إن صحّ أنْ العدوَّ اليوم مقترب ... إلى العراق فقد أكدى وقد أَفِنَا[(١)]
إن العراقَ لعمرُ الله مَسْبَعة ... تَواثبُ الأسدُ فيه من هُنا وهُنَا
دون الوصول إليه كلُّ مُشْعِلَةٍ ... شَعواء تترك وجه الشمس مكتمنَا[(٢)]
فإن فيــه رجالا من بنى مُضَرٍ ... إذا تحاربُ لاتستشفــع الهُدَنا
قوم لِقاحٌ أبَوا أن يخضعوا أبداً ... إلى المـلوك وإن أعطَوْهم المُؤَنا[(٣)]
تحمَّلوا كل عبءٍ فى حياتهم ... إلّا الصّغارَ وإلّا الضيمَّ والمِننَا
لوْ أنّ أُمَّاتهم منَّتْ على أحدٍ ... منهم بألبانها لم يشربوا اللَّبنا
هم المغـاوير إن صالوا بملحَمَة ... فلا يَرَوْن لهم غيرَ المنون مُنَى
بَنَوا فأعلَوا بناءَ المجد فارتفعوا ... به على كل من قد شاده وبَنَى
فكيفَ تقعد عن حرب العدا فئةٌ ... أبتْ سِوَى العز مأوًى والعُلى وُكَنا[(٤)]

---

(١) أكدى : أخفق ، ولم يظفر بحاجته . وأفن : ضعف رأيه وطاش .

(٢) مشعلة : بصيغة اسم الفاعل : صفة لموصوف محذوف أى غارة مشعلة ، وهى الغارة المتفرقة التى تنصب من كل أوب ، وكذلك قوله شعواء : أى متفرقة . والمكتمن : المختفى .

(٣) قوم لقاح : أى لايدينون للملوك ، أو لم يصبهم سباء ، فقوله « أبو أن يخضعوا » الخ : بمنزلة التفسير لقوله قوم لقاح .

(٤) قوله والعلى وكنا : أى وأبت سوى العلى وكنا ، وهى جمع كنة ، وهى مأوى الطائر . والمراد بها هنا المأوى مطلقا .

رؤياى الصادقة

حيّاكمُ اللهُ أيُّها العربُ فاستمعُوا لى فقصّتى عَجَبُ
قد بتُّها ليلةً مُطَوّلة يعقِد جفنى بنجمِها الوَصَبُ[1]
أنجمها الزُّهرُ غيرُ سائرة كأنما كلُّ نجمة قُطُبُ
تحسبنى فى مضاجعى حَسَكٌ يَقلِبنى وخزه فأنقلب[2]
أمشى إلى النوم وهو منهزمٌ مشيَ دَبيبٍ ومشيه خَبَب
حتى بدا الفجرُ لى وقد طَفِقت تَغرَق فى فيض نوره الشُّهُب
عندئذ خدّر الأسى عَصَبى فنمتُ والنومُ جرّه التَّعَب
فطافَ بى طائف لرَوعته يرتجف القلبُ وهو مرتَعِب
رأيتنى قائما على نَشَزٍ من ساحل البحر وهو مُضطَرب[3]
والأفق محمرّة جوانبُه كأنما الجوّ مِلؤه لَهَب
وفى عنان السماء قد طلعتْ أهلّة فى إزائها صُلُبْ
والأرض قد بُعثِرت ضرائحُها مكشوفةً لا تغمُّها التُّرَب
والموت كالكبش فى جوانبها يرعَى نفوسا كأنها عُشُب
وبين تلك القبور غانيةٌ يلمع فى حرِّ وجهها الحسَب[4]
لها جبين كأنه قمر تحت شعور كأنها الذّهَب
ووجنةٌ باللِّطام دامية وساعدٌ بالدّماء مختضب
قد أذبل الجوعُ وَرْدَ وَجنتها فاصفرّ وامتصّ ماءه اللَّغَب[5]
شاخصة الطرف وهيَ جاثيةٌ تحملُها دون سوقها الرُّكَب

---

(١) الوصب : المرض والوجع الدائم .

(٢) الحسك بالتحريك : عشبة شوكها مدحرج . والمراد به هنا مطلق الشوك . وقوله « فى مضاجعى » خبر مقدم . وحسك : مبتدأ مؤخر . والجملة : مفعول ثان لتحسبنى .

(٣) النشز ، بالتحريك : المكان المرتفع .

(٤) حر الوجه : ما بدا من وجنتيه أو ما أقبل عليك منه . (٥) اللغب . بفتحتين أشد الاعياء .

حاسرةُ الرأسِ غيرُ ناطقةٍ إلَّا بدمعٍ لسانُه ذَرِب (١)
فلحظها فوق رأسها صعدٌ ودمعُها تحت رِجلها صَبَب
مكتوفة الساعدين منكسرٌ من حزَنٍ طَرْفها ومُكتئب
قد وتَدوا القيدَ في مُخلخَلها ومدّدوه كأنهُ طُنُب (٢)
ترى خدوشا على مُقلَّدها كأنها في صفيحةٍ شُطَب (٣)
وحولهـا أنفس مُصرّعة يَسْرَح فيها ويَمرَح العَطَب
واحتوشتها كلاب مَجْزرة مُهترشات يَهيجها الكَلَب (٤)
تنهشها تارة وآونةً تنبحُ من حولها وتصطخب
وفوقها الطيرُ وهي حائمة تبعُد من رأسها وتقترب
بيض المناقير ذات أجنحةٍ خُضْرٍ وريش كأنه العُطُب (٥)
يَقدُمُها طائر قوادمُه تلمع كالبرق حين يَلْتهب
تضطرب الأرض والسماء له إذا غدا بالجناحِ يضطرب
وقفتُ أرنو إلى ملامحها ووجهها بالدموع مُنْتقب
حتى تعلَّمتُ أنَّ سَحْنَتَها للعَرب الأكرمين تنتسب (٦)
وبينما كنت ممعناً نظرى فيها وقلبى كقلبها يَجب
إذ هاتف في السماء يهتف بى كأنه في الغَمام محتجب
يقول لى إنها «طرابُلس» تبكى على أهلها وتنتحب
وهذه الطير حيث تبصرها محمد والصَّحابة النُّجُب
فتلك رؤياى غير كاذبة فهل تُغيثون أيها العرَب

---

(١) ذرب «بفتح فكسر : أى حديد ، يقال : هو ذرب اللسان : أى حديده .

(٢) وقد وتدوا : أى ثبتوا . ويجوز أن يقرأ بتشديد التاء أيضا .

(٣) الصفحة : السيف العريض ، والشطب : جمع شطبة ، كظلمة ، وهى طريقة السيف فى متنه .

(٤) قوله « واحتوشتها » : أى أحاطت بها ، جعلتها فى وسطها ، والمجزرة : موضع اجتزار الجزور ، ومهترشات : متواثبات ، متحرشا بعضها على بعض .

(٥) العطب ، بضمتين ، وبضم فسكون : القطن . (٦) السحنة ، بفتح السين : الهيئة واللون .

يا شيخَ روما ومن لرايته ... وتاجِـــه يَنْتَمِى ويَنْتَسِبُ
لست ولا قومُك اللئام بمَن ... تُعرف أمٌّ لمثلهم وأبُ
وإنما أنتمُ بنـــو زمن ... إذا ذكرناه تخجلُ الحِقَبُ
برومةٍ قبـــلُ وهى مَبْلولة ... بالسكْمِ الدهرُ وهو مغترب
فمشتَّم فى الورى سَواسيةً ... لا حسَبَ عندكم ولا أدَبُ[1]
ما أوقد الدهر نارَ مُخْزِيةٍ ... إلا وأنتم لنــارِها حَطَبُ
أغسِلُ شعرى إذا هجوتكم ... لأنه من هجائكم جُنُبُ

أنشودة الحرب

نحن للحرب العوانِ ... ولإدراك الأمـــانى
لا نعُدُّ العُرْس إلا ... يوم ضرب وطعانِ
يوم نحسو من دم الْـ ... أعـداء لا بنتِ الدِّنانِ
ما صليل السيف إلا ... عندنا صوت المَثانى
شفَّنا الحبُّ لبيض الـــهند لا البيضِ الحِسانِ[2]
نشتهى غمغمة الأبـــطال لا عَزْفَ القِيانِ[3]
نحن لا نفخـــر إلا ... بلسانٍ من سِـــنانِ
شِيَمٌ ينظر مِن تَحْـــتُ إليهـــا الفرقدانِ
وبها قد شهد النجـــم لنـــا والقَمَرانِ
سلْ بنــا كل زمانٍ ... سَلْ بنــا كل مكانِ
هل بنينا المجـدَ إلا ... بالحســـام الهُنْدوانى

---

(١) سواسية : أى متساوين فى الخسة واللؤم .
(٢) شفنا الحب : أى هزلنا وأوهننا .
(٣) غمغمة الأبطال : أصواتها عند القتال . والعزف : الصوت فى الغناء . والقيان : جمع قينة وهى الجارية المغنية .

كم جلونا غُمّة الهيجـــاء ذات المَعْمَعَان [1]
بسيوف أضحكت فى الـــرّوع وجه الحَدَثان
وكماة ثبتتْ حيْـــثُ تزلُّ القَـدمَان
كل رَحب الباع صعْب المُلتقـــى ثبتِ الجَنـان
رابطِ الجأش وقور النـــفس جوّال العنـان
حيث شخص الموت فى المـــأزق بادٍ للعيـــان [2]

* * *

يا عُلوج الضّرب والبُلْـــغار أولادَ الزوانى
لم يكنْ إبعادكم بالـــحرب غيرَ الهذيان
إنما الحرب لدينا من تمـام الحَيوان [3]
فاتركوا الإيعاد يا أبْـــناء حمـــراء العِجان [4]
ودعوا الحرب فليس الْـــحرب من شأن الجَبان
وتزيّوْا يا مخانيــــث بأزياء الغوانى
إنما أنتم تيــوسٌ أُولِعَتْ بالـــنَّزَوان
سوف تُرْمَوْن من الرّعـــب بداء اليرقان
وستدْمُون بقرع الســـنّ أطرافَ البنـان
وتذوقون من المو تِ الزُّؤام الأُرْجُوانى
حين تلقونَ أسوداً طافحاتِ الهَيَجان
ذاتَ بأس يترك الصخْـــر قـــرينَ الذّوَبان

---

(١) ذات المعمان : أى ذات الحر الشديد .
(٢) المأزق ، كمجلس : موضع الحرب .
(٣) قوله « من تمام الحيوان » : أى من تمام الحياة .
(٤) قوله « يا أبناء حمراء العجان » : أى يا أعاجم ، يقال : يا ابن حمراء العجان ، أى يا أعجمى ؛ وهى كلمة شتم ، كانت تجرى على ألسنة العرب . وفى حديث على أن أعجميا عارضه فقال : اسكت يا ابن حمراء العجان .

وزئيرٍ تأخذ الأر ض له بالرَّجفان

وقلوبٌ طبعتْ من حِدّة السيف اليمانى

جهلت فى غير ما الرا ية معنى الخفقان

إنما نحن كرام عِزّنا غيرُ مُهان (١)

نتفانى فى سبيل الذَّ وْد عن هذى المغانى

نشترى الموت بنقد الر وح فى الحرب العوان

إذ نُقيم الموت مِعرْا جًا إلى أعلى الجِنان

سوف نكسو الحرب ثوباً لونه أحمرُ قان

فتكون الأرض منها وردةً مثلَ الدِّهان (٢)

قد أظلّتها سماء من شُواظ ودُخان

ترسلُ الموت عليكمْ فى شآبيب الهوان

فيقيم الذلُّ فيكمْ مُلقيًا كُلَّ جران (٣)

---

(١) أى أن هذه القلوب لا تخفق من الخوف ، فهى تجهل معنى الخفقان ، ولا تعرفه يكون إلا فى راياتها فى الحرب .

(٢) وردة : أى وحمراء . الدهان : الأديم الأحمر .

(٣) الجران : من البعير مقدم عنقه ، من مذبحه إلى منحره ، ومعنى كونه ملقيا كل جران : كونه ثابتا مقيما .

الشيطان والطليان

قالها بمناسبة دخول إيطاليا فى الحرب العامة

رأيت إبليسَ عدوَّ البشرْ يخطب فى جمع له قد حضر
قد لبسَ الوشْىَ على قبحه وخضَّبَ الشيب وقصَّ الشَّعَر
وهو يهنّى حزبَه قائلاً يا مَن عصى الله ومن قد كفر
اليومَ قد طابت لنا لعنةٌ جاءت من الله بحكم القَدَر
واليومَ قد هان الخلود الذى قدّره الله لنا فى سَقَر
إذ أمّة الطَّلْيان قد أصبحت أكبر مَن خان ومن قد غدر
زلّتْ إلى العار بها زلّةٌ شنعاء لا تُمحَى ولا تُغتفَر
فهْى التى هان بكفرانها كفرانُ من زاغ وأبدى البطَر
لو أُلقىَ الصخر بمخزاتها لانفتّ من فرْط الحيا وانفطر
ولو أصاب البحرَ من عارها لغار منه ماؤه وانحسر

* * *

نحن الشياطين على أننا جئنا من اللؤم بإحدى الكُبَر
عِبرْنا إلى جنب بنى رومة نَنْفُر من نافرنا وافتخر
فلا نبالى اليوم من لامنا فى رفضنا آدم أو من عَذَر
إذ فى بنى رُومة عُذر لنا يستسلم السمعُ له والبصر
فهمْ على الله لنا حُجَّة فى أننا أفضل هذا البشر
وأن يوماً نقضوا عهدهم فيه ليوم خِزْيه مبتكر
فلنتخذه خير عيدٍ لنا نذكر فيه فوزنا والظفر
ولْنَجعلنْه يومَ أفراحنا نجنى به الأنس ونقضى الوطَر

* * *

ثم انثنى الشيخ أبو مرّة … يرقص فيما بين تلك الزمر

حتى إذا أكمل أشواطه … رنا إليهم وأحدّ النظر

ثم دعا من بينهم واحداً … مشوّه الوجه كثير القذر

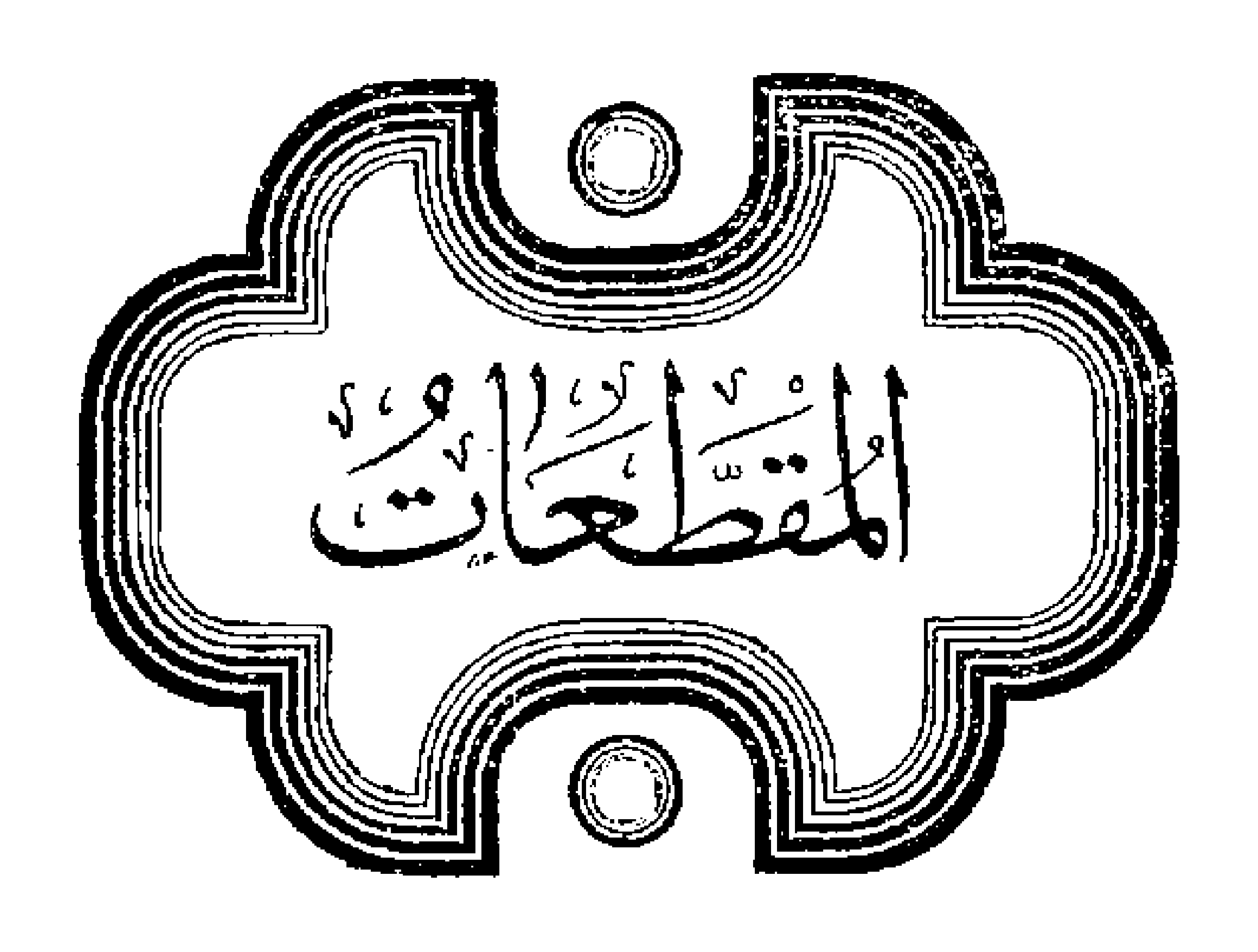
وقال يا « خنزب » بادر إلى … رومة وأدخلها قبيل السحر

واذهب إلى « عمانويل » الذى … دب البلى فى مجده فاندثر

وقل له إن أبا مرّةٍ … أخاك يدعوك إلى المستقر

فإن يقل أين ؟ فقل : إنه … فى دركة سافلة من سقر

مقعد خزى كتبوا حوله … بأحرف النيران : أين المفر ؟



وتشمل بعض قصار القصائد

قصر الحمراء

قِفْ على الحمراء وانْدُبْ مُضَرَ الحمراء فيه (١)
واسألْ البنيانَ يُنَبِّئْـــك بأنباء ذَويه
ويُحدِّثْك حديثَ الـــمجدِ والعيش الرَّفيه
بكلامٍ مُحْزن اللهـــجة يُبكى من يعيه
فيقول القلبُ آها وتقول الأُذْن إيه (٢)
صاحِ لو كان لذا الدهـــرِ حياء يَقْتَنيه
ما رمى العُرْبَ أباةَ الضَّـــيْم بالخَطْب الكَريه
لا ولا جرَّ بغرناطةَ أذيالَ سِنيه
حيثُ هذا القصرُ أمسى خاليا من مُبْتَنيه
فازْدَرِ الدهر وسَفِّه كلَّ من لا يزدريه
وإذا كنت حليما فابكِ من دهرٍ سفيه

ياضاربا بالكمان

ياضاربا بالكمانِ يفتنُّ كلَّ افتتانِ
سحرتَ سمعى وعقلى بصوت تلك المَثَانى (٣)
ضربت لحنًا بديعا حوى بديع المعانى
فكان شيئا عجيبا إذ سرَّنى وشجانى

---

(١) مضر : مضاف إلى الحمراء ، والمراد بالحمراء الذهب .
(٢) إيه : اسم فعل ، للاستزادة من حديث أو فعل .
(٣) المثانى : جمع مثنى ، وهو الوتر الثانى فى العود .

يا دهـــر

أطلتَ يا دهرُ نحسي ... متى تجود بسَعْدِي
فقـد تضاءل صبري ... كما تَعاظم وَجْدي
إذا تعشقتُ هنـدًا ... مَنحْتَني وَصْـلَ دَعْدِ
وإن تعشقت دعدًا ... منحتني وصل هِنـد
أما تعـوّدْتَ إلّا ... بأن تجود بضِدّ
إنّي أريد عـدوّي ... فهاتِ بعض أَوُدّي
وجُـد عليّ بوصل ... فقد رضيتُ بصَدّ
كلاَّ ، فإن مقالي ... هزلٌ وليس بِجِدّ
بل أنت أحقر عندي ... من أن تجود وتُجْـدِي
إني وإن كنت أشقَى ... بأوْجُـهٍ منك رُبْدِ[1]
رَبَأْتُ عنك بذمّي ... كما ربأت بحمدي[2]
إذ لست أنت بكُفْئِي ... ولستَ أنت بنِدّي
لو كنت يا دهر حرًّا ... وجئت تخدُم عندي
لما ارتضيتك عبدًا ... ولا خُوَيْدِمَ عبـد
وكيف أرضاك عبدًا ... وأنت أوغد وَغد[3]

الحقائق الملعنة

لُقنْتُ في عصر الشباب حقائقاً ... في الدين تَقْصُر دُونها الأفهامُ
ثم انقضى عصر الشباب وطيشه ... فإذا الحقائق كلها أوهام

---

(١) ربد : جمع أربد وهو الذي تغير من الغضب .

(٢) ربأت : ترفعت عنك .

(٣) الوغد : اللئيم الحقير الأصل

الخطوة الأولى

قدم السيد عادل جبر إلى الرصافي تصويرا شمسيا به صورة ابنه الصغير، لأول عهده بالمشي، وطلب إليه أن يكتب عليه شيئا من الشعر، فكتب الأبيات الآتية :

يا عَمْرَكَ اللهَ من وليدِ ... يَسُرُّه اللَّعْبُ بالنُّغَيْرِ(١)
لا زلتَ في طالع سعيد ... فِدًى لك البدرُ من قُمَيْرِ

* * *

لم تره مُقلتايَ إلا ... أحسستُ في النفس بانتعاش
في العين أم الفؤاد أحلى ... مرآهُ مُذ قام وهو ماشِ

* * *

مشى على الأرض بارتعاش ... ثم حبا واضعَ اليدَيْنِ
إذ لم يزل لَيِّنَ المُشاش ... أَفديه بالرُّوح من غُصَيْنِ(٢)

* * *

وَيْسَكَ داود من شُبَيْلٍ ... لوالدٍ منجبٍ هِزَبْرِ(٣)
يدرُّ بك انجاب كلُّ ليلٍ ... عن أبيك العادل بن جبرِ

وجـــه نعيم

أسبغ الله نعمَ الـــحُسْن في وجه نَعيمِ
قمرٌ أغنيَ في الإشـــراق عن ليلٍ بهيمِ
علّم الناس صحيح الـــحب بالطَّرْف السقيمِ
يَرجع السحر بعينيه إلى عهـــد الكليمِ

---

(١) النغير ، بصيغة التصغير : البلبل الصغير ، أو فرخ العصفور .
(٢) المشاش : جمع المشاشة ، وهي رأس العظم اللين .
(٣) ويسك : كلمة ترحم وتعجب مثل ويحك . والشبل : ولد الأسد . والهزبر : الأسد .

المغربى

مما كتبه تحت صورة شمسية له أهداها إلى العالم النحرير ، والكاتب الشهير ، الشيخ عبد القادر المغربى :

إلى المغربى الحَبْرِ أهديتُ صورتى تُذَكِّره منّى صداقةَ صادقِ
وتُؤْذنه بالوُدِّ وهى خَيالة وربّ خيالٍ مُؤْذِنٌ بالحقائق
وإنّ لعبد القادر الفضلَ كلّه بما أوضحت أقلامه من دقائق
فتى العلم زانته العلومُ بنورها كما زانهـا منه بحسن الخلائق

٭ ٭ ٭

ومما كتبه تحت صورة فتوغرافية أيضا ، أهداها إلى الأديب الكبير إسعاف النشاشيبى المقدسى ، قوله :

صَفَا لك فىّ يا إسعافُ وُدٌّ صميمٌ ما لصحّته اعتلالُ
فخُذْ تمثالَ خِلٍّ ذى وِدادٍ يمثّل صدقَه لك ذا المِثالُ
خيـالُ حقيقةٍ ولربَّ شىءٍ يدلّ على حقيقته الخيال
ولست مُماذِقا فى الوُدّ خِلِّى إذا مَذَقَت مودّتَها الرجال[1]
ومثلُك من تُجاد له القوافى ويُحمد فى فضائله المقال

٭ ٭ ٭

ومما كتبه أيضا تحت صورة شمسية أهداها إلى صديقه الفاضل عادل جبر المقدسى ، قوله :

إليك عادلَ جبرٍ رسمَ ذى مِقَةٍ من أصدقائك حيّادٍ عن الفَنَدِ[2]
لو تدركُ الشمسُ مافى القلب من شَغَفٍ
لصوّرتْ لك ودًّا جَلّ فى خَلَدى
لكنها خُلقت عن ذاك عاجزةً فَصَوَّرَتْ لك منى ظاهر الجسد
فاقبله تذكرةً فى الدهر باقية بقدر حبِّيك حتى آخرِ الأبد
فأنت أكرم من صادقتهُ خُلُقاً وأبعد الناس عن غِلٍّ وعن حسد

---

(١) مذق : خلط .

(٢) المقة : المحبة ، والفند : الكفر بالنعمة ، والكذب .

واستعار وهو فى القدس كتابا من إسعاف النشاشيبى ، ثم أعاده وقد كتب عليه هذين البيتين :

آلَ النشاشيب إن الله أسعفكمْ على التقدّم للعليا بإسعافِ
ذاك الذى أشرفتْ بالعلمِ همّته على سماء المعالى أى إشراف

من هذا ؟!

مُخلصٌ مُنكشفٌ إخلاصُهُ عن رياءٍ فيه تُخفيه الأنانه (١)
وأمينٌ قد جرت أطماعه بسيول الغش فى وادى الخيانه
لو درت كلٌّ خيانات الورى بالذى فيه تسمَّت بالأمانه
تركب الفُحْشَ رُجوليّتُه بعنانَيْن : نُعوظٍ وعَنَانه

من مطبخ الدستور

معربة عن التركية بتصرف ، للشاعر التركى توفيق فكرت بك .

كلوا يأيها السادَهْ كما تُنكرُهُ العادَهْ
كلوا من مَطبخ الدستو ر أَكْلَ الساسةِ القادَه
كلوا بالسبعة الأمعا ء حتى تُنفِذوا زاده
كلوا لاتخشَوُا الناس فإن الناس مُنْقاده
كلوا لاتخشَوُا الدهرَ فأمّ الدهر قوّاده

الوزارة عندنا

إنَّ الوزارة « لا أبالك » عندنا ثوبٌ يفصَّلُ فى معامل لَنْدَنا
لايرتديه سوى امرئٍ أضحى له طبعاً ودادُ الإنكليز ودَيْدَنَا (٢)

(١) الأنانة والأنانية : لفظان صاغهما المحدثون من لفظ أنا ، لمعنى الأثرة .
(٢) الديدن : الطبع والعادة .

عبد اللطيف باشا المنديل

عبدُ اللطيفِ بفضله جعل الورى ... أَسْرَى مكارمِ أسرة المنديلِ
ورِث المكارمَ عن أبيه وجدِّه ... فبنى أثيلَ المجد فوقَ أثيل
فى الوجه منه مَلامحٌ عربية ... يدعو تَوسّمُها إلى التبجيل
فى البصرة الفيحاء مدّ لبيته ... طُنُبَيْن من بأس ومن تَنْويل
فطريده فيها أذلُّ مُطرَّد ... ونزيلهُ فيها أعزُّ نزيل
حُرُّ الضمير مُؤيَّد بفطانة ... يرمى برأيٍ فى الأمور أصيل
إنْ قال حقًّا قاله بصراحة ... لم يخش لومة لائم وعذول

إلى السباعى

وقال وهو فى دمشق جوابا عن كتاب أتاه به ابن سليم السباعى الدمشقى من أبيه ، يتضمن أبياتا من الوزن والروى :

إلى الرجل الكريم إلى السباعى ... كتابُ أخٍ نعهد أخيه راعٍ
فتى أحببته قبل التلاقى ... وكم حُبٍّ تولّد من سَماع
ولكنى رأيت له سليلا ... كريم سَجِيَّة وطويل باعٍ
ويُحسَب من دماثته جبانًا ... على ما فيه من خُلُق الشجاع
فقلت وقد رأيت به إباءً ... كذاك تكون أشبال السباعى
فشكرا يا سليم على نَظيم ... بعثتَ به لمُغْترب مُضاع
فآنس غربتى وأسا جروحى ... ونفّس كُرْبتى وشفى صداعى
وما أنا للثناء بمستحق ... وإن أُعطيتُ مُلكةَ اليَرَاع
ولكنْ حسنُ ظنك بى دليلٌ ... على ما فيك من كرم الطباع
فدمتَ بحسن سعيك للمعالى ... قريرَ العين مشكور المساعى

عفو بعد نفي

أنشدها عمر الصالح أحد أصدقائه في القدس ، وذلك عند قدوم عمر من عكا بعد أن نفي إليها سياسة :

أحرزت ياعمرُ المفاخرَ كلَّها فالبَسْ من العَلياءِ ما تختارُ
أما البلادُ فقد حَمَيْتَ ذِمارها لمّا أضاع ذمارها الأشرار
ولقد رعيتَ عهودها فتُنوقلت في الناس عن رعياتك الأخبار
فإذا جرى ذكر الحميّة بعد ذا أثنت عليك مواطن وديار
ولئن نَفَوْكَ فإن نفيك لم يكن عارا عليْكَ وأين منك العار
بل قد نفوكَ لأنْ أَبَيتَ هوانَهم والنفي من دار الهوان فخار
هاجت لمَنْفاك الحفائظُ فاغتدت كالبحر هاج بلُجّه تيّارُ
شرفٌ لعكّة أن رأت بك ماجدا بعلاه تفخر حِمْيَرٌ ونزار
فالقدس حاسدة عليك ربوعَها والمسجد الأقصى عليك يغار
ولقد عفَوا وهم الجُناة وإن عفا عنك المسيء فعفوه استغفار
ندموا فسُمّيت الندامة عندهم عفوا وذلك منهم استكبارُ
أهلا بمقْدَمِك الذي بسروره سِيْءَ اللئامُ وسُرَّت الأحرار

الترامواي في الاستانة

سنة ١١٩٠

مَرّ الترام فقيلَ اركَبْ فقلتُ لهم ذل امرؤٌ كان مركوبا له الكسَلُ
أما ترى وضعافُ الخيل تَسحبُهُ كأنه جبل في الأرض ينتقل
يحكي السلحفاة في عرْض الطريق وقد
أمستْ بها في التأنّي يُضرب المَثَل
ترى به أوجهَ الركّاب عابسة من فوقها ضجر من تحتها مَلَل
في جانبيه وفي أعلاه قد كتبوا بيتاً تمثّل في إنشاده الأوّل
« قد يدرك المتأني بعضَ حاجته وقد يكون مع المستعجلِ الزَّلَل »

لقيتها فى الطريق

لقيتها فى الطريق عابرةً ... يَبْهَرُ من قَدِّها تَبَخْتُرُها

أعجبَها مَنظرى وأعجبنى ... بالحُسْنِ عند اللقاء منظرها

فصار قلبى بالحبّ يأمرنى ... وقلبها بالغرام يأمرها

وحين مرّت والشوق يُسْكرنى ... بخمرة تارةً ويُسْكرها

لَفَتُّ جيدى أرى أَتَنظُرنى ... والتفتتْ لى ترى أأنْظُرها

فقلت والشوق فىَّ ملتهب ... إن عَذرتْنى فسوف أعذِرها

الدين والوطن

لا يخدعَنْك هتاف القوم بالوطن ... فالقوم فى السرّ غيرُ القوم فى العَلَن

أُحْبُولة الدين رَكَّت من تقادمها ... فاعتاض عنها الورى أحبولة الوَطَن (١)

فما لهم غير صيد المال من غرض ... فى اليوم والغد والماضى من الزمن

لم يقصدوا الخير بل يستذرعون به ... رمياً إلى الشر أو قصداً إلى الفتن

فإن تهاون قوم فانتظر شغبا ... إذ ليس هدنتهم إلى على دخن

الحياة والأذاة

وَطِنْ حياتَك للمكارهِ وارْتقبْ ... كَدَرَ المَواردِ إن صفا لك مَشرَب

كل الأماكن للاذاةِ مَظِنَّة ... حتى السماء تدِبّ فيها العقرب

---

(١) رك : ضعف ورق .

قالها لما أفتى بكفره بعض من يدعىٰ العلم فى بغداد ، وذلك لإنشاده قصيدة « فى مسرح التمثيل » أنكر فيها تشديد القوم على النساء فى الحجاب .

يأيُّها المفتى بتكفيرنا ... مهلًا فقد جئت بأمر نكيرْ
بأى جهلٍ فيك مستأصلٍ ... علمت يا جاهلُ ما فى الضميرْ
وذاك أمر ليس تَنْتَاشُه ... إلا يدُ الله العليم القدير[1]
لو كنت ذا مجد لأصْلَتْك مِنْ ... هجائنا الأيامُ نار السعير
بل أنت وَغْد لا تبالى الهِجا ... وهكذا كل لئيم حقير
وإنما تغتاظ من هجونا ... بقدر ما تغتاظ منه الحمير

فى معرض الشكر

لقد جرّبتُ أصدق أصدقائى ... فلم أَرَ قطُّ أصدقَ من صَلاح
فتىً أمَّا نَدَاهُ فصَوبُ مُزْنٍ ... وأمَّا خُلْقه فشَذَا الأَقاحى[2]
به آل اللبابيدىّ باهَوْا ... كما باهَى بهم هو فى السَّماح
أشدُّ من الخِضَمّ يداه مَدًّا ... وأقذفُ منه بالدُّرَر الصِّحاح[3]
نقىُّ العارضَين له جبين ... أغر كأنه فَلَق الصباح[4]
سديدُ الرأى طلق الفكر حرّ ... طلُوب للعُلى سهل النجاح
كريم ما اقترحتُ عليه إلّا ... وقد غلبتْ فواضِله اقتراحى
أيا من شَدّ فى بيروت أَزْرِى ... وآنَسَ غُربتى وشفا جِراحى
سأبلغ فيك غاية كل شكر ... وإن قصّرْتُ نحوك بامتداحى

(١) انتاشه : جذبه واستخراجه .
(٢) الصوب : المطر . والمزن : السحاب الممطر . والشذا : شدة ذكاء الريح الطيبة .
(٣) الخضم : البحر العظيم .
(٤) العارضان : صفحتا الخد .

عند لعبة البيلارد

وفى الألعاب لم ترَ قطّ عينى ... كمثل اللّعْب بالأكَر الثلاثِ
تجول بمستطيل الشكل عالٍ ... لطيف صُنْعُه حَسَنِ الأثاث
فبيضاوانِ تندفعان جرياً ... إلى حمراء بادية اللّهاث
ينال الضربُ إحداها فتجرى ... لضرب الأُخريين بلا لَباث [1]
فتنبعث الثلاث مُدحرَجات ... وقد حصل اصطدام بانبعاث
يُدحرجُهنّ أغلمة ظِراف ... نسيتُ بهم مُغازلة الإناث
بأيديهم عِصِيٌّ مُشْرَعات ... مُهيّأة لضرب واحْتثاث
فكان إذا انحنى للضربِ منهم ... غلامٌ هاج شَوْقى وهو جاث
ورُبّةَ ضَرْبةٍ لمّا تَثنّى ... لِيَضْربَها تَثَنّى بانْخِناث
وكانت توبةً لى عن مُجون ... فعادتْ من هواه إلى انتكاث
فلستُ وقد تجدّد لى غرام ... أبالى لوم الْسِنة رِثاث

السنما الوطنى

قالها لما أنشىء السنما الوطنى ببغداد :

لو جعلنا كلّ شىء وطنيّا ... لقَطَفْنا ثمر المجـد جَنيّاً
ولعِشنا اليـوم فى أوطاننا ... مستقلّين بها عيشاً رَخيّا
ولأضحى نابهاً خاملُنا ... ولأمْسَى كلّ ذى فقر غَنيّا
يا بنى بغدادَ هل من يقظةٍ ... لأمُور تَكسب القوم رُقيّا
إن بغـداد قضت واجبها ... مذ أرتْكم سِنماها الوطنيّا
سِنَما أظهر للرائين من ... صور الآداب ما كان خَفيّا

(١) اللباث ، بفتح اللام : اللبث والمكث .

ولقد صوّر في رُقعته عبرَ الأيّام تصويراً جليّا
ولقد قرّب للأنظار من خِطط البُلدان ما كان قَصيّا
يُبهج الناظرَ فيه أنه يُقْرأ المكتوب فيه عربيّا
يا بني بغداد لاعُذر لكم إن أتيتم بعد هذا الأجنبيّا

عند نشر المعاهدة

نَشَروا المعاهدة التي في طيِّها قَيْدٌ يَعَضّ بأرْجلِ الآمالِ
قــد أبلعونا حَبَّةَ استعبادنا لكن مموَّهةً بالاستقلال [1]
والعهد بين الإنكليز وبيننا كالعهد بين الشاة والرِّئْبال [2]
من ذا رأى ذئبَ الذئاب مصافِحًا بتودُّدٍ حملاً من الأحمال
لكنهم خافوا انفكاكَ قيودنا فاستوثقوا منهنّ بالأقفال
كتبوا لنا تلك العهود وإنما وضعوا بها قُفْلاً على الأغلال
شَلّت أكُف مُوَقِّعيها إنهم حلّت عليهم لعنةُ الأجيال
هبْ أنهم أمِنوا انفكاكَ قيودنا أفيأمنون تقلّب الأحوال

وزراء المعارف عندنا

وَيْحَ المعارفِ لا يَسْتَوْزِرُونَ لها إلا الذين لِوِزْرِ الجهل قد وَزَروا
فأيّ حرمةِ علمٍ هم قد انتهكوا بذا وأيّ زمام للعُلَى خَفَروا
هَبْهم قد احتقرونا في مواطننا سياسةً فَعلامَ العلمُ يُحتَقر
يا قومُ مابالكم لاتغضبون له أليس فيكم فتًى للعلم ينتصر
تالله قد أنزلونا شرَّ منزلة لا الزنج ترضى بها منهم ولا النوَر

---

(١) مموهة : مخلوطة ، أو مطلية ، أو مزينة . (٢) الرئبال : الأسد ، أو الذئب .

قيصر معلوف

في آل معلوفَ الكرامِ خلائقٌ ... غُرٌّ يُضيء بها الزمانُ الأكدرُ
ولهم مآثرُ في البلاد جليةٌ ... أيدي المُطاوِلِ عن علاها تقصُرُ
يأبى الزمانُ زوالَ دولة مجدهم ... ما دام فيهم ذو المكارم قيصر
رجلٌ رأيت به الفضائلَ تعتلي ... والمجدَ ينمو والمعالي تكثر
وصحبتُ في بيروت منه مهذبا ... ما إن تَصوَّر مثلَه المتصوِّر
صغُرت به عندي الكرامُ لأنه ... في كل مكرمة أجلُّ وأكبر
إني لأشكره على إفضاله ... والحرُّ للحر المهذب يشكر
أما حليلته الفتـــــاة فإنها ... بدرٌ بآفاق الجمال منوَّر
ما أحسن الحُسنَيين إذ جمعا بها ... نفس مهذَّبة ووجهٌ أزهر

إلى أمين كاملة

وكتب له أمين كاملة أحد أدباء بيروت فأجابه :

حيِّ الأمينَ الذي طابت مغارسُه ... في منبت النَّبْعِ لا في منبت الغَرَبِ (١)
مشهورة في رُبا لُبنـانَ غُرَّته ... من آل كاملةٍ صُيَّابةِ العرب (٢)
قد جاء بالشعر يُطريني فقلت له ... شكرًا لفضلك إذ أحسنت ظنَّك بي
أوسعتني منك ترحيبا وتكرمة ... لمَّا خططتُ لديكم رَحْلَ مُغترِب
وتلك شيمةُ من كانت خلائقُه ... مصوغة من صميم المجد والحسب
قل للأُلَى يقصدون اليوم تخطئتي ... مستغربين إلى لُبنانَ مُنْتَسَبي
من متَّ منكم إلى قوم بنسبته ... فقد متَتُّ إلى لبنان بالأدب
ونسبة العلم والآداب لُحمتُها ... أقوى لمُنتسِبٍ من لحمة النسب
أليس لبنان بالآداب مشتهرا ... من العلوم وقول الشعر والخُطَب
فإن نزلتُ بوادٍ منه منتجعا ... فقد نزلت بوادٍ ممرِعٍ خَصِب (٣)

(١) النبع : شجر صلب تتخذ منه السهام والقسي ، والغرب : شجر ضعيف .
(٢) صيابة العرب : خيارهم . (٣) انتجع الرعي : ارتاده باحثا عن الكلأ ، والممرع : الخصب

إلى عبد الوهاب النائب

أنشد حضرة العلامة عبد الوهاب أفندى النائب فى بعض مجالسه ببغداد البيت الآتى ولم يكن الرصافى حاضرا :

إن فاخرتْ بلدةٌ يوما بشاعرها ... فإن شاعرَنا فى الشرق «معروفُ»

فبلغ ذلك الرصافىّ ، فكتب إليه الأبيات الآتية :

قل لعبد الوهاب النائب العلاّ ... مة الحَبْر مُنْجِب النجباءِ

إن أكن شاعرا فمثلك من يُد ... عَى ببغــداد أعلمَ العلماءِ

أىُّ فضلٍ للشــعر لولا علومٌ ... قوّمتْ من قناتِه العوجاءِ

إنّ بين الشعر المَقُول وبين الــ ... ـعلم بَوْنًا كأرضــنا والسماءِ

ما ادّعى الشعرَ عالمٌ قطُّ لكن ... يدّعى العلمَ أشعرُ الشعراءِ

إلى أولى الأمر

وقال يخاطب رجال الحكومة ببغداد سنة ١٩٢٢ :

يا مُبْعِدِيَّ بظلمٍ عن مناصبهم ... وقاطعين إلى ما أبتغى طُرُقى

علمت كل خَفِيٍّ من ضمائركم ... وما علمت الذى ترضون من خُلُق

ماذا يوافقكم من شأن صاحبكم ... حتى يكون لديكم حائز السَّبَق

إن كان عقلٌ فإنى عاقلٌ فَطِنٌ ... أو كان حمقٌ فإنى أحمق الحُمُق

فجرّبونى تفوزوا عند تجربتى ... بما تريدون من طيش ومن نَزَق

وإن أبيتم سوى مَن عِرضُه دَنِسٌ ... فلستُ مَعْكم على شىءٍ بمتّفق

لا أَبْعدَ الله غيرى عن مناصبكم ... إنى بتدنيس عِرضى غير مُرتَزق



العدل — يا مبعدى بظلم عن مناصبهم!!

المصور البارع

إن فنَّ التصوير قد صار فيه ... أسعدٌ بارعاً بغير نَظيرِ

حمل الشمسَ للأنام بكَفٍّ ... وبأخرى صناعةَ التصوير

وأتى يُبْدِع البدائع للنّا ... س بفنٍّ من الرسوم خطير

لم يفته من صورة المرء حتى ... ما بها من علائم التفكير

فتراها كأنها ذاتُ فكرٍ ... هي عنه تهمّ بالتعبير

وترى عند حزنها ذات حزن ... وترى فى السرور ذات سرور

لك يا أسعدُ الفَخار ولا زلْـ ... ـت جديرا بالفخر جِدَّ جَدير

الأغنياء والفقراء

أرى أغنياء الناس كالعُمْيِ لم يَرَوْا ... شَقاء بنى غَبْراء من كل بائِسِ (١)

كأن الغِنَى والفقر نور وحِندسٌ ... ولم يَرَ مَن فى النور مَن فى الحنادس (٢)

---

(١) الغبراء : الأرض ، وبنوها : الناس .
(٢) الحندس : الظلام الشديد .

الجهل فضاح

ما أقبحَ الجهلَ يُبْدى عيب صاحبه   للناظرين وعن عينيه يُخفيه
كذلك الثُّوْم لم يشمَمْه آكله   والناس تشتمّ نَتْنَ الريح من فِيه

حمام الوزارة

ألا بَلغوا عنى الوزير مقالةً   له بينها لو كان يخجل تَوْبيخُ
أراك بحمَّام الوزارة نُورةً   وأمّا جناب المستشار فزِرنيخ

رخص المناصب

نحن قوم من الدراويش نَغْنَى   عنــدنا عن مدارس بِتَكيّه
رَخُصت عندنا المناصبُ حتى   قد شَرَوْها بسُبحةٍ وبِلحْيه

الناس والملوك

عجبتُ للناس فى الدنيا لحالَتِهم   مع الملوك صريحُ العقل يَجْحَدُها
إنّ الملوك لكالأصنام ماثلةً   الناس تَنْحِتها والناس تَعْبُدُها

منزلة المعلم

فى المجتمع الإنسانى

إذا كان جهلُ الناس مَدْعاةَ غَيِّهم ... فليس سوى التعليم للرشد سُلَّمُ

فلو قيل من يستنهض القوم للعلى ... إذا ساء مَحْيَاهم لقلتُ المعلِّمُ

معلمُ أبناء البــــلاد طبيبهم ... يداوى سَقام الجهل والجهل مُسقِم

وما هو إلا كوكب فى سمائهم ... به يهتدى السّارى إلى المجد منهم

فلا تبخسنْ حقّ المعــلم إنه ... عظيم كحق الوالدين وأعظم

فإن له منك الحِجَا وهو جوهر ... وللوالدين العظمُ واللحم والدم

ألا إنما تَعْليمنا الناسَ واجب ... وإن على الجهّال أن يتعلّموا

وما أخذ الله العهود على الورى ... بأن يَعلَموا حتى قضى أن يُعلَّموا

أم سرى

زار الرصافى صديقه السكاكينى فى القدس ، فارتجل عنده هذين البيتين يخاطب بهما قرينته السيدة سلطانة :

أأم سَرِىٍّ أنتِ سلطانة البَهَا ... أطاعك منه ما عصى الناس أجْمعا

ولم يرَ نقصاً فى مُحيَّاكِ ناظرى ... سوى أن كلّ الحُسْن فيه تجمّعا

الحزب الحر العراقي

لما قضى بعض أعضاء الحزب الوطني وحزب النهضة ، وسدت نوادي هذين الحزبين ، قال الرصافي يخاطب الحزب الحر المعتدل :

قولوا لحزب تسمى الحرّ معتدلا ... هل أنت من بعد نفي القوم معتدلُ
وهل لما حلّ بالحزبين باكية ... عيناك أم أنت مسرور به جذلُ
تالله ما أنت حرٌّ في مطالبة ... وإنما أنت للحكام معتمِلُ (1)
وما سعيت إلى حق لتدركه ... بل أنت للامر في مسعاك ممتثِلُ (2)
قد احتملت من التاريخ لعنته ... لله درّك ماذا أنت محتمِلُ

وبلغ الرصافي أن رئيس الحزب الحر قال إذ سمع بهذه الأبيات :

« نحن لا نبالي بمثل هذه الأقوال الفارغة » . فقال الرصافي :

قال ذو الحزب إذ أتاه مقالي ... نحن لسنا بما يقال نبالي
صادقٌ في الذي أدّعاه وأنّى ... يألم الميْتُ من جروح النِّصال
إنما تجزع الكرام من الذّمّ ... وتخشى الأمجاد لذع المقال

المسلم المصلح

قالها في صديقه الشيخ عبد القادر المغربي ، أحد أركان المجمع العلمي بدمشق ، وأنفذها إليه من زحلة :

للمغربيّ بأرض الشام منزلةٌ ... ممتازة في نوادي العلم والأدبِ
المسلم المصلح الهادي بفكرته ... إلى الحقيقة أهلَ الشك والريَبِ
قد غاص في لُجَجِ الأديان مجتهدا ... فاستخرج الدرَّ لم يعيأ بمخشلَبِ (3)
وجال جولةَ حبْرٍ في منابتها ... فاستخلص النبعَ حيّاداً عن الغَرَبِ
لو سار كلُّ بني الإسلام سيرته ... لما شكَوْا في حياةٍ سوءَ منقلَبِ
أو جال كل أولي الأديان جولته ... لما تكونَّ باسم الدين من شغَبِ
إني لأمدحه بالحق عن ثقة ... والمدح بالحق غير المدح بالكذبِ

---

(1) معتمل : مصطنع . (2) ممتثل : مطيع .

(3) المخشلب والمشخلب : بفتح الميم : كلمة عراقية نبطية ، وهي اسم لما يشبه الدر من حجارة البحر ، يعمل منه خرز أبيض يشاكل اللؤلؤ ، وهو أردؤه وأقله قيمة (عن شفاء الغليل وتاج العروس) .

نجل عبد اللطيف

كتب عبد اللطيف باشا المنديل إلى صديقه جناب الشاعر ، عندما كان مدير الكمارك في بغداد ، كتابا وصف به له حالة ابنه الصغير ، وأنه بلغ من العمر أن صار يشير بيده ، ويتكلم بكلام لا يفهمه إلا هو ، فطلب المدير المشار إليه إلى الرصافي أن يقول على لسانه أبياتا في المعنى ، فقال :

نجلُ عبد اللطيف وهو نجيبُ ... كيف لا يُظهر النجابةَ طفلا
إنْ يكن غيرَ واضح القول لفظاً ... فكلام النجيب يفهم عقلا
كلما قال أو أشار فمعنَى ... قوله أنهُ عَلاه سيَعلَى
إنّ آل المنديل قوم كرام ... قد زَكَوْا في الأنام فرعا وأصلا
نجلُ آل المنديل غيرُ عجيب ... أن يكون النجيبَ طفلا وكهلا
أيُّها النجل عِشْ لتجديد مجد ... قد بنته لك الأوائل قبْلا

عبد الوهاب النائب

علّي لربّنا الوهابِ أنّي ... أُواصل شكرَه وأُديم حَمْدَهْ
وذاك إذا يعاملنا بلطفٍ ... فيشفي « النائبَ » المفضال عبدَه
ليرُشدَنا إلى سُبُل المعالي ... فنقصدَ في ابتغاء المجد قَصْدَه
هو الحَبْر الذي وَجَدَت مُناها ... بغاةُ مكارمِ الأخلاق عنده
تردَّى المجد من أدب وعلم ... وطرّز بالمعالي الغُرّ بُرْدَه [1]
يوَدُّك في الرخاء ودادَ حرٍّ ... ولا ينساك إن دَهمتك شِدّة
أطال بقاءه الرحمنُ فينا ... وأكْثر فضله وأدام سَعده

---

(١) تردى المجد : اتخذه رداء .

إلى أمير الكمنجة

صاح قم بى إلى أمير الكمنجه — أصدق النابغين فى الفن لَهْجَهْ
قم بنا نستمع إلى نغمات — تملأ الأنفس انتعاشاً وبهجه
ولحون كالصبح إن هى فاضت — تُغرق الروح من سرور بلُجّه
ذاك سامى الشأو الذى قد سما فى — فَلَك الفن بالغا منه أَوْجه
هو فى فنه الرفيع إمام — مُوْضِح للأنام منه المَحَجَّة (١)
كل من سار فى طريق الأغانى — يَقتفى إثره وينهج نهجه
ما أمرَّ الأناملَ الخمس بالأو — تار إلا ألقى على القوم رَجَّه
نَغْمة منه تجعل القوم كالبحـ — ـر يموجون مَوْجة بعد موجه
ويميلون باتجاه إليه — أينما مال ضارباً أو توجه
بطل الفن هز رمح ابتداع — راكزا فوق هضبة المجد زُجَّه (٢)
وبكأس الفخار أُسْقِىَ صِرْفا — من كمال تعود الناسُ مزجه
فلتُفاخر بلادُ يَعْرُبَ فيه — سادةَ الفن فى بلاد الفِرِنْجَة
يا أميرا فى الفن صار مليكا — حاملَ الصولجان وهو الكمنجة
شهد الله أن كل حياة — لم تَزِنْها بدائعُ الفن سَمْجَه

---

(١) المحجة : جادة الطريق أى وسطه .

(٢) الزج : الحديدة التى فى أسفل الرمح ، وفى الكلام استعارة لا تخفى .

إلى محمد الرضا

إنى لأشكر من محمدٍ الرِّضا ... شعراً ذكرت به زماناً قد مضى

شعرا غدوتُ على « جرير » فاخرا ... فيه ورحت عن « الفرزدق » مُعرِضا

قـــد دبّجته يراعةٌ لمحمدٍ ... أخذت تقيم من القريض مُقَوَّضا

هى فى التفنن ريشةٌ لمصوِّرٍ ... ولدى القِراع هى الحسام المُنتَضَى (١)

لو كان فى كف « الرَّضىّ » نظيرُها ... حسد الرضىُّ بها أخوه « المرتضى »

وكأنما يومَ الفخار هديرُها ... صوتُ الرُّعود لها دوىٌّ فى الفضا

وكأنما يومَ الرثاء صريرُها ... صوتُ الحمام ينوح فى وادى الغَضَى

أما ذكاء ابن الخطيب « محمد » ... فشبيه برق لاح أو نجم أضا

وافت جواهرهُ على يد « جوهر » ... وبها رأيت مُذَهَّباً ومفضَّضا

يأيها الرجل الذى بكتابه ... للود منى بالقريض تعرّضا

إنى لأشكر منك خِلًّا فاضلاً ... يُدنى أحبّته ويُقصى المبغَضا

وقريحــة ما زدت فى استنباطها ... إلا وزادت بالقريض تفَيُّضا

ولقد نظرتَ إلىَّ منك بنظرة ... فيها الثناء وهكذا عين الرضا

---

(١) القراع : المضاربة فى الحرب بالسيوف ، والمنتضى : المسلول .

فخامة الرئيس ووسام الرافدين

أنشدت فى الحفلة التى أقيمت فى البلاط الملوكى ، بمناسبة ما أنعم به جلالة الملك على فخامة رئيس الوزراء ، من وسام الرافدين ، من الدرجة الأولى ، وذلك يوم ٢٦ آذار ١٩٣٢ :

تِهْ ياوسامَ الرافدين بصَدْرِ من ... هو فى العُلَى للرافدين وِسامُ
نورِى السعيد أبو صباحٍ من به ... سَعِدَ العراقُ فثغرُه بسّام
قد أنعم الملكُ المُطَاع به لكى ... يَزْدانَ فيه وزيرُه الضِّرغام(١)
ياحبذا ذاك الوزيرُ وحبذا الـ ... ـملك المطاع وحبذا الإنعام
زهِى الوسامِ بصدره فكأنه ... تاج المَليك يحُفه الإعظام
صدرٌ إذا الخطب ادلهمّ تلألأتْ ... فيه السّجايا الغرّ والأحلام
وإذا تنهدتِ الصدور لحادث ... بدت الشجاعةُ منه والإقدام
ليس التفاخر بالوسام بهمّهِ ... ولوَ انه افتخرت به الأقوام
بل همُّه أنْ تستقلّ حكومة ... ويتم فى أمرِ البلاد نظام
فعلى البلاد من الرئيس تحية ... وعلى الرئيس تحية وسلام

فى بيروت

فى مجمع كوكب الشرق

ومجمع جامع ضاع الغناء به ... ضياع شعرىَ فى قومى وأوطانى
تلاطَمَ الموجُ فيه وهو من لَغَطٍ ... حتى أصمَّ عن الألحان آذانى
فظلْتُ أسمع فيه بالعينين فيه وقد ... يُغنى عن الأذن طَرْفٌ للفتى رانى
كُلًّا تراه على عزف القيان غدا ... بالنَّرد يلعب مشغولاً مع الثانى
فللمهارِكِ بين القوم فرقعة ... كالملح يُحرَق مَذْروراً بنيران(٢)
كان الغناء كرأيى حين أعلنه ... وسامعوه كقومى عند إعلانى

(١) الضرغام : الأسد .

نهاد قرة الأعين

إلى حضرة الفاضل نور الدين بيهم

كان مذ قال واهبُ الأولادِ	لنهـــــاد كـن
فاستمرت بحمدها المزدادِ	تنـــــطق الألسن
لاح بدرًا له بأفق النادي	طلعـــــة تحسن
أولد النورُ منـه للوفادِ	بهجـــة الأعين
نهر بيروت منـه بالميلادِ	فاخـر الأردن
هو في آل بيهم الأمجادِ	نبعـة الأغصن
كان عيدًا لهم من الأعيادِ	في مـدى الأزمن
إنّ تاريخه « حيـاة نهـادِ	قـرةُ الأعـينْ »

سنة ١٣٤١

ذات الشعر الأبيض

ومليحـــةٍ أوصافهـــا	تدعو القلوب إلى التصابي
بيضـــاء أمّا شـعرها	فبلون أنوار الشباب
قد لاح يصرب للبيا	ض وذا من العَجَب العُجاب
كشُعاع أنوار النجو	م إذا تلألأ باضطراب
يمتـدّ فوق جبينها	كضياء منقضّ الشّهاب
فـكأنّ غُرّة وجهها	بدر تـكلّل بالسحاب
أو قُرصُ شمس قد تجلّـــل	بالرقيق من الضّباب

رقة قولى

وغرّت رقتى فى القول قوماً فعادَونى وكنت لهم صديقا
وما علموا بأنّ رقيقَ قولى يكون لدى التّماحُك مِنْجَنيقا[١]
وما موجُ البحار يكون إلا لكون الماء سَيّالا رقيقا

جو بيروت

جوّ بيروت فى الشتاء دَفِئٌ مانع من نوازل الأَسْقام
فإذا ما تَوَاتَرَ الغيثُ فيه خِلْتنى فى مَغاسل الحَمَّام
وعلى القرب من مغانيه جوّ ثغره من ثلوجه فى ابتسام
يجعل الجسم فى ارتجاف فيُمْسِى فيه نطق الفصيح كالتَّمْتام[٢]
وكذا الحسن فى الأماكن بالأضداد تبدو أوصافه للأَنام

على مقابر الشهداء

حَيِّ هذى القبور إن كنت حيًّا عاملًا بالفضيلة الغرّاء
إنما الميت كل من لا يُحيّى باحترام مقابرَ الشهداء
واحترامُ الأموات حتم وإن كا نوا بعادا فكيف بالقُرَباء
لا تَقُل هذه الرِّجَامُ قبورٌ بل تماثيلُ نَجْدةٍ وإباء
إنما هذه القبور تُرينا كيف حب الأوطان فى الأحياء

---

(١) التماحك : النزاع فى الكلام . والمنجنيق ، بفتح الميم وكسرها : آلة لرمى الحجارة على الحصون .
(٢) التمتام : الذى لا يحسن نطق الحروف ، وخاصة التاء ، فيلجلج فيها .

منيرة(١)

هل سمعتم «منيرةً» مذ أفاضتْ ... من بديع الغنـاء فى كل فَنِّ
مذ أقرّتْ برقصها كلَّ عين ... واسترقّت بصوتها كل أذْن
رقصُها يُرقِص القلوبَ على أنْ ... غِناها عن المزامـير يغنى
هى إن أقبلت بثَنْية عِطْفٍ ... أقبلت بالمُهَفْهَف المطمئن(٢)
وهى إن أدبرت بهزّة رِدْفٍ ... أدبرت بالمُرَجْرَج المُرْجَحِن(٣)
خلق الله صوتَها العذب كيْما ... يعرف الناس كيف حُسن التغنى
وبراها ممشوقةَ القدّ كيما ... يعرف الناس كيف حسن التثنى
بنت فن غنّت لنا فسقتْنا ... من أفانين لَحْنها بنتَ دَن(٤)
سحرتنى مذ أقبلت تتثنّى ... فكأن مذ أقبلت لستُ منى

يطلب جلنارا

وظبيٍ جاء يطلب جُلَّنارا ... يحاكى لونَ وجنته احمرارَا(٥)
وقد ملك الخلائقَ ملك أسْر ... وأوثقَ فى قلوبهـم الإسارا
بقَدٍّ أخْجَل السُّمْرَ اعتدالا ... وطَرْفٍ أوْجَل البيض اقتدارا
فقلت وما الكليم سوى فؤادى ... وقد آنستُ فى خديه نارا(٦)
فديتُكَ كيف تطلب جُلَّنارا ... وفى خديكَ أُبصِرُ جُلَّنارا

---

(١) هى مغنية عراقية .

(٢) العطف : جانب العنق ، ويقال مرثانى عطفه : إذا أعرض عن الناس متكبرا ، والمهفهف : الدقيق الخصر .

(٣) الردف : العجز . المرجرج : المتحرك المهتز . والمرجحن : المهتز أيضا .

(٤) الدن : إناء الخمر .

(٥) الجلنار : زهر الرمان .

(٦) الكليم : المجروح . والكليم أيضا موسى عليه السلام .

اسمعى لى كلاما

اسمعى لى قبل الرحيل كلامَا ... ودعينى أموت فيك غرامَا
هاك صبرى خُذيه تذكرةً لى ... وامنحى جسمىَ الضّنَى والسّقاما
لست ممن يرجو الحياة إذا فا ... رق أحبابه ويخشى الحِماما[1]
لك ياظبيةَ الصَّرِيمة طَرْفٌ ... شدَّ ما أوسعَ القلوب غراما[2]
حَبَبُ ماء الحياة منك بثغر ... طائرُ القلب حول سِمْطَيْه حاما[3]
شغل الكاتبين وصفك حتى ... لادُوِيًّا أبقَوا ولا أقلاما
كلما زاد عاذلى فيك عَذْلًا ... زدت فى حسنك البديع هُياما
أفأَحظى بزَوْرة منك تَشفِى ... صَدْع قلبى ولو تكون مناما
ربّ ليلٍ بالوصل كان ضياءً ... ونهارٍ بالهجر كان ظلاما
قد شربت السُّهاد فيه مُداماً ... وَتخِذْتُ النجوم فيه نَدامَى[4]
ما لقلبى إذا ذكرتك يهفو ... ولعينى تُذْرِى الدموع سِجاما
إنْ شكوت الهوى تلعثمتُ حتى ... خِلتنى فى تكلُّمى تمتاما

وقال فى عود انكسر

قلبي عليك حليفُ الوجدِ ياعُودُ ... كم شنّفَتْ أُذُنى منك الأَغاريدُ
كنتُ أفتديتُك لو يُفدَى الذى حكمت ... فيه المقاديرُ أن يلقاه تَنْكيد
فكم بدتْ نغماتٌ منك مُطْربة ... هُزت بها طَرَباً حتى الجَلاميد[5]
تُعيد ياعودُ بالأوتار إن نطقتْ ... مَيتَ المَسرّة حيًّا وهو مَلْحود
كأن أرواحنا عند استماعك من ... لطف لهن عن الأجساد تجريد
فكيف نالتك أيدى الدهر كاسرةً ... وأنت فى الدهر بالآذان معبود

(١) الحمام: الموت . (٢) الصريمة : قطعة ضخمة من الرمل تنقطع عن سائر الرمال
(٣) العقد : السمط . (٤) المدام: الخمر .
(٥) الجلاميد ، جمع جلمود ، وهو الصخر الشديد .

ضاق الخناق

أقول لهم وقد جدّ الفراقُ ... رُوَيْدَكُمُ فقد ضاق الخِناقُ

رحلتم بالبُدور وما رحمتم ... مَشُوقاً لا يَبوخ له اشتياق[1]

فقلبى فوق أرؤسكم مُطَار ... ودمعى تحتَ أرجلكم مُراق

أقال الله من قَوْدٍ لحاظاً ... دماء العاشقين بها تُراق[2]

وأبقى أعيُناً للغيد سُوداً ... ولو نُسيتْ بها البيض الرقاق[3]

متى يصحو الفؤاد وقد أُديرتْ ... عليه من الهوى كأسٌ دِهاق[4]

وليس الناس إلا من تَصَابٍ ... وإلّا من يَشُوق ومن يُشاق

مررنا بالمنازل مُوحشات ... لِهُوج الرّامسات بها اختراق[5]

كأن لم تُصْبِنى فيها كَعاب ... ولم يُضْرَب بساحتها رِواق

فعُجْتُ على الطلول بها مُكِبّاً ... أُسائلها وقد ذهب الرفاق

كأنى بين أطلال المغانى ... أسيرٌ عَضَّ ساعدَه الوَثاق

حديد بارد فى اللوم قلبى ... فليس له إذا طُرِق انطراق

وصف البدر عند الأفق

كأن البدرَ صحن من لُجَيْنٍ ... بدا فَجَلا برَوْنقه الهموما

به ارتقت الملائكُ للأعالى ... وراحت فيه تلتقط النجوما

---

(١) باخ : فتر وسكن. (٢) القود : إعطاء الدية .

(٣) البيض الرقاق : كناية عن السيوف . (٤) كأس دهاق : ملأى .

(٥) الرياح الهوج : الشديدة ، والرامسات : التى تأتى بالتراب ، فتدفن الأشياء تحته .

إلى أم كلثوم

أم كلثوم فى فنون الأغانى أمة وحدها بهـذا الزمان
هى فى الشرق وحدها ربة الفـــن فما أن للفن رب ثانى
ذاع من صوتها لها اليوم صيت عم كل الأمصار والبلدان
ما تغنت إلا وقـد سحرتنا بافتتان لها وأى افتتان
فى الأغانى تمثل الحب تمثيلا صريحا بصوتها الفتـان
يتجلى فى لحنها مشهد الحب ولون الوصـــال والهجران
فتريك المحب عند التنائى وتريك المحب عند التدانى
وتريك الحبيب عند افتراق وتريك الحبيب عند اقتران
كل هذا فى صوتها يتجلى من خلال الأنغام والألحان
صفحات من الغرام تراها ظاهرات فى صوتها للعيان
تنشد الشعر فى الغناء فتأتى بلحون مطابقات المعانى
فاذا أنشدت عن الوصل أبدت فيه لحن السرور والجذلان
وإذا أنشدت عن الهجر جاءت بلحون تدعو إلى الأحزان
كم سقتنا كأس السرور بلحن وبلحن كأسا من الأشجان
تفهم الروح منطق الحب مما تتغنى به بلا ترجمـان
فكأن الأنغام فى الصوت منها ناطقات لنـا بغير لسان
قد سمعنا غناءها فعرفنا كيف فعل الغناء فى الانسان
حسن صوت يزينه حسن لحن فيه للسامعين حسن بيان
نبرات فى صوتها مشجيات تترك السامعين فى هيجان
تسترق القلوب منا بصوت نعبد الحسن منـه بالآذان
كل لحن إذا سمعناه منها دب فينا دبيب بنت الحان

في وقار الحليم تجعلنا طورا　　وطورا في خفة النشوان
نتفانى في الاستماع إليها　　ونرى لذة لنا في التفانى



أمير الشعر الرصافي مع أميرة الغناء أم كلثوم

وترانا نهتز حين تغنى　　فكأنا في حالة الطيران
وكأن الأرواح — إذ تتعالى　　طربا — جردت من الأبدان
هى فى مرتقى الأغاريد تعلو　　حين تشدو ونحن فى خطران
يشعر المرء حين يصغى اليها　　بغرام من صوتها روحانى
بنت فن غنت لنا فسقتنا　　من فنون الغناء بنت دنان
هكذا فلتكن يد الفن عليا　　هكذا فلتكن على الفنان

أيتها الكعاب

فتنتِ الملائك قبلَ البَشَرْ وهامتْ بك الشمسُ قبلَ القمرْ
وسُرَّ بكِ السمعُ قبل البصر وغنّى بكِ الشعر قبل الوتر
فأنت بحسنكِ بنت العِبَرْ

ترِفُّ لِمرْآكِ رُوحُ الغرامْ ويَهْوَى طلوعَك بدرُ التّمامْ
ليطلع مثلك بالاحتشامْ ويرْقُبَ خَطْرَةَ هذا القَوامْ
لكيما يَهُبُّ نسيم السحرْ

تميلُ بقدِّك خمْرُ الدَّلالْ فيضحكُ في مَيْله الاعتدال
وفيك ارتقى الحسنُ عرشَ الجلال ومنه العقولُ غدت في عِقال[1]
وكم قد نهاها وكم أمَر

إذا الوجه منك بدا للعيانْ له سَجَد العشقُ يرجو الأمان
ويخجل من نُوره النَّيِّران ويعْنو له جبروت الزمان[2]
ويخضع حتى القضا والقدر

بك الحُسْن أُلبس ثوبَ الكمالْ فأنتِ الحقيقة وهو الخيال
وأنت مَليكة ملك الجمال ولو صوّروك بلَوْح المِثال
لكنتِ مليكةَ كلِّ الصور

يروح الشتاء وتَصْحو السما ويأتى الربيع بما نَمْنَما[3]
فيطلعُ فوق الثرى أنْجُما ويبتسم الزَّهر بعد الظَّما
فأنتِ ابتسامة ذاك الزَّهَر

---

(١) العقال : القيد .
(٢) يعنو : يخضع .
(٣) نمنم : زخرف .

فطَرْفك بالفَتْر كم قد رَوى نشيدَ غـرامٍ يَهُدّ القوَى [1]
وما أنت شاعرة فى الهوى ولـكنما الشعر فيك انطوى
فآية حسنك إحدى الـكُبَر

لسانكِ يَسحَرُ فى ظَرْفِه وجفنـكِ يَفْـتِن فى ضعفه
وقدُّكِ يَخْطِر فى لطفـــه فيُطنب رِدْفك فى وصفه
ويوجزه خَصْرُكِ المُخْتَصَرْ

سقتكِ الـكِعابةُ صَفْوَ الشبابْ وغَطَّى مُحيَّاكِ منهـا نِقاب [2]
فأنت إذا قمت للإنسياب تبخترت فى خَفَرٍ والـكَعاب [3]
تضىء كِعابتها بالخَفَر [4]

وقال يهجو بعض المرائين من المشايخ

سوَّد الله منك يا شيخ وجها غَشَّ حتى باللحيةِ السوداء
لو نَتَفْنا من شَعرها وغزَلْنا لنسجنـا خمسين ثوبَ رياء

جاهل متكبر

وشامخ الأنف ما ينفكّ مُـكتسبا ثوب التـكبُّر فى بُحْبُوحة النادى
قد لازم الصمتَ عِيًّا فى مجالسه كأنما هو من نُوَّاب بغداد

الطفل الملتحى

معارفُ بغـدادَ قد جاءها مديرٌ من الطيش فى مسرحِ
حمار ولـكنه ناطـــق وطفل ولـكنه مُلْتحى
فيأيها العلم عنهـا ارتحلْ ويأيهـا الجهل فيها اسْلَحِ [5]

---

(١) الفتر : السكون والضعف . (٢) ، (٣) الـكعابة : بروز ثدى الفتاة .
(٤) الخفر : الحياء . (٥) سلح : تغوط وتبرز .

فاسق مراء

أو جاهل يدعى العلم

أيوسفُ ما إن أنت من فَحْلِ هَجْمَةٍ ... ولكن من الشَّوْلِ الطَّوَالب للفحل (١)

لئن كنت تُنْمَى للعطاء فإنه ... عطاء الذى تزكو الورى فيه بالبخل

وإن كنت قد كفَّرتنى بجهالة ... فبالبهْت كم كفَّرت من مسلم قبلى (٢)

وإنك فى تكفيرك الناسَ كافر ... تهاونُ بالله الذى جلّ عن مثلى

رُوَيْدَك قد كفّرت يا وغدُ مؤمنا ... وكذّبت فيما تدعى سيد الرُّسْل

وأنت امرؤٌ لم تجهل العلمَ وحده ... بل الجهل أيضاً بل وجهلك بالجهل

وأنتَ من الإسلام فى كل حالة ... بمنزلة الظّلم الصَّريح من العدل

نطقتَ ببُطْل القول تهذى مُخَرِّقاً ... ومثلكَ من يهذى وينطق بالبُطل (٣)

ألستَ الذى أعطى اللئامَ كرامةً ... وكثّر فيه الأصلُ عن أربع عُصْل (٤)

وكم قَرْطَسَتْ فيك الرماةُ ووُتِّرَت ... عليك القسيُّ المُلْسُ ياجعبة النَّبْل (٥)

فياعِلْج أقْصِرْ عن نَهِيقك إنه ... أضلَّ كإضلال الحُوار من العجل (٦)

أُنَزِّه عنك السيفَ فى قتلك الذى ... تحتّم لكن يامخنَّث بالنَّعل

الأرض

كأنى بهذى الأرض قد حان حَيْنُها ... فطاحت بأبْعاد الفضاء شظايا (٧)

ونادت بأصوات الفَناء فِجَاجُها ... وناحت على أطْوَادِها هَملايا (٨)

---

(١) الهجمة : ما بين الأربعين أو السبعين إلى المئة من الإبل ، والشول : النوق التى رفعت أذيالها طلبا للفحل .

(٢) البهت : الكذب والافتراء . (٣) مخرق : كذب .

(٤) العصل : الأنياب الصلبة المعوجة . (٥) قرطس : أصاب الهدف .

(٦) العلج : الرجل الضخم القوى من كفار العجم .

(٧) الحين : الهلاك .

(٨) الفجاج : جمع فج : وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين ، والأطواد : جمع طود وهو الجبل العظيم . وهملايا ، ويقال هملايا : أعلى جبال الدنيا ، فى الشمال من الهند .

أيها المشنوق

وقال فيمن شنق في الآستانة من أول الثورة الرجعية ، التي حدثت في ١٣ مارث سنة ١٣٢٥ :

يا ساكتا وهو مشنوق على عمد ... لأنت أبلغ من نادى ومن خطبا

كم فيك يأيها المصلوب من عبر ... للناس حيرن من أملى ومن كتبا

إذ قمت تطلب شيئا أنت جاهله ... طوعا لمن خان أو سمعا لمن كذبا

طالبت بالشرع حتى قد قتلت به ... كذاك من جهل الشيء الذي طلبا

ولو أجبت إلى ما أنت طالبه ... لأصبح الشرع يدعو الويل والحربا (١)

ياظالم الشعب مظلوما بفعلته ... عليك أم منك يبكي الشعب منتحبا

قد قمت للشر لا للشرع منتصبا ... حتى علوت به في الجو منتصبا

فاشكر علوك إذ يعلو به وطن ... قد كدت توردهُ من فعلك العطبا

يا مفسدا قام تحت الدين مستترا ... ليجعل الأمر في البلدان مضطربا

أنظر إلى ذلك المصلوب متعظا ... فإنما قتله في الشرع قد وجبا

وآية الله في التنزيل قائلة ... من كان يفسد في أوطانه صلبا

بين اليأس والرجاء

ترى مقلتي ما ليس تملكه يدي ... ومازلت أسعى منفض الكف محرجا

أرى باب رزقي من بعيد مفتحا ... فآتيه ولاجا فألفيه مرتجا

وأيأس أحيانا وأرجو فلم أكن ... لأملك من شيء سوى اليأس والرجا

---

(١) الحرب ، بفتح الراء : الهلاك والويل .

جواب عن كتاب

قسمًا بالإله عزّ وجلا إن قلبي عن حبكم ما تخلّى
لاولا عن هواك لي من سلوّ طردت مهجتي السلوّ فولّى
أنكر العاذلون ثابت حبي وكفى شاهداً بدمعي عدلا
ما عسى أن يضر إنكارُ شيء وهو كالشمس في العيان تجلّى
عذلوني فما سمعتُ فقالوا : أنت سالٍ عن حبِّهم ؟ قلت : كلا
كيف يسلو عن حبكم ذو فؤاد قد تلاشي في حبكم واضمحلا
لم يزل في الوداد يرقب قلبي ذمةً فيكم وعهداً وإلّا[1]
أيها الممتطي متون المعالي فائزاً من قداحها بالمعلّى[2]
نسماتٌ من المسرّة هبّت وهلال من السعادة هلّا
يوم وافى إليّ منك كتابٌ فيه آياتُ فضلك الجمّ تُتلى
قيل لي : هاك ما يزيدك شوقاً قلت : أهلًا بما أتيت وسهلا
قال : نلت المنى، فقلتُ : جميعاً قال : لولا فراقهم : قلت : لولا

الغنى عن النفس

لا تشكُ للناس يومًا عُسْرةَ الحال وإن أدامتك في همٍّ وبلبال
وجانب اليأسَ واسلكْ للرجا طُرُقاً فالدهر ما بين إدبارٍ وإقبال
واركبْ على صهوات الجد مغتربًا فيما تحاول ذا حلٍّ وترحال
واطلُب على عِزِّه بيضَ الأنوقِ ولا
تطلب لعَمرُك أن تحظى بمفضال
لم يبق غيرُ الذى غُلَّت أنامله إما بأغلال شُحٍّ أو بإقلال

---

(١) الإل : العهد .
(٢) المتون جمع متن ، وهو الظهر .

كم قد غدوتُ على الأيام منتدباً ... قوماً أضعت بهم شعرى وآمالى
أفعالهم دون أن يُغرى الرجاء بها ... لكنَّ أقوالهم أقوال أقيال [1]
من كل هىٍّ بن بىٍّ لاثباتَ له ... جعْد اليدين قَئُولٍ غير مفْعَال [2]
كم بات ذو الحمق خِلْوا فى مضاجعه ... و بات ذو العقل فيها كاسف البال
هذا يَميس بأبراد مُفَوَّفة ... وذا يخيط شظايا طمره البالى [3]

وقال

شوقى إليك قريبٌ لا ينائينى ... والصبرُ عنك بعيد لايُدانينى
يا راحلاً وفؤادى فى حقيبته ... رَهْنا لديه ولكن غير مضمون
تركْتَنى فى شجونى للورى مثلاً ... يُميتنى الوجد والأشواق تُحيينى
أقفُوا الملاحَ لكى أسلو هواكِ بهم ... فيرجعُ الحُسْن منهم فيكِ يُغرينى [4]

شكر على صنيع

شكراً لفضلٍ مُمَجَّدٍ ... أهدِى إليه نظيم شعرى
فاق الأماجد وامتطى ... بالعز صهْوَة كلِّ فخر
إنى اختبرتُ بنى الزما ... ن جميعَهم فى كل أمر
وسَبَرْتُ غَوْرَهم لدى الـ ... ـحالَيْن من عسْر ويسر
وبكفِّ تجربتى لهم ... قلّبتهم بطْنا لظهر
فوَحقِّ من أرجوه فى ... دَفْع الخطوب وكل ضُر
ما إنْ رأيت بهم فتى ... حسن السريرة مثلَ (شكرى)
المرتقى فى المكْرُما ... ت إلى المَقام المُشْمَخِر

---

(١) الأقيال : جمع قيل ، وهو لقب للملك الصغير دون الملك الأعظم فى بلاد اليمن .
(٢) رجل هى بن بى : أى مجهول لا يعرف هو ولا أبوه .
(٣) ماس : مشى فى اختيال . مفوفة منقوشة بنقوش بيض . الطمر : الثوب البالى .
(٤) أقفو : أتتبع .

يرعى الذمار على كلا الـــــحالين من سر وجهر
يا ذا الإخاء المستقـــــر وذا الوفاء المستمر
جاء الكتاب إلىّ منـــــك به شفيتُ غليلَ صدرى
فإليك يا (شكرى) على هذا الصنيع عظيمَ شكرى

وقال

لمن الديارُ يلحْن فى الصَّحْصَحِ لَعِبَتْ بهنَّ رَوامِسُ الأَرْواحِ (١)
عَبِثت بها أيدى البلى فتركتها فى العين أخفى من دَرِيس نِصاح (٢)
ولقد وَقفتُ بها المطىّ مُسائلًا شجراتِ وَادِيها وهن ضَوَاح (٣)
أقْتافُ آثاراً لهن دوارساً كانت إليها غُدْوتى ورَواحى (٤)
لما تبينتُ المعالَمَ هُمَّداً هَطَلَتْ مَدامع طرفىَ السفاح
فسقاك مُرتكِزُ الغمائم صَوْبَه غَدَقاً بكل عَشيَّةٍ وصباح (٥)
حىِّ الديار وإنْ تحمل أهلُها عنها وأمست موحشاتٍ بطاح
عَهْدى بها والعيشُ أخضر ناعم والشَّملُ تجمعه يدُ الأفراح
مَغْنًى أنيقاً للحسان وروضة نبتت بكلِّ روضةٌ وأقاحى
كم قد لثمت بها المراشفَ آخذاً بهضيم خَصْرٍ جال تحت وِشاح
ولكم لهَوْتُ من الحسان بغادة لَمياءَ ترْشِفُنى شَمُول الراح (٦)
هل عائدٌ زمنٌ أتيت مع المها ما شئتُ من لعب به ومزاح
قد بت فيه ضجيع كل غريرةٍ رُؤْدِ الشبابِ من الخرادِ رَدَاح (٧)
أيامَ تحَضِرُنى بمِضمارِ الصبا فَرَسُ الشَّبيبةِ وهى ذات جِماح

---

(١) الصحصاح : المستوى الأجرد من الأرض . والروامس . التى تأتى بالتراب فتدفن فيه ما تقابله والأرواح : الرياح .

(٢) الدريس : البالى . والنصاح : ما يخاط به الثوب من خيط ونحوه .

(٣) الضواحى : البارزات للشمس . (٤) أقتاف : أتتبع .

(٥) المرتكز : المقيم الثابت . والصوب : المطر . والغدق : الكثير .

(٦) اللمياء : السوداء الشفة ، وهى محببة لدى العرب . ترشفنى : تسقينى . والشمول : الباردة .

(٧) الغريرة : غير المجربة . والرؤد : الشابة الحسنة . والخراد : الأبكار . والرداح : التامة الخلق .

ومنها فى وصف بعضهم :

رَكَضُوا بميدان التّحاسُدِ خيلهم ... وَسَبَوا من الأَعْرَاضِ غيرَ مُبَاح
لبسوا النفاقَ لهم دُروعاً واغتدَوْا ... يتطاعنُون من الخَنَا برماح
أَضْحَوا كُمَاةَ وشَايَةٍ وسِعاية ... ومن الضَّغائن هم شُكَاةُ سلاح[1]
كالجاهلية غيرَ أنّ مُغارَهم ... فى نَهبِ كل خَطيئةٍ وجُنَاح[2]
إصلاحُهم أَعْيَا العقولَ لأنهم ... خُلِقَتْ مفاسدُهم لغير صَلاح
من كل مرتكب الشَّنيعِ ولم يكد ... يَثْنيه عنه إذا لَحاه اللاحى
أَهْدَى بطُرْق المُخْزيات من القطَا ... وأَضلُّ ممن آمنوا بسَجَاح[3]

ليالى الأنس

ذكرتُ ولستُ فى الذكرى بناسِ ... ليالى بِتُّهُنَّ بمَيس حاس
بنَادٍ تَزْدَهيك به انتظاماً ... مقابلةُ الأسرَّة بالكراسى
به اجتمعتْ غَطَارفةٌ كِرَامٌ ... أَبَوا شِيمَ التَّخالفِ والشِّماس[4]
يطُوف عليهمُ رَشَأٌ رَخيم ... يُغازل مُقْلتَيْه فَمُ النُّعاس[5]
براحٍ فيك تبتعثُ ارتياحاً ... وتَنسف طَوْدَ هَمِّك وهو راسي
يَشِبُّ لمزجها بالماء وَقْدٌ ... تكاد تَهُمُّ منه إلى اقتباس
تُميت همومَ شاربها سرورا ... فتدفِنُهن فى حُفَر التناسى

(١) الكماة : جمع كمى ، وهو البطل الشجاع يلبس الدروع ، والشكاة بضم الشين : جمع شاك ، أى شاكى السلاح ، وهو من الشوكة والحدة .
(٢) المغارة : الاغارة ، والجناح : الاثم .
(٣) القطا : نوع من الطير اشتهر عند العرب بمعرفته الطريق ، وسجاح : هى ممن تنبئوا كذبا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٤) الغطارفة : جمع غطريف ، وهو السيد الكريم ، والشماس : المخالفة والعناد .
(٥) الرشأ : ولد الظبى ، والرخيم : الرقيق .

وصاحٍ وَجَّه الندماء كأساً إليه فقال : لست لها بحاس
وغالى فى الإباء فمارَسُوه فلانَ أبيُّه بعد المِراس
فقال وقد مشتْ فيه ودَبَّتْ دبيبَ الماء فى وَرَق الغِراس[1]
لَعَمْرُكَ إن فى الصَّهْبَاء معنًى دقيقاً ليس يُعْرَف بالقياس

الشمس

كأن الشمسَ باخرةٌ مَخُور تُجِد السير فى بحر الفضاء
ستغرق بعد حين باصطدام يمزق جرمها أو بانطفاء[2]

رئيس الدائنية

الشيخ محمد أبو عبعوب الدائنى

الدهرُ بيَّنَ فى كتابِ شهادةٍ بالنورِ فوق جبينه مكتوبِ
إن السماحةَ والشجاعة والعُلَى جُمعتْ لَعَمْرِى فى أبى عبعوب
شهمٌ تَوَلَّع بالعطاء بنانُه مثلُ الرياح تولّعت بهبوب
أسدٌ نَمَتْه لآل قيس فى العُلَى آباءُ مجدٍ ليس بالمكذوب
ورث المكارم عن أبيه ولم يَزَلْ يسمو بصارمِ عَزْمة المَرْهُوب
ما زال يُوقد كلَّ يوم فى الورى نارَيْنِ نارَ قِرًى ونار حروب[3]
يَهْدِى جموعَ المُدْلجين لسَيْبه فى الليل ضوءُ لهيبها المَشْبُوب[4]
خُلقت من الحسب الصميم أَكُفُّه لعنان سابقةٍ وكشف كروب
حَمِدت وقائعَه السيوفُ بكفه والخيلُ كل مُطَهَّم يَعْبوب[5]

(١) الغراس : النبات مغروسا فى الأرض . (٢) الجرم : الجسم .
(٣) القرى : ما يقدم للضيف . (٤) المدلج : السائر الليل كله أو آخره .
(٥) المطهم : التام الحسن ، اليعبوب : الفرس السريع الطويل .

إنْ شنَّ فوق ظهورهن إغارة ... ترك العدوَّ بلوْعة المَحْزوب [1]
يلقى الفوارسَ والسكينةُ دِرْعُه ... ويخوض غَمْر الموت غير هَيُوب
فخرُ الكِرام على المكارم والندَى ... قامت دعائمُ بيتِه المضروب
للجُود مغلوباً تراه ولم يكن ... للجيش فى الغزوات بالمغلوب
يتفقد الأضياف ملءَ دياره ... عند الصباح وعند كل غروب
كالعبد يخضع للضيوف وإنه ... فى القوم أكبرُ سيِّد مَعْصوب [2]
عَمَّ الأراملَ واليتامى سَيْبُهُ ... فغدت تعيش بماله الموهوب
خُلِقَ الكريمُ ابن الكرام محمدٌ ... لسرور محزونٍ وجَبْر قلوب
تالله لو كان الكرام بلاغة ... كان الكريمَ المُعْجزَ الأسلوب

راقم

وما أدراك ما راقم

أقِمْ فى الأرض صَرْحاً من ضياءٍ ... بحيث يَمَسّ كرسىَّ السماءِ [3]
وبعدُ فجَسِّم العرفانَ شخصاً ... تردَّى المجدَ فضفاض الرِّداء
وفى يُسْراه ضَعْ لَوح المعالى ... وفى يُمْناه ضَعْ قلم الذكاء
وأجْلِسْه على الكرسىِّ يمحُو ... ويُثْبت ما يشاء من العلاء
وقفْ وارْفع إليه الطَّرْفَ وانظُرْ ... فذلك راقمٌ ربُّ الدهاء

٭ ٭ ٭

ألا يا كعبةَ الفضلاء يا من ... فضائله عَظُمْن بلا انتهاء
أهِمّ بأن أُحيط بهن وصفا ... ومن لى بالإحاطة بالفضاء
وأُقْدِم أن أُتِمَّ علاك مدحاً ... فيرجعنى علاك إلى الوراء

---

(١) المحروب : المصاب بالشدة . (٢) معصوب : متوج .

(٣) الصرح : البناء العالى .

ومهْ دَقَّ الثناءُ عليك مَتْنٍ ... لأنك فوق تَوْفية الثناء
وما اتَّقَدت ذُكاءُ بما يُدانى ... ذكاءَك يا إمامَ الأذكياء[1]
ولو كانت أشعتها تحاكى ... شعاعَك ما انكسرن من الهواء
بفكرك دَوْحَةُ العرفان تنمو ... كذا الأدْواح تنمو بالضياء[2]
وأقسم لو تكون من الدّراري ... لكنتَ الشمسَ فى كبِد السماء
ولولا الصبحُ يَطلُع كلَّ يوم ... لقلت الصبح أنت بلا مِراء

نقش على الماء

أرى عيشنا تأبى المنونُ امتدادَه ... كأنا على كِيس المنُون نعيش
وما زال وجه الأرض يوسعه الرّدَى ... لِطاماً وهاتيك القبور خُدوش
كأن انقلاب الأرض ماء كأننا ... على الماء من ريح الحياة نقوش
لحا الله دنيا كلَّ يوم بأهلها ... تُهَدّ حصونٌ أو تُثَلّ عروش
تروحُ سهام العيش فيها طوائشا ... وللموت سهم لايكاد يَطيش
نَمُدّ إلى قَطْف المُنَى وهى جَمّة ... من العُمْر كفًّا لا تكاد تَنُوش[3]
ونرجو ومن سيف الردى فى رجائنا ... جراحاتُ يأسٍ ما لهن أُرُوش[4]
وأجمِلْ بوجه العيش لولم يكن به ... حَفَائيك من ظُفْر الخطوب خُموش
دَهانا لرامى الموت سهمٌ مقرطَس ... نَجيف بأدواء الحياة مَريش[5]

(١) ذكاء : الشمس .

(٢) الدوحة : الشجرة العظيمة .

(٣) تنوش : تمتد .

(٤) الأروش ، جمع أرش : دية الجراحة

(٥) المقرطس : المسدد للهدف ، النجيف : السهم العريض النصل ، المريش ذو الريش .

لَعَمْرُكَ إن الدهر تَغْلِى خطوبُه   وإن عَويل الصَّارخين نَشِيش[١]

وما الدهرُ إلا للخلائق منْضَج   له مِرْجَل بالحادثات يَجيش

كأن جيوش الموت رافقةٌ بنا   فتزحف منا للحروب جيوش

ومَن نَظَر الدنيا بعين اعتباره   تساوتْ مُهودٌ عنده ونُعوش

هوة الموت

كأن حياتنا جبــلٌ مُطِلٌّ   على مَهْوَاته وهى المَمَاتُ[٢]

مشَيْنا فوقه عُميـا فظلَّت   تَهَاوَى نحو هُوَّته المشـاة

كأن فضاءَ هذا الكون بَحْرٌ   تَمَوَّجُ فيه هذى الكائنات

ونحن لدى تَمَوُّجِها كأنَّا   فواقعُ ظاهراتٌ خافِيـات[٣]

تَبَـيَّنُ تارةً وتَغِيبُ أخرى   فشَأْناها التَّفَرُّق والشَّـتات

وقال

رقَّتْ بوصفِ جَمالكِ الأقْوال   ورأَتْكِ فافْتَتَنتْ بكِ العذَّالُ

وهبَ الإله بكِ الجمالَ تجمُّلًا   حتى كأنكِ للجمالِ جَمَـال

كلّ العيون إذا برزتِ شواخصٌ   كَيْما تراكِ وغَضُّهن محال[٤]

وإذا الخَلِىّ رآكِ عاد بمهجةٍ   للوَجْد مخترَقٌ بها ومَجَالُ

كم قد سَفَرْتِ فى القلوب تَوَلُّهٌ   لمّا رَأَوْكِ وفى العقول خبال

فرَموكِ بالأبصار وهى كَليلَةٌ   من نُور وجهكِ نورهنّ مُذال[٥]

رَبطوا الأكُفّ على ضلوع تحتها   بين النواظر والقلوب جِدال

لو كنتِ فى أيام يوسف لم تكن   بجمالِ يوسفُ تُضربِ الأمثال

---

(١) النشيش : صوت الماء وغيره إذا غلى .

(٢) المهوى : موضع الهوى ، أى السقوط .

(٣) والفواقع : الفقاقيع .

(٤) شواخص : ناظرات .

(٥) الكليلة : المتعبة ، ومذال : مهان .

وتقطّعت دون الأكف قلوبها ... شوقاً إليكِ مع النساء رجال
كم قد يجور على جفونكِ سقمُها ... كسراً وتجهد خصركِ الأكفال
عجباً لطرفكِ وهو أضعف ما أرى ... يرنو فترهب فتكه الأبطال

وقال

قامتْ تميسُ بأعطافٍ وأوراكِ ... رقصاً على نغماتِ المقولِ الحاكى
حوراءُ جاءت وكلٌّ فى مسرّته ... لاهٍ وراحتْ وكلٌّ طرفُه باك
شكوت من خصرها ضعفا وقلت لها
مليكةَ الحسْن هل عطفٌ على الشاكى
فاستضحكتْ وهى تجنى الورد قائلةً
ما أحسنَ الوردَ قلت : الوردُ خدّاك
وقلت:أهوى فقالت بالدلال:ومن ... تهوى ؟ فقلت لها : إيّاك إيّاك
واستحلفتْنى على قلبى فقلت لها : ... يهواك ، إى وجلال الحُسْن يهواك
سحرٌ بعينيكِ يستهوى القلوبَ وما ... ينفكُّ فى هتك عُبّادٍ ونُسّاك
يا ربّةَ الحُسْنِ هلّا تعطفين على ... من بات سهران مشغولا بذكراك
ما أطيبَ العيشَ فى الدنيا لو اتّصلت ... أسبابُ دنيايَ مع أسباب دنياك
الحسن يفتنُ والألحاظ فاتكة ... واحيْرتى بين فتّان وفتّاك
تهفو بقلبىَ أشواقى فأمسكه ... لمّا أراك وهل يشفيه إمساكى
إنى وعندى بكنْهِ الحسن معرفة ... ماراقنى قطُّ من شيءٍ كمرآك
أمسى غرامُك يجرى فى عروق دمى ... كالكهرباء التى تجرى بأسلاك

المكتب

تصوّرْ حدائقَ فى بهجة ... تَرُوق وفى نَضْرة تعجبُ
ترقرقُ فيها مياهُ العلومِ ... جداولَ تجْرى ولا تَنْضُبُ
وهبَّ عليها نسيمُ الفنون ... يَرُوح ويغدو بها يلعب
فأضحتْ وأرض كمالاتها ... بنَبْتِ الحقائق تَعْشَوْشِبُ(١)
وأمستْ وإن ثمارَ العلاء ... لأشجارِ عرفانها تُنْسب
وطار الفَخارُ بأرجائها ... بلابلَ تغريدُها مُطرب
فللمجْدِ وجهٌ طليقٌ بها ... وللسعدِ ثغْرٌ بها أشْنَب
غذاءُ النفوس وطِبُّ العقول ... وحفْظُ الجُسوم بها يُطْلب
فتلك إذا ما تصورتَها ... جَليًّا لَعمرِى هى المكتب

أقبلت فى غلائل

سيوفُ لحاظٍ أم قِسِيٌّ حَواجبِ ... تَرِيشُ إلى قلبى سِهامَ المعَاطِبِ(٢)
ورُبَّ كَعابٍ أقبلت فى غلائل ... وقد لاح لى منها حُلِيُّ التّرائب(٣)
لها جيدُ ظبى واعتدالُ وَشِيجة ... وعين مَهاةٍ وائتلاقُ الكواكب(٤)
ولا عيبَ فيها غيرَ أن أولِى الهوى ... يُنادونها فى الحسن بنتَ العجائب
نَضَتْ عن مُحيّاها النِّقابَ عَشيَّةً ... فأسْفَرَ صبحُ الحُسْنِ من كل جانبِ
ومذ نشرتْ سودَ الذوائب أوْلَجتْ ... نهارَ مُحيّاها بلَيْلِ الذوائب
تناسبَ فيها الحسن حتى رأيتُها ... تفوق الدُّمَى فى حسن ذاك التناسب

---

(١) تعشوشب : يكثر فيها العشب .
(٢) راش السهم : عمل له ريشا . والمعاطب : المهالك .
(٣) الترائب : وهى جمع تريبة ، أعلى الصدر حيث يوجد العقد .
(٤) الجيد : العنق ، والوشيجة : الرمح ، والمهاة : البقرة الوحشية .

مُفتَّرةِ الأجفان تَدْمي بلَحظها ... قلوبَ أُسُودٍ مدْميات الكتائب
فلم أنْسَها والله يوم تعرّضت ... لنا بين هانيك الظِّباء السَّوارب (١)
وما كنتُ أدرى ما الصبابةُ قبلها ... ولا هِمْتُ يوماً في الحسان الكواعب
فأصبحتُ فيها ذا غرام ولوْعة ... ووَجْد وتَهْيام وهَمٍّ مُواظِب
وما الصبرُ إلا غائبٌ غيرُ حاضر ... وما الشوق إلا حاضر غير غائب

كل امرىء وصديقه

تحرَ إذا صادقتَ مَنْ وُدّه مَحْضٌ ... يُصان لديه المالُ والدين والعرضُ
فكلُّ خليلٍ مُنبِىءٌ عن خليله ... كما عن شؤون القلب قد أنبأ النَّبْض
وبالصدق عاملْ مَن تُحبّ من الورى ... وإلّا فذاك الحب آخره بُغْض
وسامحْ صديقاً قد أساء بفعله ... ثلاثاً عسى عن ذلك الفعل يَنقَضّ
وبعدَ ثلاثٍ دَعْه غير مُسامِح ... فرَفْضُ الذى دامت إساءته فَرْض
وقوِّ أساسَ الود بالصدق فالذى ... على جُرُفٍ هَارٍ يُؤسس يَنْقَض (٢)
وإن وَمَضتْ للخلّ منك سحابةٌ ... فلا يَكُ منها خُلَّبا ذلك الوَمْض

النفس الأمارة

نهيتك عن هواكِ فما انتهيتِ ... ولكنْ قد فعلتِ كما اشتهيتِ
فيا نفسى عن الشهواتِ كُفّى ... فأنت عليك يا نفسى جنَيْتِ
وما أمارة بالسوء يوماً ... سعت فى المُنْكرات كما سعيتِ
إذا ما حَلْبةُ الحسنات جاءتْ ... رأيتُك أنت صاحبة السُّكَيْتِ (٤)
فإن أسدى الإله عليك عفوا ... وإلّا يا فَجارِ فقد هَوَيْتِ

(١) السوارب : جمع سارِبة ، أى الذاهبة فى المرعى .
(٢) الجرف : الجانب الذى أكله الماء من حاشية النهر ، الهارى : المنهار .
(٣) ومض البرق : لمع خفيفا ، والخلب : الخادع . (٤) السكيت : آخر خيل الحلبة .

الأنس فى غير موقعه كدر

وصاحبٍ قد دعانا أن نُلِمَّ به مستأنسين بضَرْب العود والوَتَر
فى ليلةٍ كان فيها الحرُّ مُتَّقِدا ترمى جَهَنَّمُه الأجسام بالشَّرَر
وكان ذلك فى دار يَضيق بها صدرُ الأغاريد من ضِيقٍ ومن صِغَر
كأنها مَفْحَصٌ تأوى القطاةُ له أو جُحْرُ ضَبٍّ بأرض صُلْبَة الحجر(١)
فما عَهِدت طَرُوبا قبل زَوْرَتِها تلقاه من نغَماتِ العُود فى ضَجَر
ومُطْرِبات الأغانى وهى واقعةٌ فى غير موقعِها ضربٌ من الكدر

وقال

إلى كم تَصُبُّ الدمعَ عَيْنى وتَسْكُبُ وحَتَّامَ نارُ البَيْنِ فى القلب تُلْهَبُ
أبيتُ ولى وَجْدٌ يُشَبُّ ضِرامُه ودمعٌ له فى عارِضَىَّ تَصَبُّب
وهل لِمَشُوقٍ خانه الصبرُ عنكم سوى دَمْعِه فهو الدواءُ المُجَرَّب
أَلَا إن يوما جرّد البَيْنُ سيفَه علىَّ به يومٌ شديد عَصَبْصَب(٢)
فياليتَ شِعْرى هل أفوز برؤيتى مُحَيًّا له كلُّ المحاسن تُنْسَب
وعينيكِ لاأسْلوكِ أو يُصْبِحَ السُّها وشمسُ الضحى فى ضَوْئِه تَتَحجَّب
فإنى كما شاء الهوى بكِ مُغْرَم وأنت كما شاء الجمال مُحَبَّب
أحِنُّ إلى رؤياكمُ كلما سَرَى نسيمٌ وأبكى كلما لاح كوكب
وأذكُرُكم للشمس عند طلوعِها ويَعْزُبُ عنى الصبر أيّانَ تغرُب
لقد بان صَبْرى يوم بَيْنِك إذ قضى به صَرْفُ دهرٍ لم يَزَلْ يتقلب
تَبَصَّرْ خليلى فى الزمان فهل تَرَى صفافيه من وَقْع الشوائب مَشْرَب
ومَنْ نَظَر الدنيا وجرب أهلها رأى الغَدْرَ من أشداقِها يَتَحَلَّب(٣)

(١) مفحص القطاة : بيتها ، والقطاة : نوع من الطيور يشبه الحمام .
(٢) عصبصب : شديد . (٣) يتحلب : يسيل .

البصرة

إياكَ والبصرةَ المُضني توطُّنُها فلا تمرَّنَّ فيها غيرَ مُظَّطعنِ (١)
لا تعجبنَّك بالأشجارِ خضرتُها حُسنًا فما هي إلا خضرةُ الدِّمَنِ (٢)
ما إن أقام صحيحٌ في مساكنها إلا وسافر عنه صحة البدنِ
ماءٌ زُعاقٌ وجوٌّ قاتم وهوًى نتن وشدّةُ حرٍّ غير مؤتمنِ (٣)
انظرْ تجدْ كلَّ أهليها كأنهم
من السَّقام استحقوا الدَّرْجَ في الكَفَنِ
صُفرِ الوجوه قد امتصت دماءَهم الـحمّى وقد حرمتهم لذة الوَسَنِ (٤)

ومنها في هجاء بعضهم :

يَلْقَى النزيلَ بوجه قُدَّ من حجرٍ لولا العُبوسةُ لم يُفرَق من الوثَنِ

ومنها :

أفيك ياغمْرُ يَلْقَى الشعرُ مأدله ياخيْبَة الشعر بل ياضيعة اللَّسَنِ (٥)
مالي أراك على الكرسيّ منتفخا إن كان فيك احتباسُ الريح فاحتقنِ

الحر في أغسطس

قد كاد بالحرِّ هذا اليومُ يَصْهَرُنا إذ قد بدَا فيه للرَّمْضاء تسعيرُ
كأنما الشمس جاعت فهي من سَغَبٍ تشوِي الجسوم لها والأرض تَنّور (٦)

---

(١) المظطعن : المسافر .
(٢) الدمن : جمع دمنة ، وهي المزبلة .
(٣) الزعاق : الماء المر لا يطاق شربه .
(٤) الوسن : النوم .
(٥) الأمل : الأمل ، واللسن الفصاحة .
(٦) السغب : الجوع .

البرد فى كانون

لله يومٌ جاء يَلْسعُ بَرْدُه فكأنّ ذرّاتِ الهواءِ عَقاربُ
لم تلْقَ شيئا فيــه ليس بجامدٍ إلا احتمالَ البرد فيه فذائب

معلقة

وقد قالها ارتجالا

انْظُرْ إلى تلك المُعَلَّقَةِ التى سترتْ ظلامَ الليلِ بالأضواءِ
قطعٌ من البلوْر مُحْدِقةٌ بها يَحْكين شكلَ أصابع الحسناء
فكأنها بدر تلألأَ فى الدُّجى وكأنهن كواكبُ الجَوْزاء
بل قد يُمثلها الخيالُ كأنها قمر أُحيط بهالةٍ بيضاء

وقال من قصيدة

قد يَطْفحُ اللؤمُ حتى إن صاحبهُ يَنْسَى الحياءَ فيغدُو يدّعِى الكرَما
إن الجَهالة إن كانت فذى بَصرٍ
رأى الضلالَ هُدًى واسْتَسْمَن الوَرَما
ما للغُواةِ ارعوا عن غَوايتهم إن لم يك السيفُ يعلو منهم القمما
كم من أراذلَ أطْغتْها سفَاهتُها حتى ادّعتْ وهى أذنابٌ لها الشَمما
إن عُدّت الوحش ما كانت ولا بقرا أو عُدّت الطيرُ ما كانت ولا رَخما

ومنها:

والناسُ كالناسِ فى خَلْق وبينهمُ
فى الخُلْق بوْن فذا أرضٌ وذاك سَما
مثلُ الجديد وما امتازت حقيقتُه والقَيْن يطبع منه السيفَ والجَلَما(1)

---

(1) القين: الحداد. والجلم: المقص.

وقال

يهجو بعضهم بقصيدة جاء مطلعها

اللؤمُ داءٌ فى النفوسِ عَيَاءُ ... لم يَشْفِ منه سوى الحِمامِ دَواءُ(1)

ومنها :

لو كان فى الدَّأْماء كلُّ عيوبه ... بل بَعْضُهن لأنْتَنَ الدأماء(2)

ولوَ أنّ فى كُرَةِ الهواء طباعه ... فسدتْ فمات بنَتْنها الأحياء

ألقتْ عليه يدُ الزمان مخازيا ... منها تلوح بوجهه الفَحْشاء

وجهٌ أقام الدهرُ فيه من الخَنا ... سِمَةً فعاد وليس فيه حَيَاء

يا ماشيا يَخْتال فى غلوائه ... «أَطْرِقْ كَرَى» ماهذه الخيلاء(3)

هَبْ غفلةَ الجهلاء عنك طويلة ... أفَلَيْسَ تعلم خِزْيَك العقلاء

وقال فى بعضهم

تجنَّبْ من سقيمِ الرأى قُرْبا ... ولا تغترَّ بالبَدَنِ الصحيحِ

ولا تَرْضَ الصديقَ لحُسْنِ خَلق ... إذا ما كان ذا خُلق قبيح

ومنها :

وذى سَفَهٍ أكَبَّ على المخازى ... وما قبِلَ النصيحةَ من نَصِيح

ترُوج المُخْزِياتُ لديه حتى ... تُباع إليه بالثمن الرَّبِيح

أطاف بغَيِّه وأباح شَتْمِى ... وكان الشتمُ أجْدَرَ بالمُبيح

وأغراه الضلالُ فكان منى ... كما كان اليهودُ من المسيح

ومنها :

فمُتْ فى نار غَيْظك مُسْتَشِيطا ... فلستَ من الهجاء بمستريح

سأضرِم فيك باللُّكَعُ الأهاجى ... كنيرانٍ تُشَبُّ تجاهَ ريح(4)

تجمَّعَتِ المخازى فيك حتى ... يُعَدُّ الهجوُ فيك من المديح

---

(1) داء عياء : لا يبرأ منه . والحمام : الموت . (2) الدأماء : البحر .

(3) الكرى : مرخم الكروان . وأطرق كرى : أى خفض من اختيالك وكبريائك أيها الكروان وهذا مثل يضرب لمن تسكبر وقد تواضع من هو أفضل منه . (4) اللكع : اللئيم .

فى المسرح

بدتْ فى مسرحٍ رَحْبِ البَلَاطِ ... بقُضْبانٍ مُشَبَّكَةٍ مُحَاطِ
فجالتْ من ضَفائرها بتاجٍ ... وماسَتْ غيرَ ضَافيةِ الرياط[1]
ولا أنسَى تَوَرُّدَ وَجْنَتَيْها ... وقد برزتْ تَمسيس على البساط
فقلنـا وهى تخطِر فى وَقارٍ ... مَليكُ الحُسْنِ يخطِر فى البلاط
وقد سجدتْ لمـا الأنظارُ لمـا ... أرَتنا الحُسن يرْفُلُ فى القَباطِى[2]
وكَبّرنا المُهَيْمِنَ حـين راحت ... تَصُول على الضَّيَاغِمِ بالسِّياط[3]
سقتْ أعصابَنا خَدَرًا وطارت ... مُرَفْرِفةً بأجنحة النشاط
مشتْ مشيَ الحمامةِ فوق سِلْكٍ ... تَهُولُ عليه أن تخطو الخَوَاطى
وبارتْ فوقه خفقانَ قلبى ... بحـالتى ارتفـاع وانحطاط
فَخِلْناها وقد خلبتْ نُهانا ... تُعَلِّمنا الجَوَازَ على الصراط

شكر ووداع

أعِرْنى لسانًا أيها الشعرُ للشُّكْرِ
وإن لم تُطِق شكْرا فلا كُنْتَ من شِعْرِ
وجِئْنى بنور الشمس والبدرِ كى أرَى
بمَعْناكَ نورَ الشمس يُشرق والبـدر
وحُمْ حول أزهارِ الرياض تَطيبًا ... بها مِثْلما حام الفراش على الزَّهر
وقُمْ فى مقام الشكر وانْشُرْ لواءَهُ ... برأس عَمُودٍ خُذْه من غُرَّة الفجر
فإن لبيروتٍ حقوقًا جليـلةً ... علىَّ فَنُبْ ياشعرُ عنىَ فى الشكر

---

(١) الرياط : جمع ريطة ، وهى الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجا واحدا .
(٢) القباطى : جمع قبطية بالضم ، وهى ثياب من الكتان ، منسوبة لقبط مصر .
(٣) المهيمن : المسيطر . والضياغم : جمع ضيغم ، وهو الأسد .

فإنى ببيروت أقمتُ لياليا ... ورَبِّكَ لم أحسب سواهن من عمرى

وقضَّيتُ أياما إذا ما ذكرتها ... غفرتُ الذنوبَ الماضياتِ من الدهر

لئن تاكُ فى بغدادَ يادهرُ مُذنبا ... علىَّ ففى بيروتَ كم لك من عذر

قرأتُ بها درسَ المكارمِ مُعجَبا ... بكلِّ كبير النفس ذى خُلُق حر

فكنتُ بها من باذخ العزِّ فى الذُّرا ... ومن سَرَوات القوم فى أنجُمٍ زُهر (١)

وَداعاً وداعاً أيها القوم إننى ... مُفارِقكم لاعن صُدودٍ ولاهجر

لئن أزِف التَّرحال عنكم فإن بى ... إليكم لأشواقا أحرَّ من الجمر

أوَدِّعكم والشوقُ بالصبر فاتكٌ ... كفتكِ الملوكِ المستبدين بالأمر

أحبُّكم قلبى اعترافا بفضلكم ... وأنكر فى يوم النوى حكمةَ الصبر

ولاغَرْوَ أن أكرمتُمُ الضيفَ شيمةً ... توارثتمُوها عن جدُود لكم غُرّ

ألستُم من العُرْب الألى طار صيتُهم ... إلى حيث يبقى تحته طائر النسر

أعاريبُ نهّاضُون فى طلب العُلَى ... غطاريفُ سبَّاقون فى حَلْبة الفخر

سأذكركم ذكر المحبِّ حبيبَه ... وأشكركم شكر الجدوب إلى القَطر (٢)

فلا تحرِمونى من رضاكم فإننى ... إليكم إليكم ما حييتُ لذو فقر

إلى إيناس الوزير

إيناسُ إن مزاياك التى عَظُمت ... صارت بها تُضرب الأمثال فى الناس

إخالُ بيتىَ لما جئتَ زائرهُ ... كأن وجهك فيه نُور نبراس

آنستنى بخصال فيك طيبة ... بحسنها أنعشت فكرى وإحساسى

كم أوحشتنى الليالى فى تصرفها ... فزال إيحاشها عنى « بإيناس »

أدامك الله يا إيناسُ تذكرة ... لوالد فات فضلا كل مقياس

قد كان يأسو جروحًا فىّ دامية ... واليوم عندى جروح ما لها آس

---

(١) سروات القوم : سادتهم . (٢) الجدوب : جمع جدب ، أى الأرض الماحلة . والقطر : المطر

فى مأدبة آل لطف الله

مما أنشد ارتجالا فى المآدب التى أقيمت للوفد العراقى بمصر سنة ١٩٣٦ :

فى آل لُطْف الله لُطْفٌ ساحرٌ فى الُخلق والأنظار والأفواهِ
لله [illegible]م لرفعة قدرهم فلذا تسمّوا آل لطف اللهِ

فى مأدبة عبد الرحمن عزام بحلوان

المجد والفضل منشوران فى علمٍ على بيوت بناها آل عَزّامِ
لما حللنا ضيوفاً فى مَرابعهم نلنا بها كل إعزاز وإكرام
فسوف نشكرهم شكرا نخطّ به لمجدهم سطر إجلال وإعظام

فى مأدبة حافظ عفيفى باشا

إن العفيفىَّ حافظْ على العَلاء محافظْ
لسانه وهو طَلْقٌ للدرّ فى القول لافظْ
وطرفُهُ للمعالى مَدَى الحياة ملاحظْ
له شمائل غُرٌّ بها تزول الحفائظْ
بها تُنال المعالى بها تطيب المواعظْ

فى مأدبة نظلة الحكيم

نحن ضيوفٌ لذات مجدٍ مُؤَثَّل خالص صميمِ
لها طباع مهذّباتٌ أرقّ من خطرة النسيمِ
والحسن فى خُلْقِها المُعلَّى كالحسن فى وجهها الوسيم

إلى أبى ماجد المنديل

فى معرض الشكر والوداع

أبا ماجدٍ إنى عهدتك مبصرًا　　سرائرَ دهر أعجزت كل مبصرِ

إذا خفِيَتْ يوما عليك حقيقة　　نظرت إليها من ذكاء بمِجْهر

و إن ليلة الخطْب ادلهمتْ كشفتها　　بأوضاح صبح من فعالك مُسفِر

وتلك مزايا فيك أعلمتِ الورى　　بأن بنى المِنديل أكرم معشر

فهل خفِيَتْ حالى عليك وقد بدا　　« على غير شكوى » أنها حال مُقْتر

أتيتك من بغدادَ لم أدر ما الذى　　أتى بىَ إلّا أننى فى تحَيُّر

وأحمل فى جنبىَّ نفسا غنيــة　　و إن شَقِيت منى بجثمان مُعْسِر

ولو كنتُ فى بغدادَ أرضَى بذلةٍ　　لما جئت إلا ساحبا فضل مِئْزر

ولـكننى قد عِفْت أن أرد الغِنى　　ونفسىَ فى قيد من الذل مُفْقِر

وما عدل السعدونُ بى عن وفائه　　ولـكن جرى مجرى القضاء المقدَّر

و إن حديثى عنك غيرُ مرجَّمٍ　　و إن مقــالى فيك غير مزوَّر

ولو أننى بِعت الثنــاءَ بنائل　　لما رضيت نفسى بغيرك مشترى

سأرحلُ عن ديوانك اليومَ أو غدا　　بعزمة لا وانٍ ولا متقهقرِ

أودع منك اليوم حــرا و إنما　　أسافر عن مغناك غير مُخَيَّر

وسوف ترى منى لفضلك شاكرا　　و إن كنت أعيا عن تمام التشكر

وأكتب للتاريخ ما أنا كاتب　　ليجعله أُحدوثةً كلُّ مخبر

الكرخي ومن كذب في منعاه

أعَبُّودُ إنك ذو فطنةٍ   تعيش بها عيش حر سعيدْ
قريحــــةُ شعرك فيّاضة   لها في الأناشيد مَرمًى بعيدْ
أتيت من الشعر بالمضحكاتِ   وبالمبكيات التي لا تبيدْ
فأعربتَ للناس عن قدرة   لها قد عنا كل خصم عنيدْ
تقدمتَ فيها على السابقينَ   فمن ذا زُهيرٌ ومن ذا لبيدْ
فكم لك في المدح أنشودة   مدحت بها كل شهمٍ مجيدْ
وكم لك في الهجو أعجوبة   صفعتَ بها كل غاوٍ بليدْ
يباهي بك الكرخُ أبناءهُ   ويُثني عليك بما لامزيدْ
ولكنّ حسادك الخاسرينَ   يَبيتون منك بغيظ شديدْ
أشاعوا نعيّك من غيظهم   يريدون للشعرِ ما لا يريدْ
ولما تبين إخفاقهمْ   لدى الناس عادوا بغيظ جديدْ
فعش وادعاً رغمَ آنافهم   بعمر جديد وعيش رغيدْ

من خواطر الماضي

تَعوّدتُ إنشادي القريضَ المهذّبا   ونَزهتُ نفسي فيه أن أتكذّبا
ومن أجْل حبي للحقيقة لم أكن   مع الزمن الغاوي إذا ما تقلبا
ومن أجل جُهدي في استقامة منطقي   أبَيْت لرأيي أن يكون مُذبذبا
وسافرت في البُلدان طوراً مشرّقاً   أرود العلى فيها وطوراً مغرّبا
وصاحبت من عُرْب وعُجْمٍ أفاضلا   بهم كنت في شتى المواطن مُعْجبا
فلم أر في عرب وعجم لقيتهم   ككُرْدِ عليٍّ في الرجال مُهذّبا
هو العالم الحبر الذي كنت مغرما   بآدابه منذ الشبيبةِ والصِّبا

فقد كان فى مصر ضَريرُ يراعه ... يؤانسنى بالممتع الغَضّ مُطربا
وكم كنت فى الآداب والعلم كاشفا ... بمقتَبَسٍ من نوره ما تحجّبا
إلى أن أنار الشام بالعلم عندما ... لجمعها أمسى الرئيسَ المرتّبا
إذا مُعْجَمات العلم عنّت فلا نرى ... سواك إليها يامحمد مُعْربا[1]

صورة

زهرة قد بدت من الأكمام ... فتجلى منها الجمال السامى
وتراءت منها الحقيقة حسنا ... لم يدنسه طائف الأوهام
إن تجريدها من الثوب يحكى ... أنفسنا جردت من الآثام
هى كانت قبل التجرد منه ... كوكبا غم نوره بغمام
إن قدس الأقداس يغضب من أن ... تتوارى وسامة الأجسام
وأشد الكفر الذى هو رجس ... كفر هذا الجمال بالأهدام
ضلة جاهلية أنكرتها ... رسل الفن فى هدى الإسلام

* * *

انظر الصورة التى انتزعتها ... من يد العرى ريشة الرسام
تلق فيها الجمال يضحك ضحكا ... يمترى الدمع من عيون الغرام
وترى نفسك الكئيبة منها ... فى سرور مهاجم متزامى
أنت منها فى نشوة المتحسى ... بنت كرم ولوعة المستهام
منظر يترك الجوانح منا ... فى هياج من الهوى وهيام
(ويرد الوجوه مستبشرات ... ويرد الثغور ذات ابتسام)
(يبهج النفس إذ يحرك منها ... وتر الشعر مطرب الأنغام)

* * *

(١) عنت : عرضت وظهرت .

خلعت ثوبها وأغضت حياءً | فأرتنا خلاعة فى احتشام
جلست جلسة الحيي وأبدت | بالتعرى بداعة فى الوسام
ما احيلى اغضاءةً جعلتها | كغريق فى لجة الأحلام
يتعامى عنها الحياء حياءً | ليراها بحيلة المتعامى
لسقوط الرداء عن منكبيها | نهض الفن قائما باحترام
(وغدا الحب راقصا بابتهاج | وجرى الشعر شاديا بانسجام)

* * *

(ان هذا الجمال شىء عجيب | حيرة فى العقول والأفهام)
(بين ألوانه و بين قلوب النا | س جذب ذو حرقةواحتدام)
(وهو فى الحب صادق الأمر والنهـ | ـى مطاع فى النقض والإبرام)
(إن يشأ فالصغار غير صغار | وعظام الرجال غير عظام)
(هو نور يضىء فى أوجه الحب | ويهدى إلى طريق الغرام)

عصاى الفتية

أنا شيخ وذى عصاىَ فتيَّهْ | قد أتَتْنى من « مَظهر » لى هديهْ
صَاغة « الصابئين » قد ألبسوها | حلية ذات صانعة عَبقريه
وشَّحُوها من « مظهر » بكلام | مُعْرِب عن مودة أخويّه
هى تحكى عصاه «ابن عمران» قدْرا | فلذا صيغ رأسها رأس حيه
فسأمشى بها قويًّا سَوِيًّا | بعد ما كنت ماشيًا كالحنيّة[1]
وستبقى الذكرى بها لإخاء | مُوثَق بالوشائج الأدبيه
ألبستنى كرامة بإخائى | لكريم من أسرة حِمْيريه

الأعظمية ٤ شباط سنة ١٩٤٥ .

---

(١) الحنية : المحنية ، أى القوس المعوجة .

النشيد الوطني

نحْنُ خوّاضو غمارِ الْـــموت كشّافو المِحَنْ
ما لنا غـيرُ اكتساء الـــعزّ أوْ لُبْسِ الكَفَنْ
نبذل الأرْواحَ نَفْديــــها لإحيـاء الوطَنْ
هَلْ سِوَى الأرْواحِ لِلأوْ طانِ في الدُّنيا ثمَنْ
ياضَــلالَ الأُلَى لَمْ يكونوا الفِدَى
إنْ نَمُتْ نَحْنُ فَلْـــتَحْيَ أوْطانُنَا

الى عبد الستار القرغولي

هاك عبد الستار حقك إنى	لست من منكرين ثابت حقك
غير أنى ذهلت عنـه وصدقى	فى ادعائى هذا مقيس بصدقك
إن تـكن قد عشقت شعرى فإنى	عاشق شـعرك البليغ كعشقك

دمعة على قبر الزهاوى

أيها الفيلسوف قد عشت مضنى	مثل ميت وصرت بالموت حيا
ما حياة العظيم إلا خـــلود	بعـد موت يكون للجسم طيا
سوف يبقى بين الورى لك ذكر	ناطق بالبقاء لم يخش شـــيا
أنت فى الفضل فرد حيا وميتا	حزت فى الحـالتين ذكرا عليا
سوف أبكى عليك شجوا وإنى	كنت أبكيك فى الحياة شجيا



تجمع هذه الصورة بين طائفة من أدباء العراق فى حفلة أدبية أقامها السيد محمود صبحى الدفترى على أثر جفاء حدث بين الزهاوى والرصافى وقد تصافح فيها الشاعران وظهرا فى وسط الصورة يحيط بهما بعض المدعوين من أدباء البلد وساسته .

في مدرسة الامام الأعظم

مما كتب إلى العلامة الشيخ سعيد النقشبندى مهنئاً له بتعيينه مدرسة إلى مدرسه الامام الأعظم أبو حنيفه .

قد ازدهى للعلم تدريس	وزال عن طلابه البوس
واتضحت معالم العــلم لا	يوجد رسم منــه مدروس
بعالم الآفاق من ربعه	له على كيوان تأسيس
سعيد الذى له السعد قد	طأطأ راساً وهو مرموس
العالم العيلم من لم تزل	تحدى اليه النجب العيس
يولج أهل الفضل فى قصده	ويعقب الادلاج تفليس
ويطرد الجهل به مثلما	يطرد بسم الله إبليس
فلا تسل عد معاليه إذ	تضايقت عنها القراطيس
وقل لمن حاول تعدادها	عقلك فى جهلك مطموس
يحصى الحصا عدًّا ولكنها	لها عن الاحصاء تقديس
القدم الغطريف لاشك فى	رؤيتــه للكرب تنفيس
يبسم إن جئت ولكنه	ذو هيبــة تحذرها الشوس
وليس للقانص علماً سوى	محفــله الحافل ناموس
كم أذعن الخصم له طائعاً	وانقاد للايمان قسيس
ما واصــل فى العلم الا له	أنت له رئيس وهو مرؤس
وليس للبرهان فى حاجة	ان ضياء الشمس محسوس
أنت سليمان العلا والنهى	آصف والآداب بلقيس
أنت ولا غيرك فى خطه ال	علم لداء الجهل تقريس
ونور أقمــار سمــاء العلا	من شمس عرفانك معكوس

وإن يكن للفظ درًا فلا نعجب إذ صدرك قاموس
لو لم يكن مدحك فى الشعر لا يزدان تشطير وتخميس
ومذ حوى مدحك شعرى له بالعقد ذى الترصيع تجنيس
قلت وفى روضة انشاده روح التهانى لك مغروس
أرخ ودام لسعيد لدى أمامنا النعمان تدريس

١٣١٨ هـ

شكر ومديح

وكتب الى حسين فوزى النائب بعد تناوله الكتاب الذى استعاره منه :

أهدى إليك ياعظيم الجناب تشكراً لفضلك المستطاب
فياحسين صح عند الورى أنك غيث نائل ذو انسكاب
قد جمع الله جميع الندى فيك بحال عنفوان الشباب
فأنت فى أفق سماء العلا شمس علا ماحجبت فى ضباب
وانى أشكر طول المدى شكراً لارسالك ذاك الكتاب
جردتنى عن ثوب فقرى له كما تسل مرهفاً فى قراب
ناب أبوك عن علوم الهدى وأنت نبت عن هموع السحاب
علامة العصر جميع الورى قد هديت بعلمه للصواب
نيكم وكم معضلة أعجزت أماط بالفطنة عنها الحجاب
وكم جلا غامض علم لنا بفكره الثاقب مثل الشهاب
قد بهر الناس بعرفانه حيث أتاهم بالعجيب العجاب
وفاق فى الآراء أهل النهى وأوتى الحكم وفصل الخطاب
لم يقطع الأمر لنا حاكماً برأيه الصائب إلا أصاب

فهو لعمــــر الله في قطعه ... كالصارم المشحوذ منه الذباب
فكيف لا أمدحك اليوم إذ ... أنك فرع أصل ذاك المهاب
وأنتمو أمجـــاد هذا الورى ... وقد زكى العنصر منكم وطاب
وأنتم الرأس وما غيركم ... من شرف المحتد إلا الذناب
ومنكم الفضـــل وأنتم له ... وما سواكم فيه إلا سراب
والله ذو الفضل من المجـــد قد ... ألبسكم في الناس أبهى نقاب
فاشهد الله وكل الورى ... إني إلى أحسابكم ذو انتساب

القدوم المبارك

وكتب للعلامة الشيخ سعيد النقشبندي عنـد عوده من سامراء إلى بغداد للتدريس بمدرسة الأمام الأعظم .

ألا قد سر طالب كل علم ... ومن بذل النفائس في طلابه
صبيحة شرف الزورا سعيد ... بمقدمه المبارك من غيابه
وتدريس العـــلوم لطالبيها ... لدى النعمان عاد إلى جنابه
هو البحر الخضم بغير حد ... فرائد كل عـــلم في عبابه
فقلت بعرض التاريخ بشرى ... وأمر الدرس عاد إلى نصابه

١٣١٨ هـ .

إلى حسين النائب

وكتب إلى حسين فوزي النائب يستعير منه كتاباً :

رفعت أكفّي نحو فضلك سائلًا ... سؤال الورى الوهاب يابن الأماجد
ومن قبل هذا يابن أعلم عصرنا ... وحقك لم أمدد لغيرك ساعدي
فقـــد عرضت لي ياحسين لُبانةٌ ... بديوان شعر بن الحسين فساعد
وجد لي به بعض الزمان إعارةً ... فلي فيه ياذا الفضل بعض المقاصد
ولا زلت مأوى للعفاة ومرجعاً ... لكل بني الغبراء ياذا المحـــامد

إلى الدكتور زكي مبارك

إذا أطرى الأنام فتى أديبا ... فلابن مبارك أدب غزير
وعلم لا أشبهه ببحر ... فقد نضبت بجانبه البحور
لقيت به أخا أدب وعلم ... له شبه وليس له نظير
زكى نفسا فقيل له زكى ... وبورك فالمبارك منه خير
يمج يراعه فى الطرس ليلا ... يشق دجاه صبح مستنير
أقام (بنثره الفنى) جسرا ... لمن فى الفن أعجزه العبور
جلا بذكائه سدف المعانى ... كأن ذكاءه للفهم نور
وخاض عباب بحر من بيان ... تحوم عليه من بدع نسور
إذا قرع المنابر يوم حفل ... رأيت الناس من فرح تمور
أصاخوا نحوه وقد اشرأبوا ... أكفهم تصفق أو تشير
إذا افتخرت به مصر وتاهت ... فكل بنى العراق به فخور

تخليد العظماء !

قالوا نخلد ذكره بحديقة ... غناء فيها تنبت الأزهار
ونضيفها فى التسميات إلى اسمه ... حتى يكون له بها تذكار
لهذا لعمر الله جهل تضحك ... العقلاء منه وتهزأ الأحرار
إن الحدائق لا تخلد باسمها ... من لا تخلد ذكره الآثار
ما نفع تسمية الأماكن باسم من ... خلت الضمائر منه والأفكار
من فاته غير المساعى فاته ... بعد الممات بغيرها الانشار
إن المعالى ما لهن مآثر ... مثل الليالى ما بها أقمار
هل تذكر الأشجار من بعد البلى ... إلا بما انتضدت بها الأثمار

والذكريات إذا أتت بشهودها حسن السماع وأحمد التكرار
من سار فى دنياه سيرة مصلح لهجت بخالد ذكره الأمصار
من عاش فى خطط البلاد مؤثرا أحيته بعد مماته الآثار

بين الرصافى والشيخ الراوى

أرسل المرحوم الشيخ إبراهيم الراوى قصيدة إلى المرحوم الرصافى من جملتها البيت الآتى :

وأشعر أهل العصر عندى بلامرا جميل الزهاوى والرصافى المقدم

فنظم الرصافى القصيدة التالية وأرسلها إلى الشيخ الراوى :

للسيد الراوى ابراهيما فضل أضل الخافقين عميما
ومناقب لهج الرواة بذكرها وبها استحق من الورى تعظيما
شيخ إذا جالسته فى مجلس جالست منه مرشدا وحكيما
وإذا نظرت لشخصه متأملا أحسست فيك لشخصه تعظيما
داوى قلوب ملازميه بهديه فاصح منها ما رآه سقيما
يا أيها الشيخ الذى قد أدرك المجد المؤثل حادثا وقديما
أرسلت مألكة إلى كريمة ضمنتها الدر النضيد نظيما
أحسنت ظنك بى وحسن الظن من تلقاء مثلك يوجب التقديما
شكرا على شعر إلى بعثته فشفيت من قلبى الكلوم كلوما
شيم الكرام ورثتها من هاشم تركت فخار مفاخريك هشيما
أدنى احترامك أن تخصص بالعلى وأقل مدحك أن تعد كريما

إلى الشيخ قاسم القيسى

إذا قاسم القيسى مر بخاطرى   تذكرت عهدا فى الصبا مر كالحلم
تذكرته إذ كنت للعلم طالبا   بفكرى ومعى مجهد النفس والجسم
فقد كنت أحيانا أزور فنائه   وانتابه للرشف من منهل العلم
وكم زرته فى جامع الفضل راجيا   شفاء لما فى مدنف الفهم من سقم
إذا زرته يوما نثلت كنانتى   فثقف منها كان ما اعوج من سهم
وعدت صحيح الفهم منه قد انجلت   بلقياه عنى غمة الغرم والغنم
هو العالم الحبر الذى من يلذ به   يكن فائزا بالعلم والأدب الجم
بما شاء فى التوضيح من واقد الذكا   وما شاء فى التقرير من صادق الحكم
بقية أعلام مضوا وكفى به   من العلم طودا فوق أطواده الشم
له نظر فى غامض العلم شامل   ورأى سديد لا يحوم على الوهم
إذا ما نحا فى العلم قتل عويصة   رماها بسهم من فطانته مصمم
نماه أبوه الشيخ أحمد للعلا   فبورك فى الآباء من والد شهم
فقد كان فردا كابنه فى ذكائه   فجاء ابنه قرما تولد من قرم
وكان بتقسيم المواريث عالما   ينيف بها رأيا على ثاقب النجم
فيارمسه اهنأ بالذى أنت رامس   سقاك السحاب الجون بالوابل السجم

تقريض كتاب القيسى

هذا كتاب قد تبدا جامعا   حكما تبين للنحاة التابعا
كشفت فوائده وهن فرائد   عن وجه غانية المرام براقعا
أبدت بدائعه براعة قاسم   من راح فى طرق المعارف بارعا
بحر تلاطم بالفنون و بدره   لا زال فى برج السعادة طالعا
هذا لعمر أبى سحاب علومه   قد سح للطلاب غيثا نافعا

الرصافي يحيي وفد مصر الشقيقة

أتى من مصر طلعتها بن حرب ... فاهلا بالمذلل كل صعب [١]

وأهلا بالذى ادخرته مصر ... لدفع ملمة ولقرع خطب

هو الرجل الذى فى مصر قامت ... له همم تنفس كل كرب

تعهد بالمساعى العز مصرا ... فبدل جدب تربتها بخصب

أحب بلاده فسمعت منها ... له شكر الحبيبة للمحب

* * *

لقد شاهدت مبتهجا بعينى ... له فى مصر آثارا كبارا

ففى (الكبرى) له متحركات ... تخلد فى البلاد له الفخارا [٢]

معامل ما رست غزلا ونسجا ... فأغنت فى صناعتها الديارا

وفى الاسكندرية باخرات ... له فى البحر تبتدر السفارا

وأما بنك مصر فذاك أمر ... به قد جل طلعت أن يبارى

* * *

إذا ما مصر فى المال استقلت ... فلا تخشى التأخر فى السياسة [٣]

فان المال أكبر ما يرجى ... به نيل السعادة والرئاسة

إذا ما الشعب كان أسير فقر ... فما تجدى السياسة والحماسة

أيصبح فى سياسته طليقا ... أسير أوجب الفقر احتباسه

* * *

(١) زار العراق سنة ١٩٣٦ وفد مصرى يرأسه المرحوم طلعت حرب زعيم مصر الاقتصادى ومؤسس بنك مصر وشركاته العديدة التى عادت على مصر بنتائج طيبة ما زالت تذكر فتشكر .

(٢) يريد بالكبرى « المحلة الكبرى » وهى مدينة مزدحمة بالمعامل ويعود الفضل فى تصنيعها الى المرحوم طلعت حرب باشا .

(٣) يشير الى أن الاستقلال الاقتصادى هو أهم من الاستقلال السياسى

رجال النيـل حييتم رجالا ... بما للعرب فيكم من سمات

بكم طرب الفرات وقال جهرا ... لوادى النيل أنك من لداتى

كلانا جاريان على سهول ... بابناء العـــروبة آهلات

كلانا فى الأخاء له مواض ... ضمن لنا النجاح بكل آت

وتجمعنا جوامع كبريات ... وأكبرهن سيدة اللغات(١)

لقد زرناكم قبلا فكنا ... على نشر التجلة والكرامه(٢)

فمن بيت يمد به سماط ... ومن وجه تضىء به ابتسامه

وما هذا لعمر الحق منكم ... ببدع بل لكم فيه استقامه

وما زرناكم لكبير مال ... ولكن للأخوة والشهامه

ألا فلتحى مصر فنحن نرجو ... لكم فيها السعادة والسلامه

۞ ۞ ۞

وكم فى مصر من بطل سواكم ... يسير بها على خطوات سعد(٣)

وكم راق بها فى جو علم ... فيستهدى لأنجمه ويهدى

وكم ساع لها بخطى بن حرب ... ليسعدها بما يقنى ويجدى

ولكن ابن حرب فى دجاها ... كبدر الأفق حل ببرج سعد

فكيف تكون مصر فى اسار ... وفيها اليوم من يحمى ويفدى

---

(١) يريد بسيدة اللغات اللغة العربية كما قال شوقى :

إن الذى ملأ اللغات محاسنا ... جعل الجمال وسره فى الضاد

(٢) يشير إلى زيارته مصر ممثلا العراق فى آذار سنة ١٩٣٦ وإلى الحفاوة التى لقيها وزميله الأثرى من المصريين الكرام كما أشار إلى ذلك فى قصيدته (التى حيا بها مصر هنالك) .

(٣) هو زعيم مصر سعد زغلول مؤسس حزب الوفد وباعث النهضة السياسية .

١ — فهرس موضوعات القصائد

٣ ـ فهرس القوافى